

الأنيس الماطر

بروض القرطاس

في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

تأليف

عليّ ابن أبي زرع الفاسيّ

دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط

1972

تنبيه

تعهدنا - أثناء طبع هذا الكتاب - أن
نكتب الألف اللينة ألفاً مطلقاً (الفتا = الفتى ،
ورما = رمى) ، وأن نمد رسماً كل ما هو ممدود
لفظاً (هذا = هذا وداود = داود) مما يحسبه
القارئ خطأ مطبعياً وما هو إلا تصويب لأخطاء
لا موجب للاستمسك بها وإن مضى على العمل
بها زمن طويل .

فوجب التنبيه .

هَذَا الْكِتَابُ

★ اسمه الكامل على أصح الروايات (الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس) .

★ زعم بعض المستشرقين أن كلمة القرطاس مصحفة عن كلمة الفرطاس لقب زيري بن عطية المغراوي غارس الزيتون الذي يمر في وسطه سور فاس بين باب فتوح وباب الجديد (الحصن الجديد) ، وأن روض الفرطاس المحرف إلى القرطاس هو زيتون ابن عطية وكان من متنزهات فاس الشهيرة في العصر الوسيط ، وبهذا التأويل يفهم اسم الكتاب .

★ كان الكتاب يعرف باسمه الطويل المسجوع المذكور في الفقرة الأولى ، ثم صار يعرف اختصارا باسم القرطاس فقط ، خصوصا في القرنين الأخيرين بعدما ألف محمد بن الطيب العلمي كتابا سماه أيضا الأنيس المطرب .

★ نسب الكتاب لابن أبي زرع عدد من المؤرخين الكبار الذين عاصروه أو كانوا في زمان قريب من زمانه ، مثل علي الجزنائي في (جنا زهرة الأساس) ومحمد بن الخطيب السلماي في (الاحاطة) ، ومحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني في (المسند الصحيح الحسن) ، وعبد الرحمان بن خلدون الحضرمي في (كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر) ، وكذا عدد كبير من العلماء والأدباء والمؤرخين الذين جاءوا من بعدهم مثل أحمد المقرئ القرشي التلمساني صاحب (نفح الطيب) .

★ اسم ابن أبي زرع : أبو الحسن علي بن عبد الله كما ورد في (جنا زهرة الأساس) ، المؤلف بعد (القرطاس) بقليل ، وسماه أحمد ابن القاضي في كتابه (لقط القرائد من حلق الفوائد) أبا عبد الله محمد ، وجعله ممن توفي عام ٧٤١ في واقعة طريف ، وسماه (أصحاب بيوتات فاس الكبرا) أبا العباس أحمد ، ونعتوه بالشيخ الكبير الامام الخطيب البليغ الواعظ الورع الزاهد السولي الصالح العلامة المدرس المفتي ، وذكروا ان العامة قدمته للامامة بجامع القرويين ، والراجح أن أبا الحسن علي بن عبد الله هو الاسم الحقيقي لابن

أبى زرع مؤلف (القرطاس) لعدة أسباب ، منها :

- أن الجزئائى ذكره بهذا الاسم ، وهو أعرف به ، لأنه معاصر له .
- أن اسمه كتب كذلك على عدد من نسخ الكتاب المكتوبة بداية من القرن الثامن الهجرى ، ومنها النسخة العتيقة المحفوظة بمكتبة أكسفورد .
- أن محمد بن أبى زرع الذى زعم ابن القاضى أنه مؤلف تاريخ فاس هو شخص آخر ذكره الجزئائى فى (جنازرة الآس) أيضا وجعله من مصادر تاريخه .

- أن أحمد بن أبى زرع الذى نسب اليه أصحاب (بيوتات فاس الكبرى) تاريخ فاس وردت أخباره فى (جنازرة الآس) وفى (القرطاس) فى الفصل المتعلق بخطباء جامع القرويين ، وفى كلا الكتابين وصف الرجل بالزهد والصلاح ولم يشر الى اهتمامه بالتاريخ ولا الى تأليفه فى تاريخ فاس على الخصوص ، ولو أنه فعل ذلك لما أغفل الإشارة اليه مؤلفا الكتابين المذكورين ، ثم ان المدة الفاصلة بين تقديم أشياخ فاس وفقهائها أحمد بن أبى زرع للإمام بجامع القرويين وبين تأليف (القرطاس) لاتقل عن ٦٠ سنة ، فلو فرضنا أن عمر امام يقدمه الفقهاء والأشياخ والعمامة للإمامة بأكبر مساجد المغرب لايمكن أن يقل عن ٤٠ سنة يكون ألف (القرطاس) على فرض تأليفه اياه وهو ابن مئة سنة وذلك مستحيل ، أما النعوت والأوصاف التى أضفاها أصحاب (بيوتات فاس الكبرى) على الامام أحمد بن أبى زرع فهي من وحي الخيال قطعاً

★ لايعرف شيء عن حياة ابن أبى زرع مؤلف (القرطاس) سوى ماذكر من أنه كان شاهدا بسماط العدول ، والغالب أن ماذكر عنه صحيح ، لأن فى ثنايا الكتاب ماينم عن ذلك .

★ أسرة ابن أبى زرع أسرة نبه ذكرها بفاس فى أواخر العصر الموحدي وأوائل العصر المريني ، وقد ذكر منها رجال عرفوا بالصلاح والزهد والفضل ، مثل أبى العباس أحمد الذى قدمه الفقهاء والأشياخ للإمامة بجامع القرويين بعد وفاة الامام علي بن حمد ، وأبى عبد الله محمد أول خطباء الجامع الكبير بفاس الجديد ، وأبى عبد الله محمد المتوفى فى وقعة طريف سنة ٧٤١ ، وعلي ابن عبد الله مؤلف (القرطاس) .

★ نسب (القرطاس) أيضا الى رجل يسما صالح بن عبد الحليم ، ذكر فى بعض الكتب أنه غرناطى ، وفى كتب أخرأ أنه من كتاب الدولة المرينية ، وثبت هذا الاسم فى عدد من نسخه التي كتبت ابتداء من أواخر القرن الثامن الهجرى ، وقد حاول واحد ممن أسهموا فى تأليف (بيوتات فاس الكبرى) التلقيق بين النسبتين ، فزعم أن القرطاس قرطاسان كبير وصغير ، أحدهما من تأليف ابن أبى زرع والآخر من تأليف صالح بن عبد الحليم ، والظاهر أن هذا التلقيق هو من باب جبر الخواطر ، إذ لا يعرف قرطاس آخر غير القرطاس المتداول الذى ننشره اليوم ، الا أن يكون المراد بأحد القرطاسين كتاب (الذخيرة السنية ، فى تاريخ الدولة المرينية) الذى نشرناه أخيرا ، وهو أيضا من تأليف ابن أبى زرع .

★ صالح بن عبد الحليم أو أبو علي صالح ابن أبى صالح ! رجل تاريخى معروف ينقل عنه أحمد ابن عذارى فى (البيان المغرب) ، وهو مصمودى من قبيلة هيلانة (ايلان) كان يقيم فى مدينة نفيس ويعيش فيها عيشة خمول ، أشار اليه باقتضاب صاحب كتاب (مفاخر البربر) الذى قد يكون هو ابن عذارى نفسه ، وذكر أنه كان حيا وقت تأليف الكتاب سنة ٧١٢هـ أما صالح ابن عبد الحليم الغرناطى كاتب الدولة المرينية الذى يزعم البعض أنه مؤلف كتاب القرطاس فهو حتى الآن غير معروف ، والغائب على الظن أنه شخص خيالى .

★ قد يكون صالح بن عبد الحليم الهيلانى أملا كتابا فى التاريخ ، وقد يكون له ولد اسمه عبيد الله هو الذى سمع املاءه ودونه ، يرجح هذا العثور على أوراق تتعلق بالفتح العربى لبلاد المغرب منسوبة الى عبيد الله بن صالح ابن عبد الحليم ، نشرها الأستاذ الكبير ليفى بروفانصال فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد (١) وبعض ما فى هاذة الصفحات مطابق لما ينقله ابن عذارى عن صالح بن عبد الحليم ، ولكن لاوجود له فى القرطاس ، مما يدل على أنه كتاب آخر غيره .

★ موضوع القرطاس هو تاريخ المغرب عموماً وتاريخ مدينة فاس خصوصاً كما يدل عليه اسمه ، بداية من الدولة الإدريسية الحسنية الى سنة ٧٢٦ من سنوات عهد السلطان المريني عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المشهور بكنيته أبى سعيد .

★ أسلوب ابن أبى زرع أسلوب فقيه أو عدل متوسط المعرفة بعلوم اللغة ، وعباراته تختلف باختلاف المؤلفين والرواة الذين ينقل عنهم ولا ينسب اليهم كلامهم في أغلب الحالات ، فلهاذا يوجد في هذه العبارات البليغ والمتوسط والركيك .

★ طريقة ابن أبى زرع ليست طريقة الحوليات التي جرى عليها أغلب المؤرخين المسلمين في العصر الوسيط ، ولكنها طريقة من يؤرخ للدول ، فهو يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها ثم يذكر سلاطينها واحداً واحداً وما قاموا به من أعمال ، ثم يذكر في نهاية الكلام على كل دولة ما حدث في أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية وظواهر طبيعية كوفيات الأعيان ورخاء الأسعار وانتشار الأوبئة والمجاعات ونزول الأمطار بغزارة وظهور نجوم غريبة .

★ بقي كتاب القرطاس على ما فيه من أغلاط من أهم مراجع المؤلفين المغاربة منذ تأليفه نظراً لشموله ووفرة أخباره ، ولما ظهرت الطباعة الحجرية بفاس طبع بها أربع مرات أولها سنة ١٣٠٣ هـ أما في الخارج فإن الكتاب نال حظه من اهتمام المستشرقين منذ بداية عصر النهضة ، وأول ترجمة معروفة له هي ترجمة بتس ديلاكروا الى اللغة الفرنسية سنة ١٦٩٣ ثم ترجمه في القرن التالي الى الألمانية مستشرق نمساوي يسما فرانز فون دومبي ، ثم ترجمه الى البرتغالية الراهب خوسى دي سانشو أنطونيو وطبعت هذه الترجمة في لشبونة سنة ١٨٢٨ كما ترجم كوندى مايختص منه بالاندلس الى اللغة الإسبانية ، وفي سنة ١٨٣٤ نشر المستشرق السويدي ك.ج. - طورثيرك قسماً منه ، ثم نشر ذلك العالم نفسه بين سنة ١٨٤٣ وسنة ١٨٤٦ نصه العربي مع ترجمة لاتينية وعدة حواشي في أربعة مجلدات ، وآخر محاولة

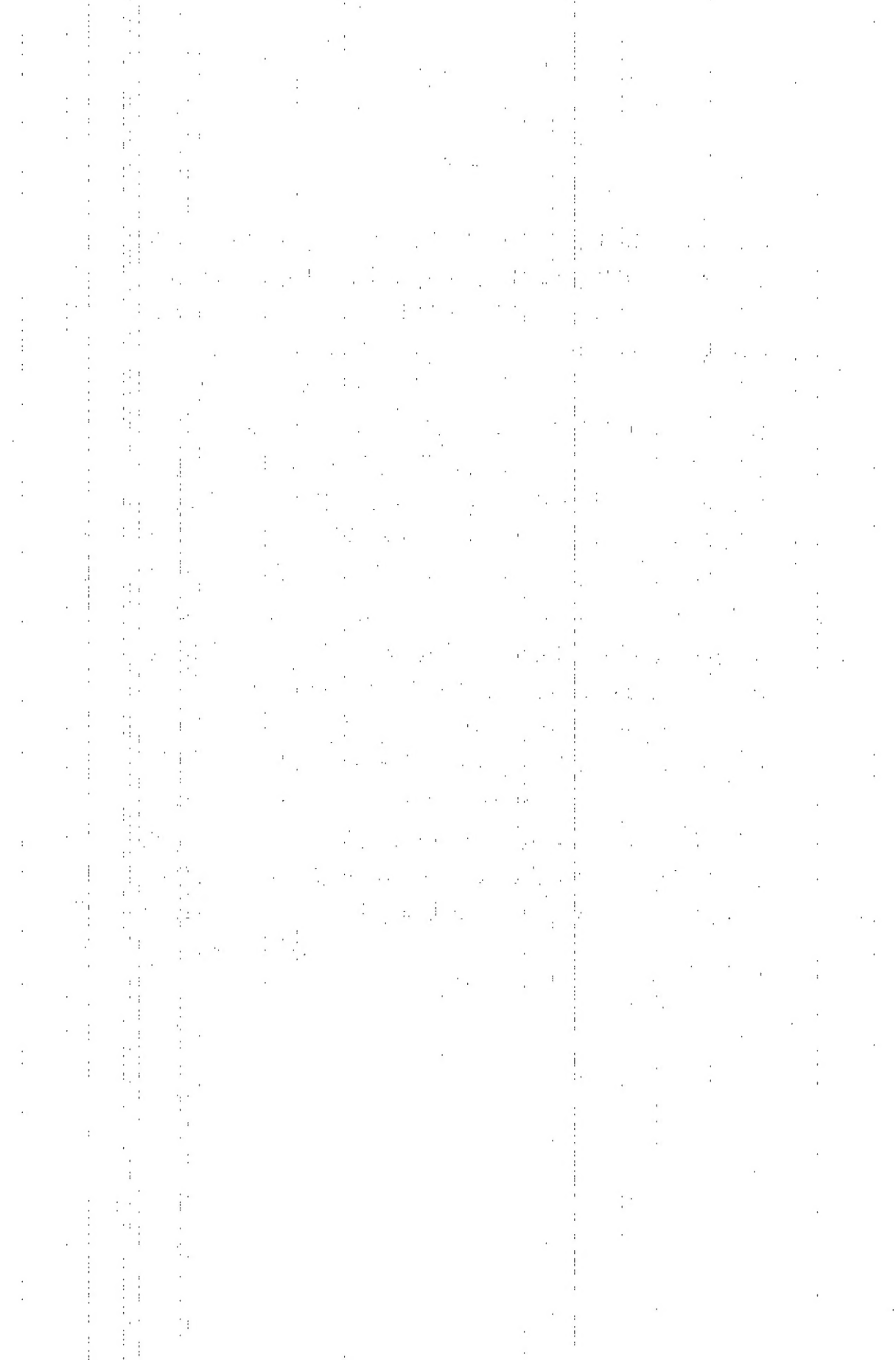
لطبعه هي التي قام بها الأستاذ الجليل السيد الهاشمي الفيلاي ، فقد حقق نصه وشرح ما يحتاج الى الشرح من عباراته والفاظه ، وقدمه الى شركة النشر المغربية التي كان انشاها بسلا الأستاذ الوطني المرحوم سعيد حجي فجزاه الى ثلاثة أجزاء صدر منها جزآن عن المطبعة الوطنية بالرباط سنة ١٩٢٦ ولم يصدر الجزء الثالث .

★ عندما تأسست دار المنصور للطباعة والوراقة في العام الماضي جعلت من مشمولات برنامجها لبعث التراث العلمي والأدبي والتاريخي لأقطار المغرب العربي طبع كتاب (القرطاس) ، فقامت بتحقيق نصه على عدد من نسخ المخطوطة في أزمنة مختلفة وحررت من الأخطاء التي اعتقدت أنها من عمل النساخ ونهت على الأخطاء التي اعتقدت أنها مما وقع فيه المؤلف نفسه .

★ قامت دار المنصور - علاوة على تحرير النص - بتحقيق الأعلام الواردة فيه ومقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي ، وحذف الكنا التي تضيع معها أسماء الناس الحقيقية أو تحدث تشويشا في أذهان القراء ، واجتنب الشروح والحواشي الا فيما اعتقدت أن شرحه ضروري أو مفيد ، ووضعت له الفهارس المتنوعة التي تسهل على القراء العثور على مايبغونه بسرعة ، وطبعته على الطريقة التي طبعت بها الكتب الصادرة عنها من قبل .

★ تعتقد دار المنصور أنها بطبع هذا الكتاب طبعة كاملة عصرية تخطو خطوة مهمة في طريق بعث تراثنا التاريخي وتؤمل أن تجد من معونة المثقفين وتشجيعهم مايعينها على قطع مراحل أخرا في طريق البعث الطويل ، والله ولي التوفيق

دار المنصور للطباعة والوراقة



الأئیس المطرب بروض القرطاس
فی اخبار ملوک المغرب
وتاریخ مدینة فاس



تألیف

علی بن عبد الله ابن أبی زرع الفاسی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلا الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله مصرف الأمور بمشيئته وتدبيره ، ومسهل العسير بمعونته
وتيسيره ، ومبدع الأشياء بحكمته وتصويره ، خالق الخلق بقدرته وبأسط
الرزق بتقديره ، أحمدده حمد معترف بذنوبه ومقر بتقصيره ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص بقلبه وسره وضميره ،
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اصطفاه برسالته وحباه بمحبته وتفضيله
وتخيره ، صلا الله عليه وعلى آله الطيبين وأزواجه الطاهرات الذين
أذهب الله عنهم الرجس وخصهم بتطهيره ، ورضي الله عن صحابته
السابقين بتصديقه ونصرته وتعزيزه وتوقيره ، وعن التابعين لهم بإحسان
الى يوم الدين ما اختلف الليل بظلامه والنهار بنوره ، والدعاء للدولة
السعيدة العلية ، المرينية العبد الحقية أعلا الله كلمتها ورفع قدرها ،
وابقا على مر الأيام فخرها ، بالتأييد والتمكين ، والنصر والفتح المبين .
أما بعد أطل الله بقاء مولانا الخليفة الامام معلى الاسلام ورافعه ،
ومذل الكفر وقامعه ، تاج العدل وناشره ، ومأوى الظلام وهاتكه ، ملك
الزمان ، وسراج الاسلام والايمان ، أمير المسلمين أبو سعيد عثمان ،

ابن مولانا الامام المظفر المنصور ، الملك العابد الزاهد المذكور ، الذي تقدم بكل فضيلة وسبق ، الامام العدل القائم بالحق ، أمير المؤمنين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ، نصره الله وأعلى كلمته ، وأيده وخلد ملكه وأيامه ، وفسخ له فى البلاد شرقا وغربا ، وأوطأ له رقاب الأعداء سلما وحربا ، وفتح على يديه الفتح المبين ، وجعل الخلافة كلمة باقية فى عقبه الى يوم الدين ، ولازال للخلافة يحيى اثارها ، ويجدد اظهارها ، ويرفع منارها ويجلو أنوارها ، والسعد مخيم بفنائها وعتباته ، والنصر مقرون ببراياتها ، وقلوب الأمة مجتمعة على طاعته ومحبتة ، مامحا النور الظلم ، وغنا الحمام على غصن وترنم .

لا زال يحمى حما الاسلام مجتهداً فى الحق ينظر للدينين والدينين
ينال ما شاء من دنياه قاصده يغنى ويعطى عطاء غير ممنون

وانى لما رأيت مكارم دولته للسعيدة أطالها الله وخلوها ، وأعلى كلمتها وأيدها ، تنظم نظم الجمان ، وسور محاسنها تقلا بكل لسان ، وغرر مآثرها وبركاتها تشرق بكل ناحية ومكان ، وغرر أنوارها تلهى عن المغزل ، وتسير سير المثل ، أردت خدمة جمالها ، والتقرب الى كمالها ، والتفيا بظلالها ، والورود من عذب زلالها ، بتأليف كتاب جامع للطيف الأخبار وملح الآداب ، يحتوى على غرر التاريخ وعجائبه ، ونوادر الأثر وغرائبه ، يخبر بنبذ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين ، وأمرائه الماضين ، وأممهم السالفين ، وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم وأعمارهم وسيرهم ، وغزواتهم وأحوالهم فى دولتهم ، وما رسموه بالمغرب من المراسم ، وصنعوا من المصانع والمعالم ، وفتحوا من البلاد والأقاليم ، وبنوا من الحصون والمدن والمكارم ، وأذكروهم أميرا بعد أمير ، وملكا بعد ملك ، وخليفة بعد خليفة ، وأمة بعد أمة ، على حسب تواليهم فى أعصارهم ومراتبهم فى دولتهم وأزمانهم كما وقع فى الزمان ، من أول دولة الامام ادريس بن عبد الله الحسنى الى هاذا الأوان ، أبذل فيه جهدى واطهر جلدى بقدر الوسع والامكان ومساعدة الزمان ، فاستخرت الله تعالا فى تأليفه ، واستعنته

فى تقنيده ، فسهل الله تعالى ما أردته من ذالك ويسره بفضلہ وبركسات
مولانا أمير المؤمنين الظاهرة الباهرة ، فألفت هذا المجموع المقتضب ،
انتقيت جواهره من كتب التاريخ المعتمد على صحتها ، والمرجوع اليها ،
سوى ما رويته عن أشياخ التاريخ والحفاظ والكتاب ، وقيدته عن الرواة
الثقات الأنجاب ، وحذفت فيه الاسناد خيفة الاكثار والامتداد ، مع الميل
الى ترك الاسهاب والتطويل ، وتجنب الاختصار والتقليل ، وجعلته كتابا
مخرجا على النوسط فهو خير الأمور ، ومعتمدى فى ذالك على ما رواه
الجمهور ، عن النبي صلا الله عليه وسلم من الحديث المأثور ، اذ قال
يؤدب أمة ويبسطها : (خير الأمور اوسطها) .

وسميته (الأنيس المطرب بروض القرطاس ، فى أخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس) ، والله سبحانه يعصمنا من الزلل ، ويجنبنا الخطأ
فى القول والعمل ، ويبلغ السؤل والأمل ، ويبقى لنا أمير المسلمين تعلقو
على الدولات دولته ، وتمضى فى الأعداء صولته ، منصوره أعلامه ،
محمودة أيامه ، لارب غيره ، ولاخير الا خيره .



الخبر عن ملوك المغرب

من الأدارسة الحسنيين وذكر قيامهم وبنيانهم مدينة فاس

دار ملكهم وقرار سلطانهم رضي الله عنهم

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان السبب في دخول الأدارسة الحسنيين المغرب وتملكهم عليه أن الامام محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم كان قام على أمير المسلمين أبي جعفر المنصور العباسي بالحجاز ، منكرًا لجوره وعسفه ، وذلك في سنة خمس وأربعين ومئة (١) (وكان الامام محمد يدعوا بالنفس الزكية لنفسه وكثرة عبادته وزهده وورعه وعلمه وفضله ، وكان له ستة اخوة ، وهم : يحيى ، وسليمان ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسا ، وإدريس ، فبعث أربعة منهم دعاة الى الأمصار يدعون الى طاعته وبيعته ، وبعث عيسا الى أفريقية فأجابها بها خلق كثير من قبائل البربر ، وبقي هناك الى أن توفي ولم يتم الأمر ، وبعث أخاه يحيى الى خراسان ، فأقام بها حتى مات أخوه محمد ففر الى بلاد الديلم فأسلم على يديه خلق كثير ، ودعا لنفسه فبايعه عالم عظيم ففوي أمره ، وذلك في أول خلافة الرشيد ، فلم يزل الرشيد يبعث اليه الجيوش ويدبر له الحيلة حتى أئاه سلما فأقام عنده مدة الى أن مات مسموماً في أيام الرشيد ، وبعث (أي الامام محمد النفس الزكية) أيضا أخاه سليمان الى بلاد مصر داعيا للبيعة ، ولما اتصل به قتل أخيه سار

(١) هنا خلط ابن أبي زرع بين ثورة الامام محمد النفس الزكية على الخليفة أبي جعفر المنصور سنة 145 وبين ثورة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى على الخليفة موسى الهادي سنة 169 فجعل الثائرين ثائراً واحداً ، وتبعه في الخلط كل من نقل عنه من المؤرخين المغاربة وقد تصرفنا في الفقرات التي وقع فيها الخلط - وهي المطبوعة بحروف غليظة - تصرفاً أعاد الحقائق التاريخية الى نصابها .

الى بلاد النوبة ، ثم الى بلاد السودان ، ثم خرج الى زاب أفريقية ، ثم سار الى تلمسان من بلاد المغرب فنزلها واستوطنها ، وذلك في أيام أخيه ادريس ، فكان له بها أولاد كثيرون ، فكل حسنى هناك من نسل سليمان ابن عبد الله بن حسن ، وقد دخل ولده الى بلاد دكالة والسوس الأقصا وبعث أخاه ابراهيم الى البصرة فغلب عليها وعلى الأهواز وفارس ، وبعث الحسن بن معاوية الى مكة فملكها ، وبعث عاملا الى اليمن ، ودعا لنفسه وخطب عن منير رسول الله صلا الله عليه وسلم وتسميا بالمهدي ، وجلس رباح بن عثمان المرى عامل المدينة .

(ولما بلغ الخبر الى أبى جعفر المنصور أشفق من أمره وكتب اليه كتابه المشهور ، ثم عقد على حربه لابن عمه عيسا بن موسى بن علي ، فزحف اليه في العساكر وقاتله بالمدينة فهزمه وقتله في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ، ولحق ابنه علي بالسند الى أن هلك هناك ، واختفا ابنه الآخر عبد الله الأشتر الى أن هلك في أخبار طويلة ، ورجع عيسا الى المنصور فجهره لحرب ابراهيم أخى محمد النفس الزكية الداعى له بالبصرة ، فقاتله آخر ذي القعدة من تلك السنة فهزمه وقتله)

(ثم خرج في أيام الخليفة الهادي الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ، وذلك في سنة تسع وستين ومئة ، وسار الى مكة ، وكتب الهادي الى محمد بن سليمان بن علي ، وكان قدم حاجبا من البصرة فؤلاه حربه فقاتله يوم التروية بفخ على ثلاثة أميال من مكة ، وهزمه وقتله واقترب أصحابه ، وكان فيهم عمه ادريس بن عبد الله الكامل ، وبقي القتلا من أصحابه في موضع المعركة حتى اكلتهم الطيور والسباع لكثرتهم ، وكانت هاذة الواقعة يوم السبت ، وهو يوم التروية ، الثامن من شهر ذي الحجة سنة تسع وستين ومئة) .

(ولما قتل الحسين بن علي وشيعته فر عمه ادريس) بنفسه مستترا في البلاد يريد المغرب ، فسار من مكة حتى وصل مصر ومعه مولا له

اسمه راشد فدخل اليها والعامل عليها للهادي (٢) علي بن سليمان الهاشمي ، فبينما ادريس ومولاه راشد يمشيان في شوارعها ويجولان بطريقها اذ مرا بدار حسنة البناء والهيئة فوقها ينظران اليها ويتأملان حسن بنائها وانقائها ، واذا بصاحب الدار (٣) قد خرج وسلم عليهما ، فردا عليه ، فقال لهما ما الذي تنظران من هذه الدار ؟ فقال له راشد ياسيدي انه أعجبنا حسن بنائها واحكام اتقانها وشكلها ، قال أظنكما غريبين عن هذه البلاد ، قال راشد : جعلت فداك ، ان الأمر كما ذكرت قال : فمن أي الأقاليم أنتما ؟ قالا من الحجاز ، قال من أي بلاده ؟ قالا من مكة ، قال وأخالكما من شيعة الحسنين الفارين من وقعة فخ ، فأرادا أن ينكرا له حالهما ويخفيا عنه أمرهما ، ثم انهما توسما فيه الخير والفضل ، فقال له راشد : ياسيدي أرا لك صورة حسنة ، وقد توسمت فيك الخير لحسن صورتك وطلاقة وجهك وبشرتك ، ولا بد ان تكون أفعالك وشيمك مطابقة ومشابهة لصورتك الجميلة ، ولكن أرايت ان اخبرناك من نحن وما خبرنا وأمرنا أكنت تستر علينا ؟ قال نعم ورب الكعبة أكنتم أمركما وأصون سركما وأبذل جهدي في صلاح حالكما ، قال راشد : ذلك المظن بك والثقة بفضلك ، هاذا ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وأنا مولاه راشد ، قررت به خوفا عليه من القتل قاصدا الى بلاد المغرب ، فقال لهما الرجل : لتطمئن نفوسكما وتسكن روعتكما ، فإني من شيعة أهل البيت ومواليهم ، وأولا من كنتم سرهم وستر أمرهم وبذل جهده في حقهم ، فلاتخافا ولا تخزنا فأنتما من الأمنين ، ثم أدخلهما الى منزله ، فأقاما

(2) في الأصل للمهدي ، والصواب أن الهادي هو الذي كان خليفة ببغداد عند فرار ادريس بن عبد الله الكامل الى المغرب بعد مقتل الحسين بن علي بفتح يوم 8 ذي الحجة سنة 169 وقد كانت وفاة المهدي والد الخليفة موسى الهادي في شهر محرم قبله ، أما علي بن سليمان الهاشمي فقد كان حقا عاملا على مصر ، وليها من قبل الخليفة موسى الهادي في آخر سنة 169 .

(3) واضح مولا صالح بن المنصور ، وكان صاحب البريد بمصر ، رافضى النزعة ، وقد ضرب الخليفة الهادي - وقيل هارون الرشيد - عنقه وصلبه لما بلغه خبر تهريبه ادريس الى المغرب (الكامل لابن الأثير 5 : 76) .

عنده مدة فى اكرام ونعيم ، فاقصل خبرهما بعلي بن سليمان الهاشمي عامل مصر ، فبعث الى الرجل الذى هما عنده ، فقال له انه قد رفع الي خبر الرجلين اللذين هما عندك فى منزلك مخفيان ، وأن أمير المؤمنين قد كتب الي فى أمر الحسينيين والبحث عن من وجد منهم ، وقد بعث عيونه على الطرقات وجعل الرصايد فى اطراف البلاد ، فلا يمر أحد من الناس حتى يعرف ويعلم صحة نسبه وحاله ، ومن أين قدم والى أين يسير ، وإنى أكره أن أتعرض لدماء أهل البيت أو أن يبالغوا بدمائهم ، فلك الأمان ولهما ، فسر اليهما وأعلمهما بمقالتي لك وقل لهما يخرجان من عملي ليلا يصل خبرهما الى الهادي (٤) فيخرجكم من يدي ، وقد أجلكم فى الخروج ثلاثة أيام ، فسار الرجل الى ادريس ومولاه راشد فأعلمهما الخبر فعزما على الخروج الى المغرب ، فاشترا الرجل لهما راحلتين ولنفسه أخرا وصنع لهما زادا يبلغهما الى أفريقية وقال لراشد: اخرج أنت مع الرفقة على الجادة وأخرج أنا مع ادريس على طريق غامض لاتسلكه الرفاق وموعدا مدينة برقة (٥) أنتظرك بها حيث أمان عليه من الطلب ، فقال : الرأي مارأيت ، فخرج راشد مع الرفقة على الجادة فى زى التجار ، وخرج ادريس مع الرجل المصرى على البرية حتى وصل به مدينة برقة ، فقعدا بها حتى لحق بهما راشد ، فجدد لهما الرجل هناك زادا يبلغهما وودعهما وانصرف راجعا الى مصر ، وسار ادريس مع مولاه راشد الى أفريقية يجدان السير حتى بلغا الى القيروان ، فأقاما بها مدة ثم خرجا الى المغرب الأقصى .

وكان راشد من أهل النجدة والشجاعة والحزم والقوة والعقل والدين والنصيحة لأهل البيت رضى الله عنهم ، فعمد الى ادريس حين خرج به الى القيروان ، فألبسه مدرعة صوف خشنة وعمامة غليظة وصيره

(4) فى الأصل المهدى ، انظر التعليق نمرة 2 .

(5) هى مدينة المرج الحالية الواقعة على الطريق الداخلى الذى يربط بين بنغازى وطلمينة على بعد 44 كلم الى الشرق من الأول و 26 كلم الى الجنوب الغربى من الثانية ، أنشأها اليونان فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد .

كالخادم له يأمره وينهاه ، كل ذلك خوفاً عليه وخياطة له ، فلم يزا على ذلك حتى وصل إلى مدينة تلمسان ، فاستراح بها أياماً ، ثم ارتحلا عنها نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا وادي ملوية ودخلا السوس الأدنى وحده من وادي ملوية إلى أم الربيع ، وهو أخصب بلاد المغرب وأعظمها بركة ، والسوس الأقصى من جبل دون إلى بلاد نول ، فسار ادريس ومولاه راشد حتى نزلا بمدينة طنجة ، وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب وأم مدنه ، إذ لم يكن بالمغرب مدينة أعظم ولا أقدم منها ، وقد ذكرنا تاريخها ومن بناها في كتابنا الكبير المسما بأزهار البستان ، في أخبار الزمان .

فلما وصل ادريس طنجة أقام بها أياماً ، فلم يجد بها مراده ، فرجع مع مولاه راشد حتى نزل مدينة وليلي قاعدة جبل زهون ، وكانت وليلى متوسطة خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون ، وكان لها سور عظيم من بنيان الأوائل ، فنزل بها ادريس رضي الله عنه على صاحبها اسحاق بن محمد بن عبد الحميد (٦) الأوربي المعتزلي فأقبل عليه اسحاق وأكرمه وبالح في بره ، فأظهر له ادريس أمره وعرفه نفسه ، فوافقه في حاله (٧) وأنزله معه في داره وتولا خدمته والقيام بشؤونه وكان دخول ادريس رضي الله عنه المغرب عام مئة وسبعين (٨) . ونزوله على اسحاق بمدينة وليلي في غرة ربيع الأول المبارك من سنة مئة واثنين وسبعين (السبت ٩ غشت ٧٨٨ م) فلما دخل رمضان من السنة المذكورة جمع عبد الحميد اخوانه وقبائل أوربة فعرفهم بنسب ادريس وفضله وقرباته من رسول الله صلا الله عليه وسلم وشرفه

(٦) في الأصل عبد الحميد وهو خطأ ، والصواب هو أن صاحب وليلى في زمن وصول الامام ادريس بن عبد الله الكامل إلى المغرب كان هو اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، ذكر ذلك مؤرخون كبار متقدمون على ابن أبي زرع .

(٧) الذي يظهر من سياق الكلام أن اسحاق هو الذي وافق الامام ادريس ، أما المؤرخون قبل ابن أبي زرع فيذكرون أن الامام ادريس هو الذي وافق اسحاق في مذهبه الاعتزالي .

(٨) في الأصل (المغرب ونزوله) والصواب هو ما ذكره المؤرخون الذين تقدموا على ابن أبي زرع في الزمان من أن الامام ادريس وصل إلى المغرب سنة ١٧٥ ونزل على اسحاق سنة ١٧٢ .

وعلمه وكمال خلال الفضائل المجتمعة فيه ، فقالوا له الحمد لله الذى اتانا به وشرفنا بجوارم ، فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه ، فما تريد منا ؟ قال تبايعونى ، قالوا سمعا وطاعة ، ماأنا من يتوقف عن بيعته ومايريد .

الخبر عن بيعة الامام إدريس الحسنى

رضي الله عنه

هو الامام القائم بالمغرب الأقصى إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنه ، بويع له بمدينة ولىلى يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومئة (٦٧٨٩ م) ، وكان أول من بايعه قبائل أوربة ، بايعوه على الامارة والقيام بأمرهم وصلواتهم وغزوهم وأحكامهم ، وكانت أوربة فى ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب وأكثرها عددا وأشدّها قوة وبأسا وأحدها شوكة ، ثم بعد ذلك اتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر من أهل المغرب منهم زواغة ، وزواوة ، ولماية ، وسدراتة ، وغياثة ، ونفزة ومكناسة وغمارة ، فبايعوه ودخلوا فى طاعته ، فقويت أموره وتمكن سلطانه ، ووفد عليه الوفود من سائر البلدان ، وقصد اليه الناس من كل صقع ومكان ، فاستقام أمره بالمغرب ، وأخذ جيشا عظيما من وجوه قبائل زناتة وأوربة وضمهاجة وهوارة وغيرهم ، فخرج بهم غازيا الى بلاد تادمنا فنزل أولا بمدينة شالة ففتحها ثم فتح بعدها سائر بلاد تادمنا ثم سار الى بلاد تادلة ففتح معاقلها وحصونها ، وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية ودين اليهودية ، والاسلام بها قليل ، فأسلم جميعهم على يديه ، ثم قفل الى مدينة ولىلى فدخلها فى آخر شهر ذي الحجة من سنة اثنتين وسبعين المذكورة فأقام بها شهر محرم مفتتح سنة ثلاث وسبعين حتى استراح الناس .

ثم خرج برسم غزو من بقي بالمغرب من البربر على دين النصرانية واليهودية والمجوسية ، وكان قد بقي منهم بقية متحصنون بالمعاقل والجبال والحصون المنيعه ، فلم يزل الامام ادريس يجاهدهم ويستنزلهم حتى دخلوا في الاسلام طوعا وكرها ، وفتح بلادهم ومعقلهم ، واباد من ابا الاسلام منهم بالقتل والسبي ودمر بلادهم وهدم معقلهم ، منها حصون فندلاوة ، وحضون مديونة وبهلولة ، وقلع غياثة وبلاد فازاز .

ثم رجع الى مدينة ولبلى فدخلها في النصف من جمادى الأخيرة سنة ثلاث وسبعين المذكورة ، فأقام بها بقية جمادى المذكورة والنصف من رجب التالي له حتى استراح جيشه ، ثم خرج في نصف رجب المذكور (٨ دجنبر ٧٨٩ م) برسم مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة وبنى يفرن ، فوصل مدينة تلمسان ، ونزل بخارجها ، فأثابه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوي الخزري فطلب منه الأمان فأمنه ادريس ، وبايعه محمد بن خزر وجميع من معه بتلمسان من قبائل زناتة ، فدخل ادريس المدينة صلحا وأمن أهلها وبنا مسجدها وأتقنه وصنع فيه منبرا وكتب عليه :

(باسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومئة) .

فاتصل بالرشيد أن ادريس قد استقام له أمر المغرب وبايعه كافة من به من القبائل ، وأنه قد فتح مدينة تلمسان وبنا مسجدها ، وأخبر بحربه وحاله وكثرة جنوده وشدة في الحرب ، وأنه قد عزم على غزو أفريقية ، فخاف الرشيد أن يعظم أمره فيصل اليه لما يعلم من فضله وكماله ومحبة الناس في أهل بيت النبي صلا الله عليه وسلم ، فأغتنم لذلك غما شديدا وعظم عليه شأنه ، فبعث الى وزيره القائم بأمر مملكته وصلاحيه سلطانه ، يحيى بن خالد بن برمك ، فأخبره بأمر ادريس واستشاره في أمره ، وقال له انه ولد علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت النبي

صلا الله عليه وسلم وقد قوي سلطانه وكثرت جيوشه وعلا شأنه واشتهر أمره واسمه ، وفتح مدينة تلمسان وهي باب افريقية ، ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار ، وقد عزمت على ان أبعث له جيشا عظيما لقتاله ، ثم انى فكرت فى بعد البلاد وطول المسافة وتناى المغرب عن المشرق ، ولا طاقة لجيوش العراق على الوصول الى السوس من أرض المغرب ، فرجعت عن ذلك ، وقد هالنى أمره ، فأشر على برأيك فيه ، فقال يحيى يأمير المؤمنين أرا من الرأي أن تبعث اليه برجل ذى حزم ومكر ودهاء ولسان واقدام وجراة فيقتله وتستريح منه ، فقال الرأي ما ذكرت ، من يكون الرجل ؟ فقال يأمير المؤمنين ، أعرف بحاشيتى رجلا اسمه سليمان ابن جرير من أهل الحزم والاقدام والفتك والشجاعة والعلم بالجدال والكلام والمكر والدهاء تبعث به اليه ، فقال أسرع بذلك الآن ، فخرج الوزير يحيى الى سليمان بن جرير فعرفه المقصود وما يريد منه أمير المؤمنين ووعده على ذلك الرفعة والمنزلة العالية والصلات السنية وأعطاه أموالا جزيلة وتحفا مستطرفة وجهزه بما يحتاج اليه ، فخرج سليمان بن جرير من بغداد يجد السير مظهرا النزوع (الى ادريس) فيمن نزع ومتبرئا من الدعوة العباسية ، ومنتحلا للطب حتى وصل الى المغرب ، فقدم على ادريس رضي الله عنه بمدينة ولىلى ، فسلم عليه ، فسأله الامام ادريس عن اسمه ونسبه ومن أي البلاد قدم وما سبب قدومه الى المغرب ، فذكر له أنه من بعض موالى أبيه ، وأنه اتصل به خبره ، فأتاه برسم خدمته لأجل محبته وولايته لأهل البيت ، اذ لا يعدل بهم أحد ولا يقاس بهم سواهم ، فأنس به ادريس وسكن الى قوله وسر به سرورا عظيما وركن اليه وحل من قلبه بمنزلة رفيعة ، فكان لا يقعد ولا ياكل الا معه ، لأنه لم يجد في بلاد المغرب من يأنس به ويستريح اليه غيره ، وذلك لجهل أهل المغرب في ذلك الوقت وجفاء طباعهم ، ولما ظهر له ايضا من سليمان بن جرير من الذلل والأدب والظرف والبلاغة ، فحل منه محلا رفيعا .

فكان سليمان بن جرير اذا جلس الامام ادريس رضي الله عنه بين رؤساء البرابر ووجوه القبائل يتكلم فيذكر فضائل أهل البيت ، وعظيم

بركاتهم ويقيم الدلائل على امامة ادريس رضي الله عنه وأنه الامام لا امام غيره ، ويأتى على ذلك بالحجج البينة والبراهين القاطعة وبأحاديث تعجب ادريس ، فكان ادريس يتعجب من فصاحته وبلاغته ومعرفته بالجدال ويستظرفه ويحبه ، فلم يزل سليمان بن جرير عند ادريس يرتقب فيه الفرصة ويعمل فى قتله الحيلة فلا يجد الى ذلك سبيلا من أجل مولاه راشد الذي لايزيله ولا يفارقه ، الى أن غاب راشد ذات يوم فى بعض شؤونه ، فدخل عليه سليمان بن جرير فوجده وحده ، فجلس بين يديه على عادته ، فتحدث معه مليا ، فلم ير لراشد أثرا ، فانتهز الفرصة واغتنم الخلوة ، فقال ياسيدى جعلت فداك ، انى جئت من المشرق بقارورة طيب أتطيب بها ، ثم انى رأيت هاذة البلاد ليس بها طيب فأريت ان الامام اولا بها منى ، فخذها تطيب بها فقد أثرتك على نفسى ، وهو من بعض مايجب لك علي ، ثم أخرجها من وعاء ووضعها بين يديه ، فشكره ادريس على ذلك ، ثم أخذ القارورة ففتحها وشمها ، فلما رأى سليمان بن جرير الامام ادريس قد فتح القارورة وشمها وتحصل بمراده منه وتمت حيلته فيه جعل يده فى الأرض وخرج كأنه يريد قضاء حاجة الانسان فسار الى منزله وركب فرسا من عتاق الخيل وسباقها كان أعدها لذلك ، وخرج من مدينة ويلي يطلب النجاة ، وكانت القارورة مسمومة ، فلما استنشق ادريس الطيب صعد السم فى خيشومة وانتهى الى دماغه فغشي عليه وسقط بالأرض على وجهه لايفهم ولا يعقل ولا يعلم أحد ما به ولا ما أصابه ، فاتصل خبر غشيته بمولاه راشد ، فأقبل اليه مسرعا فدخل عليه فوجده يجود بنفسه وقد أشرف على الموت لايقدر أن يبين الكلام ، فقعده عند رأسه متحيرا فى أمره لايعلم ما به ، حتى قطع سليمان بن جرير مسافة من الأرض ، وأقام ادريس فى غشيته الى عشي النهار ، فتوفي رحمه الله ، وكانت وفاته فى مفتتح شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومئة (الثلاثاء ١٦ يوليوز ٧٩٣ م) فكانت امارته بالمغرب خمسة أعوام وسبعة أشهر ، واختلف فى سبب وفاته ، فقليل سمه فى طيب كما تقدم وقيل سمه فى خوت من الشابل ، وقيل سمه فى سنون لأنه كان يشتكى باسترخاء لثاته ، والله أعلم

بضخة ذلك .

فلما توفي ادريس رضي الله عنه نظر راشد الى سليمان بن جرير فلم يجده فسال عنه ، فأخبر أنه لقي على أميال كثيرة من البلاد ، فعلم حينئذ أنه هو الذي سمه ، فركب في جمع كثير من البربر وخرج في طلبه وجد المسيرة طول ليلته ، وتقطعت الخيل في أثره فلم يلحق به أحد من القوم الا راشد وحده أدركه وهو يجوز نهر ملوية ، فصاح به راشد وشد عليه بالسيف فقطع يده اليمنا وشجه في رأسه ثلاث شجات وجرحه في جسده ، كل ذلك لا يصيب له مقتلا ، وعيي جواد راشد ، وفر سليمان بن جرير وهو مثخن بالجراح حتى وصل العراق فأخبر بعض الناس أنه رآه بالعراق ببغداد مبطولة (٩) يده اليمنا وبرأسه وجسده أثر الجراحات قد برئت ، فرجع راشد من تبع سليمان بن جرير الى مدينة ولى ، فدفن بقربها ادريس رضي الله عنه ليتبرك الناس بقبره وزيارة تربته رحمه الله تعالى ، ولم يكن لادريس حين وفاته ولد الا ان ام ولده تركها حيا .

قال أبو محمد عبد الملك بن محمود الوراق في كتاب المقباس ، والبكرى ، والبرنسى وغيرهم ممن اعتنا بتاريخ أيام الأدارسة : ان الامام ادريس بن عبد الله لم يترك ولدا مولودا الا أنه ترك جارية له مولدة من تالة البربر اسمها كنزة حامل منه في الشهر السابع من حملها ، فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن ادريس ، فأخبرهم ان ادريس لم يترك ولدا الا حملا بجاريته كنزة وهي في الشهر السابع من حملها ، وقال لهم فان رأيتم ان تصبروا على الجارية حتى تضع حملها فان كان ذكرا ربيناه ، فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تبركا بأهل البيت وذرية النبي صلا الله عليه وسلم ، وان كان جارية نظرتكم لأنفسكم من ترضونه وترونها أهلا لذلك ، فقالوا له أيها الشيخ المبارك مالنا رأي الا مارأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بأمرنا كما كان ادريس وتصلى بنا ، وتحكم فينا بما يقتضى الكتاب والسنة حتى تضع الجارية ، فان وضعته غلاما

(٩) أى مثلوله ، والكلمة من العاصم المغربي الفصح .

رييناه وبايعناده ، وان وضعت جارية نظرنا في أمرنا ، على أنك أحسق الناس به لفضلك ودينك وعلمك ، فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وأنصرفوا ، فقام راشد بأمر البربر حتى أتممت الجارية أشهر حملها فوضعت غلاما أشبه الناس بوالده ادريس رحمه الله ، فأخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه ، فقالوا هاذا هو ادريس بعينه كأنه لم يمت ، فسماه راشد باسم أبيه وقام بأمره وأمر البربر وكفله حتى فطم وشب فأدبه أحسن أدب ، وأقرأه القرآن فحفظه وله من السنين ثمانية أعوام ، وعلمه السنة والفقه والنحو والحديث والشعر وأمثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها ، وعرفه أيام الناس ودرجه مع ذلك على ركوب الخيل والرمي بالسهم ومكايد الحروب ، فلما أدب في ذلك كله وكملت له من السنين احدا عشرة سنة أخذ له مولاه راشد البيعة من قبائل المغرب فبويع لسه بجامع مدينة ويلي .

الخبر عن دولة الامام إدريس بن إدريس الحسنى

رضي الله عنه

هو الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، أمه أم ولد مولدة نفزية اسمها كنزة مولده في يوم الاثنين الثالث من شهر رجب الفرد عام سبعة وسبعين ومئة (١٤ أكتوبر ٧٩٣ م) ، كنيته أبو القاسم ، صفته صفة أبيه ، كان أبيض اللون مشوبا بحمرة أكحل أجعد تام القد جميل الوجه أقنا الأنف مليح العينين واسع المنكبين شثن الكفين والقدمين أبلج أفلج أدعج ، فصيحاً بليغاً أديباً عاملاً بكتاب الله تعالاً قائماً بحدوده ، راوياً لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ، عارفاً بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام ورعا تقياً جواداً كريماً حازماً بطلاً شجاعاً ، له عقل راجح ، وحلم واسع وأقدام في مهمات الأمور .

قال داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الأوربي :

شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من
البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا ، فلما تقارب الجمعان نزل ادريس
فتوضأ وصلا ركعتين ودعا الله تعالا ثم ركب فرسه وقدم للقتال ، فقاتلناهم
قتالا شديدا ، فكان ادريس يضرب في هاذي الجانب مرة ثم يكر في الجانب
الثاني ، فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع الى رايته ، فوقف بازائها
والناس يقاتلون بين يديه ، فطفقت أنظر اليه وأديم الالتفات نحوه وهو
تحت ظلال البنود يحض الناس ويشجعهم ، فأعجبني مارأيت منه من
شجاعته وقوة جأشه ، فالتفت نحوي فقال لي ياداوود مالي أراك تديم
النظر الي ؟ قلت أيها الامام انه أعجبني منك خصال لم أرها في غيرك ،
قال وماهي ياداوود ؟ قلت أولها ما أراه من حسنك وجمالك وثبات عقلك ،
ومن طلاقة وجهك ، وماخصصت به من البشر عند لقاء عدوك ، قال ذلك
من بركة جدنا رسول الله صلا الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا
وارأته عن أبينا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قلت أيها الامام وأراك
تبصق بصاقا مجتمعا وأنا أطلب قليل الريق في فمي فلا أجده ، قال ياداوود
ذلك لاجتماع عقلي وقوة بأسى عند الحروب ، وعدم الريق من قمك لطيش
لبك وإفتراق عقلك ولما خامرك من الرعب ، قال داوود فقلت أيها الأمير
وأنا أيضا أتعجب من كثرة ثقلبك في سرجك وقلة قرارك في موضعك ،
قال ذلك مني زعم الى القتال وحزم وصرامة ، وهو أحسن في الحرب ،
فلاتظنه رعبا ، وأنشأ يقول :

أليس أبونا هاشم شدد أزره وأوصا بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشكى مما يؤول الى النصب

وكان ادريس رضي الله عنه شاعرا مجيدا ، وكان بهلول بن عبيد
الواحد (١٠) رئيسا معظميا في قومه ، وكان من خاصة ادريس ، فكاتبه

(١٠) المدغري ، ينظر عنه الحلة السيرا الجزء الأول ص III وص 55 ولادريس أشعار
أخرا تنظر في ص 55 من الكتاب المذكور .

ابن الأغلب عامل الرشيد على أفريقية واستهواه بالمال فمال اليه وباع
الرشيد ، فكتب اليه ادريس بن ادريس :

أبهلول قد شمتت نفسك خطة	تبدلت منها ضلة برشاد
أضلك ابراهيم من بعد داره	فأصبحت منقادا بغير قياد
كانك لم تسمع بمكر ابن أغلب	غدا أأخذ بالسيف كل بلاد
ومن دون مامنتك نفسك خالدا	ومناك ابراهيم شوك قتاد

وزيره عمير بن مصعب الازدي .

قاضييه عامر بن محمد بن سعيد القيسى .

كاتبه أبو الحسن عبد الله بن مالك المالكي الأنصاري .

ولما كمل الامام ادريس بن ادريس من العمر احدا عشرة سنة وخمسة
أشهر عزم مولاہ راشد على أخذ البيعة له على قبائل المغرب من البربر
وغيرهم ، فاتصل الخبر بابراهيم بن الأغلب عامل أفريقية ، فحاول قتل
راشد ، فاندس اليه من أبلغ أموالا كثيرة الى خدام راشد من البربر
فاستهواهم بها فقتلوا راشد ، وذلك في سنة ثمانية وثمانين ومئة .

فقام بأمر ادريس بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدى ، فأخذ له
البيعة على جميع قبائل البربر ، وذلك يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة
ثمانية وثمانين ومئة (١٦ يبرابر ٨٠٤ م) بعد قتل راشد بعشرين يوما
وهو ابن احدا عشرة سنة وخمسة أشهر ، قاله عبد الملك الوراق في تاريخه،
وفى قتل راشد يقول ابراهيم بن الأغلب في بعض ماكتب به الى الرشيد
يعرفه بخدمته ونصيحته :

ألم ترني بالكيد أرديت راشدا	وأنى بأخرا لابن ادريس راصد
تناوله عزمى على بعد داره	بمحتومة قد هياتها المكاييد
فتاه أخوعك بمقتل راشد	وقد كنت فيه شاهدا وهورائد

يريد بأخى عك محمد بن مقاتل العكى والى أفريقية للرشيد ، لأنه لما
حاول ابن الأغلب قتل راشد فتهيا له كتب العكى الى الرشيد يعلمه أنه
هو الذي فعل ذلك ، فكتب صاحب البريد صحة الخبر الى الرشيد وأعلمه

أن ابن الأغلب هو الفاعل لذلك والمتولى له ، فصح ذلك عند الرشيد
وكذب العكى وصدق ابن الأغلب ، وكان ابن الأغلب من قواد أفريقية
فكتب الرشيد بعزل العكى عن أفريقية وولاه ابن الأغلب .
قبال البكرى والبرنسى :

ان راشد لم يمت حتى أخذ البيعة لأدريس بالمغرب ، وان الامام
ادريس رضي الله عنه لما كمل احدا عشرة سنة ظهر من نكائه وعقله ونبله
وفصاحته وبلاغته ما أذهل عقول العامة والخاصة فأخذ له راشد البيعة
على سائر قبائل البربر ، وذلك يوم الجمعة سابع ربيع الأول سنة ثمانية
وثمانين ومئة ، فصعد ادريس رضي الله عنه المنبر وخطب الناس فسى
بذلك اليوم فقال :

«الحمد لله أحمده وأستعين به وأستغفره وأتوكل عليه ، وأعوذ به
من شر نفسي وشر كل ذي شر . وأشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا
عبده ورسوله المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله بأذنه
وسراجا منيرا ، صلا الله وسلم عليه وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب
الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، أيها الناس : انا قد ولينا هذا الأمر
الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر ، وللمسيء الوزر ، ونحن - والحمد لله -
على قصد جميل فلا تميدوا الأعناق الى غيرنا ، فان ماتطلبونه من إقامة
الحق انما تجدونه عندنا» .

ثم دعا الناس الى بيعته ، وحضهم على التمسك بطاعته ، فتعجب
الناس من فصاحته ونبله وقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه .

ثم نزل فسار الناس الى بيعته ، وازدحموا عليه يقبلون يديه ،
قبايعة كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل
البربر ، فتمت له البيعة ، وبعد بيعته بقليل توفي مولاة راشد ، والله أعلم .
فاستقام الناس لأدريس بن ادريس بالمغرب وتوطأ له الملك وكثر سلطانه ،
وقويت جنوده ، واتباعه ، وعظمت جيوشه وأشياعه ، ووفدت عليه الوفود
من البلدان وقصد الناس نحوه من كل ناحية ومكان ، فاقام بقية سنة ثمان

وثمانين التى ولي فيها يعطى الأموال ويصل الوفود ويستميل الرؤساء والأشياخ .

وفي سنة تسع وثمانين ومئة وفدت على ادريس رضي الله عنه وفود العرب من بلاد أفريقية وبلاد الأندلس فى نحو الخمسمئة فارس من القيسية والأزد ومدلج وبنى يحصب والصدف وغيرهم ، فسر ادريس بوفادتهم وأجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر ، فاعتز بهم لأنه كان قريدا بين البربر ليس معه عربي ، فاستوزر عمير بن مصعب الأزدى ، وكان من فرسان العرب وسادتها ، ولأبيه مصعب مآثر عظيمة بأفريقية والأندلس ، ومشاهد فى غزو الروم كثيرة ، واستقضا منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسى من قيس عيلان ، وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثورى وروا عنهما كثيرا ، ثم خرج الى الأندلس برسم الجهاد ، ثم جاز الى العدو فوفد منها على ادريس فيمن وقد عليه من العرب ، ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق ، فكثر الناس وضافت بهم مدينة ولىلى .

فلما رأى ادريس رضي الله عنه أن الأمر قد استقام له وعظم ملكه وكثر جيشه وضافت بهم المدينة ، عزم على الانتقال عنها وأراد أن يبني مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجه اهل دولته فركب فى خاصة من قومه ورؤساء دولته وخرج يتخير البقاع ، وذلك فى سنة تسعين ومئة ، فوصل الى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه وكثرة محارثه فاخذت مدينة بسنده مما يلى الجوف وشرع فى بنائها ، فبنا جزءا من سورها ، فأتا سيل من أعلا الجبل فى بعض الليالى فهدم جميع ماكان بناه من السور المذكور ، وحمل ماحوله من خيام العرب ، وأفسد كثيرا من الزرع ، فلما رأى ذلك ادريس رضي الله عنه رفع يده من البناء وقال : هاذا موضع لا يصلح للمدينة ، فالسيول تركبه من رأس الجبل ، قاله ابن غالب فى تاريخه .

وقيل أن ادريس بن ادريس رضي الله عنهما لما وصل الى جبل زالغ

صعد في لفته فأعجبه ارتفاعه وإشرافه على جميع الجهات ، فجمع قواده ووجوه دولته وحشمه فأمرهم ببناء الديار في سند الجبل فبنوا الديار ، وحفروا بالجبل الآبار ، وغرسوا الزيتون والكرم والأشجار وشرع هو في بناء المسجد والسيور ، فبنا من سورها جزءا يزيد على الثلث ، فلما كان في بعض الليالي نزل مطر عظيم وأبل ، فهبط السيل من أعلا الجبل دفعة واحدة ، فهدم جميع ماكان مبنيا وأفسد جميع ماكان غرس ، وحمل ذلك كله حتى رما به في نهر سبو وهلك فيه خلق كثير ، فكان ذلك سبب رفع اليد من بنائها .

فأقام الامام ادريس رضي الله عنه الى أن دخل شهر المحرم مفتتح سنة احدا وتسعين ومئة ، فخرج يتصيد ويرتاد لنفسه موضعا يبني فيه ماقد عزم عليه ، فوصل الى وادي سبو حيث هي حمة خولان (١١) فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولأجل الحمة التي هنالك ، فعزم على أن يبني به المدينة ، وشرع في حفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب وابتدأ بالبناء ، ثم نظر الى وادي سبو وكثرة ماياتي به من الدود العظيمة في زمن الشتاء ، فخاف على الناس الهلكة فبدأ له في بنائها ورفع يده عنها ورجع الى مدينة وليلى ، فبعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد له موضعا يبني فيه المدينة التي أراد ، فسار عمير في جماعة من قومه يرتاد له ماطلب ، فاخترق تلك النواحي وجال في تلك الجهات يختبر الأرضين والمياه حتى وصل الى فحص سايس ، فوجد فسحة الأرض واعتدالها وكثرة المياه فأعجبه ماأراه من ذلك ، فنزل هنالك على عين غزيرة من ماء تطرد في مروج مخضرة ، فتوضأ وصلا بهم صلاة الظهر حولها ، ثم دعا الله تعالى أن يهون عليه مطلبه ، وأن يدلّه على موضع يرتضيه لعبادته ، فركب وأمر قومه أن ينتظروه عند تلك العين حتى يعود اليهم ، فنسبت العين اليه وسميت به عين عمير التي الآن ، وعمير هاذا هو جد بني الملجوم من بيوتات فاس (١٢) ، فسار عمير في

(II) حمة سيدي حرازم الخالية .

(I2) أنظر عن بيت بني الملجوم بيوتات فاس الكبرى ص IO طبع دار المنصور .

فحص سايس يطلب ماخرج اليه حتى وصل الى العيون التى ينبعث منها
نهر مدينة فاس ، فراى عيونا كثيرة تزيد على ستين عنصرا ومياهاتطرد
فى فسيح لأرض ، وراى حول العيون شجرا من الطرقاء والطخش والعرعر
والكلخ وغيره ، فشرب من ذاك الماء فاستطابه ، فقال هاذا ماء عذب
وهواء معتدل ، وهو أقل ضررا وأكثر نفعا ، وحوله من المزارع أكثر مما
حول نهر سبو ، ثم سار مع مسيل الماء حتى وصل الى موضع مدينة
فاس ، فنظر الى مابين الجبلين غيضة ملتفة الأشجار ، مطردة العيون
والأنهار ، وفى بعض منها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناتة يعرفون
بزواغة وبنى يرغثن ، فرجع عمير الى ادريس وأعلمه بما وقع عليه من
الأرض وما استحسنه من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها
وصحتها واعتدال الهواء فأعجبه ماراه من ذاك ، وسأل عن مالك الأرض
فقال له قوم من زواغة يعرفون ببنى الخير فقال ادريس رضى الله عنه
هاذا فال حسن ، فبعث اليهم واشترا منهم مواضع المدينة بستة آلاف
درهم ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك وشرع فى بناء المدينة .

وقيل كان يسكن مدينة فاس قبيلتان من زناتة وزواغة وبنى يرغثن ،
وكانوا أهل أهواء مختلفة ، منهم على الاسلام ، ومنهم على النصرانية
ومنهم على اليهودية ، ومنهم على المجوسية ، ومنهم بنو يرغثن وكانوا
يسكنون بخيامهم بحومة عدوة الأندلس الآن ، وكان بيت نارهم
بالشنيوية (١٣) وكانت زواغة بحومة عدوة القرويين ، فكان القتال
بين القبيلتين لايزال على مر الأيام ، فلما أتا ادريس رضى الله عنه مع
عمير لينظر الى الموضع الذى ارتاده له وجد زواغة وبنى يرغثن
يقتتلون فيما بينهم على حدود الأرض ، فبعث ادريس اليهم ، فحضر
الفريقان بين يديه ، فأصلح بينهما ، ثم اشترى منهم الغيضة التى بنا
فيها المدينة ، وكانت عظيمة لاترام لكثرة المياه والأشجار والسباع

(13) مازال مكان الشنيوية معروفا الى اليوم ، وهو واقع بين تنطرة بين المدن وحدادى
النخالين .

والخنازير ، فرضوا جميعا ببيعها واخراجها من يد الفريقين ، ثم شرع
فى البناء .

وقيل انه اشترا موضع عدوة الأندلس من بنى يرغثن بألفي درهم
وخمسمئة درهم فدفع لهم المال ، وكتب العقد بشرائها منهم كاتبه الفقيه
أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى الأنصارى ، وذلك فى سنة احدا
وتسعين ومئة ، فنزل به ادريس رضى الله عنه وشرع فى بناء السور ،
وضرب أبنيته وقبابه بالموضع المعروف اليوم بجرواوة (١٤) ودور
عليها جدرا من الخشب والقصب فسمي الموضع جرواوة الى اليوم ،
ثم اشترا موضع عدوة القرويين من بنى الخير الزواغيين بثلاثة آلاف
درهم وخمسمئة درهم وشرع فى بنائها .

الخبر عن بناء الامام ادريس بن ادريس

رضي الله عنهما مدينة فاس وذكر ما خصت به من الفضائل والمحاسن
التي تفوق بها جميع المغرب

قال المؤلف عفا الله عنه :

لم تزل مدينة فاس من حين أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين ،
وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها ، وهي كانت دار مملكة
الدارسة الحسينيين الذين اختطوها ودار مملكة زناتة من بنى يفرن
ومغراوة وغيرهم من ملوك المغرب فى الاسلام ، ونزلها لتونة فى أول
ظهورهم على المغرب ، ثم بنوا مدينة مراكش فانتقلوا اليها لقربها من
بلادهم بلاد القبلة ، فاتا الموحدون بعدهم فنزلوا مراكش واتخذوها دار
ملكهم لقربها من بلادهم وكونها مبنية فى جوارهم وبين قبائلهم ، ومدينة
فاس لم تزل أم بلاد المغرب فى القديم والجديد ، وهي الآن

(14) مازالت حومة جرواوة معروفة بهذا الاسم الى اليوم .

قاعدة ملوك بنى مرين أطال الله أيامهم ، وأعلا أمرهم ، وخلد سلطانهم ،
فهى منهم فى المحل الرفيع ، والشكل البديع ، وقد جمعت مدينة قاس
بين عذوبة الماء ، واعتدال الهواء ، وطيب القربة ، وحسن الثمرة ، وسعة
المحرت وعظيم بركته ، وقرب المحطب وكثرة عدده وشجره ، وبها منازل
مؤنقة ، وبساتين مشرقة ، ورياض مورقة ، وأسواق مرتبة منسقة ،
وعيون منهجرة ، وأنهار متدفقة منحدره ، وأشجار ملتفة ، وجنات دائرة
بها محذقة .

وقالت الحكماء أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء وهى :
النهر الجارى ، والمحرت الطيب ، والمحطب القريب ، والصور الحصين ،
والسلطان ، إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبايرتها ، وقد جمعت
مدينة قاس هاذة الخصال التى هى كمال المدن وشرفها ، وزادت عليها
بمحاسن كثيرة نذكرها بعد أن شاء الله تعالى .

فبها من المحرت العظيم سقيا وبعلًا على كل جهة منها ما ليس هو
على مدينة من مبادئ المغرب ، وعليها المحطب فى جبل بنى بهلول الذى
الذى فى قبلتها (١٥) يصبح كل يوم على أبوابها من أحمال حطب البلوط
والقمح مالا يوصف كثرة ، ونهرها يشقها نصفين ، ويتشعب فى داخلها
أنهارا وجداول وخلجانا ، فتتخلل الأنهار ديارها وبساتينها وجناتها
وشوارعها وأسواقها وحماماتها ، وتطحن به أرحاؤها ، ويخرج منها
وقد حمل أنفالها (١٦) وأقذارها ورماداتها .

وقد أنشد الفقيه الصالح الزاهد يوسف ابن النحوى (١٧) قسى
مدحها ووصفها :

(١٥) كانت قبيلة بنى بهلول تسكن الجبال الواقعة شمالى غربى قاس حيث حمة مولاي
يعقوب الحالية ، وتمتد مساكنها عبر سهل سايس الى جبال صفرو حيث قرية البهاليل الحالية
وهاذة الجبال الأخيرة هى الواقعة فى القبلة وهى التى يعينها المؤلف .

(١٦) جمع ثقل ، ما يرسب من كدرة فى أسفل الشئ ، والكلمة من العامى الفصح الجارى
على السنة الطامة الى اليوم .

(١٧) أبو الفضل ، أنظر عنه التشوف ع ٩ وجلوة الاقتباس من 346 .

يا فاس منك جميع الحسن مسترق وساكنوك ليهنهم بما رزقوا
هاذا نسيمك أم روح لراحتنا ؟ وماؤك السلسل الصافي أم الورق ؟
أرض تخللها الأنهار داخلها حتى المجالس والأسواق والطرق
وكان الفقيه يوسف ابن النحوى من أهل العلم والدين والورع
والفضل ، ذكر صاحب كتاب التشوف (١٨) أنه من أكابر رجال المغرب .
وللفقيه الكاتب البارع أبى عبد الله المغيلى (١٩) فى وصفها ويتشوق
ليها حين ولي القضاء بمدينة أزموور :

يا فاس حيا الله أرضك من ثرا وسقاك من صوب الغمام المسبيل
ياجنة الدنيا التي أريت على حمص بمنظرها البهي الأجمل
غرف على غرف ويجرى تحتها ماء الذى من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرقت بجداول كالأيم أو كالفيصل
وبجامع القروي شرف ذكره انس تذكره يهيج تلبلىسى
وبصحته زمن المصيف محاسن فمع العشي الغرب فيه استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسناء به واكرع بها عنى قديتك وانهل

قال المؤلف

ويخرج نهر مدينة فاس فيسقى جناتها وبحائرهما الى أن يصب
بوادى سبو على مقدار المليون منها .

وماء نهر مدينة فاس من أفضل مياه الأرض وأعذبها وأخفها ،
يخرج من عيون بأعلاها فى بسيط من الأرض من ستين عنصرا كلها
تتبعث من جهة القبلة ، وثلاثة عناصر من قبل المغرب على نحو عشرة
أميال من المدينة ، فيجتمع ما يخرج من تلك العناصر من المياه فيصير
نهرًا كبيرًا ، فيجرى فى بسيط من الأرض على الكرفس والسعدا من
منبعه حتى ينحدر على المدينة فى مرج لايزال كذلك صيفا وشتاء حتى

(١٨) التشوف ع ٩ .

(١٩) أنظر عنه مستودع العلامة ص ٤٨ وجدوة الاقتباس ص ١٤٥ ودرة الحجال I : ٢٧٣ .

يخزل البلد ، وينقسم فى داخلها على جداول كثيرة كما قدمنا .
ومن فضائل ماء هذا النهر انه يفتت الحصى ، ويذهب الصنان
لمن اغتسل به وداوم على شربه ، ويلين البشرة ، ويقطع القمل ، ويسرع
الهضم ، ويشرب على الرقيق فلا يعدى ، ومن يستكثر من شربه فلا يضره ،
وذلك لأجل جريانه على الكرفس والسعدا فهو فى نهاية الخفة والعذوبة
ومن فضائل هذا النهر ما ذكره ابن جنون المتطبب أنه ينبه شهوة
الجماع اذا شرب على الرقيق ، ومن فضله أنه يغسل به الثياب من غير
صابون فيبيضها ويكسوها رونقا وبصيصا ورائحة طيبة كما يفعل
الصابون ، فيقسم عليها أنها غسلت بالصابون .

ومن فضائل نهر مدينة قاس أنه يخرج منه الصدف الحسن الذي
يقوم مقام الجواهر النفيس ، تباع الحبة منه بمثقال ذهب وأقل وأكثر ،
وذلك لحسنه وصفائه وعظم جرمه ، ويوجد فى مياه هذا النهر
السرطين وليس ت وجد فى مياه الأندلس الا نادرا ، ويخرج فيه أيضا
أنواع من الحوت من اللبليس والبورى والسيناخ والبوكة ، وهو حوت
لذيذ الطعم كثير المنفعة ، وعلى الجملة ان نهر مدينة قاس يفوق مياه
المغرب فى العذوبة والخفة وكثرة المنفعة .

وتفوق مدينة قاس غيرها من البلاد بمعدن الملح الذى عليها ليس
فى معمور كرة الارض ملح مثله ، وهو على نحو ستة أميال منها ، وطول
هاذه الملاحه نحو ثمانية عشر ميلا أولها من مجشر الشاطبي ، وأخرها
بوادى مكس عند دمنة البقول ، وفى هاذه الملاحه أصناف من الملح لا يشبه
بعضها بعضا فى الألوان والصفة ، فالملح بالمدينة كثير جدا يباع عشرة
أصوع بدرهم وأقل وأكثر ، بحسب ما يجلب .

ومن بركة هاذه الملاحه أنها كلها تحرث بالزرع ، فتجد قدايين
الزرع فى وسط الملح مخضرة ناعمة تتمايل خاماتها فضلا من الله تعالى
وبركة منه ، وكان الملح قبل هاذا يباع حمل بدرهم لا يجد بائعه من
يشتره منه لكثرتة ، وعلى مسيرة ثلاثين ميلا من قاس جبال بنى يازغة

حيث يقطع خشب الأرض فيجلب الى المدينة منه فى كل يوم ما لا يحصى كثرة ، ومن هاذة الجبال ينبعث نهر سبو (٢٠) من عنصر واحد شبه مغارة فيسير حتى يمر بمشرق مدينة فاس على مقدار الميلىن منها فيصيد أهل المدينة الشايل والبورى وأصناف الحوت ، ويحملون منها أحمالا الى المدينة فتصل ظرية لم تتغير ، وأكثر نزحات أهل المدينة نهر سبو ، وبالقرب أيضا من مدينة فاس حمة عظيمة تعرف بحمة خولان ، وماؤها أشد ما يكون من السخانة وبالقرب منها أيضا حمة وشتاتة (٢١) وحمة أبى يعقوب (٢٢) وهي من الحماة المشهورة بالمغرب .

وسكان مدينة فاس أحد أهل المغرب أذهانا ، وأشدهم قطيعة ، وأرجحهم عقلا ، وألينهم قلوبا ، وأكثرهم صدقة ، وأعزهم نفوسا ، وأطفهم شمائل ، وأقلهم خلافا على الملوك ، وأكثرهم طاعة لولاياتهم وحكامهم ، وكيفما تقلبت الأحوال فهم يسمون على أهل بلاد المغرب عملا وفقها ودينا .

ومدينة فاس لم تزل من يوم أسست مأوا الغرباء ، ومن دخلها استوطنها وصلاح حاله بها ، وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم ، فهي فى القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية ، وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدى بهم جميع فقهاء المغرب ، لم يزل ذاك على مير الزمان ، وذلك ببركة بانيتها مولانا إدريس رضي الله عنه ، فإنه لما أراد الشروع فى بنائها رفع يده وقال : (اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلا بها كتابك وتقام بها حدودك ، واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها) ، ثم أخذ المعول بيده قايتدا بحفر الاساس ، فلم تزل منذ بنيت الى يومنا هاذا وهو عام سنة وعشرين

(20) قرب قرية مصدورة جنوبى غرب جبل حمة .

(21) حمة صغيرة تقع فى السفح الشمالى لجبل زلاخ ، فيها جميع خواص مياه حمة مولاى يعقوب ، ولكن مياهها قليلة ، فلذلك لا يستحم فيها إلا أهل القرى والمدائن المجاورة لها .

(22) حمة مولاى يعقوب الحالية ، وهو يعقوب بن الأشقر البهلولى المتوفى سنة 689 هـ انظر ترجمته فى سلوة الأنفاس 3 : 216 وانظر أيضا بيوتات فاس الكبرى ص 14 .

وسبعمئة دار علم وفقه وسنة ، والجماعة بها قائمة •

ويكفى من فضلها وشرفها ماورد عن النبي صلا الله عليه وسلم في وصفها ، فانه وجد في كتاب دارس بن اسماعيل أبي ميمونة بخط يده رحمه الله تعالى : حدثني ابن أبي مطر بالأسكندرية قال : حدثني محمد ابن ابراهيم المواز ، عن عبد الرحمان ابن القاسم ، عن مالك بن أنس ، عن محمد بن شهاب الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلا الله عليه وسلم انه قال : ستكون مدينة تسمى قاس أهلها أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة ، أهلها على السنة والجماعة ومنهاج الحق لايزالون متمسكين به لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم مايكرهون الى يوم القيامة •

وذكر ابن غالب في تاريخه أن الامام ادريس رضي الله عنه لما عزم على بنائها ووقف في موضعها يختطها مر به شيخ كبير راهب من رهبان النصرارا وقد نيف على مئة وخمسين سنة كان مترهباً في صومعة قريبة من تلك الجهة ، فوقف بادريس وسلم عليه ، ثم قال له أيها الأمير ماتريد أن تصنع بين هاذين الجبلين ؟ فقال أريد أن أختط بينهما مدينة لسكنائي وسكننا أولادى من بعدى ، يعبد الله تعالى بها ويتلا بها كتابه وتقام بها حدوده ، قال أيها الأمير ان لك عندى بشرا ، قال وماهي أيها الراهب ؟ قال انه أخبرنى راهب كان قبلى فى هاذا الدير توفى منذ مئة سنة أنه وجد في كتاب علمه أنه كان بهاذا الموضع مدينة تسمى ساف خربت منذ ألف وسبعمئة سنة ، وأنه يجدها ويحيى دأثرها ويقيم دارسها رجل من آل بيت النبوة يسما ادريس ، يكون له شأن عظيم وقدر جسيم لايزال دين الاسلام قائما بها الى يوم القيامة ، فقال ادريس رضي الله عنه : الحمد لله أنا ادريس ، وأنا من آل بيت الرسول صلا الله عليه وسلم ، وأنا بانيها ان شاء الله ، فكان ذلك مما قوا عزم ادريس على بنائها ، فشرع فى حفر اساسها •

قال المؤلف :

ويدل على صحة هذه الرواية مارواه البرنسي أن رجلا من اليهود احتفر أساس دار بينها لسكناء بقنطرة عزيلة من المدينة المذكورة ، والموضع يومئذ شعراء بالطخش والبلوط والطرقاء وغير ذلك ، فوجد في الأساس دمية رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالقلم المسند «هَذَا مَوْضِعُ حَمَامٍ عَمَرَ الْفَ سَنَةً ثُمَّ خَرِبَ فَأَقِيمَ مَوْضِعَهُ بِبَيْعَةٍ لِلْعِبَادَةِ» .

وكان تأسيس الامام ادريس لمدينة فاس على مآذركه المؤرخون الذين اعتنوا بتاريخها وأنبأوا عن ابتداء أمرها في يوم الخميس غرة ربيع الأول عام اثنين وتسعين ومئة (٤ يناير ٨٠٨ م) ، أسس عدوة الأندلس منها وأدار بها السور ، وبعدها بسنة أسست عدوة القرويين ، وذلك غرة ربيع الآخر من سنة ثلاث وتسعين ومئة (٢٢ يناير ٨٠٩ م) ، وابتدأ ببناء سور عدوة الأندلس القبلى فأدار السور على جميعها ، وبنا بها الجامع الذي برحبة البير المعروف بجامع الأشياخ (٢٢) ، وأقسام فيه الخطبة ، ثم شرع في بناء عدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين المذكورة ، وكان موضعها شعراء وغياضا ملتفة ، فبقي يقطع الشجر والخشب ويبنى في موضعه ، وأعجبه مارا من كثرة العيون فيها وتدفق الأنهار ، فانتقل عن عدوة الأندلس إليها ، ونزل منها بموضع يعرف بالمقرمدة ، وضرب فيه قيطونه ، وأخذ في بناء الجامع ، وهو المسجد المعروف الآن بجامع الشرفاء (٢٤) ، شرفه الله بذكره ، وأقام فيه الخطبة ثم أخذ في بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون (٢٥) التى يسكنها الشرفاء الجوطيون من أولاده ، ثم بنا القيسارية الى جانب المسجد الجامع ، وأدار الأسواق حوله من كل جانب ، وأمر الناس بالبناء والغرس

(23) هو المسجد الواقع بأعلا عقبة الصفاة عند بداية زنقة سيدي بوجيدة ، ويعرف بالجامع الأنور (جامع النوار) .

(24) هو المسجد الواقع أمام باب الحفاء من ضريح الامام ادريس الثانى .

(25) بجانب مسجد الشرفاء المتقدم أمام الباب الذى بصحن مسجد الضريح الادريسي .

وقال لهم : (من ابتنا موضعا وغرسه قبل تمام السور بالبناء فهو له هبة ابتغاء وجه الله تعالى) ، فابتنا الناس الديار ، واغترسوا الثمار ، وكثرت العمارة والغبطة ، فكان الرجل يخطط موضع منزله وبنيانسه وبستانه من الشعراء ثم يقطع منه الخشب فيبنى به لايحتاج الى خشب غيره .

وفد عليه فى تلك الأيام جماعة من الناس من بلاد العراق فأنزلهم بناحية عين علون ومنهم بنو ملولة (٢٦) ، وكان بعين علون شجر من طخش وعليق وكلخ وبسباس وأشجار برية ، وكان بها عبد أسود يقطع الطريق ، وكان الناس قبل بناء المدينة يتحامونها ولا يمرون بتلك الناحية ولا يقدر أحد على سلوكها من أجل علون المذكور والتفاف الأشجار وخيرير المياه والأنهار وكثرة الوحوش المؤذية بها ، فكان الرعاة يتحامونها بمواشيهم ، ولا يسلكها الا الجماعات من الناس ، فعرف ادريس رضى عنه بخبر علون حين شرع فى بناء عدوة القرويين فأمر بالقبض عليه ، فخرجت الخيل فى طلبه ، فقبض عليه وأتى به اليه فأمر بقتله وصلب على شجرة هناك كانت على رأس العين المذكورة ، فبقي علون مصلوبا على تلك العين حتى تمزقت أشلائه وتقطعت أوصاله ، فسميت العين به الى الآن (٢٧) وأدار الامام ادريس رضى الله عنه سور عدوة القرويين ، وابتدأه من رأس عقبة عين علون ، وصنع برأس العقبة بابا وسماه باب أفريقية ، وهو أول باب صنع بالمدينة المذكورة ، ثم هبط بالسور على عين دردورة حتى وصل به الى عقبة السعتر (٢٨) فصنع هنالك بابا وسماه باب حصن سعدون (٢٩) ثم هبط بالسور الى أول أغلان (٣٠) فصنع هنالك بابا وسماه باب الفرس ، ثم أدار السور مع أغلان حتى وصل

(26) فى الأصل ملونة بالنون ، وعند أصحاب بيوتات فاس الكبرى بلامين انظر ص 38 .

(27) وحتى الآن ، أسفل عقبة الشرايليين .

(28) العقبة الواقعة بين العشابين وباب الجيسة ، حيث ضريح سيدى أحمد بن يحيى .

(29) هو أصل باب الجيسة الحال ، والمكان الذى بنى فيه هو مكان قوس ساباط حومة

الحفارين فوق رحبة المزرع القديمة ، انظر سلوة الأنفاس I : 190 .

(30) هو مكان حومتى فندق اليهودى والبليدة ، انظر جنة زهرة الآس ص 101 .

به شفير الوادي الكبير الفاصل بين العدوتين ، فصنع هنالك بابا وسماه باب الفصيل (٣١) وهو الباب الذي يخرج منه الى بين المدينتين ، ثم جاز الوادي بالسور وطلع به مع ضفة النهر خمس مسافات ، وصنع هنالك بابا سماه باب الفرج ، وهو الذي يسمى الآن باب السلسلة ، ثم جاز النهر أيضا بالسور الى عدوة القرويين وطلع به مع النهر الكبير ففى أسفل القلعة الى عيون ابن اللصاح الى الجرف ، وصنع هنالك بابا سماه باب الحديد ، وهو فى أعلا القلعة مما يلى الجرف ، ثم سار بالسور من باب القلعة المذكور الى باب أفريقية ، فجاءت مدينة عدوة القرويين متوسطة كثيرة الأنهار والعيون والبساتين والأرجاء لها ستة أبواب ، وابتدأ أيضا سور عدوة الأندلس من جهة القبلة ، فبنا بها باب الفوارة هناك ، ومنه يخرج الى مدينة سجلماسة ، وهو الآن مبنى يعرف بباب زيتون ابن عطية لم يفتح من سنة عشرين وستمئة ، وهبط بالسور على المخفية الى الوادي الكبير ، الى برزخ (٣٢) وعمل هنالك بابا يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ، ثم سار بالسور على الشيبوية ، وفتح هنالك بابا يعرف بباب الشيبوية مقابلا لباب الفصيل من عدوة القرويين ، ثم سار بالسور الى رأس حجر الفرج ، فصنع هنالك بابا سماه باب أبى سفيان ، ومنه يخرج الى بلاد غمارة والى الريف ، ثم سار بالسور على جرواوة ، فصنع هنالك بابا شرقيا يعرف بباب الكنيسة ، ومنه يخرج الى بلاد تلمسان ، ومنه يخرج الى حارة المرضا ، فلم يزل الباب على ما بناه ادريس الى أن هدمه عبد المؤمن بن علي أيام ظهوره على المغرب وفتح لمدينة فاس ، وذلك فى سنة أربعين وخمسمئة ، فلم يزل الباب مهدوما الى أن بناه الناصر بن المنصور الموحدى حين جدد سور المدينة ، وذلك فى سنة احدا وستمئة ، وسماه باب الخوخة ، وكانت حارة المرضا بخارج هذا الباب ليكون سكناهم تحت مجرا الريح الغربية فتحمل

(31) هو باب النقبة الحال .

(32) حومة سيدى العواد الحالية ، انظر سلوة الأنفاس I : 307 .

الرياح أبخرتهم ولا يصل الى أهل المدينة منها شيء ، وليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد ، فلما كانت المجاعة العظما التي خلا فيها المغرب وتوالت به الفتن وعمدت الأقوات ، وذلك من سنة تسع عشرة الى سنة سبع وثلاثين وستمئة لما أراد الله انقراض الدولة الموحدية وظهور الدولة المرينية بالمغرب أطالها الله وخلدها ، فانتقل الجذما في أيام المجاعة والفتنة من خارج باب الخوخة وسكنوا بالكهوف التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين ، وهي الكهوف التي بقرب الوادي بن مطامر الزرع وجنة المصاراة (٣٣) فأقاموا هنالك الى أن ظهرت الدولة المرينية على المغرب ، واستقام امرها ، وأشرق نور عدلها ، وشمل الناس بركتها ، فأنجبرت الناس وعمرت البلاد وتأمنت الطرقات ، وكثرت الخيرات ، فرفع الى يعقوب بن عبد الحق رحمه الله أمر الجذما وتصرفهم وغسل ثيابهم وأنيتهم وأقذارهم في نهر مدينة فاس لقربهم منه ، وان ذلك ضرر لأهل المدينة ، فأمر رحمه الله عامله على المدينة وهو الشيخ ادريس ابن أبي قريش أن ينقلهم من هنالك ليعبدوا عن ماء النهر ، فنقلهم الى كهوف برج الكوكب الذي بخارج باب الجيسة من أبواب عدوة القرويين ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وستمئة .

وبنا أيضا الامام ادريس رضي الله عنه باب عدوة الأندلس القبلى، وسماه باب القبلة ، فلم يزل الباب على ما بناه ادريس الى ان هدمه دوناس حين غلب على عدوة الأندلس فدخلها بالسيف فبناه الفتوح بن دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية الزناتي المغراوي في أيام ولايته على المدينة المذكوة ، وقيل ان الذي بناه الفتوح بن دوناس المغراوي بن معنصر اليفرنى وبه سمي .

(33) المصاراة في عرف المغاربة والأندلسيين القدماء هو القضاء الفسيح الواقع خارج أسوار المدن والمحدود من متنزعاتها ، وروض المصاراة بفاس هو الروض أو الرياض الملوكية التي كانت تمتد جنوبي القصر الملكي حيث المدينة الحديثة (دار الديبج) وقد بقي هاذا اللفظ يستعمل في الرسوم والعقود الى عهد السلطان الحسن الأول ، انظر ما كتبه عن كلمة المصاراة الأستاذ محمود على مكي في تعليقه على جزء من المقتبس لابن حيان القرطبي ص 294 .

قال ابن غالب فى تاريخه : قال عبد الملك الوراق : وكانت مدينته قاس فى القديم بلدين ، لكل بلد منها سور محيط بها وأبواب تختص بها ، والنهر بين البلدين فاصل ، وهو الوادي الكبير الداخلى من ناحية بساب الجديد من أبواب عدوة القرويين ، فيجري بين العدوتين حتى يخرج من موضع يسما بالرميلة قد صنع له هنالك فى السور بابان عظيمان يخرج عليهما بشبابيك من خشب الأرز مزودة وثيقة يخرج منها الماء ، وكذلك صنع له فى موضع دخوله باب كبير عليه شبك محكم وثيق ، وأسوار المدينة منيعة مرتفعة ، وأبوابها حصينة ، فلعدوة القرويين فى سورها الغربى باب الجديد ، ومنه يخرج الى واديهما والى جبل فازاز ومعدن عوام ، وباب سليمان بابها الأعظم ، ومنه يخرج الى مدينة مراکش وبلاد المصامدة وغير ذلك من بلاد المغرب ، ولها أيضا فى سورها باب الجوف ، وهو باب المغيرة ، ومنه يخرج الى الرابطة القديمة التى فى رأس العقبة ، سند فى زمان المجاعة سنة سبع وعشرين وستمئة فلم يزل على حاله الى الآن ، ولها أيضا فى سورها الجوفى باب حصن سعدون ، وهو الباب الذى كان أنشأه أدريس رضى الله عنه بعقبة السعتر ، فلما كثر الناس بالمدينة واتسعت الأرباض بخارجها فى أيام زناتة أدار عليها الأمير عجيسة بن المعز سورا ، وصنع فيه بابا فوق باب حصن سعدون المذكور وسماه باسمه باب عجيسة ، كما فعل أخوه الفتوح فى عدوة الأندلس ، فلم يزل باب عجيسة على حاله بقية أيام زناتة وأيام لتونة الى أيام أمير المومنين محمد الناصر الموحد حين أمر ببناء سور المدينة الذى كان هدمه جده عبد المومن عام أربعين وخمسمئة ، فبنا فوق باب عجيسة بالقرب منه بابا كبيرا وسماه باب عجيسة وترك باب عجيسة على حاله ، ثم أمر بتغيير اسم الباب الذى بناه وترك اضافته الى عجيسة وأسقط الناس العين وأدخلوا الألف واللام عوضا منها فقالوا الجيسة ، ولم يزل باب الجيسة على ما بناه عليه الى أن تهدم وتخرّب أكثره بمر السنين عليه وتوالى الايام واللىالى ، فعرف أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ورضي عنه بأمره وهو ببلاد الأندلس ، فنقد أمره الكريم من الجزيرة الخضراء ببناء الباب

واصلاحه ، فجدد بأسره ماعدا القوس البرانى فانه وجد صحيحا فترك على حاله وذلك فى سنة أربع وثمانين وستمئة ، وكذلك أمر أيضا أمير المسلمين يعقوب رحمه الله باصلاح السور القبلى من عدوة الأندلس ، فجدد أكثره ورم ماتخلق منه وهدم من باب زيتون ابن عطية الى باب الفتوح على يد قاضيه الفقيه أبى أمية الدلائى ، فأصلحه وأتقنه وذلك فى سنة احدا وثمانين وستمئة .

ودور مدينة فاس أكثرها على طبقتين بالأعلا والأسفل ، ومنها مايكون على ثلاث طبقات وأربع طبقات ، وذلك لعقد تربتهم ، وكثرة خشب الأرز عندهم ، وهو أطيب خشب الأرض ، يعمر العود منه فى سقف البيت ألف سنة لايعفن ولا يسوس ولا يعتريه شيء مالم يصبه الماء .

ولم تزل الخطبة تقام فى عدوتي مدينة فاس من حين بنيت حتى الآن: خطبة بعدوة الأندلس ، وخطبة بعدوة القرويين ، وقيسارية ودار سكة بكل عدوة منها ، وكان بها أيام زناثة سلطانان أخوان شقيقان ابنا الأمير دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية ، وهما الفتوح وعجيسة ، فكان الفتوح بعدوة الأندلس وعجيسة بالقرويين ، وكل واحد منهما له جيش وحشم ، وألقا الله تعالا بينهما العداوة والبغضاء ، كل ذلك على طلب الرياسة وتنافسها على الظهور فى الدنيا ، فلم تزل الحرب بين الفريقين على قديم الزمان والقتال بينهما على ضفة الوادى الكبير بموضع يعرف بكهف الرماد ، بين المدينتين ، وكان أهل عدوة الأندلس أهل نجدة وشدة ، وأكثرهم ينتحل الحراثة والفلاحة ، وأهل عدوة القرويين أهل رفاهية ونخوة فى البناء واللباس والفراش والمطعم والمشرب ، وأكثرهم صناع وتجار وسوقة ، ورجال عدوة القرويين أجمل من رجال عدوة الأندلس ، ونساء عدوة الأندلس أجمل من نساء عدوة القرويين .

وبمدينة فاس من أصناف الأزهار والفواكه ما لا يوجد فى غيرها من البلاد الا مفترقة فى أقاليم شتا ، وتوجد فى مدينة فاس مجتمعة فى نهاية الحسن والطيب ، وتختص عدوة القرويين بكثرة الأنهار والأرحاء

والعيون العذبة والآبار القريبة الطيبة ، وبها الرمان السفرى الذى ليس فى المغرب مثله خلوة ولذة وولادة ، والتين الشعرى والسبى الطيب الحسن ، والعنب والخوخ والجوز والعناب والسفرجل والأترج ، وسائر الفواكه الخريفية تأتى فى عدوة القرويين فى نهاية الطيب والحسن والخلوة ، وتختص عدوة الأندلس أيضا بحسن الفواكه الصيفية وظيها كالفتاح الطرابلسى الحلو الأصفر الذى ليس مثله فى جميع المغرب لحسنه وحلاوته ، ولذة مطعمه وخفته ورقة قشره وطيب رائحته واعتدال خلقته ، والفتاح الليوبى والطلحى والكلخى ، وأصناف الكمثرا والمشمش والبرقوق والتوت ، كل ذلك بها فى نهاية الطيب والحسن ، وبخارج باب بنى مسافر من أبوابها موضع يعرف بمرج قرقة تثمر فيه الأشجار مرتين فى كل سنة فيأكل الناس التفتح والكمثرا بالمدينة الصيف والشتاء ، ويحصد الزرع بفحص المصاراة التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين عن أربعين يوما .

قال المؤلف للكتاب :

قد شاهدت الزرع حرث بالمصاراة المذكورة فى خامس عشر من شهر أبريل وحصد فى فى آخر مايه ، منشأه فى الطيب والبركة عن خمسة وأربعين يوما ، وذلك فى سنة تسعين وستمئة وهو عام الريح الشرقية ، دامت فيه الشرقية أربعة أشهر ، ولم ينزل مطر تلك السنة ، ولم ترو الأرض الا فى الثانى عشر من شهر أبريل المذكور ، فحرث الزرع مخاطرة فجاء كما ذكرنا .

ومما تفوق به مدينة فاس سائر مدن الأرض أن بها ماعين ، ماء العيون وماء الأنهار ، فمياه العيون باردة فى الصيف حين يراد ذلك منها لتبرد الحر ، وتقطع الظما وهي أيضا سخنة فى الشتاء حين يحتاج الى ذلك منها ، ومياه الأنهار بالعكس فى ذلك سخنة فى الصيف باردة فى الشتاء ، فلا يزال الماء السخن والبارد موجودين بها فى الشتاء والصيف ، فهي بسبب ذلك معينة على الدين والطهارة والصلاة والتنظيف .

واختلف الناس فى السبب الذى سميت من أجله : فقليل ان ادريس رضي الله عنه لما شرع فى بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصنّاع والفعلة والبنّائين تواضعا منه لله تعالى ورجاء الأجر والثواب ، فصنع له بعض خدمته فاسا من ذهب وفضة ، فكان ادريس رضي الله عنه يمسكه بيده ويبتديء به الحفر ويخط به الأساسات للفعلة ، فكثر عند ذلك ذكر الفأس على ألسنتهم فى طول مدة البناء ، فكان الفعلة يقولون هاتوا الفأس ، خذوا الفأس ، احفروا بالفأس ، فسميت مدينة فاس لأجل ذلك ، قاله صاحب كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار (٣٤) ويقال انه لما شرع فى حفر أساسها فى جهة القبلة وجد فى الحفير فاس كبير طوله أربعة أشبار ، وسعته شبر ، وزنته ستون رطلا ، فسميت المدينة به وأضيفت اليه ، وقيل ان ادريس رضي الله عنه لما شرع فى بنائها قال له خاصته أيها الأمير كيف نسميها ؟ قال : سموها باسم أول رجل يطلع عليكم ، فمر بهم رجل فسأله عن اسمه وكان ألثغ ، وقال اسمى فارس فأسقط الراء من لفظه لأجل اللثغة ، فقال الامام ادريس سموها كما نطق بها فقالوا فاس ، وقيل سميت فاس لأن قوما من الفرس نزلوها مع ادريس رضي الله عنه حين أسسها ، فسقط عليهم جرف ، فماتوا من حينهم ولم ينج منهم الا قليل ، فسميت مدينة الفرس ، ثم خفف الناس الاسم فقالوا مدينة فارس ، ثم أسقطوا الراء من اللفظ اختصارا فقالوا مدينة فاس ، وقيل لما تمت بالبناء قيل لادريس رضي الله عنه كيف نسميها ؟ قال نسميها باسم المدينة التي كانت قبلها فى موضعها الذى أخبرنى الراهب انه كان هنا مدينة أزلية من بنيان الأوائل فخربت قبل الاسلام بألف وسبعمئة سنة وكان اسمها مدينة ساف ، ولكن اقلبوا اسمها وسموها ، فقلبوه فأثا منه فاس فسميت مدينة فاس ، وهذا أصح ما يكون فى تسميتها والله أعلم .

ولما فرغ الامام ادريس رضي الله عنه من بناء المدينة وأدار السور على جميعها ورتب الأبواب أنزل القبائل ، كل قبيلة بناحية ، فنزلت العرب

القيسية من باب أفريقية الى باب الحديد من أبواب عدوة القرويين ، ونزلت
الأزد على حديثهم ، ونزل اليحصبيون على حدة القيسية من الجهة الاخرى ،
ونزلت صنهاجة ولواتة ومصمودة والشيخان كل قبيلة بناحيتهما ، فأمرهم
ادريس رضي الله عنه بغرس الأرض وعمارتها ، فغرسوا جانبي الوادي
من منبعثه بفحص سايس الى مصبه بنهر سبو بالشجر والكرم والزيتون
وضروب الثمار ، فعمرت الأرض بالحرثة والغراسية ، وأينعت الثمار ،
وأطعمت الأشجار والكرم من سنتها ، وذلك ببركة الامام ادريس رضي
الله عنه وسلفه الطاهرين صلوات الله عليهم ورحمته ، ونيته الصالحة
وطيب التربة وعذوبة الماء واعتدال الهواء ، فظهرت البركات وتناولت
الخيرات ، وزادت العمارات ، وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات ،
وأثابها من رغب في جوار السلالة الكريمة الطاهرة أهل بيت المصطفى صلا
الله عليه وسلم ، ومن ركن الى الأمن والعافية ، فاجتمع بها خلق كثير من
اليهود وغيرهم ممن رغب في العافية ، فنزلهم بناحية أغلان الى باب حصن سعدون
وفرض عليهم الجزية ، فكان مبلغ جزيتهم في كل سنة ثلاثين ألف دينار ،
وانزل جميع أجناده وقواده بعدوة الأندلس ، وجعل بها جميع كسبه من
الخيول والابل والبقر والغنم بأيدي ثقافته ، ولم ينزل معه بعدوة القرويين
غير مواليه وحشمه وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة .

فأقامت مدينتا فاس على ما بناه الامام ادريس رضي الله عنه طول مدته
وأيام ولده من بعده الى أيام زناطة ، فكثرت العمارات بها وكثرت الأرباض ،
واتصل البناء حولها من كل جهة ، فبنيت بها الفنادق والحمامات والأرجاء
والمساجد والأسواق من باب أفريقية الى عين اصلتين ، وبنا الناس أيضا
من الجانب الجوفى والقبلى والشرقى ، ونزلت القبائل من زناطة ولواتة
ومغيلة وجراوة وأورية وهوارة وغيرهم ، واقتطعوا الجهات ، فنزلت كل
قبيلة جهة مثل حارة لواتة وحارة الربط ، وأغلان ، وطريانة ، وحارة ابن
أبى برقوق ، وبرزخ ، وحارة ابن أبى عامر ، والجرف الأحمر ، وغير
ذلك ، ودارت الأرباض بكل جهة بالمدينة ، واتصل البناء بعضه ببعض .

وأما أهل الأندلس بقرطبة حين أوقع بهم الامام الحكم بن هشام وأجلاهم عن الأندلس الى العدو فصعدوا الى مدينة فاس وكانوا ثمانية آلاف بيت، فنزلوا عدوة الأندلس وشرعوا بها فى البناء يمينا وشمالا الى ناحية الكدان ومصودة وقوارة وحارة البادية والكنيف الى الرميطة فسميت عدوة الأندلس ، وسميت عدوة القرويين ، لان أول من نزلها مع ادريس رضي الله عنه ثلاثمئة بيت من أهل القيروان ، فسميت بهم ونسبت اليهم ، وبنا بعدوة القرويين فى أيام زناتة حمام قرقف وحمام الأمين وحمام الرشاشة (٣٥) وحمام الرياض ، وبني بعدوة الأندلس حمام جرواوة ، وحمام الكدان ، وحمام الشيخان ، وحمام الجزيرة ، وبنا الفنادق ، وزادوا مساجد كثيرة، وأزالوا الخطبة عن جامع الشرفاء الذى بنا ادريس رضي الله عنه لصغره وأقاموها بجامع القرويين لسعته ، ولم يزل مسجد الشرفاء على ما بنياه ادريس بن ادريس رضي الله عنهما لم يزد فيه أحد من الملوك ولا من الرعية تحريا منهم وتبركا بأبقاء ما بنياه ادريس رضي الله عنه بها الى أن خر سقفه وتخلقت جدرانه وأشرف جميعه على السقوط والانكباب لتقادم العهد ومرور الأيام عليه ، فانتدب لبنائه الفقيه الموفق الحاج المبارك شعيب ابن الفقيه الحاج المبرور المرحوم محمد بن أبى مدين ابتغاء وجه الله تعالى ورجاء مغفرته وثوابه ، فشرع فى نقضه وبنائه ، ورد على ما كان عليه من غير زيادة ولانقصان ، وذلك فى سنة ثمان وسبعمئة .

وبلغت مدينة قاس أيام المرابطين وأيام الموحدين من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية والدعة مالم تبلغه مدينة من مدن المغرب ، وانتهى عدد مساجدها فى أيام المنصور وولده الناصر الى سبعمئة واثنين وثمانين مسجدا .

واحصاء ما بها من السقاي وديار الوضوء مئة واثنان وعشرون موضعا ، منها اثنان وأربعون موضعا فى ديار الوضوء ، وباقياها سقايات، منها بمياه العيون ، ومنها بمياه الأنهار .

وأحصيت الحمامات منها المبرزة للناس فى تلك المدة فكانت ثلاثة وسبعين حماما .

وأحصيت الأرحاء التى دار عليها سور المدينة فوجدت أربعمئة حجر واثنين وسبعين حجرا دون مابخارجها من الأرحاء .

وأحصيت الديار بها فى أيام الناصر ، فكانت تسعة وثمانين الف دار ومئتي دار وستا وثلاثين دارا ، وتسعة عشر الف مصرية واحدا وأربعين مصرية (٣٦) .

ومن الفنادق المعدة للتجار والمسافرين والغرباء أربعمئة فندق وسبعة وستين فندقا .

وأحصيت الحوانيت بها فى المدة المذكورة فكانت تسعة آلاف حانوت واثنين وثمانين حانوتا ، وقيساريتان ، احدهما بعدوة القرويين والثانية بعدوة الأندلس على وادي مصمودة .

وأحصى ما بها من الترابيع (٣٧) والأطرزة المعدة لصناعة الحياكة فكانت ثلاثة آلاف موضع وأربعة وستين موضعا .

وكان بها من الديار المعدة لعمل الصابون سبع وأربعون دارا ، ومن ديار الدباغ ست وثمانون دارا ، وديار الصباغ مئة دار وست عشرة دارا ، وكان بها اثنتا عشرة دارا لسك النحاس ، وكان بها من الكوش المعدة لعمل الجير وطفه مئة كوشة وخمس وثلاثون كوشة .

وكان بها من الأفران فى جهاتها وأزقتها ألف فرن ومئة وسبعون فرنا ، وكان بها أحد عشر موضعا لعمل الزجاج ، وبخارجها من الديار المعدة لعمل الفخار مئة دار وثمان وثمانون دارا .

وكان بضفتي الوادي الكبير الذى يشقها من حيث يبتدىء الدخول

(36) دور وبيوت صغيرة ومتوسطة تبنا فوق الحوانيت ومدخل الدور الكبيرة ونحوها نسبت الى مصر لأن شكل بنائها منقول منها .

(37) جمع تربية ، سوق صغير مربع الشكل يعمل به بعض الصناع كالخياطين ونحوهم ، ولا تزال هذه الترابيع موجودة بغاس ومسماة بهذا الاسم الى اليوم .

الى البلد الى آخرها حيث يخرج بالرميلة بالجانبين منه دار الصباغين وخوانيتهم ودار الدباغ ودار الصبانين وخوانيت الخياطين والقصابين والسفاجين والكوش والأفران المعدة لطبخ الغزل وغيرهم مما يحتاج الى الماء ، وفى أعلا ذلك كله أطرزة للحياكة ، ولم يكن بالمدينة واد يظهر حاشا الوادى الكبير المذكور ، وباقى أنهارها بني عليها ديار ومصارى (٣٨) وخوانيت ، ولم يكن بداخلها رياض ولا غرس حاشا زيتون ابن عطية خاصة وكان بها أربعمئة حجر لعمل الكاغذ ، وخرّب ذلك كله فى أيام المجاعة والفتنة التى كانت فى أيام العادل وأخيه المامون ، وذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة سبع وثلاثين وستمئة ، وكان مدة توالى الخراب عليها عشرين سنة الى أن ظهرت الدولة المرينية ، فانجبرت البلاد وتأمّنت الطرق .

قال المؤلف رحمه الله :

نقلت ذلك كله من تقييد بخط الشيخ الفقيه المشرف علي بن عممر الأوسى ، نقله من زمام بخط المشرف القويقى مشرف المدينة فى أيام الناصر الموحدى .

وذكر ابن غالب فى تاريخه أن الامام ادريس رضى الله عنه لما فرغ من بناء المدينة وحضرت الجمعة صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يده فى آخر خطبته فقال :

(اللهم انك تعلم أنى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة ، وانما أردت ببنائها أن تعبد بها ويتلا بها كتابك ، وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك صلا الله عليه وسلم ما أبقيت الدنيا ، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعزهم عليه ، واكفهم مؤونة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق ، وأعمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق، انك على كل شيء قدير) .

فأمن الناس على دغائه ، فكثرت الخيرات بالمدينة ، وظهرت البركات ، فكان الزرع فيها فى أيام ادريس رضي الله عنه وأيام ذريته لا يسباع ولا يشترا لكثرت ، فبلغ وسق القمح بها فى أيامهم بدرهمين ، وسق الشعير بدرهم ، والقطنية مالها سوم ، والكيش بدرهم ونصف ، والبقرة بأربعة دراهم ، والعسل خمسة وعشرون رطلا بدرهم ، والفاكهة لاتباع ولا تشترا من كثرتها ، دام ذلك خمسين سنة .

ولما فرغ ادريس رضي الله عنه من بناء المدينة انتقل اليها بمحلاته واستوطنها واتخذها دار ملكه ، وأقام بها الى سنة سبع وتسعين ومئة ، فخرج الى غزو نفيس (٣٩) وبلاد المصامدة ، فوصل اليها فدخل مدينة نفيس ومدينة أغمات ، وفتح سائر بلاد المصامدة ورجع الى فاس فأقام بها الى شهر المحرم من سنة تسع وتسعين ومئة ، فخرج منها برسوم غزو قبائل نفزة ، فسار حتى غلب عليهم ، ودخل مدينة تلمسان ، فنظهر فى أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها وصنع فيه منبرا ، قال أبو مروان عبد الملك الوراق : دخلت مسجد تلمسان فى سنة خمس وخمسين ومئتين ، فرأيت فى رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هناك مكتوب فيه : «هاذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم فى شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومئة» ، فأقام ادريس رضي الله عنه بمدينة تلمسان وأحوازها ثلاث سنين ، ثم رجع الى مدينة فاس ، فلم يزل بها الى أن توفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة ومئتين ، وهو ابن ست وثلاثين سنة ، ودفن بمسجده بأزاء الحائط الشرقى منها ، وقيل دفن بقبيلتها ، وقال البرنسى : توفي ادريس بن ادريس رضي الله عنه بمدينة ولىلى من بلاد زرهون فى ليلة اثني عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومئتين المذكورة (٢٩ غشت سنة ٨٢٨ م) . وسنه يومئذ ثمان وثلاثون سنة ، ودفن الى جانب قبر أبيه فى رباط ولىلى ، وكان سبب وفاته أنه أكل عنباً فشرق بحبة منه فمات من حينه ، فكانت

أيامه بالمغرب ستا وعشرين سنة ، وخلف من الولد اثني عشر نكرا ، أولهم محمد ، وعبد الله ، وعيسا ، وإدريس ، وأحمد ، وجعفر ، ويحيى ، والقاسم ، وعمر ، وعلي ، وداوود ، وحمزة ، فولي بعده منهم محمد وهو أكبرهم .

الخبر عن دولة الأمير محمد بن الإمام إدريس

ابن إدريس الحسنى رضي الله عن جميعهم

هو الأمير محمد بن الإمام إدريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .
أمه حرة من أشراف نفزة .

صفته : أسمر اللون ، حسن القد ، شاب السن ، مليح الوجه ، جعد الشعر .

لما ولي قسم المغرب بين أخوته ، وذلك برأي جدته كنزة أم أبيه ، ولا أخاه القاسم مدينة طنجة وسيتة وقلعة حجر النسر ومدينة تطوان وبلاد مصمودة وما والا ذلك من البلاد والقبائل ، وولا أخاه داوود بلاد هوارة وبلاد تسول ومكناسة وجبال غياثة وتازة ، وولا أخاه عيسا على شالة وسلا وأزمور وتامسنا وما والا ذلك من القبائل ، وولا أخاه يحيى مدينة البصرة ومدينة أصيلة ومدينة العرائش الى بلاد ورغة ، وولا أخاه عمر مدينة تيكساس ومدينة ترغة وبلاد صنهاجة وغمارة وما والاها ، وولا أخاه أحمد مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلة ، وولا أخاه عبد الله مدينة أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس ، وولا أخاه حمزة مدينة تلمسان وأعمالها ، وأقام هو بمدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم ، وتصاغر الباكون عن الولاية فبقوا قى كقالة جدتهم مع أخيه محمد الأكبر ، فأقام الأدارسة ولاة على بلاد المغرب ، قضبطوا ثغورهم ، وحكموا بلادهم ، وأمنوا سبلهم ، وحسنت سيرتهم الى أن خرج على الإمام محمد أخوه عيسا

بمدينة شالة ومدينة تامسنا ونكت طاعته ونيد بيعته واستبد بنفسه ، فكتب الامام محمد الى أخيه القاسم صاحب طنجة وسبته يأمره بحربه ، فامتنع من ذلك وأحجم عنه (٤٠) فكتب الامام محمد الى أخيه عمر صاحب مدينة تيكساس وبلاد غمارة بمثل ما كتب به للقاسم ، فامتثل أمره وسارع اليه وجمع عسكريا عظيما من قبائل البربر من غمارة وأوربية وصنهاجة وغيرهم وسار نحو عيسا ، فلما قرب من أحوازه كتب الى أخيه محمد يستمده بألف فارس من قبائل زناتة وفرسانهم ، فمضا عمر لوجهه فأوقع بأخيه عيسا وهزمه هزيمة عظيمة وأخرجه عن مدينة شالة وسائر أعمالها ، وكتب الى أخيه محمد بالفتح والهزيمة ، فكتب اليه الأمير محمد يشكر فعله ويوليه عمله ويأمره بالمسير الى قتال أخيه القاسم الذي عصا أمره وامتنع من حرب عيسا ، فسار الأمير عمر بجيوشه الى قتال أخيه القاسم حتى نزل عليه بمدينة طنجة ، فخرج القاسم الى لقائه ، فكانت بينهما حروب عظيمة ، ثم هزم فيها القاسم ، واحتوا عمر على ما بيده من البلاد ، وسار القاسم الى ساحل البحر مما يلي مدينة أصيلة ، فبنا هناك مسجدا على ضفة النهر بموضع يعرف بتاهدارت فأقام يتعبد فيه وزهد في الدنيا الى أن مات رحمه الله تعالى ، وأقام الأمير عمر بن ادريس رضي الله عنه عاملا لأخيه محمد على ما كان بيده ويد أخيه القاسم الى أن توفي بموضع يقال له فج الفرس من بلاد صنهاجة ، فحمل الى مدينة فاس فدفن بها وصلا عليه أخوه محمد الامام .

وعمر بن ادريس هاذا هو جد الحموديين القائمين بالأندلس بعد الأربعمئة للهجرة ، وترك عمر بن ادريس من الولد عليا ، أمه رقية بنت اسماعيل الأزدي ، وادريس ، أمه زينب بنت القاسم الجعدي ، وعبد الله ومحمد ، أمهما جارية مولدة اسمها رباب ، وأقام الامام محمد بعد وفاة أخيه عمر سبعة أشهر ، وتوفي بمدينة فاس ، فدفن بشرقي جامعها مع

(40) أنظر القطعة الشعرية التي اعتذر بها القاسم بن ادريس لأخيه محمد عن مقاتلة أخيه عيسا في العلة السيرا ١ : 132 .

أبيه وأخيه ، وذلك فى شهر ربيع الثانى سنة احدا وعشرين ومئتين (أبريل سنة ٨٣٦ م) فكانت أيامه بالمغرب ثمانية أعوام وشهرا واحدا ، واستخلف ولده عليا فى موضعه الذى مات فيه .

الخبر عن دولة الأمير علي بن محمد بن ادريس

الحسنى رحمهم الله تعالى ورضي عنهم

هو الأمير علي بن محمد بن ادريس بن ادريس ، أمه حرة اسمها رقية بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الأزدى ، بويغ يوم وفاة أبيه باستخلافه له فى حياته ، وسنه يوم بويغ تسعة أعوام وأربعة أشهر ، فظهر منه من الذكاء والنبيل والفضل ما يقتضيه شرفه ونسبه الصحيح ، وسار بسيرة أبيه وجده فى العدل والفضل والدين والحزم واقامة الحق وتأسيس البلاد وقمع الأعداء وضبط البلاد والثغور ، فكان الناس بالمغرب فى زمانه فى أمن ودعة الى أن توفي فى شهر رجب من سنة أربع وثلاثين ومئتين (يبرابر ٨٤٩ م) فكانت أيامه بالمغرب نحو الثلاث عشرة سنة ، وولي أخوه يحيى بن محمد .

الخبر عن دولة الأمير يحيى بن ادريس بن ادريس

الحسنى رحمهم الله

هو الأمير يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، ولي بعد وفاة أخيه علي وبعده اليه فى حياته ، فسار بسيرة أخيه وأبيه وجده ، وفى أيامه كثرت العسارة بفاس ، وقصد اليه الناس من الأندلس وأفريقية وجميع بلاد المغرب

قضاقت بسكانها ، فبنا الناس الأرباض بخارجها وبنا الأمير يحيا بها
الحمامات والفنادق للتجار وغيرهم ، وفى أيامه بني جامع القرويين
شرقه الله بذكره .

الخبر عن جامع القرويين وصفته

وما زيد فيه فى كل زمان من حين أسس إلى وقتنا هذا
وهو عام ستة وعشرين وسبعمة

قال المؤلف عفا الله عنه

لم تزل الخطبة بجامع الشرفاء الذى بناه الامام ادريس رضى الله
عنه بعدوة القرويين وجامع الأشياخ من عدوة الأندلس طول أيام الادارسة
وكان موضع جامع القرويين أرضا بيضاء يعمل بها أصناف النجس ،
وبها أيضا أصناف من الشجر لرجل من هواره كان قد حازها والده من
قبله حين بنيت المدينة ، فأثا وفد القيروان الى ادريس رضى الله عنه فى
جمع كثير بعيالهم وأولادهم ، فأنزلهم حوله بعدوة القرويين ، وكانت
فيهم امرأة مباركة سالحة اسمها فاطمة ، وتكنى أم البنين بنت محمد
الفهري القيرواني ، أتت من أفريقية مع أختها وزوجها فسكنوا بالقرب من
موضع الجامع المذكور ، فتوفي زوجها وأختها ، فورثت منهما مالا جسيما
حلالا طيبا ليس فيه شبهة لم يتغير بيع ولا شراء ، فأرادت أن تصرفه فى
وجوه البر وأعمال الخير ، فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه فى الآخرة ،
يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ، فاشتريت موضع القرويين
ممن كان حازه ، ودفعت اليه المال ، ثم شرعت فى حفر أساسه وبنائه ،
وذلك يوم السبت مهل رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومئتين (٢٠٤٦)
٨٥٩ م) فبنته بالطابية والكذان ، وحفرت فى وسطه ، فصنعت كهوفها
واقطعت منها الكذان ، وأخرجت منها التراب والحجر والرمل الأصفر

الطيب ، فبنت به الجامع المذكور كله حتى تم ، ولم تدخل فيه من تراب غيره ، وحفرت البئر التي في الصحن ، فكان البناءون يسقون منها الماء لبناء الجامع المكرم حتى فرغ من بنائه ، ولم تصرف فيه سواء احتياطا منها وتحريا من الشبهة ، ولم تزل فاطمة القروية المذكورة صائمة من يوم شرع في بنائه ، الى أن تم ، وصلت فيه شكرا لله تعالى الذي وفقها لأعمال الخير ، وكان المسجد الذي بنته فاطمة المذكورة أربعة بلاطات وصحنا صغيرا ، وجعلت محرابه في موضع الثريا الكبيرة الآن ، وجعلت طوله من الحائط الغربي الى الحائط الشرقي مئة وخمسين شبرا ، وبنت فيه صومعة غير مرتفعة بموضع القبلة التي على رأس العنزة الآن ، فتم الجامع أربعة بلاطات وصحنا صغيرا ، ذكره أبو القاسم بن جنون في تفسيره في تاريخ مدينة فاس .

وقيل هما أختان فاطمة أم البنين ، ومريم ، بنتا محمد الفهرى المذكور ، فبنت فاطمة جامع القرويين المذكور ، وبنت مريم جامع الأندلس من مال حلال طيب موروث عن أبيهما واختيهما ، فلم يزل المسجدان على ما بنتهما الأختان المذكورتان بقية أيام الأدارسة كلها حتى تقضت أيامهم ، وتمكنت زناة على البلاد واستقام ملكهم بالمغرب ، فبنوا الأسوار على رباط العدوتين الأندلس والقرويين ، فزادوا في الجامعين القرويين والأندلس زيادة كثيرة حدودها ظاهرة باقية الى الآن ، وكثر الناس ، وضاق مسجد الشرفاء بالناس لصغره فأزالوا عنه الخطبة وأقاموها بجامع القرويين لكبره وسعته ، وصنعوا به منبرا من خشب الصنوبر وذلك في سنة خمس وأربعين وثلاثمئة .

وكان أول خطيب خطب به الشيخ الفقيه الصالح عبد الله بن علي الفارسي ، وقيل ان أول من نقل الخطبة من مسجد الشرفاء الى جامع القرويين الأمير حامد بن حمدان الهمداني عامل عبيد الله الشيعي على المغرب ، وذلك في سنة احدى وعشرين وثلاثمئة ، ونقل الخطبة من مسجد الأشياخ بالعدوة الى جامع الأندلس ، وكان أول خطيب خطب به الفقيه الصالح أبو الحسن بن محمد الصدفى ، فلم يزل الأمر على ذلك ، ولم

يزل الجامعان على حالتهما : القرويين والأندلس ، الى أن تغلب أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله الأموي ملك الأندلس على بلاد العدو ، فبايعته مدينة فاس فيمن بايعه ، فولا عليها عاملا له من زناتة يعرف بأحمد بن أبي بكر الزناتى ، وكان رجلا فاضلا من أهل الدين والفضل والورع ، فكتب الى أمير المؤمنين يستأذنه فى اصلاح مسجد القرويين وإتقانه والزيادة فيه ، فأذن له بذلك ، وبعث له بمال كثير من أخماس غنائم الروم ، وأمره أن يصرفه فى بنائه ، فأصلح جامع القرويين وزاد فيه من ناحية المشرق وناحية المغرب والجوف ، وهدم صومعته القديمة التي كانت فوق العنزة ، وبنا الصومعة التي به الآن .

الخبر عن بناء صومعة القرويين شرفها الله بذكره

لما شرع الأمير أحمد بن أبي بكر فى بناء صومعة القرويين جعل سبعة كل وجه منها سبعة وعشرين شبرا فيتجمل (٤١) فى الأربع جهات مئة شبر واحدة وثمانية أشبار وهو الذى فى ارتفاعها بلا شك ولاريب وكذلك يجب أن تكون من جهة البناء والنظر الهندسى ، وجعل بابها من جهة القبلة ، وكتب عليه فى مربعة بالجص وحشاه باللازورد :

«باسم الله الرحمن الرحيم ، الملك لله الواحد القهار ، هذا ما أمر به أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي سعيد عثمان بن سعيد الزناتى هـداه الله ووفقه ابتغاء ثواب الله تعالى وجزيل احسانه» .

وابتدأ العمل فى هاذي الصومعة فى يوم الاثنين غرة رجب من سنة أربع وأربعين وثلاثمئة (٢ أكتوبر ٩٥٥ م) ، وفرغ من بنائها وتشبيدها فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمئة (يوليوز - غشت ٩٥٦ م) وكتب فى طرف المربعة «لا اله الا الله محمد رسول الله» وجعل

مربعة أخرى من جهة الصحن فيها مكتوب : «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم» ، وركب على رأس المنار تفافيح صغارا ممهوه بالذهب وركب في أعلاها سيف الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنهما الذي بنا المدينة تبركا به ، وسبب القائه في أعلا المنار أن الأمير أحمد بن أبي بكر الزناتى لما فرغ من بناء الصومعة اختصم اليه بعض حفدة ادريس رضي الله عنه في السيف المذكور ، وطلب كل واحد أن يحوز السيف لنفسه ، فطال نزاعهم فيه بين يديه ، فقال لهم الأمير أحمد بن أبي بكر ، هل لكم أن تبيعوه وتتركوا النزاع فيه ؟ قالوا وما تصنع به أيها الأمير ؟ قال أجعله في أعلا هذه الصومعة التي بنيت تبركا به ، قالوا له أيها الأمير أما اذا تفعل هذا فنحن نهبه لك طيبة بذلك نفوسنا ، فوهبوه له ، فجعله في أعلا المنار ، ولم تزل الصومعة على ما بناه أحمد بن أبي بكر بالحجر المنجور المحكم ، وبها أثقاب يعشش بها أصناف الطير من الحمام والزرابير الى أن ولي الفقيه الشيخ الخطيب الصالح محمد بن أبي الصبر (٤٢) خطة القضاء مع الخطابة والامامة بالجامع المذكور ، وذلك في سنة ثمان وثمانين وستمئة ، فاستشار في تبييضها واصلاحها أمير المؤمنين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم ، فأذن له في ذلك ، وأمره أن يأخذ من أموال أعشار الروم ما يحتاج اليه ، فقال له ان في مال الأحباس ما فيه كفاية أن شاء الله ، فشرع في تبييضها ، فلبس الصومعة بالجص والجير ، وسمر المسامير الكبيرة بين أحجارها ليثبت التلييس والبناء ، فدخل فيها من المسامير ثلاثة عشر ربعا (٤٣) ونصف ربع ، فلما فرغ من تلييسها دلكتها حتى صارت كالمرآة الصقيلة ، فانقطعت منها اذاية الطير فحسنت ، وبنا أيضا الغرفة التي

(42) قاضي السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ، توفي سنة 706.

(43) أي ربع قطار ، وما زالت الكلمة مستعملة بهذا المعنا الى اليوم ، وكان الناس يهدون لبعضهم في الولائم (الكيش والربع) من الدقيق .

على بابيها لمبيت المؤننين والمخاوصين (٤٤) وبقي الجامع المكرم على ما زاد فيه الأمير أحمد بن أبي بكر إلى أيام هشام المؤيد ، فتغلب حاجبه المنصور بن أبي عامر ، فبنا بالجامع المياريك القبة التي على رأس العنزة في وسط الصحن حيث كان المنار القديم ، ونصب على أعلاها طلاسما وتمائيل كانت قبل ذلك على رأس القبة فوق المحراب مما صنعه الأوائل ، ومنه ما صنع في أيام الشيعة ، فجعل الطلاسما على أعمدة من حديد فوق القبة ، منها طلسم للفار ، فكان الفار لا يدخلها ولا يعيش فيها ولا يفرخ وإن دخلها افتضح وقتل ، ومنها طلسم للعقرب ، وهو صورة طائر فسي منقاره شبه ذنب عقرب ، فالعقرب لا يدخل الجامع المكرم أصلا ولا يفرخ فيه ، وإن أدخله بعض المصلين في ثوبه ملصقا خمد فلا يتحرك ، قال الحاج الفقيه ابن هارون لقد شاهدت عقربا ظهر به في يوم جمعة جاءت في ثياب بعض المصلين أو في بعض أمتعتهم فوقعت بين الصفوف خادمة لا تتحرك كمثل الميت حتى كملت الصلاة والناس قد فسحوا من حولها خوفا من أذاها ، فلما فرغوا من الصلاة قتلوها فتحركت حين قتلت ، وهما إذا غايتها ، ومنها طلسم على رأس عمود من نحاس أصفر فيه تفاصيل يذكر أنه الخية ، فهي أيضا لا تفرخ فيها ولا تدخلها ، وإن دخلتها اقتضحت وقتلت ، وقيل إن ما وجد فيها من الحيات فهو من عمار الجن ، وهذا لا ينكر ولم يوجد قط على قديم الزمان وحديثه من لسعته فيه حية ولا عقرب .

وبنا أيضا الحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الساقية المستطيلة بازاء باب الحفافة ، وجلب إليها الماء من وادي حسن الذي بخارج المدينة من ناحية باب الحديد ، وصنع بالجامع منبرا من خشب العناب والأبنوس وكتب عليه «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، هذا ما أمر بعمله الخليفة المنصور سيف الاسلام عبد الله هشام المؤيد بالله أطل الله بقاءه ، على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور ابن أبي عامر وفقهم الله تعالى ، وذلك في

شهر جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمئة» ، فكان ذلك المنبر يخطب عليه الى أيام لمتونة ، ولم تنزل الأمراء والملوك يهتمون بالزيادة فى الجامع المكرم واصلاح ماتهم منه تبركا به وابتغاء ثواب الله تعالى حتى قام المرابطون بالمغرب وملكوا جميعه ، وجاءت دولة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين للمتونى ، فكثر العمارة بالمدينة وتناهست الغبطة ، فضاق الجامع بكثرة الناس فى أيام الجمعة حتى أنهم يصلون بالأسواق والشوارع والطرق ، فاجتمع الفقهاء والأشياخ وتكلموا فى ذلك مع قاضى المدينة ، وهو الفقيه محمد بن داود ، وكان أحد القضاة الفضلاء من أهل العلم والعدل والورع ، فأعلم القاضي أمير المسلمين بما رفع اليه من أمر الجامع المكرم واستأذنه فى الزيادة ، فأذن له وقال له : يكون الانفاق فى ذلك من بيت المال ، فقال له القاضى : نسال الله أن يغنيه عنه من ماله الذى تجمع من أحباسه بأيدي الوكلاء ، فأمره علي بن يوسف بتقوا الله تعالى والتحري فى ذلك من الشبهات ، والاجتهاد فى أمر الجامع وبنائه والزيادة فيه ، والنظر فى أحباسه وجميع أحواله واستخراجها ، فدعا له وانصرف عنه الى مجلس قضائه ، فسأل عن الأحباس ، فوجدها فى أيدي أقوام قد أكلوها وحسبوها من أموالهم ، فأزالها عن أيديهم وقدم وكلاء غيرهم ممن يوثق بدينهم ، وحاسب المعزولين الذين كانت بأيديهم ، وطالبهم بغلة الرباع والأرضين المحبسة ، فخرج عليهم بالمحاسبة أموالا كثيرة ، فأغرهم اياها وأضاف اليها غلات تلك السنة ، فاجتمع من ذلك مايزيد على الثمانين ألف دينار ، ثم شرع فى الزيادة فى الجامع من قبلته وشرقه وغربه ، فابتدأ بشراء الأملاك والديار التي بقبلة الجامع وغربه وشرقه ، فاشتراها منها ما أحب واحتاج اليه بأحسن شراء وأتم ثمن دون غبن على أحد فى ذلك ، وكان أكثرها فى ديار اليهود لعنهم الله ، ومن امتنع من البيع قوم عليه موضعه ودفع له الثمن بالزيادة اقتداء بعمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين زاد فى المسجد الحرام ، فلما كمل له من شراء الدور ماأراد ومايصلح به أخذ فى هدمها وبيع نقضها ، فاجتمع له فى نقضها مثل

قيمتها التي اشترت بها ، وبقيت الأرض زيادة ببركة من الله تعالى ، فأضافها للجامع وأخذ في البناء ، فبنا أولا الباب الكبير الغربي وهو باب الفخارين القدماء ، ويعرف الآن بباب الشماعين ، وكان يجلس على بنائه بنفسه ، فحسبته في طوله وارتفاعه وعرضه واتساعه ، وركب عليه أبوابا عظيمة ، وحسن قواعده حتى لا يمكن أن يصنع مثله ، وصنع على ظهر الباب من داخل المسجد قبة فيها مكتوب «صنع هذا الباب والقبة وكملا بالبناء والتركيب في شهر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وخمسمئة» ولما حفر أساس هذا الباب وجد تحت رتاج المضراع الذي عن يسار الداخل في الباب المذكور حيث هي الدكانة الآن عينا من ماء معين ، عليها تربيع مثل الصهريج ، طوله ثمانية أشبار وعرضه كذلك ، والبناء عليه مقبو ، لا يعلم أحد كم له من المسنين ، فخیل لهم أنه كنز مدفون فهدم الأقباء فلم يجدوا غير صهريج يتدفق بماء معين فيه سلحفاة قد ملأت الصهريج بأسره من أوله الى آخره ، فأرادوا إخراجها منه فلم يستطيعوا ذلك ، فاستشار القاضي ابن داود الفقهاء في رأيه ، فاجتمع رأيهم أن تترك في موضعها ويعاد عليها الأقباء كما كان ، فسبحان الله العظيم القائم برزقه لما يشاء ، لا إله الا هو ، واليه المصير ، فبنا عليه موضعه وطلع عليه الأساس ، وطبع الباب ، وجعلت قواعده من نحاس أحمر ، قاله أبو القاسم بن جنون .

قال المؤلف للكتاب :

رأيت تقييدا بخط الحاج الفقيه الصالح أبي الحسن بن محمد بن برون الأزدي أن الأقباء المذكور انما وجد في موضع رتاج المضراع الذي عن يمين الداخل من ناحية القرسطون ولم يزل الباب على ما بناه أبو عبد الله بن داود الى أن احترق السوق في ليلة أربع وعشرين من شهر جمادى الآخرة من سنة احدا وسبعين وخمسمئة (٩ يناير ١١٧٦ م) طلع الحريق بالناس من سوق باب السلسلة حتى وصل الى الباب ، فاحترقت القبة التي كانت تم من الخشب واحترق اكثر الباب ، فجلدت

القبّة والباب على يد السيد عمر بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المومن ابن علي وبأمره ، وذلك في شهر جمادى الأخيرة سنة ستمئة ، وكان الناظر في بنائها أبا الحسن بن محمد الأزرق العطار ، والانفاق فيها من بيت مال المسلمين وعلى يد القاضي أبي يعقوب بن عبد الحق ، وتوفي الفقيه أبو عبد الله بن داود فولي القضاء بعده مكانه الفقيه المبارك عبد الحق بن عبد الله بن معيشة فحذا حذوه واقتفا أثره في ذلك ، وجمع أهل البناء والنظر السديد ، وكان من نظره أن يجعل المحراب من القرويين على عين قرقف فلم يمكنه ذلك لأجل دار الفقيه أبي علي بن أبي الحسن التي تعرضت له في طريقه ، فكان الذي أجمع عليه رأيهم من الزيادة ثلاثة بلاطات ومحرابا ، ومنبرا ، وزاد فيه من ناحية الغرب البلاط المرتفع على الأرض المذكورة من القبلة إلى الجوف ، وزاد فيه من ناحية المشرق بلاطين من القبلة إلى المستودع ، بنا ذلك بترابها الذي خرج منها لم يدخل في بنائها من تراب الكهوف والمقاطع التي يبني الناس منها شيء ، وكذلك الكذان الذي بنيت به إنما قطع منها ، لأنه حفر في وسط البلاط الثاني من القبلة حفيرا ، فظهر كهف بعيد الغور لا يظهر قعره ، فكان الفعلة يقطعون الكذان منه ويحفرون التراب ويخرجه الرجال على رؤوسهم للبنائين فيبنون به ، ولم يصرفوا في جميع بنائه ماء حاشا ماء البئر التي في الصحن ، كل ذلك تحريا من الشبهات أن لا تدخله ، وتوثق في بنائه غاية وتحفظ ، ورأى من رأيه السديد أن يجعل الأبواب كلها مغطاة بالنحاس الأصفر ، ويبدلها مما هي عليه ، ويعمل أمام كل باب قبة ويزيد في سعته وكماله ، ويبدل الصومعة ، فشرع في بناء المحراب والقبّة التي عليه منقوشين بالذهب وللأزورد وأصناف الأصبغة ، وتم ذلك على غاية الجمال والكمال ، وكان يبهت الناظرين إليه من حسنه ، ويشغل المصلين ، فلما دخل الموحدون المدينة وذلك في يوم الخميس الخامس عشر لربيع الآخر سنة أربعين وخمسمئة (٥ أكتوبر ١١٤٥ م) خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن ينتقد عليهم الموحدون ذلك النقش والزخرف الذي فوق المحراب ، لأنهم قاموا بالتقشف والتقل ، فقليل لهم

ان أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي يدخل غدا المدينة مع أشياخ الموحدين يرسم صلاة الجمعة بالقرويين ، فخافوا لذلك ، فأثا الحمامون الجامع تلك الليلة ، فنصبوا على ذالك النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ، ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض وذلك ، فنقضت تلك النقوش كلها وصارت بياضا ، وصنع المنبر الذي به الآن من الأبنوس والصندل والعاج والنارنج والعناب وأصناف الخشب العظيم ، وكان الذي عمله ونجده الشيخ الأديب أبو يحيى العتاد ، عمر طويلا حتى نيف على المئة ، وكان اماما فى اللغة والشعر ، روا عنه الفقيه أبو محمد بن زيدان ، أدركه وقد أخذت منه السن العالية ، ولما تم المنبر الشريف صنع له غشائين أحدهما من جلد معزى والثانى من مقبرة ، وبلغت فيه النفقة ثلاثة آلاف دينار وسبعة عشر درهما ، وشرع فى تغشية الأبواب بالصفر ، فغشا منها ثلاثة ، وجاءته العزلة ، فغزل والمنبر والبناء وباب الجنائز وصحبه كل ذالك كأن لم يتم ، فولى بعده قضاء المدينة المذكورة الفقيه الحافظ العالم المشاور عبد الملك بن بيضا القيسى ، فتم ذالك كله على يديه على مايداه عبد الحق بن معيشة ، حاشا نقشه باقى الأبواب بالصفر وإبدال الصومعة ، فإنه لم يصنع فى ذالك شيئا ، بل وقف فيه حيث انتها ابن معيشة ، وكان الفراغ من هذه الزيادة المذكورة وحجرة الجامع وباب الجنائز والمنبر فى شهر شعبان المكرم سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة .

وأول خطيب خطب عليه الشيخ الفقيه الصالح مهدي بن عيسا ، وكان من أفصح الناس وأكثرهم قريحة ، كان يخطب كل يوم جمعة بخطبة لاتشبه الأخرى ، فلما دخل الموحدون المدينة بدلت أحوال بأحوال ، ورجال برجال ، وبذل الخطباء والأئمة بجميع البلاد ، فكان لايوم ولا يخطب الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري .

وأما الصحن الذى بالجامع المكرم فعمل وفرش فى أيام الفقيه القاضى أبى عبد الله ابن داود ، وكان الذى نزل فرشہ وبناءه صخر ابن مسعود البناي ، وكان من أعرف الناس بالبناء والنجارة ، وكان قد

فرشه قبله غيره ، فلم يرض عمله ولم يكمل ، فحفره العريف محمد بن أحمد ابن محمد الخولاني ، واشترط على نفسه أن لا يبقى فيه تحصينا ولا رقدة ، وأنه أن صب أعلاه قلة ماء انحدرت في أسفله مجموعة لا ينقص منها شيء لشدة اعتداله ، وكان رحمه الله باع أربعة من الديار أصولا موروثة عن آبائه ، فصنع بأثمانها أجر شبه البجماط (٤٥) نصف أجرة في الطول ، وصنع الجير ، فبناه العريف المذكور بماله وبده هو وصخر بن مسعود المذكور حتى كمل عمله وأتقانه ، ولم يأخذ عليه شيئا إلا ابتغاء ثواب الله تعالى نفعهما الله بنياتهما ، وكان جملة ما دخله من اللاجور (٤٦) لفرشه أربعة وأربعين ألف أجرة ، لأن طول الصحن أحد عشر قوسا ، في القوس الواحد من القبلة الى الجوف عشرون صفا ، في كل صف مئتا أجرة ، فيتجمل في كل قوس أربعة آلاف أجرة ، ويتجمل في أحد عشر قوسا أربع وأربعون ألف أجرة ، وحوله طرد دائر فيه ثمانية آلاف أجرة فيجتمع في الجميع كله اثنان وخمسون ألف أجرة . دون شك ولاريب ، وكان فرش الصحن وبناء الباب الكبير المقابل القرسطون على يد القاضي ابن داود المذكور سنة ست وعشرين وخمسمئة ، ولما تم الصحن بالفرش والبناء أمر القاضي فصنع له بكاكير وشرائط غليظة وقلاع من شقق الكتان مبطنة بالمقيرة على قدر الصحن وما يظله ، فكان اذا أتا زمن الصيف واشتد الحر شدت البكاكير وجبذت (٤٧) الشرائط فيرتفع القلاع في الهواء على الصحن كله ، فسيظل الناس تحتها من حر الشمس فيكون فيه الظل ، وجعل في القلاع أبوابا للرياح تدخل منها ليلا يهلك الناس بالغم والحر ، فلم تزل القلاع تنصب في زمن الصيف فيستظل بها الناس في زمن الحر كله حتى تمزقت بطول السنين ومر

(45) واحدته بجماطة ، قطع رقيقة محمرة من خبز معجون بسكر ونافع وزنجلان ، يتزود بها المسافرون الأثرياء في الأسفار ونحوها ، وتقدم في الولايم الى المدعوات في حجم صغير وتسما حينئذ الفقاص .

(46) استعمل المؤلف كلمة اللاجور واللاجورة بمعنا الآجر والآجرة كما تنطق بهما العامة ، وقد أبقينا هاهنا على حالها في المتن كمثل وردناها الى أصلها في غيره .

(47) يستعمل السغاربة جبذ بمعنا جذب ، ومعناها واحد ، وكلاهما فصيح .

الأيام والليالي ، فلم يقدر أحد أن يعمل مثلها .

وأما الخصة والبيلة التي بالصحن فعملت فى سنة تسع وتسعين وخمسمئة على يد موسى بن حسن بن أبى شامة ، وهو صانعها ، وكان من أهل الهندسة والمعرفة بالبناء ، وكان الذى أنفق فيها ماله الفقيه المبارك أبى الحسن السجلماسى نفعه الله تعالى بقصده ، وكان من أهل الدين واليسار والايثار ، كان يتصدق كل يوم بعشرة دنانير من طيب ماله وربحه ، ولما شرع فى عملها أخرج من المعدة (٤٨) الكبيرة قادوسا من رصاص ، فشق به فى الصحن حتى وصل الى البيلة الكبيرة والخصه المذكورتين ، وهي بيلة من رخام أبيض ، لم ير مثلها لحسنها وصفائها وشدة بياضها وطولها ، وفيها عشرون ثقباً من جهة اليمين وعشرون ثقباً من جهة الشمال ، وينصب الماء الى البيلة من أنابيب خمسة ، فإذا امتلأت انحدر الماء فى الأربعين ثقباً التى فى اليمين والشمال فيصير الى الخصه ، وهي خصه من نحاس أحمر مموه بالذهب قامت على ساق من نحاس أحمر مموه منقوش ، طوله خمسة أشبار من الأرض ، وقسم الساق بنصفين ، يصعد الماء من النصف الواحد فيفور فى وسط الخصه من فتحة فيها عشرة أنابيب فيملأ الخصه ، ثم يفور فى اثقباب بجوانب الخصه لأنها بطاقتين ، ثم ينحدر فى النصف الثانى من العمود المذكور ، فلا تزال البيلة والخصه مملوءتين بالماء تجريان ولايسيل على الأرض منها قطرة واحدة والناس يشربون منها وينتفعون بمائها ، وصنع حول الخصه أكواب مموهة بالذهب بسلاسل من نحاس دائرة بها يشرب الناس منها ، وفوق البيلة شباك من رخام أبيض آية فى الزمان ، وتحت كتاب منقوش فى حجر أحمر نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً ، وإن من الحجازة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما

١٨٨ مجمع للماء مزيج أو مستدير يتفرق منه الماء على الدور وغيرها بمقادير معلومة من مشارب بنيت بدقة ، وقد يكون أصل الكلمة المعدا أى المكان الذى يعدو منه الماء ويجرى الى الجهات التى يراد جريه اليها ، وقد يكون المكان المذكور شبه بالمعدة .

يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون ، كملت فى جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمئة) ويصير فضل ماء الخصة والبيبة المذكورتين الى مياضى عين قرقف ، فينتقع به هنالك فى البيوت والسقاية ، ثم يصير الى دار الصباغ ، وهنالك يغور وتتم منفعتة .

وأما العنزة التى يصلأ اليها فى زمن المصيف فكانت القديمة من خشب الأرز ، الواحا ساذجة فى أعلاها كتابة ، وهي (صنعت هاذة العنزة فى شهر شعبان المكرم سنة أربع وعشرين وخمسمئة) ، وأما العنزة التى بها الآن فصنعها الفقيه الخطيب قاضى الجماعة وخطيبها محمد بن أيوب (أبى الصبر) أيام ولايته القضاء بمدينة فاس ، وأنفق فيها من مال الأحباس ، وابتدأ فيها العمل فى أول شهر ذى القعدة عام سبعة وثمانين وستمئة (السبت ٢٧ نونبر ١٢٨٨ م) وفرغ من عملها وركبها فى موضعها يوم السبت الخامس من شهر ربيع الأول عام تسعة وثمانين وستمئة موافق الثامن عشر من شهر مارس العجمى (١٢٩٠ م) .

وعدد سوارى المسجد المكرم مئتا سارية واثنان وسبعون سارية ، منها قديمة ومنها جديدة ، وعدد المسقفة منها ستة عشر بلاطا من القبلة الى الجوف ، ومن غرب الى شرق تربيع لا اعوجاج فيه من كل الجهات ، يحمل كل بلاط أربعة صفوف ، فى الصف الواحد من الناس مئتان اثنتان وعشرة رجال ، لأن فى كل بلاط احدا وعشرين قوسا ، يجلس فى كل قوس عشرة من الرجال فيكمل من العدد فى كل بلاط ثمانمئة وأربعون رجلا لاشك فيها ولأريب ، وعدد البلاطات ستة عشر بلاطا ، فيتجمل فى جميعها من عدد الرجال ثلاثة عشر ألف رجل وأربعمئة رجل وأربعون رجلا بلاشك ولأريب ، وكسر مابين السوارى منه ، فوجد يحمل خمسمئة وستين رجلا ، فيتجمل من العدد أربعة عشر ألفا ، وكسر الصحن فوجد يجمل ألفين وسبعمئة رجل ، وحجر الجامع يصلى فيها صفوف من الناس غير معتدلة فصحح العدد فيها بألف وخمسمئة رجل ، وحول الجامع رحاب وأسواق يصلى فيها الناس يوم الجمعة كسرت بأربعة آلاف رجل وخمسمئة رجل ، فتجمل فيها من عدد المصلين يوم الجمعة اثنان وعشرون

ألفا وسبعمئة تنقص قليلا وتزيد قليلا ، والامام واحد ، وذلك فى سنى
الرخاء والعمارة •

وعدد القرمود الذى فى سقف الجامع المكرم أربعمئة ألف قرمود
وسبعة وستون ألف قرمود وثلاثمئة قرمود •

وعدد أبوابه خمسة عشر بابا كبيرا لدخول الرجال ، وبابان
صغيران للنساء لا يدخل عليهما رجل ، والأبواب القديمة منها أبواب
الشرقى وأبواب الغربى ، وأبواب القبلة والجوف محدثة ، وآخر ما
أحدث بها الباب الكبير المدرج الذى بالقبلة ، أحدثه وبناء الفقيه علي بن
محمد بن عبد الكريم الحدودى أيام ولايته على فاس ، وصنع به باب
حفاء مضاهيا ومقابلا لباب الحفاء الذى بجامع الأنلس ، وجلب اليه
الماء من عيون ابن اللصادى المعروفة الآن بعيون الكوازين فأثا بالماء
حتى وصل به الى رجة الزبيب ، فصنع هنالك سقاية واجرا بها من
ذلك الماء ، ثم سار حتى وصل به الى الباب المذكور ، وكان فتح هاذ
الباب وبناءه وجلب مائه فى سنة تسع وثمانين وستمئة ، وكان فتح هاذ
الباب المذكور من غير استئذان ولا مؤامرة لأمير المؤمنين يوسف بن أمير
المؤمنين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم ، فلما عرف أمير
المؤمنين بفتحه للباب قبلة الجامع المذكور أنكر ذلك عليه وقبح فعله ،
ونكبه بسببه ، إذ أحدث بالجامع المذكور ما لم تدع اليه ضرورة ، ولم
يستأذنه فيه ، فأمر بالباب فسد •

وأما الثريا الكبرى فصنعت فى أيام الفقيه الصالح الخطيب الورع
عبد الله بن موسى المعلم ، وهو الذى اجتهد فى عملها ، وكان قبلها فى
موضعها ثريا مثلها فى الجرم ، ولكنها تخلصت بطول الدهر فتكسرت ،
فهبطت ونقضت وسبكت وزيد عليها نحاس مثلها ، واستأجر الصناع
على عملها ، فقامت بسبعمئة دينار وسبعة عشر دينارا ودرهمين ونصف
درهم ، وعدد قناديلها خمسمئة قنديل وتسعة قناديل ، وزنتها سبعة عشر
قنطارا ونصف قنطار ، وثلاثة عشر رطلا من النحاس ، والذى تحلمه

قناديلها من الزيت قنطار واحد وسبع قنار ، وعدد قناديل الجامع كلها اذا اوقدت ألف قنديل وواحد وسبعمئة قنديل ، يسرج فيها من الزيت فى ليلة سبع وعشرين من رمضان ثلاثة قناطر ونصف قنطار ، ولم تزل هاذة الثريا الكبرا تسرج فى ليلة سبع وعشرين من رمضان خاصة الى أن ولي قضاء المدينة الفقيه يوسف بن عمران ، فأمر بإسراجها فى أول ليلة من رمضان الى اخر الشهر ، فلم يزل الأمر على ذلك الى أن توفي القاضي المذكور يوم عرفة سنة سبع عشرة وستمئة ، وفي أيامه فتح الباب بالوراقين وعملت عليه القبة العظيمة المقریصة بالجبس ، وذلك سنة سبع عشرة وستمئة المذكورة ، فأقامت الثريا الكبيرة تسرج بعده سنة واحدة واختلفت الأحوال ، وجاءت أيام المجاعة والفتن ، فقلت الجبايات بالمدينة ، ومات أكثر الناس جوعا ، وقل الانفاق على الجامع وعدم الزيت ، وكانت تشعل فى ليلة سبع وعشرين خاصة الى أن ولي القاضي الحيونى فأمر أن لايشعل منها كأس واحد فى ليلة سبع وعشرين ولا غيرها ، وقال انا لانبعد النار ، وانما نعبد الله فلم يزل الأمر على ذلك الى أن ولي الفقيه الخطيب محمد بن أيوب (أبى الصبر) قضاء المدينة فى سنة سبع وثمانين وستمئة ، فاستشار فى اسراجها أمير المسلمين يوسف بن أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم ، فنفذ أمره بإيقادها فى ليلة سبع وعشرين من رمضان خاصة ، فدام العمل على ذلك الى الآن .

وأما الدفء الحمر التى على باب القبلة حيث يخرج الى باب الجنائز فكانت لأبى القاسم بن الملقوم المعروف بأبن رقية ، صنعها للعلية التى كانت بداره من حارة لواتة ، وقامت عليه العلية والأبواب بمال جليل لما حسن من بنائها ، فرفع عنه الى أمير المسلمين يعقوب بن يوسف ابن عبد المومن أنه يكشف من تلك العلية على الديار وعلى مسلخ حمام بنت البان المجاور لها ، فينظر منه الى النسوة اذا تجردن فى مسلخ الحمام المذكور ، وشهد عليه بذلك عند الخليفة ، فنفذ أمره الى قاضى المدينة أبى محمد التادلىس بهدم العلية وتعفية أثرها فهدمت فى يوم

الأربعاء ثالث يوم من رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمئة ، فبقيت الدفء عند ورتته ، فلم يروا لها أحسن من تصريفها فى جامع القرويين المكرم ، قوهبوها له طيبة نفوسهم بذلك ، وفى الدفء صنعة مكتوبة فيها اسمه واسم الصانع الذى عملها ، وفى آخرها : (وكان عملها فى شهر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمئة) فركبت هاذة الدفء بالقرويين فى سنة عشرة وستمئة .

وأما المستودع فصنع فى أيام الفقيه الصالح أبى محمد يسكر ، فحفر أرضه وركز بالتراب والجير وجعل طبقة من حجارة الرخام وطبقة من الرمل والجير ، وكان المتولى لبنائه الفقيه أبو القاسم بن حميد حتى تم ، وجعل له مفاتيح ثلاثة فى أول باب ، وثلاثة فى الباب الثانى وجعل فيه صناديق كثيرة عليها أبلاج (٤٩) وثيقة ، ولكنه احتيل عليه ودخل وأخذ جميع مافيه من أموال الأعباس وريعات الجامع وكتب وأمانات الناس ، وذلك فى أيام القاضى الفقيه أبى عمران ولم يعلم من فعل ذلك .

وأما الحائط الشرقى منها مع ما قرب منه فإنه عمل من قديم وأشرف على السقوط والانكفاء وذلك فى أيام المجاعة والفتن وخراب المدينة ، ولم يكن لأحد فى ذلك الوقت قدرة على بنائه ، فرمم وترك على حاله ، فبقي كذلك الى سنة اثنتين وثمانين وستمئة ، فاستشار والى المدينة أبو عبد الله الحدودى أمير المسلمين القائم بالحق ، يعقوب بن عبد الحق ، فى نقضه وإصلاحه ، فنفذ أمره الكريم رضى الله عنه ببناؤه وإصلاح ما يحتاج اليه الجامع المكرم ، وإن يكون الانفاق فى ذلك من مال الجزية والأعشار إذا نفذ مال الأعباس ، فبنى الحائط الشرقى وما والاه من السقف ، وأنفق فى ذلك ما لا كثيرا .

وأما الحائط الجوفى فإنه تخلق أيضا بمر السنين عليه وأشرف على السقوط ، فاستأذن الفقيه القاضى أبو غالب المغيلى أمير المسلمين

(49) أبلاج : أقفال ، وصانعها الأبلاج ، وفى فاس سوق يعرف بسوق البلاجين الى الآن ، وما زالت كلمة بلج معنا أقفل مستعملة حتى اليوم بناحية جباله .

يوسف فى بنائه فنفذ أمره رضى الله عنه بينائه واصلاحه ، وأعطاه خلخالين من الذهب زنتهما خمسمئة دينار ، وقال له اصرفه فى بناء الحائط المذكور فانهما حلال محض ، كان صنعتهما والذى أمير المسلمين لوالدتي مما أفاء الله تعالى عليه من أخماس غنائم الروم من بلاد الأندلس ، فورثتهما عنها ، قلم ار لتصريفهما موضعاً أوجب من هذا ، فعسا الله تعالى ان ينفع به الجميع ، فنقض الحائط من باب الحفاء الى آخر بيت النساء ، وبني من المال المذكور ، وذالك فى سنة تسع وتسعين وستمئة .

وأما السقاية الكبرا فصنعت فى أيام الفقيه الامام الفاضل الزاهد الورع المبارك أبى محمد يسكر نفعنا الله به ، وكان المنفق فيها الشيخ الموفق المبارك موسى بن عبد الله بن سداب أثنا من جبل بنى يازغة بمال كثير ، فاستوطن مدينة فاس ، وكان يألف الشيخ الفقيه يسكر المذكور ، فذكر له يوماً انه جاء بمال طيب ويريد ان يصرفه فيما يحتاج اليه الجامع ، وان المال حلال ورثه عن أبيه عن جده لم يتغير ببيع ولا شراء ، وأصله من الحرث والماشية ، فامتنع الفقيه يشكر أن يقبل منه شيئاً او يصرف منه درهما فى الجامع المذكور قائل عليه أن يعمل سقاية ودار وضوء بازاء الجامع تكون عوناً للمصلين ، فلم يتركه ولم يقبل منه حتى أخذ بيده وحمله الى محراب الجامع المكرم ، وأعطاه ختمة من الكتاب العزيز فاستحلفه فيها فى وسط المحراب أن ذالك المال حلال طيب ممن تركه والديه وجده لم يتغير ببيع ولا شراء ، فلما حلف قال له اشرع الآن فيما أردت من عمل الميضة والسقاية ، والله تعالى ينفعك بقصدك ، فاشترا فندقاً كان هنالك فى موضع دار الوضوء مقابلاً لباب الحفاء ، وشرع فى نقضه وبناء الميضة والسقاية فى مكانه ، وذالك فى غرة صفر من سنة ست وسبعين وخمسمئة ، فكتب الشيخ الفقيه يشكر الى أمير المسلمين يعلمه بالأمر ويستأذنه فى جلب الماء ، فأذن له بظهير ، وان يشق حيث شاء من شوارع المدينة وطرقها ، فجمع العرقاء والينائين وأهل الهندسة وأمرهم أن ينظروا فى المواضع التى يمكن ان ياتي الماء

منها ، فلم يجدوا أوفق من عيون دار الدباغين ، فلم يستحسنها الفقيه
يسكر لسبب أوساخ الدباغين المجاورين لها ، وكون الموضوع كثير الأزيال
والشعر ، فتركوه ووجدوا بالقرب من دار الدباغ المذكورة دار صبغ
وبها عين عظيمة تعرف بعين خومال ، فاشتراها موسا بن سداب المذكور ،
فأكثر في قيمتها إضعافا بسبب العين التي بها ، وهاذه العين تخرج من
بيت مقبوع تحت الأرض شبه بيت الحمام ، والماء يفور فيه من موضعين ،
من كل موضع فوارة ، ويخرج من حجر صلد ، وهي في غاية العذوبة
والطيب ، إلا أن فيه ثقلا ، فحصر الماء إلى قسادوس يخرج منه إلى
صهريج ملبس بالرصاص مربع ، في كل وجه عشرة أشبار ، والصهريج
إلى جانب البيت ، ثم أخرج الماء من الصهريج في قواديس الرصاص
الطنورية ، فشق في وسط عقبة سوق القيسارية ، ثم في سوق الخرازين ،
ثم في تربية القرازين إلى أن وصل إلى المعدة التي بالموثقين ، وهي
معدة من رصاص في آخر حانوت من سماط الموثقين الملصق بالجامع ،
وينصب الماء من المعدة المذكورة إلى صهريج مربع من رصاص ، ومنه
يفترق الماء إلى جميع السقايات والخصبة والبيلة وبساب الحفاء ودار
الوضوء وبيوتها وسقاية الشباك ، فيصير إلى كل موضع القدر الذي
يصلح له لايزيد ولا ينقص ، وفرشت بيوت دار الوضوء بالرخام ، وهي
خمس عشرة بيتا ، يدخل الماء كل بيت منها على حدة ، وجعل في وسط
الميضة بيلة متسعة تشبه الصهريج ، وفي وسط البيلة جعبة من نحاس
مموه بالذهب ، فيها أنابيب ينصب منها الماء إلى الصهريج في غاية
الحسن ، وجعل سمك هاذه الميضة قبة عظيمة كبيرة مقريضة بالجص
منقوشة باللازورد وأصناف الأصبغة ، ويقابل هاذه الميضة باب الحفاء
من الجامع المكرم ، وهو باب كبير يدخل منه إلى الصحن ، واتسعاع
هاذا الباب أكثر من ارتفاعه ، فيه بيلة من رصاص بطوله تندفق فيها
المياه المعينة وينصب منها على رخام أزرق وأخضر وأحمر يغسل عليه
الحفافة أو جلهم ، وسائر الباب مفروش كله بالرخام حتى إلى المصحن ،

فرشة الخطيب محمد بن أيوب (أبي الصبر) أيام ولايته القضاء بالمدينة المذكورة ، وكان قبل ذلك مفروشا بالأجر من جنس الصحن ، وبجانب باب الحفاء السقاية القديمة المستظيلة التي بناها عبد الملك المظفر ، يتوضأ منها الناس للصلاة ويسقى منها الساقون بالزقاق ويخرج قيصها إلى ميزاب بخارج السقاية فيسقى منه الخدم والضيان .

الخبر عن خطباء القرويين

في الدولة الموحدية والدولة المرينية العبد الحقية

أطالها الله وخلصها

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان أول خطيب خطب على منبر القرويين الذي صنعه القاضي عبد الحق بن معيشة الفقيه الخطيب الصالح الورع مهدي بن عيسى ، وكان من أحسن الناس خلقا وخلقا ، وأفصحهم لسانا وأكثرهم بياناً ، وكانت موعظته تؤثر في القلوب لصدقته وإخلاصه ، وكان يخطب كل جمعة خطبة لاتشبه الأخرى ، فأقام يخطب عليه مدة من خمسة أشهر ، ودخل الموحدون المدينة فعزلوا مهدي وقدموا مكانه الفقيه الصالح المبارك أبا الحسن بن عطية لأجل حفظه لللسان البربري ، لأنهم كانوا لا يقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري ، فتقدم في أول جمعة من شهر جمادى الأولى من سنة أربعين وخمسمئة ، فكان يخطب بها إلى أن توفي رحمه الله في يوم السبت الثامن لذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمئة .

ثم ولي بعده الفقيه الصالح الورع يشكر بن موسا الجورائي ، وهو أحد أشياخ المغرب في الدين والورع والفضل والزهد والمجاهدة والتقشف والايثار والصدقات ، فانه كان موسرا له غنم وماشية كثيرة ببلده ورثها

عن آبائه ، وكان يوم ولايخطب ، لأنه كان أعجمي اللسان شديد العجمة ، فقدم من يتوب عنه في الخطبة ، وهو الفقيه الزاهد محمد بن حسن بن زيادة الله المزني ، فلم يزل يخطب الى أن توفي رحمه الله يوم الاربعاء الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة .

فخطب بعده الفقيه عبد الرحمان بن حميد باستخلاف الفقيه يشكر له في ذلك ، فأقام الفقيه يشكر اماما بالقرويين أربعين سنة لم يسه فيها يوما واحدا في صلاته لشدة حضوره ، وتوفي الفقيه عبد الرحمان بن حميد يوم الاثنين الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة احدى وثمانين وخمسمئة .

فاستخلف مكانه للخطبة الفقيه الصالح الورع موسا المعلم ، كان يقرئ الصبيان في قنطرة أبي رؤوس ، وكان له صوت شجي حسن يبكي كل من يسمعه يقرأ القرآن ، فلما وصله الأمر بالخطبة داخلته دهشة وأطلق صبيانه ثم أخذ يبكي ويدعو ويقول : اللهم لاتفضحني بين عبادك يا أرحم الراحمين ، فلما كان بكرة يوم الخميس خرج الى الرابطة التي بخارج باب أصليتين ، وجعل يتمشى بين مقابر الصالحين ويدعو ويبكي حتى جاء الليل فدخل الرابطة وبات بها مع جماعة من الناس ، فأقام الليل كله يصلى ويتلو القرآن ويدعو ويبكي والناس يبكون لبكائه وخشوعه حتى أصبح ، فصلا بهم صلاة الصبح ، ثم أخذ في البكاء والدعاء حتى قام المؤذنون بالانذار الأول من يوم الجمعة ، فلبس أحسن ثيابه وسار الى الجامع المكرم والمؤذنون حوله ، فقعده في حجرة الجامع حتى قرب الأذان ، فصعد المنبر والناس ينظرون اليه وهو يبكي ويرعد حتى فرغ المؤذنون من الأذان ، فقام وخطب ولم يتوقف ولم يتجلىج ، ثم دخل المحراب ، قائما بالحكمة وفصل الخطاب ، وبكا وبكاء من سمعه ومن كان خلفه ، فلما تمت الصلاة أقبل الناس اليه يقبلون يديه ويتبركون به ، ولم يزل خطيبا الى أن وصل الفقيه القاضي محمد بن ميمون الهواري فكان أول سؤاله لأهل المدينة عن خطيب القرويين ، فذكروا له فيه خيرا واثنوا عليه كثيرا ، فلما جاءت الجمعة رآه فلم تعجبه صورته

واستبشعه وقال فيه قولا ، فقال له بعض من حضر لو سمعت خطبته لأعجبك ، فلما سمع خطبته بكأ وطلب منه المغفرة والدعاء ، وكان الفقيه المعلم سريع الدمعة ، كثير الخشوع ، الغالب على أحواله الخوف ، فمات يشكر في اليوم الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ، فاستبد الفقيه موسى المعلم بالخطبة والامامة ، فلم يزل عليهما الى أن مات في الموفى عشرين لشهر صفر عام تسعة وتسعين وخمسمئة . وكان بين وفايتهما ثلاثة أشهر نفقنا الله بهما .

فولي بعده ولده الفقيه عبد الله بن موسى المعلم وسنه يوم ولي المحراب ثمان عشرة سنة وكان له حظ وافر من الحسن والجمال والعلم والدين المتين والفضل والورع العظيم والصوت الحسن ، ولم تكن له صبوة في شبابه ، ولم يزل من صغره مشتغلا بالعلم وطلبه منقطعا للمعبادة ولم يدخل محراب القرويين من يوم بنيت الى يومنا هذا امام شاب دون لحية سواء ، وذلك لاجتماع خلال الخير والفضل فيه واجتماع الناس على فضله ودينه وورعه ، وكان له من حسن الخلق مايطابق صورته الحسنة ، ولا مرض والده موسى قيل له استخلف ولدك للمجرب فانه اهل له ، فقال لهم ان علم الله فيه خيرا فهو يستخلفه الى خدمة بيته ، فلما توفي موسى وحمل الى قبره ووضع على شفيره ضج الناس بالبكاء وذكروا من يصلى عليه بالناس ، فقال القاضي لولده تقدم فصل على أبيك ، فقام وكبر وصلا على أبيه وانصرف الناس ، فقدم في موضع والده للامامة فكان يصلى بالناس ، فلما جاءت الجمعة لبس ثياب أبيه التي كان يخطب بها ، وأعطاه أبو مروان ابن حيون برنسا أبيض ، فطلع به المنبر فاتا بالحكمة في خطبته وقراءته ، فاستحسنه الناس وكان شابا صيتا كثير الخشوع والبكاء ، ولما أتاه محمد الناصر أمير المؤمنين الى مدينة فاس بعث اليه ليصله ويراه ، فطلع اليه في ضحا يوم الاثنين فدخل عنده الى قصره الذي على وادي فاس فاجتمع به وسلم عليه ، وبقي يحادثه ويستحسن كلامه والفاظه الى أن حان وقت صلاة الظهر ، فقال له قم فصل بنا ، ففعل ، فقال له من تركت في موضعك ؟ فقال تركت

فيه من هو خير مني ، وهو معلّم الذي قرأت عليه كتاب الله العزيز ،
فانه لما جاءني رسولك تحيرت في أمر المحراب والصلاة بالناس وقلت : لأعلم
متى يكون رجوعي ، فمررت بمعلّم الذي هو سيدي ومولاي ، لقول
رسول الله صلا الله عليه وسلم : مولاك من علمك آية من كتاب الله
تعالى ، فأعلمته القضية واستخلفته في مكاني ، فقال له الناصر : جزاك
الله خيرا ، ثم أمره بالانصراف ، وأتبعه مملوكا بسبعة أثواب وخريطة
فيها ألف دينار ، فرجع الى أمير المؤمنين فشكره ودعا له بخير ، وقال
له يا أمير المؤمنين : أما الثياب فقبلتها ، وأما الدراهم فلا حاجة لي
بها ، فأتى رجل تساخ أنعش من تسخ يدي ، فقال له : تستعين بيها
وتصرفها فيما يصلح لك ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا تفتح علي هذا
الباب وأعطني من أخذها ، فأتى أحق بها ، ففرقها في الأجداد والعزاة
وتصرفها في مصالح المسلمين وسد ثغورهم ، فانصرف ولم يأخذ منها
شيئا ، ولم يزل أماما وخطيبا الى أن توفي رحمه الله يوم الأحد الحادي
عشر من رجب الفرد عام أحد عشر وستمئة .

وكان قد استخلف في مرضه الفقيه أبو محمد القضاءعي (٥٠)
معلمه للكتاب العزيز ، فلما توفي قام أبو محمد القضاءعي يؤم ويخطب
عوضا عنه ، فانتقد عليه ، وطعن فيه بعض الفقهاء والأشياخ ، وقالوا :
تبعث الصبيان الى النفائس (٥١) ، فكتب الفقيه أبو محمد بن تميم الى
أمير المؤمنين يخبره ، فقال لهم : ان الذي قدمه للصلاة أقر بين يدي أنه
خير منه ، فاذكروه على حاله ، فحينئذ ترك الفقيه أبو محمد القضاءعي
المكتب واعتكف بالجامع ، وسكن الدار المحبسة على الأئمة الى أن توفي

(50) سمي في بعض النسخ الخطية بعيد الله وكني بأبي محمد ، وفي بعضها الآخر سمي
بالقاسم ولقب بأبي محمد ، فإثراء الاكتفاء في تسميته بالكنية المتفق عليها .

(51) جمع نفيسة ، أي النساء بلغة الغوام ، وكان من عادة معلّم الكتاتيب القرآنية
(المساييد) اذا عسر الوضع على حامل أو لم يسقط خلاصها بعد ولادتها أن يرسلوا أطفالهم
يتجولون في الزنقات والطرق مسكينين بأطراف رداء وهم يتشدّدون : (النفيسة طال بها النفاس ،
يارب واغطها الخلاص ، حرمة طه ويس ، والقرآن الحكيم) ، واصحاب الحوانيث والمارة يرمون
في وسط الرداء بفلوس وبعض الفواكه اليابسة كالتمر والتين والزبيب ، ولا يزال أطفال السيد
يتجولون حتى يأتي الخبر بولادة النساء وخلاصها أو موتها !

رحمه الله يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة
خمس عشرة وستمئة .

فخطب بعده الفقيه الصالح الورع محمد بن عبد الرحمان الشلبى
وكان من اهل الدين والعلم والفضل وكان له صوت حسن ومعرفة
بالأوقات والنجوم ، وفى مدة امامته جاء الفقيه المؤذن يوسف بن محمد
بن علي القسطنى من قصر كتامة وكان له صوت حسن فى الأذان والإقامة
ومعرفة بالأوقات ، فأمر الفقيه القاضي يوسف بن عمران الخطيب محمد
الشلبي أن يتركه يخطب يوما واحدا ليشتهر بذلك ويرتسم فى زمام
الخطباء ، فتمارض الشلبى وخطب فى موضعه ، وكان يخطب بجامع
القصبة اذا مرض خطيبها ، وتوفي الفقيه محمد الشلبى فى سنة تسع
وعشرين وستمئة .

فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع أبو محمد عبد الغفار
نحو سنة أشهر وتأخر .

فخطب بعده الشيخ الفقيه الورع المبارك المجاب المدعوة ، الحاج
الخطيب ؟ الى أن توفي فى سنة خمس وثلاثين وستمئة ، فخطب بعده
الشيخ الفقيه الصالح المبارك علي بن الحاج الى أن توفي فى سنة ثلاث
وخمسين وستمئة .

فولي بعده الشيخ الامام العالم المجتهد المشاور الصالح الورع
محمد ابن الشيخ الحاج الصالح المبارك المبرور يوسف المزدغى نفعا
الله به ، فقدم ولده الفقيه الصالح الزاهد المبارك محمد (أبا القاسم)
للخطابة ، وبقي هو للامامة ، ولما دعي للامامة استرجع ثلاث مرات ،
فقليل له فى ذلك ، فقال : أخبرنى الشيخ الحافظ الصالح الحافظ المحدث
أبو ذر الخشنى وأنا أروى عليه كتاب الأحكام يوم توفي الامام أبو محمد
موسا المعلم وولي القضاعى نظر الي مليا ثم قال لى : يا محمد ، انك
تلى أمر الصلاة بالناس فى جامع القرويين ، وذلك فى آخر عمرك ،
فلما دعيت للامامة تذكرت مقالة الشيخ وعلمت أن أجلى قد قرب ،

فاسترجعت ، فاقام الفقيه محمد المزدغى اماما وولده محمد (أبو القاسم) خطيبا الى أن توفي الامام محمد المذكور .

فولي الامامة بعده الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الورع علي بن حمد ثم توفي الخطيب محمد (أبو القاسم) المزدغى المذكور ، فتولا مكانه الفقيه محمد بن زيادة الله المدني الى أن توفي ، وتوفي الامام علي بن حمد المذكور ، فقدم فقهاء المدينة وأشياخها الشيخ الفقيه الصالح المبارك ، قاريء الكتاب بالجامع المذكور أحمد بن أبي زرع اماما ، والشيخ الفقيه الصالح الورع الفاضل أبا القاسم بن مسونة خطيبا مدة من سبعين يوما ، فوصل ظهير كريم من قبل أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق بتقديم الشيخ الفقيه الصالح المبرور محمد بن أيوب (أبي الصبر) اماما وخطيبا فلم يزل كذلك الى أن توفي رحمه الله فى سنة أربع وتسعين وستمئة .

فقدم أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم بعده للامامة الشيخ الفقيه المحدث الورع أحمد ابن الفقيه العالم المرحوم أبي عبد الله ابن راشد ، امام عصره فى علم الأصول والاعتقادات ، وقدم أيضا للخطبة الفقيه المحدث الصالح ، الفاضل المبارك يحيى (أبو الحسن) ابن الشيخ الفقيه الخطيب المرحوم محمد (أبو القاسم) المزدغى ، فبقي أبو العباس ابن راشد اماما بالجامع المذكور نحو ثلاثة أعوام ، ثم آخر ، واستبد الفقيه يحيى (أبو الحسن) المزدغى بالامامة والخطبة الى أن كبر سنه وضعف عن الخطابة ، فقدم للخطابة ولده الفقيه الفاضل الصالح المبارك محمد (أبو الفضل) ، أيقا الله بركتهم بمنه وقضله ، انه كريم مجيب .

جامع الأندلس

واما جامع الأندلس فلم يزل على مابنى عليه أولا ، لم يزد فيه أحد زيادة الى سنة ستمئة ، فامر أمير المؤمنين محمد الناصر ببناؤه واصلاحه

وتجديد ما تهدم منه ، وأمر بفتح الباب الكبير الجوفى المدرج الذى
بصحنه ، وجعل بأسفله بيلة من رخام أحمر ، وأمر بعمل السقاية والميضة ،
وجلب الماء الى ذلك كله من خارج باب الحديد من أبواب المدينة المذكورة
وأما الخصة والبيلة التي بالصحن فأمر بعملها السيد يحيى نجل
الخلفاء (الموحدين) ، وأتفق فيها من ماله على يد صانعها أبى شامسة
الجباس ، فلم يزل الجامع على ذلك الى سنة خمس وتسعين وستمئة
فاعتل كثير منه ، فعرف خطيبه وأمامه الشيخ الفقيه الصالح السورج
الفاضل المبارك محمد بن مسونة أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين
يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم بذلك ، فنفذ أمره بإصلاحه ،
فأصلح وجدد كثير منه من مال الأعباس ، ولم تزل الخصة والبيلة
والسقاية والميضة بماء العين المجلوب من خارج باب الحديد الذى أن
خرب ذلك فى سنى المجاعة ودرست آثاره ، فجلب اليها عوضا منه ماء
نهر مصمودة ، فلم يزل ماء النهر المذكور الى أن ولي أمير المسلمين
أبو ثابت بن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين
يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ، فرد ماء العين المذكور الذى جلبه
الناصر الموحدى الى الجامع فدفن ، فجدد وأتبع أثره ، فجلب حتى وصل
الى الجامع وجرا فى الخصة والسقاية والبيلة كما كان ، وكان المتولى
لبنائه والنظر فيه العريف أحمد الجبانى ، والاتفاق فى ذلك من بيت
المال ، وذلك فى سنة سبع وسبعمئة .

ورجع الخبر الى أيام الأدارسة ، ولما توفي الأمير يحيى بن محمد
ابن الامام ادريس رضي الله عنه الذى بنى جامع المقرويين فى أيامه ،
ولي بعده ولده يحيى بن يحيى بن محمد ابن ادريس ، فأساء السيرة ،
ودخل على جارية من بنات اليهود ، فى الحمام اسمها حنة وكانت من
أجمل نساء عصرها ، فراودها عن نفسها فاستغاثت ، فبادر اليه الناس
منكرين لفعله ، وتغير عليه أهل المدينة ، فبادر اليه عبد الرحمان بن أبى
سهل الجذامى ، فلما رأته زوجة يحيى الحسنى وهي عاتكة بنت علي بن
عمر بن ادريس رضي الله عنه ان زوجها يحيى بادر اليه العامة مع عبد

الرحمان بن أبي سهل ليقتلوه أمرته بالفرار ، ففر أمامهم من عدوة القرويين الى عدوة الأندلس ، فمات بها من ليلته فقعة وندامة لما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار والخجل والفضيحة ، فقام بأمر المدينة بعده عبد الرحمان بن أبي سهل ، فلما علمت عاتكة أن زوجها يحيا قد مات ورأت عبد الرحمان بن أبي سهل قد ثار بالمدينة كتبت الى أبيها علي بن عمر بن ادريس رضي الله عنه تعلمه بصنيع زوجها يحيا وموته وثورة عبد الرحمان ابن أبي سهل بالمدينة بعده ، وكان والدها علي بن عمر بن ادريس رضي الله عنه صاحب بلاد صنهاجة وغمارة ، فلما وصله الكتاب جمع جيوشه وحشمه وقصد الى مدينة فاس ، فدخل عدوة القرويين علي عبد الرحمان بن أبي سهل الجذامي الثائر بها ، فبايعه أهل المدينتين القرويين والأندلس ، وخطب به على جميع منابر أعمال المغرب ، وانتقل الأمر من بني محمد الى بني غمهم عمر ابن ادريس الحسنى .

الخبر عن دولة الامير علي بن عمر بن ادريس

الحسنى بمدينة فاس وأعمال المغرب

هو الأمير علي بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم ، بويع له بمدينة فاس وسائر أعمال المغرب بعد وفاة ابن عمه يحيا بن يحيا بن محمد ادريس الحسنى ، واستقام له الأمر الى أن خرج عليه عبد الرزاق الفهرى الخارجى وكان من أهل وشقة من بلاد الأندلس ، قام بجبال بويبلان (٥٢) من أعمال فاس على مسافة يوم ونصف منها ، فاتبعه خلق كثير من البربر من مديونة وغيرهم ، فبنا قلعة منيعة بجبل سهل بجوار بلاد

(52) فى الأصل جبال ويلان ، والصواب بويبلان الجبال الواقعة الى الجنوب الشرقى من فاس حيث قرية هرمومو .

مديونة وسماها وشقة باسم بلده ، وهي باقية فى تلك الناحية حتى الآن ، ثم قصد الى قرية صفرو فدخلها وبايعه كافة البربر ، فرجع بهم الى مدينة فاس ، فخرج اليه الأمير علي بن عمر بن ادريس رضي الله فى عسكر عظيم فكانت بينهم حروب عظيمة ، كان الظفر فيها لعبد الرزاق الخارجى ، قهزم علي بن عمر وقتل خلق كثير من جنده ، وفر علي بنفسه الى بلاد أوربة ، ودخل عبد الرزاق مدينة فاس ، فملك عدوة الأندلس وخطب له بها ، وامتنع منه أهل عدوة القرويين ، وبعثوا الى يحيى بن القاسم بن ادريس رضي الله عنه المعروف بالمقدم (٥٣) ، فوصل اليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم ، وقاتل عبد الرزاق الخارجى حتى هزمه وأخرجه من عدوة الأندلس ، فدخلها وبايعه أهلها وجميع من بها من الأندلسيين الذين نزلوا بها من الربضيين ، فاستعمل الأمير يحيى بن القاسم على عدوة الأندلس ثعلبة بن محارب بن عبد الله من أهل الريض من شدونة ، فلم يزل وليا عليها الى أن توفي ، فقدم الأمير يحيى مكانه ولده عبد الله المعروف بعبود ، ثم توفي ، فولى بعده ولده محارب بن عبود بن ثعلبة ، وهو من الأزد من ولد المهلب بن أبى صفرة .

الخبر عن دولة الأمير يحيى بن القاسم بن ادريس

الحسنى المعروف بالمقدم

بويح له بمدينة فاس عند هروب ابن عمه علي بن عمر عنها ، وقاتل عبد الرزاق الخارجى حتى أخرجه من عدوة الأندلس ، واستعمل عليها عامله ثعلبة بن محارب ، وخرج الى قتال الصفرية ، فكانت لهم حروب عظيمة ووقائع كثيرة ، ولم يزل يحيى بن القاسم ملكا على فاس وأعمالها الى أن خرج لقتاله ربيع بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومئتين ، فقتل

رحمه الله في السنة المذكورة ، وولي مكانه حفيد عمه يحيى بن ادريس
ابن عمر بن ادريس .

الخبر عن دولة الامير يحيى بن ادريس بن عمر

ابن ادريس بن ادريس الحسنى

قام يحيى هاذا بعد قتل ابن عمه المقدم يحيى بن القاسم بن ادريس ،
فبايعه اهل مدينتي فاس القرويين والأندلس وخطب له بهما ، وعاد الأمر
الى بنى عمر بن ادريس ، فملك الأمير يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس
جميع أعمال المغرب ، وخطب له على جميع منابره ، وكان يحيى هاذا أعلا
بنى ادريس قدرا وصيتا ، واطيبهم ذكرا ، وأقواهم سلطانا ، وأوسعهم
ملكاً ، وأكثرهم عدلاً ، وأغزهم كرماً ، وكان فقيها حافظاً للحديث ، ذا
فصاحة وبيان ولسان ، ومع ذلك كان بطلاً شجاعاً حازماً ، ذا صلاح
ودين وورع ، لم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه ، ولم يزل على مملوكة
المغرب الى أن قدم اليه مصالة بن حبوس المكناسى قائد عبيد الله الشيعى
القائم بأفريقية ، وذلك فى سنة خمس وثلاثمئة ، فخرج يحيى مدافعاً
لمصالة المذكور ، فهزمه مصالة ، ودخل يحيى مدينة فاس مهزوما فتحصن
بها منه ، فحاصره مصالة مدة الى أن صالحه يحيى بمال ، وكتب بالبيعة
لعبيد الله الشيعى صاحب أفريقية ، وارتحل مصالة راجعاً الى القيروان .
وكان موسى بن أبى العافية صاحب تسول وبلاد تازة قد خدم القائد
مصالة وهاداه وتقرب اليه بالاحسان وقاتل معه فى جميع حروبه بالمغرب ،
فلما انصرف مصالة الى القيروان قدمه على المغرب ، واختصه من بين
سائر أمرائه ، فكان موسى بن أبى العافية كلما أراد الظهور بالمغرب
والاستبداد فيه غمره يحيى بن ادريس الحسنى بشرفه وكرمه ودينه وعدله ،
وقطع عليه كل مايريد ، فكان على قلبه منه حمل ثقيل ، فلما قدم مصالة
المغرب فى كرتة الثانية ، وذلك فى سنة تسع وثلاثمئة ، سعى موسى بن

أبى العافية يحييا بن ادريس عنده حتى اوغر صدره عليه ، فعزم مصالة على القبض عليه ، فلما قرب من مدينة فاس خرج اليه الأمير يحييا بن ادريس يسلم عليه فى قوم من وجوه عسكره ، فقبض عليهم مصالة وقيد يحييا بالحديد ، ودخل مصالة مدينة فاس ، ويحييا بن ادريس بين يديه مقيد على جمل ، فغذبه بأنواع من العذاب حتى أخرج اليه ماله وذخائره ، فلما قبض مصالة الأموال أطلقه ونفاه الى مدينة أصيلة وقد ساءت حاله ، وانقض جمعه ، فأقام بمدينة أصيلة مع بنى عمه مدة ، فأعطوه مسالا ووصلوه وعملوا له مايقوم به ، فلم يرتض بذلك ، فارتحل عنهم يريد أفريقية فقبض عليه فى طريقه موسى بن أبى العافية الكناسى فسجنه سجنا طويلا بمدينة الكاى (٥٤) ثم أطلقه ، وكان أبوه ادريس بن عمر بن ادريس رضى الله عنه دعا عليه أن يميته الله جوعا فى أرض غريبة ، فخرج يحييا من سجن ابن أبى العافية الى أفريقية وهو فى ذلة وضيق وفقر ، فانه أقام فى سجن ابن أبى العافية نحو العشرين سنة ، فوصل المهديّة وهو على تلك الحال فوافق فتنة أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى وحصاره للمهديّة ، فمات بها جوعا فى غربة فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة .

ولما قبض مصالة على يحييا بن ادريس وثقفه قدم على مدينة فاس ريحان الكناسى ورجع الى أفريقية ، فأقام ريحان الكناسى عاملا على مدينة فاس وأحوازاها مدة من ثلاثة أعوام الى أن قام عليه بها الحسن ابن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى فأخرجه عنها .

(54) فى بعض النسخ الأكبر ، والصواب الكاى ، قلعة منيعة يظن أنها كانت بناحية جباله حيث قبيلة جاية (لجاية) الحالية .

الخبر عن دولة الأمير الحسن بن محمد بن القاسم

ابن ادريس بن ادريس الحسنى المعروف بالحجام

هو الأمير الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، ويلقب بالحجام ، وعرف بذلك لأنه كانت بينه وبين عمه أحمد بن القاسم حرب شديدة حمل فيها الحسن على فارس من جند عمه قطعنه فى المحاجم ثم فعل ذلك بثان وثالث ، كل ذلك لايطعنهم الا فى موضع المحاجم ، فقال له عمه أحمد انما ابن أخى حجام ، فلزمه ذلك الاسم ، فعرف به ، وفى ذلك يقول بعضهم :

وسميت حجاما ولست بحاجم ولكن لطن فى مكان المحاجم

دخل مدينة فاس خفية مع بعض رجاله ، فأقام بها وذلك فى سنة عشر وثلاثمئة ، فبايعه أهلها ، وأجلا عنها عاملها ربحان الكناسى ، وبايعه أكثر قبائل البربر ، وملك مدينة لواتة (٥٥) وصفرو ومدينة مديونة ، ومداين مكناسة ، ومدينة البصرة ، واستقام أمره بالمغرب ، وفى سنة احدا عشرة وثلاثمئة خرج الأمير الحسن المعروف بالحجام الى قتال موسى بن أبى العافية فالتقا معه بفحص الزاد (٥٦) على مقربة من وادى المطاحن ، فأوقع به الحجام وقعة عظيمة لم يقع فى دولة الأدارسة مثلها ، قتل فيها من عسكر ابن أبى العافية ألفان وثلاثمئة رجل منهم ولده منهل (٥٧) بن موسى ، ومات من عسكر الحسن بن

(55) مدينة مغربية مسماة باسم قبيلة لواتة التى أسستها وسكنتها ، تقع الى الشمال الشرقى من مدينة صفرو ، بينها وبين قرية بير طمطم ، قرب مجرا نهر سبو ، وهى اليوم مجرد قرية صغيرة .

(56) فى بعض النسخ فحص الطواد ، وفى نسخ أخرى فحص أذاذ ، ذكر ابن خلدون أن هذا الفحص هو الذى سمي فيما بعد بوادى المطاحن ، وأنه يقع بين تازة وقاس .

(57) فى بعض النسخ سهل .

محمد نحو من سبعمئة رجل ، فرجع المحسن الى مدينة فاس ، فترك عسكره بخارج المدينة ودخل وحده منفردا دون جيش ، فغدر به عامله بها حامد ابن حمدان الهمداني الأوربي وهو من قرا أفريقية ، دخل عليه ليلا قسى داره فقيده وحبسه عنده وغلق أبواب المدينة فى وجه العسكر ، ثم أرسل الى موسى بن أبى العافية يخبره بصنعه ويأمره بالقدوم عليه ليتمكن من المدينة ، فسارع نحوه ، فأدخله عدوة القرويين ، ثم قاتل عدوة الأندلس حتى غلب عليها ، فلما ملك مدينتي فاس قال لحامد بن حمدان : مكنى من الحسن الحجام أقتله بولدى منهل ، فدافعه حامد بن حمدان وسوفه ، وكره المجاهرة فى سفك دماء أهل البيت ، فلما جن الليل سار حامد بن حمدان الى الحسن الحجام فأزال عنه قيده وأدلاه من سور المدينة دون حبل ، فسقط وانكسرت ساقه ، وسار الى عدوة الأندلس فمات بها مستخفيا لثلاثة أيام من تلك الليلة ، فأراد ابن أبى العافية قتل حامد بن حمدان الذي مكناه من البلد حين أطلق الحسن الحجام ، ففر حامد منه الى المهدية ، فكانت دولة الحسن الحجام بفاس نحو العامين .

الخبر عن دولة موسى بن أبى العافية

بفاس وكثير من أعمال المغرب

هو الأمير موسى بن أبى العافية بن أبى باسل بن أبى الضحاك بن مجدول بن تامريس بن فارديس بن ونيف بن مكناس بن ورصطيف المكناسي أمير مكناسة كلها ، ملك مدينتي فاس فى سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة ، وملك بلاد تازة وتسول والكاى ومدينة طنجة والبصرة وكثيرا من أعمال المغرب ، ولما دخل فاس وبايعه أهلها واستقام أمره الح على حامد بن حمدان فى قتل الحسن الحجام ، فكره ذلك حامد ، وندم على ماكان منه من الغدر وجعل يسوفه الى أن أكثر عليه فى الطلب ، ففعل بالحسن ماذكرناه أولا ، واستولا ابن أبى العافية على جميع بلاد المغرب ،

وبايعة القبائل والأشياخ ، فأجلا جميع الأدارسة عن بلادهم وأخرجهم من ديارهم ، وملك مدينة أصيلة ومدينة شالة وغيرهما من بلادهم ، وساروا بأجمعهم الى قلعة حجرالنسر (٥٨) مقهورين مغلوبين ، فأنحصروا بها ، وهي حصن منيع بناه محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس رضي الله عنه ، طلع في عتاف السماء ، فنزل عليهم ابن أبي العافية واشتد عليهم الحصار ، وأراد استئصالهم وقطع دابرهم ، فعذله على ذلك رؤساء المغرب وأكابر أهل دولته ، وقالوا له : أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين ، هذا شيء لانوافكك عليه ولا نتركك له ، فاستحيا لذلك وارتحل عنهم الى مدينة فاس وخلف عليهم قائده أبا الفتح التسولي في ألف فارس يمنعمهم من التصرف ، وذلك في سنة سبع عشرة وثلاثمئة ، فأقام موسا بن أبي العافية بمدينة فاس الى ان قدم المغرب حميد بن يصيلتين قائد عبيد الله الشيعي من المهديّة في جيش عظيم ومعه حامد بن حمدان الهمداني ، وذلك في سنة عشرين وثلاثمئة ، وسبب قدومه أن ابن أبي العافية لما ارتحل عن قلعة حجرالنسر سار الى مدينة فاس ، فأقام بها أياما وقتل عامله على عدوة الأندلس عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود ، وولا مكانه أخاه محمد ابن ثعلبة ، ثم عزله وولا مكانه طوال ابن أبي يزيد ، فلم يزل غاملا عليها الى ان خرجت فاس عن يد ابن أبي العافية ، واستعمل على عدوة القرويين ولده مدين ، وارتحل الى مدينة تلمسان فملكها وتغلب على أحوازها ، وكان ذلك بيد الحسن بن أبي العيش بن عيسا بن ادريس بن محمد بن سليمان الحسني ، فأخرجه عن تلك البلاد بأسرها وملكها ، وذلك في سنة تسع عشرة وثلاثمئة ، وهرب الحسن بن أبي العيش الى مدينة مليلة من نواحي ملوية فتمنع بها ، وزحف ابن أبي العافية يسعد ملكه تلمسان الى مدينة نكور (٥٩) فملكها وجميع أحوازها ، وذلك في

58) بقبيلة سومانة من إقليم تطوان .

59) مدينة مغربية قديمة كانت تقع قرب الوادي المسما باسمها غير بعيد عن الحسيمة ، مازالت أطلالها موجودة الى اليوم . بتلك الناحية .

شهر شعبان من سنة عشرين وثلاثمئة (غشت ٩٣٢ م) فلما ملك ابن أبي العافية مدينة تلمسان ونكور وفاس بايع عبد الرحمان الناصر لدين الله ملك الأندلس ، وقام بدعوته ، وخطب له على جميع منابر عمله ، فاتصل الخبر بعبيد الله الشيعي بالمهدية ، فبعث اليه قائده حميد بن يصيلتين الكتامي في عشرة آلاف (٦٠) فارس ، فالتقا بموسا بن أبي العافية بفحص مسون (٦١) ، فكانت بينهم حروب عظيمة وسجال ، ثم ان حميد ابن يصيلتين بيته ليلة فضرِب في عسكر موسا بن أبي العافية فانهزم موسا بن أبي العافية وأصحابه وفر الى عين اسحاق من بلاد تسول فتحصن بها ، وارتحل حميد بن يصيلتين الى مدينة فاس ، فلما قرب منها هرب مدين بن موسا ، فدخلها وولا عليها حامد بن حمدان الهمداني وانصرف الى أفريقية ، وتظاهر بنو ادريس الذين بحجر النسر على أبي الفتح قائد ابن أبي العافية ، فهزموه ونهبوا عسكره ، وذلك حين بلغتهم هزيمة ابن أبي العافية وهروب مدين ابنه عن مدينة فاس وتملك حامد عليها في سنة احدا وعشرين وثلاثمئة ، وأقام حامد بن حمدان الهمداني عاملا على فاس الى أن ثار عليه أحمد بن أبي بكر بن عبدالرحمان بن أبي سهل ، فقتل حامدا وبعث برأسه وبولده الى موسا بن أبي العافية فبعث بهم موسا الى أمير المؤمنين الناصر لدين الله بقرطبة ، وأقام أحمد بن أبي بكر عاملا على فاس لموسا بن أبي العافية الى أن قدم ميسور الفتا قائد أبي القاسم الشيعي ، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة ، الى المغرب على اثر والده عبد الله الفهري ؟ فحاصر ميسور مدينة فاس أياما الى أن خرج اليه أحمد بن أبي بكر مبايعا ، وأخرج له هدية عظيمة ومالا جسيما ، فقبض منه المال والهدية وثقفه في القيود وبعث به الى المهديّة ، فسد أهل مدينة فاس مدينتهم في وجه ميسور الفتا ولم يمكنوه من دخولها ، وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي ، فحاصروهم ميسور مدة

60) في بعض النسخ : عشرين ألف فارس .

61) بين قرية كرسيف وبين قصبة مسون الواقعة الى غربها في طريق تازة ، ويسمى
هاذا الفحص أيضا فحص جل .

من سبعة أشهر فلم يقدر عليهم بشيء ، فضالحمهم ميسور على أن أعطوه ستة آلاف دينار واقطاعا ولبودا وقربا للماء واثاثا ، وكتبوا بيعتهم لأبى القاسم الشيعي ، وكتبوا اسمه في سكتهم ، وخطبوا له على منابرهم ، فقبل ميسور ذلك منهم ، وارتحل عنهم نحو موسى بن أبى العافية حتى لحق به ، فكانت بينهما حروب عظيمة ، ولي معظم تلك الحروب بنو ادريس ، قاتلوه حتى هرب الى الصحراء أمامهم ، وتملك الأدارسة أكثر ماكان بيد موسى ابن أبى العافية قائمين بدعوة أبى القاسم الشيعي ، فلم يزل ابن أبى العافية شريدا في الصحراء وأطراف البلاد التي بقيت بيده ، وذلك من مدينة كرسيف الى مدينة نكور الى ان قتل ببعض بلاد ملوية ، وذلك في سنة احدا وأربعين وثلاثمئة ، وقيل قتل في سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة قاله البرنسي .

فولي بعده ولده عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية الى أن توفي في سنة ستين وثلاثمئة ، فولي عمله بعده ولده محمد ، وعليه انقرضت أيام بنى أبى العافية المكناسيين سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٩٧٤ م) .

ونذكر بعض المؤرخين لأيامهم أنه لما توفي محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية ولي بعده القاسم بن محمد المحارب للمتونة ، فكانت بينه وبينهم حروب كثيرة الى أن غلب عليه يوسف بن تاشفين فقتله واستاصل بلاده حتى قطع شافة ذرية موسى بن أبى العافية من المغرب ، وكانت أيامهم فيه من سنة خمس وثلاثمئة الى سنة خمس وأربعين وأربعمئة ، فذلك مئة وأربعون سنة من أول دولة عبد الرحمان الناصر لدين الله الى قيام لتونة .

وأما القائد ميسور فانه لما صالح أهل مدينة قاس وأخذ بيعتهم لأبى القاسم الشيعي صاحب أفريقية أقر حسن بن القاسم اللواتي على عمالتها ، فلم يزل عاملا عليها الى أن قدم أحمد بن أبى بكر من المهديّة مطلقا مكرما ، فتحلا له عما كان بيده ، وذلك في سنة احدا وأربعين وثلاثمئة ، فكانت

ولاية حسن بن القاسم على مدينة فاس ثمان عشرة سنة من سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة الى سنة احدا وأربعين المذكورة .
قال ابن البان في تاريخه المسما بجلاء الأذهان : لما فر موسى بن أبي العافية أمام ميسور القائد صارت الرياسة بالمغرب بعد قراره عنه لابني محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى رضي الله عنه ، وكانا أخوين شقيقين : كنون وإبراهيم ابني محمد بن القاسم بن ادريس فتقدم منهم للرياسة وللإمامة كنون .

الخبر عن دولة الأمير القاسم بن محمد بن القاسم ابن إدريس الحسنى الملقب بكنون

هو القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، قدمه بنو ادريس على جميعهم بعد فرار موسى بن أبي العافية عنهم ، فملك أكثر بلاد المغرب الا مدينة فاس فانه لم يملكها ، وكان سكناه بقلعة حجر النسر فأقام على امارته الى أن توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، فولي بعده ولده أبو العيش أحمد بن كنون .

الخبر عن دولة الأمير أبي العيش أحمد بن القاسم كنون الحسنى

هو الأمير أبو العيش أحمد بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، وكان أبو العيش هاذا عالما فقيها دينيا ورعا حافظا للسير عسالم بتواريخ الملوك وأيام الناس وأنساب قبائل العرب والبربر ، عاقلا حلما

شجاعا كريما ، كان يعرف في بنى ادريس بأحمد الفاضل ، وكان مائلا الى بني مروان متشيعا فيهم ، لما ولي بعد أبيه قطع الدعوة في جميع بلاده على العبيدين ، وباع لعبد الرحمان الناصر لسدين الله صاحب الأندلس ، وخطب له على جميع منابر عمله ، فلم يقبل ذلك منه الناصر ، وقال له : لا أقبل لك بيعة الا أن تسكنني من طنجة وسبتة ، فامتنع أبو العيش من ذلك ، فبعث اليه الناصر بالقطائع والجيوش لقتاله وضيق عليه فصالحه على ماطلب منه ، فأعطاه سبتة وطنجة ، وبقي أبو العيش وأخوته وبني عمه من الأدارسة بمدينة البصرة وأصيلة تحت بيعة الناصر وفي كنفه متمسكين بدعوته ، وجاز قواد الناصر وجيوشه من الأندلس الى العدو يقاتلون من خالفهم من البربر ويستألفونهم ويحملون الطائع على المخالف ، والناصر ممد لمن عجز منهم برجاله ، مقوى لمن ضعف بماله ، حتى ملك أكثر بلاد المغرب وباعه أكثر القبائل من زناتة وغيرهم من البربر ، وخطب له على منابره من مدينة تاهرت الى مدينة طنجة ، ماعدا سجلماسة فانه قام بها في ذلك الوقت منادر البربري ، وباع أهل مدينة فاس الناصر فيمن بايعه من بلاد العدو ، فولا عليها محمد بن الخير بن محمد اليفرنى ثم الزناتى ، وكان من أبسط ملوك زناتة يدا ، وأعظمهم شأنا ، وأحسنهم الى ملوك بنى أمية انحياشا ، وأخلصهم طوية ، وذلك بولاية عثمان بن عفان رضي الله عنه لخدمهم صلوات ابن وزمار اليفرنى (٦٢) واسلامه على يده ، وتقديمه ايساه على قومه من زناتة ، فصارت المحبة لبني أمية وراثه في بنيه من بعده ، فأقام محمد بن الخير أميرا على مدينتي فاس نحو سنة ، ثم ارتحل عنها الى الأندلس برسم جهاد الروم ، واستخلف عليها ابن عمه أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد الزناتى ، وهو الذي بنا الصومعة المباركة بجامع القرويين سنة أربع وأربعين وثلاثمئة ، وفي سنة سبع

(62) في الأصل لخدمهم حرب بن حفص بن صلوات بن وزمار ، والصلوات ان الذي أسلم على يد عثمان هو صلوات بن وزمار كما ذكر ذلك ابن خلدون وغيره ، وصلوات هو جد الأمراء من بنى خزر أمراء تلمسان .

وأربعين وثلاثمئة ولا الناصر بمدينة طنجة وأحوازها يعلا بن محمد
اليفرنى أمير بنى يفرن ، فأنزلها فى قبائل يفرن ، فلمسا رأ أبى العيش
غلبة الناصر على بلاد العدو كتب اليه الى قرطبة يستأذنه فى الجهاد ،
فأذن له ، وأمر أن يبنا له فى كل منزل ينزل فيه قصر من الجزيرة
الخضراء الى الثغر ، وأن يجرا له فيه ألف دينار فى كل يوم ضيافة ،
ومن الفرش والأثاث والطعام والشراب مايقوم بالقصر ، فلم يزل فى ذلك
حتى وصل الى الثغر ، فكانت منازلها فى رحلته من الجزيرة ثلاثين منزلا ،
ولما خرج أبى العيش الى الأندلس برسم الجهاد استخلف على عمله أخاه
الحسن بن كنون ، فمات أبى العيش فى جهاد الروم سنة ثلاث وأربعين
وثلاثمئة رحمه الله تعالى .

الخبر عن دولة الأمير الحسن بن كنون

هو الحسن بن كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى ،
ولى بعد انصراف أخيه الى الغزو الذى مات فيه ، وهو آخر ملوك
الآرسة بالمغرب ، ولم يزل مباحيا للمرانيين متمسكا بدعوتهم الى أن
اتصل الخبر بالشيعى صاحب أفريقية بغلبة الناصر الأموي على جميع
بلاد العدو ، وأن جميع من فيها من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم
ودخلوا فى بيعة بنى أمية ، فعظم الأمر على معد بن اسماعيل ، فبعث
قائده جوهر الرومى فى جيش عظيم يزيد على عشرين ألف فارس من
قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم ، وأمره أن يطأ بلاد المغرب ويذلها
ويستنزل من بها من الثوار ويشد وطأته عليهم ، فخرج جوهر من
القيروان يريد بلاد المغرب ، وذلك فى سنة سبع وأربعين وثلاثمئة ،
فاتصل خبر قدومه بيعلا بن محمد اليفرنى أمير بنى يفرن وخليفة الناصر
لدين الله على بلاد العدو ، فحشد بنى يفرن وجميع قبائل زناتة وتلقاه
فى جيوش عظيمة على مقربة من مدينة تاهرت ، فالتحم الحرب بين

الفريقين فأخرج القائد جوهر الأموال وبذلها في قواد كتامة ، فضمنوا له قتل أمير زناتة يعلا بن محمد اليفرنى ، فلما اشتد القتال صممت عصاية من قواد كتامة وأنجادها وقصدوا الى يعلا بن محمد أمير بنى يفرن فقتلوه واحتزوا رأسه وأتوا به الى جوهر ، فأعطاهم أموالا جليلة بشارة عليه ، وبعث برأسه الى مولاه معد بن اسماعيل ، فطيف به فى القيروان ، وهزم بنو يفرن وتفرق جمعهم بعد قتل أميرهم ، وبعد مدة النائم ملكهم واجتمع فلهم على ولده يدو بن يعلا بن محمد اليفرنى ، وانصرف جوهر بعد قتل يعلا الى سجلماسة ، وكان قد قام بها محمد بن الفتح الخارجى المعروف بواصول بن ميمون بن مدرار الصفرى ، وأدعا الخلافة وتسمأ بأمر المؤمنين ، وتلقب بالشاكر لله ، وضرب بها السكة وكتب عليها اسمه ، وسكته معروف بالشاكرية ، وكانت فى غاية الطيب ، وكان محمد بن الفتح غاية فى اظهار العدل واقامة السنة ، وكان مالكي المذهب ، فنزل عليه جوهر وحاصره بها وضيق عليه حتى دخلها عنوة بالسيف ، وقبض على الشاكر ، وتفرقت عنه جموعه ، وقتل رجاله وحماته من الصفرية ، وأوثقه فى الحديد ، وأتا به أسيرا بين يديه حتى نزل على مدينة فاس ، وذلك فى سنة تسع وأربعين وثلاثمئة ، فحاصرها وأدار بها القتال من كل ناحية مدة من ثلاثة عشر يوما حتى دخلها عنوة بالسيف ، فقتل بها خلقا كثيرا ، وقبض على أميرها أحمد بن أبى بكر الزناتى الذى ولاه الناصر الأموى عليها حين بايعه أهلها ، وقتل حماتها وأشياخها ، ونهب المدينة وسبأ أهلها وهدم أسوارها ، وكان الحادث بها عظيما ، وكان دخول جوهر اياها ضحوة يوم الخميس الموافق لشهر رمضان المعظم سنة تسع وأربعين وثلاثمئة (١٣ نونبر ٩٦٠ م) ثم سار جوهر فى بلاد المغرب يقتل أولياء المروانيين ، ويفتح البلاد والمعقل ، وفرت أمامه القبائل من زناتة وغيرهم ، فأنفذ الأمر بالمغرب ثلاثين شهرا ، ثم انصرف الى مولاه معد بن اسماعيل العبيدى بعد أن دوخ بلاد المغرب وأثنى فيها وقتل حماتها وقطع الدعوة بها للمروانيين وردھا للعبيديين ، فخطب لهم على جميع منابر المغرب ، فوصل القائد جوهر الى المهديّة ،

وحمل معه أحمد بن أبي بكر الزناتى أمير قاس وخمسة عشر رجلا من أشياخها ومحمد بن الفتح أمير سجلماسة أسارا بين يديه فى أقفاص من خشب على ظهور الجمال وعلى رؤوسهم قلانس من لبد مستطيلة مذبة بالقرون ، فطيف بهم فى أسواق القيروان ، ثم حملهم الى المهديّة فأتخلهم بين يديه ، ثم حبسهم بها حتى ماتوا فى سجنها ، وكان الأمير الحسن بن كنون قد بايع العبيديين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب ، فلما انصرف جوهر الى إفريقية فى الآخر تسع وأربعين وثلاثمئة نكث الحسن بن كنون بيعة العبيديين وعاد الى بيعة الروانيين وتمسك بدعوة الناصر ودعوة ولده الحكم المستنصر من بعده خوفا منهم لامحبة فيهم لقرب بلاده منهم ، فلم يزل فى طاعتهم قائما بدعوتهم الى أن قدم بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى من إفريقية قاصدا الى المغرب لأخذ ثأر أبيه ، فقتل زناته واستأصلهم ، وملك المغرب بأسره ، وقطع أيضا منه دعوة الروانيين وقتل أولياءهم ، وأخذ البيعة على جميع بلاد المغرب لعد بن اسماعيل كما فعل جوهر قبله ، فكان أول من سارع الى بيعته ونصره وقتل أولياء الروانيين وقطع دعوتهم من بلاد المغرب الحسن ابن كنون صاحب مدينة البصرة وكشف وجهه فى ذلك وعمل فيه جهده ، فاتصل خبره بالحكم المستنصر فحقد عليه فى ذلك ، فلما انصرف بلكين ابن زيرى الى إفريقية بعث الحكم قائده محمد بن القاسم فى جيش كثيف الى قتال الحسن بن كنون ، فجاز اليه من الجزيرة الخضراء الى سبتة فى خلق عظيم وعدد كثير وقوة وعدة كاملة ، وذلك فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وستين وثلاثمئة (دجنبر ٩٧٢ م) فزحف الى قتاله الحسن ابن كنون فى قبائل البربر ، فالتقا الجمعان فى أحواز طنجة بموضع يعرف بفحص بنى مصرخ فكان بينهما حرب عظيم قتل فيها محمد ابن القاسم قائد الحكم المستنصر ، وقتل معه خلق كثير من أصحابه وفر الباقون فدخلوا سبتة فتحصنوا بها وكتبوا الى الحكم يستغيثون به ، فبعث اليهم قائد عسكري وصاحب حروبه غالبا مولاه ، وكان غالب على غاية الحزم والنجدة والشهامة والدهاء والاقدام ، فأعطاه الحكم أموالا

جليلة وعدة كثيرة وجيوشا واقرة وأمره بقتال العلويين واستنزاهم من معاقلهم ، وقال له عند وداعه : (ياغالب سر مسير من لا اذن له فى الرجوع ، الا حيا منصورا ، أو ميتا معذورا ، ولا تشج بالمال ، وأبسط يدك به يتبعك الناس) ، فخرج غالب بالعساكر والجيوش والعدد ، والأموال عن قرطبة فى آخر شوال من سنة اثنتين وستين وثلاثمئة (غشت ٩٧٣ م) فاتصل خبر قدومه بالحسن بن كنون ، فخاف منه وأخلا مدينة البصرة ، وحمل منها حريمه وجميع أمواله ونذائره الى حصن حجر النسر القريب من سببة ، واتخذة معقلا يتحصن فيه لمنعته ، فجاز غالب البحر من الخضراء الى قصر مصمودة فتلقاه الحسن بن كنون هنالك بجيوشه فقاتله أياما ، وأخرج غالب الأموال فيبعثها الى رؤساء البربر الذين مع الحسن بن كنون ووعدهم وأمنهم ، ففروا عن الحسن وأسلموه حتى لم يبق معه الا خاصته ورجاله ، فلما رأى ذلك سار الى حصن حجر النسر فتحصن به ، واتبعه غالب فحاصره به ونزل بجميع جيوشه عليه ، وقطع عنه الموارد ، وأمدته الحكم بالعرب الذين ببلاد الأندلس كافة ورجال الثغور ، فوصل المدد الى غالب فى غرة المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٢ أكتوبر ٩٧٣ م) فاشتد الحصار على الحسن بن كنون ، فطلب من غالب الأمان على نفسه وأهله وماله ورجاله وينزل اليه فيصير معه الى قرطبة فيكون بها ، فأجابته غالب الى ذلك وعاهده عليه ، فنزل الحسن بأهله وماله وأسلم الحصن الى غالب فملكه ، واستنزل جميع العلويين الذين بأرض العدو من معاقلهم ، وأخرجهم عن أوطانهم ، ولم يترك بالعدوة رئيسا منهم ، وسار الى مدينة فاس فملكها ، واستعمل عليها محمد بن علي بن قشوش فى عدوة القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة فى عدوة الأندلس ، فلم تزل فى يد بنى أمية الى أن غلب عليها زيرى بن عطية الزناتى المغراوى ، وانصرف غالب الى الأندلس ، فحمل معه الحسن بن كنون وجميع ملوك الأدارسة ، وقد وطأ جميع بلاد المغرب ، وفرق العمال فى جميع النواحي ، وقطع دعوة بنى عبيد من جميع أافاقه ، ورد الدعوة الى الأموية الحكيمة ،

فخرج بهم غالب من مدينة قاس في اخر شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٢٤ يونيو ٩٧٤ م) فوصل الى سبته فركب البحر منها واستقر بالخضراء ، فكتب الى الحكم المستنصر بالله يعلمه بقدومه وبمن معه من العلويين ، فلما وصل كتابه الى الحكم أمر الناس بالخروج الى لقائهم ، وركب في جمع عظيم من وجوه أهل دولته ، فتلقاهم ، فكان يوم دخولهم قرطبة أول يوم من شهر محرم سنة أربع وستين وثلاثمئة (الاثنين ٢١ شتنبر ٩٧٤ م) فسلم الحسن بن كنون على الحكم ، فأقبل عليه وعفا عنه ، ووفاء له بعهدده ، وأوسع له ولرجاله في العطاء ، وكانوا سبعمئة رجل أنجادا يعدلون سبعة آلاف من غيرهم ، وأسكنه قرطبة ، فبقي الحسن ابن كنون بقرطبة الى سنة خمس وستين وثلاثمئة ، وكان له قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الجرم ، ظفر بها في بعض سواحله من بلاد العدو أيام ملكه بها فسواها منشورة يتوسد بها ، فبلغ أمير المؤمنين الحكم خبرها ، فسأله حملها اليه وضمها الى ذخائره على أن يرضيه عنها بحكمه ، فامتنع من ذلك وأبى أن يسلمها اليه ، فنكبه عليها وأخذ أمواله وسلبه من جميعها وأخذ القطعة ، فبقيت في خزانته الى أن ظهر علي بن حمود الحسنى على ملك الأندلس ودخل قرطبة وسكن القصر وظفر ببني أمية ، فأصاب تلك العنبرة متاع ابن اعمه الحسن بن كنون قد عقيتها الأيام حتى صارت الى أيدي العلوية اربابها ، ولما نكب الحسن بن كنون وأخذ أمواله أمر به وبالعلوية فأخرجهم من قرطبة وأجلاهم الى الشرق فجوزوا من المرية الى تونس ليستريح من نفقاتهم ، وذلك في سنة خمس وستين وثلاثمئة ، فسار الحسن وبنو عمه الى مصر ، فنزلوا بها على نزار بن معد ، فأقبل عليهم نزار وبالع في اكرامهم ، ووعد الحسن النصره والأخذ بثأره ، فأقام عنده مدة طويلة الى أن دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمئة في أيام هشام المؤيد ، فكتب له نزار بن معد بعهدده على المغرب ، وأمر عامله على أفريقية بلكين بن زيري بن مناد أن يقويه بالجيوش ، فسار الحسن الى بلكين فأعطاه جيشا من ثلاثة آلاف فارس، فاقتحم بهم بلاد المغرب ، فسارعت اليه قبائل البربر بالطاعة ، فشبرع

في اظهار دعوته ، فاتصل خبره بالمنصور بن أبى عامر حاجب هشام
نؤيد القائم بملكه ، فبعث اليه ابن أبى عامر الوزير أبا الحكم عمر بن
عبد الله بن أبى عامر فى جيش كثيف وقلده أمر المغرب وسائر أعماله ،
وأمره بحرب الحسن بن كنون ، فنفذ لوجهه وجاز البحر الى سبتة ،
وخرج الى حرب الحسن ، فأحاط به وحاصره أياما ، ثم جوز المنصور
ابن أبى عامر ولده عبد الملك المظفر فى أثر الوزير أبى الحكم بجيوش
حيلة ، فطلب الأمان على نفسه على أن يصير الى الأندلس كمثل حاله
الاول ، فأعطاه الوزير أبو الحكم ماوثق به ، وكتب الى ابن أبى عامر
المنصور بخبره ، فأمره بتعجيله الى قرطبة موكلا به من يحفظه ، فبعثه ،
ووصل الخبر الى المنصور بقدمه وجوازه ، فلم يمض أمان ابن عمه
وأنفذ اليه بقتله فى طريقه ، فقتل وقطع رأسه ودفن جسده ، وحمل
الرأس الى المنصور ، ودخل فى جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثلاثمئة
كثيرة ممدا له ، فلما رأى ذلك الحسن بن كنون سقط فى يده ولم يجد
(شتنبر - اكتوبر ٩٨٥ م) فكانت دولة الحسن بن كنون الأولى بالمغرب
ست عشرة سنة ، من سنة تسع وأربعين الى سنة أربع وستين وثلاثمئة ،
ومدة إقامته بدولته الثانية سنة واحدة وتسعة أشهر ، فركدت ريح العلوية
بالمغرب وتفرق جمعهم ، وبقي منهم جماعة بقرطبة ، فكانوا فى ديوان
السلطان فى جماعة المغاربة الى أن ملك علي بن حمود الأندلس فسمما
نكرهم ، ولما قتل الحسن بن كنون هبت ريح عاصفة فى الوقت ، فاحتملت
رداء الحسن فلم يوجد بعد ، وكان الحسن بن كنون على ما ذكره ابن
الفياض فظا غليظا شديد الجراة قاسي القلب قليل الشفقة ، كان اذا ظفر
بأحد من أعدائه أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرح من ذروة قلعته
المسماة بحجر النسر ، ويهوى به الى الأرض مد البصر يدفع الرجل
بخشبة تمد اليه فلا يصل الى الأرض الا وقد تقطع .

قسال المؤلف للكتاب

فانقرضت أيام الأدارسة بالمغرب يموت الحسن بن كنون آخر
ملوكهم ، وكانت مدة ملكهم به من يوم بويج مولانا ادريس بن عبد الله

أبن حسن بمدينة ولى ذلك يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومئة الى أن قتل الحسن بن كنون فى شهر جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وثلاثمئة ، وذلك مئتا سنة اثنتان وثلاث سنين سوى شهرين وكان عملهم بالمغرب من السوس الأقصى الى مدينة وهران وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة ، وكانوا يكابدون مملكتين عظيمتين وغالبين كبيرين : دولة العبيديين بمصر وأفريقية ، ودولة بنى أمية بالأندلس ، وكانوا ينازعون الخلفاء الى درك الخلافة ويقعدهم ضعف سلطانهم وقلة مالهم ، وكان سلطانهم اذا اشتد وقوي الى مدينة تلمسان ، واذا اضطرب الحال عليهم وضعفوا لايجاوز سلطانهم البصرة وأصيلة وحجر النسر ، الى أن اعتراهم الادبار والفرقة وانقضت أيامهم وانقطعت مدتهم ، والبقاء لله وحده ، لارب غيره ولا معبود سواه .

الخبر عن الاحداث التى كانت بالمغرب فى أيامهم إلى انقضاءها

كان الرخاء بالمغرب متواليا من سنة ثمان ومئتين الى سنة سبع وأربعين ومئتين ، بيع القمح بمدينة فاس فى أكثر سننى هذه المدة ثلاث دراهم للوسق وأقل وأكثر .

وفى سنة اثنتين وثلاثين ومئتين قحط بلاد الأندلس حتى هلكت المواشى وأحرق الكرم والشجر وكثر الجراد وغلت الأسعار فى جميع الأندلس ، فكانوا يمتازرون من بلاد العدو .

وفى سنة سبع وثلاثين ومئتين قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدعى النبوة ، وتأول القرآن على غير وجهه وتأويله ، فاتبعه خلق كثير من الغوغاء ، وكان من بعض شرائعه أنه ينهى عن قص الشعر وتقليم الأظفار ونسف الإبطين والاستحذاء وأخذ الزينة ، ويقول : لا تبديل ولا تغيير لخلق الله ، فأمر أمير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسا هنين الى بلاد الأندلس ، فشناع بها خبره وأمره ، فتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة ، فبعث اليه ملك الأندلس ، فاستتابه فلم يتب ، فقتله وصلبه وهو يقول عند قتله : اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ! .

وفى سنة ثمان وثلاثين ومئتين توفي الامام عبد الرحمان بن الحكم وفى سنة ثلاث وخمسين ومئتين كان ببلاد العدو والأندلس قحط كثير ، وغاضت المياه ولم يزل القحط يتوالا من سنة ثلاث وخمسين الى سنة خمس وستين .

وفى سنة أربع وخمسين ومئتين كشف القمر كله من أوائل الليل حتى أصبح ولم ينجل .

وفى سنة ستين ومئتين عم الغلاء والقحط جميع بلاد المغرب والأندلس وأفريقية ومصر وبلاد الحجاز كلها حتى رحل الناس عن مكة

الى الشام ، وبقيت خالية ليس بها الا نفر يسير وسدت الكعبة ، فبقيت كذلك مدة ، وكان في بلاد الأندلس والغرب وباء عظيم مع غلاء السعر وعدم الأقوات ، فمات فيها خلق كثير .

وفي سنة ست وستين ومئتين كانت بالسماء حمرة عظيمة من أول الليل الى آخره ، ولم يعهد قبل ذلك مثلها ، وذلك في ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة (١١ أكتوبر ٨٧٩ م) .

وفي سنة سبع وستين ومئتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال (٢٢ ماي ٨٨١ م) منها كانت زلزلة عظيمة ماسمع الناس بمثلها قبلها تهدمت منها القصور ، وانحطت منها الصخور والجبال ، وهرب الناس من المدن الى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقط السقوف والحيضان والدور ، وقرت أنططور عن أوكارها وفراخها ، وماجت في الهواء زمانا حتى سكنت الزلزلة ، وعمت هاذي الرجفة بلاد العدو من طنجة الى تلمسان وجميع بلاد الأندلس سهولها وجبالها من البحر الشامي الى أقصا المغرب ، الا أنها لم يمت فيها أحد لطفا من الله تعالى بخلقه .

وفي سنة ثلاث وسبعين ومئتين توفي الامام محمد بن عبد الرحمان ابن الحكم ملك الأندلس وولي بعد المنذر .

وفي سنة ست وسبعين ومئتين طبقت الفتنة جميع بلاد الأندلس والمغرب وأفريقية .

وفي سنة خمس وثمانين ومئتين كانت المجاعة الشديدة التي عمت جميع بلاد الأندلس وبلاد العدو حتى أكل الناس بعضهم بعضا ، ثم أعقب ذلك وباء ومرض وموت كثير هلك فيه من الناس مالا يحصى ، فكان يدفن في القبر الواحد أعداد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم ، وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة .

وفي سنة تسع وثمانين ومئتين كان الكسوف العظيم للشمس ، كسفت الشمس كلها ، وذلك في يوم الاربعاء التاسع والعشرين من شوال

من السنة المذكورة (الثلاثاء ٦ أكتوبر ٩٠٢ م) وذلك بعد صلاة العصر ، فبدر أكثر الناس بالأذان فى المساجد للمغرب ، فغاب القرص كله وظهرت النجوم ، ثم انجلت بعد ذلك وعادت مضيئة قدر ثلث أو نصف سبعة ، ثم غربت وأعاد الناس الأذان والاقامة والصلاة .

وفى سنة ست وتسعين ومئتين تغلب الشيعة على أفريقية وأخرج عنها بنى الأغلب وقطع ملكهم .

وفى سنة سبع وتسعين ومئتين قطع الشيعة دعوة بنى العباس من أفريقية وأظهر مذهبه وتسميا بأمر المؤمنين وتلقب بالمهدى ، وهو أول نقش دراهمه وتسميا بأمر المؤمنين فى أيامه .

وفى سنة ثلاث وثلاثمئة كانت بالأندلس والعدوة وأفريقية فستن كثيرة ومجاعة عظيمة شبهت بمجاعة عام ستين ومئتين ، بلغت قبها الحاجة مبلغا لأعهد للناس بمثله ، وصل مد القمح ثلاثة دنانير ، ووقع الموت فى الناس حتى عجزوا عن دفن موتاهم .

وفى سنة خمس وثلاثمئة أحرقت النار أسواق مدينة تاهرت قاعدة زناتة ، وأحرقت أسوار مدينة فاس ، وأحرقت أرباض مدينة بياضة من بلاد جوف الأندلس ، وأحرقت أسوار قرطبة ، وذلك فى شهر شوال من سنة خمس وثلاثمئة المذكورة ، (مارس - أبريل ٩١٨ م) ، فسميت سنة النار .

وفى سنة سبع وثلاثمئة كان بالمغرب وبالأندلس وأفريقية رخاء مفرط ووباء كثير وطاعون ، وفيها كانت الريح الشديدة السوداء التى قلعت الأشجار وهدمت الديار بمدينة فاس ، فتاب الناس وخافوا ولزموا المساجد ، وارتدعوا عن كثير من الفواحش والفساد .

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة ملك الأمير موسى بن أبى العافية مدينة فاس واستولا على جميع أعمال المغرب .

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة ادعا النبوة رجل يسما حاسم فى جبال غمارة ودخل فى دينه خلق كثير من غمارة ، والديانة التى شرعها

لهم صلاتان بالنهار ، واحدة عند طلوع الشمس والآخرى عند غروبها ، ثلاث ركعات فى كل صلاة ، ويسجدون ويطون أيديهم تحت وجوههم ، وجعل لهم قرأنا يقرأونه بلسانهم بعد تهليل يهللون به وهو : (خلنى من الذنوب يامن خلا النظر ينظر فى الدنيا ، خرجنى من الذنوب يامن أخرج يونس من بطن الحوت وموسى من البحر) • ثم يقول فى ركوعه أمنت بحاميم وبأبى يخلف صاحبه ، وأمنت بتاليت عمه حاميم ، ثم يسجد ، وكانت تاليت هاذى امرأة كاهنة ، وفرض عليهم صوم يوم الاثنين وصوم يوم الخميس الى الظهر ، وصوم يوم الجمعة وصوم عشرة أيام من شهر رمضان ويومين من شوال ، ومن أفطر فى يوم الخميس عمدا فكفارته أن يتصدق بثلاثة أثوار ، ومن أفطر فى يوم الاثنين فكفارته ثوران ، وفرض عليهم الزكاة والعشر من كل شيء ، وأسقط عنهم الحج والوضوء والتطهر من الجنابة ، وأحل لهم أكل كل انثا خنزير ، وقال : انما حرم قرآن محمد الذكر ، وجعل الحوت لا يؤكل الا بذكاة ، وحرم عليهم أكل البيض وأكل رأس كل حيوان ، فبعث عليه الناصر ملك الأندلس ، فقبض عليه وقتل وصلب بقصر مصمودة ، وبعث برأسه الى قرطبة ، ورجع أتباعه الى الاسلام .

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة دخل القائد ميسور الشيعى مدينة فاس ، فقتل بها ثلاثة آلاف رجل ، وفيها دخل أيضا وارزيغت (٦٣) ومدينة عوسجة من مدائن مكناسة دخلها بالسيف فقتل بهما مايزيد على سبعة آلاف رجل .

وفى سنة سبع وعشرين وثلاثمئة كانت سنة الغمام ، أقام الغمام بالمغرب خمسة أيام لايرا الناس فيها شمسا ولا يرا واحد من الأرض الا موضع قدمه ، فخاف الناس لذلك وأخرجوا الصدقات فتأبوا ، فكف الله عنهم ذالك الغمام •

وفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة توفي موسى بن أبى العافية أمير
مكناسة كلها ،

وفى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة دخل أبو يزيد مخلد بن كيداد
اليفرنى مدينة القيروان وغلب على جميع إفريقية .

وفى سنة تسع وأربعين وثلاثمئة دخل جوهر قائد الشيعة مدينة
فاس بالسيف وقتل خلقا كثيرا ، وحمل أشياخها أسارا إلى إفريقية ، وفتح
سجلماسة وقطع دعوة بنى مدرار عنها ، وفيها ملك عبد الرحمان الناصر
مدينتي سبتة وطنجة من بلاد العدو وبناهما فأصلح أسوارهما ، وقيل بل
ملكهما فى سنة تسع عشرة وثلاثمئة .

وفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة ، نزل برد عظيم كبير الحجر ، زنة
الحجر رطل وأزيد ، قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس ،
وكسر الثمار والشجر ، وكان ذلك اثر قحط شديد وغلاء عام .

وفى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمئة نزل أيضا برد عظيم لم يعهد مثله ،
قتل المواشي وأهلك الثمار ، واستسقا الناس فيه هاذي السنة واستصحوا ،
وجأت السيول العظيمة بجميع المغرب ، وكان بها الرعود القاصفة
والبروق الشديدة ، ودام ذلك أياما كثيرة ، وفيها كانت الريح الشديدة
التي هدمت المباني .

وفى سنة أربع وأربعين وثلاثمئة كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس ،
هلك فيه أكثر الخلق ، وفيها ملك الناصر لدين الله مدينة تلمسان من
أرض العدو .

وفى سنة خمسين وثلاثمئة توفي عبد الرحمان الناصر لدين الله (٦٤)
وفى سنة خمس وخمسين وثلاثمئة كانت ريح شديدة قلعت الأشجار
وهدمت الديار وقتلت الرجال ، وفى ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شهر
رجب الفرد منها (١٠ يوليوز ٩٦٦ م) ظهر فى البحر شهاب ثاقب مائل

(٦٤) فى الأصل بمدينة تلمسان من أرض العدو وهو نص صحيح .

كالعمود العظيم أضاء الليل لسطوع نوره وشبهت بليلة القدر ، وقارب ضوءها ضوءاً النهار ، وفي هذا الشهر كسفت الشمس والقمر ، كسف القمر ليلة أربع عشرة منه ، وطلعت الشمس مكسوفة في اليوم الثامن والعشرين منه

• وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة ملك الشيعي مصر .

• وفي سنة احد وستين كان الجراد بالمغرب .

وفي سنة اثنتين وستين وثلاثمئة دخلت زنادة المغرب وتملكوه ، وتعرف هذه السنة بسنة لقمان المغراوي ، وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبي ميمونة دراس بن اسماعيل .

وفي سنة خمس وستين وثلاثمئة توفي معد بن اسماعيل الشيعي ملك مصر وأفريقية .

وفي سنة ست وستين وثلاثمئة توفي الحكم المستنصر ملك الأندلس ، وولي ولده هشام المؤيد ، وهو ابن عشرة أعوام ، وفيها دخل يعلا بن يدو اليفرنى مدينة مكناسة الزيتون بالسيف .

وفي سنة ثمان وستين وثلاثمئة غلب يعلا بن يدو اليفرنى على مدينة لواتة .

وفي سنة تسع وتسعين وثلاثمئة دخل بلكين بن زيرى بن مناد المغرب ونزل على مدينتي فاس ، فقتل سلاطينهم محمد بن أبي علي بن قشوش صاحب القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الأندلس ، وسار الى بسبنة ، ثم عاد الى أفريقية .

وفي سنة ثمان وستين وثلاثمئة ملك زيرى بن عطية على قبائل زنادة وفي سنة خمس وسبعين وثلاثمئة زحف عسكلجة (٦٥) الى مدينة فاس من الأندلس فدخلها بالسيف وملكها ، وخطب بها لبني أمية ، وبقي محمد بن عامر المكناسي عامل العبيديين بعدوة القرويين الى سنة ست

وسبعين وثلاثمئة ، وهو عام أبى بياش ، فأتى أبو بياش واسمه يطوت بن
بلكين المغراوى ، فدخل عدوة القرويين بالسيف فقبضها ، وقتل عاملها
محمد بن عامر الكناسى ، وخطب بها أيضا لبنى أمية .

وفى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة عم الجراد الكثير بلاد المغرب وقتك
بها .

وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة بلغ الفيض الذي قاضت فيه أودية
المغرب الى غاية لم تعهد .

وفى سنة تسع وسبعين كانت الريح الشرقية بالمغرب ، دامت الى
سنة أشهر فأعقبها الوءاء العظيم والأمراض الكثيرة .

وفى سنة ثمانين وثلاثمئة كان الخلف والرخاء المفرط بالمغرب ، فكان
الزروع لا يجد من يشتريه لكثرتة ، وكان الحراثون يتركونه فى فدادينهم
ولا يحصدونه لرخصه .

الخبر عن دولة زناتة المغراوين واليفرنيين

بالمغرب وقيام ملكهم

أول ملك منهم بالمغرب زيرى بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن
محمد بن خزر الزناتى المغراوى الخزرى ، ملك على زناتة فى سنة ثمان
وستين وثلاثمئة ، فقام فى المغرب بدعوة هشام المؤيد وحاجبه المنصور ابن
أبى عامر ، وذلك بعد انقطاع أيام الأدارسة وبنى أبى العافية الكناسيين
منه ، فغلب زيرى على جميع بوادى المغرب وملك مدينة فاس ، دخلها قواده
عسكلاجة وأبو بياش ، ثم أتا هو بعدهما فدخلها واستوطنها وصيرها دار
ملكه ، وذلك فى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ، فلما ملك مدينة فاس استقام
له أمر المغرب فعلا قدره وقوى سلطانه وارتفع شأنه ، وخالف أبو البهار
ابن زيرى بن مناد الصنهاجى على ابن أخيه منصور بن بلكين أمير إفريقية

وظهير الدولة العبيدية ، وخلع دعوة العبيديين ومال الى دعوة المروانيين ، وغلب على مدينة تلمسان ومدينة تنس ومدينة وهران وشلف وشرشال وجبال ونشريس والمدية وكثير من بلاد الزاب ، وخطب للمؤيد وحاجببه المنصور ابن أبى عامر ، وبعث بيعته لهم ، وذلك فى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ، فلما وصلت بيعته للمنصور ابن أبى عامر بعث اليه بعده على مابيده من البلاد وهدية وخلع وأربعين الف دينار ، فلما قبض المال والهدية أقام على بيعتهم نحو الشهرين ، ثم خلعه وعاد الى العبيديين ، فبلغ ذلك المنصور فغاضه وكتب لزيرى بن عطية بعده على جميع بلاد ابى البهار ، وأمره بقتاله عليها ، فسار زيرى بن عطية من مدينة قاس فى جيوش لاتحسا من قبائل زناتة وغيرهم ، ففر أبى البهار بنفسه أمامه ولحق بابن أخيه منصور بن بلكين وترك البلاد ، فملك زيرى بن عطية مدينة تلمسان وسائر أعمال أبى البهار ، فانبسط سلطانه بالمغرب من السوس الأقصى الى الزاب ، وكتب بالفتح الى المنصور ابن أبى عامر ، وبعث له بهدية عظيمة فيها مئتا فرس من عتاق الخيل وخمسون جملا مهرية سوابق ، وألف درقة من اللمطية وأحمال كثيرة من قسي الزارة (٦٦) وقطوط الزبد والزرافة وأصناف من الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره ، وألف حمل من التمر الجيد فى جنسه ، وأحمال كثيرة من ثياب الصوف الرقيقة ، فسر بها المنصور وكافأه عليها ، وكتب له بتجديد عهده على المغرب ، وذلك فى سنة احدا وثمانين وثلاثمئة ، وأقام زيرى بن عطية بمدينة قاس ، وأسكن قبيله فى أنحائها وبالقرب منها فى قياطينهم الى سنة اثنتين وثمانين فاستدعاه المنصور أن يقدم عليه ، فاستخلف على المغرب ولده المعز ، وأمره بسكنا تلمسان ، واستخلف على دعوة الأندلس من مدينة قاس عبد الرحمان بن عبد الكريم بن ثعلبة ، وعلى دعوة القرويين علي بن محمد بن علي بن قشوش ، وولا قضاء المدينتين الفقيه الفاضل قاسم

66) ذكر ياقوت فى معجم البلدان أنها قرية باقليم طرابلس تصنع بها القسي الفائقة ، وربما كانت هى قرية الزارات الواقعة قرب قابس بالقطر التونسى .

ابن عامر الأزدي ، وسار الى الاندلس ، وحمل بين يديه هدية عظيمة ، من جملتها طير قصيح يتكلم بالعربية والبربرية ! ودابة من دواب السك ومهارة وخشية تشبه الفرس وحيوانات غريبة وأسدان عظيمان فى قفصين من حديد ودمر كثير فى غاية الفخر ، التمرة منه تشبه الخيارة من عظمها وحمل معه من قومه وعبيده ثلاثمئة فارس وثلاثمئة راجل ، فصنع له المنصور بروزا عظيما وانزله بقصر جعفر الحاجب ، ووسع له فى الجرايات والاكرام ، ولقيه باسم الوزير ، وأعطاه مالا جسيما وخلصا نفيسة وصرفه الى عمله ، وجدد له عمله على المغرب وعلى جميع ماغلب عليه منه ، فجاز البحر وحصل بمدينة طنجة ، فلما استقر بها ودخلها وضع يده على رأسه وقال : الآن علمت أنك لى ، واستقل ماوصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة التى سماه بها ، ولقد خاطبه بها بعضهم ، فنهاه عن ذلك ، وقال : ويحك ، وزير ! لا والله الا أمير ابن أمير ، وأعجبا لابن أبى عامر ومخرقته ، لأن تسمع بالمعيذى خير من أن تراه ، ولو كان بالاندلس رجل ماتركه على حاله ، وكان الأمير يدو بن يعلا اليفرنى انتهر الفرصة فى غيبة زيرى بن عطية بالاندلس ، فزحف الى مدينة فاس ، فدخل منها عدوة الاندلس بالسيف وملكها ، وذلك فى شهر ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمئة ، فلما جاز زيرى بن عطية الى طنجة اتصل به خبر يدو بن يعلا وغلبته على فاس ، فأسرع السير نحوه ، فكانت بينهما حروب عظيمة ، وكان الأمير يدو بن يعلا اليفرنى مضاهيا لزيرى بن عطية فى الحسب والفضل والمال ، أمير بنى يفرن كلها ، ويفرن ومغراوة أخوان شقيقان ابنا يصيلتين بن سيرى بن زاكيا بن ورسيح بن جانا بن زناتا ، وكان يدو بن يعلا قد قام بأمر بنى يفرن بعد قتل أبيه يعلا بن محمد حين قتله جوهر بأمر الشيعى سنة سبع وأربعين وثلاثمئة ، فملك كثيرا من بوايدى المغرب ، فكانت بينه وبين زيرى بن عطية حروب كثيرة ومنازعة على الامارة والرياسة ، كان الأمير يدو بن يعلا اذا غلب دخل مدينة فاس ، واذا هزم وغلب زيرى بن عطية أخرجه عنها وملكها ، وكانت الحرب بينهم سجالا ، فلما دخلها فى غيبة زيرى قتل بها خلقا كثيرا من

مغراوة فأتاه زيرى حتى نزل قريبا من المدينة ، فكانت بينهم حروب عظيمة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبنى يفرن الى أن هزمه زيرى ودخل عليه فاسا عنوة فقتله ومثل به ، وذلك فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة ، وبعث برأسه الى المنصور ابن أبى عامر بقرطبة ، وقوي أمر زيرى ابن عطية بالمغرب ، ولم يبق له منازع وهابته الملوك ، وبقي الأمر بينه وبين المنصور ، فبنا مدينة وجدة ، وشيد سورها وقصبتها وركب أبوابها ، وسكنها بأهله وحشمه ، ونقل اليها أمواله وذخائره ، وجعلها قاعدته ودار ملكه لكونها واسطة بلاده ، وكان اختطاط زيرى بن عطية لمدينة وجدة فى شهر جب الفرد سنة أربع وثمانين وثلاثمئة (غشت - شتنبر ٩٩٤ م) ولم يزل زيرى بن عطية فى علو سلطان ، وارتفاع شان ، الى سنة ست وثمانين وثلاثمئة ، ففسد ما بينه وبين المنصور واتصل بالمنصور أن زيرى يستنقصه ويعرض فى شأنه ويتكلم فيه بالقبيح فقطع عنه المنصور ما كان يجريه له فى كل سنة ، فعزم زيرى على خلافه وقتاله ، فقطع ذكره من الخطبة وترك الدعاء له ، واقتصر على ذكر هشام المؤيد خاصة ، فلمّا وصل المنصور أن زيرى خلع طاعته وطرد عماله من المغرب وأجلاهم الى سبتة ، واقتصر على الدعاء للمؤيد خاصة ، أنفذ اليه مولاة واضحا الفتافى جيش عظيم لمحاربتة ، فجاز واضح البحر واستقر بمدينة طنجة ، فأتاه بعض قبائل البربر من غمارة وصنهاجة وغيرهما ، فبايعوه على قتال زيرى بن عطية ومن معه من قبائل زناتة ، وأعطاهم الخلع والأموال ، وبعث اليه المنصور من كان معه بالأندلس من أجناد البربر ، فتكاملت جيوشه ، فخرج بهم واضح نحو زيرى بن عطية من طنجة ، فاتصل خبر قدومه بزيرى بن عطية ، فخرج اليه من مدينة فاس فى عساكر زناتة وغيرهم ، فالتقا الجمعان بوادي رداد (٦٧) فكانت بينهم حروب شديدة مدة من ثلاثة أشهر الى أن هزم واضح الفتا وقتل أكثر جيوشه ، وفر واضح الى طنجة فدخلها مهزوما ، وكتب الى المنصور يخبره بحالته

(67) واد شهير قرب مشرّح ابن القصيرى بدائرة سوق أربحا- الغرب من إقليم القنيطرة.

وهزيمته ويطلب منه ان يمهده بالخيول والأموال والرجال ، فخرج من قرطبة فوصل الجزيرة الخضراء ، فجوز ولده عبد الملك المظفر بجميع عسكر الأندلس وجيوشها وقوادها ، وبقي المنصور وحده ، وأمره بحرب زيرى ابن عطية ، فركب عبد الملك المظفر البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة ، فبلغ زيرى جواز عبد الملك لحربه ، فخافه وأخذ فى الاستعداد للملاقاته ، وكتب الى جميع قبائل زناته يستنصرهم ، فأتته الوفود من بلاد الزاب وبلاد تلمسان وملوية وسجلماسة وسائر بوادى زناته ، فنهض بهم الى قتال عبد الملك المظفر ، وخرج عبد الملك من طنجة ومعه واضح الفتا فى جيوش لائحوا ، فالتقا الجمعان بوادى منى ؟ من أحواز طنجة ، فكانت بينهم حروب لم يسمع قط بمثلها (استمرت) يوما كاملا من طلوع الشمس الى غروبها ، فأتا غلام أسود اسمه سلام كان زيرى قتل أخاه ، فوجد الفرصة فيه لأخذ ثأره منه ، فضربه بسكين فى لبتة يريد نحره ، فجرحه ثلاث جراحات ولم يقض عليه ، فسار الأسود الى عبد الملك المظفر فأعلمه بضربه لزيرى ، فأمكن عبد الملك الفرصة ، فشد بجميع جيشه على زناته وهم فى حال دهشة من جرح أميرهم فهزمهم ، واستمرت الهزيمة على زيرى وأصحابه وكثر القتل فيهم ، واتبعهم عبد الملك بالقتل والسبي ، ومك محلة زيرى بأسرها ، واحتوا على جميع ما فيها من المال والسلاح والابل والكراع والعدة ، فأخذ من ذلك ما لا يوصف ولا يحصى بعدد ، وسار زيرى حتى وصل لموضع يعرف بمضيق الحية بالقرب من مذائن مكناسة فأقام به واجتمع اليه الفل من قومه ، فعزم على الرجوع لمناهضة عبد الملك المظفر ، فاتصل خبره بالمظفر ، فانتخب من عسكره خمسة آلاف فارس وقدم عليهم وأصبحا الفتا ، فالتقا بهم وضرب على محلتهم وهم بمضيق الحية ليلا وهم فى غفلتهم أمنون ، وذلك فى نصف شهر رمضان المعظم سنة سبع وثمانين وثلاثمئة (الثلاثاء ٢١ شتنبر ٩٩٧ م) فأوقع بهم وقعة عظيمة وأسز من أشراف مغراوة نحو الف رجل ، قامت عليهم عبد الملك المظفر وأركبهم ، فكانوا من جنده ، وفر زيرى الى مدينة فاس فى شردمة من أصحابه وبنى عمه ، فغلق أهلها الأبواب فى وجهه ،

فسألهم أن يخرجوا عياله وأولاده ، فأخرجوهم إليه ، وأعطوه الزاد والدواب ، فأخذهم وانصرف إلى الصحراء هاربا أمام المظفر ، فنزل بلاد صنهاجة ، وسار المظفر إلى المدينة فدخلها ، واستقبله أهلها مستبشرين به ، فأحسن لقاءهم ، وكان دخول المظفر إلى مدينة قاس يوم السبت منسلخ شوال سنة سبع وثمانين المذكورة (الخميس ٤ نوفمبر ٩٩٧ م) ، وكتب إلى أبيه بالفتح ، فقرئ الكتاب على منبر جامع الزهراء بقرطبة وعلى منابر قواعد الأندلس كلها شرقا وغربا ، وأعتق المنصور ألفا وخمسمئة مملوك وثلاثمئة مملوكة شكرا لله تعالى ، وفرق أموالا كثيرة لأهل الفقر وذوى الحاجات ، وكتب إلى ولده المظفر بعهدته على المغرب ، وأوصاه بحسن السيرة والعدل ، فقرأ كتابه على منبر جامع القرويين ، وذلك في يوم الجمعة آخر ذى القعدة (٤ دجنبر) من السنة المذكورة ، وانصرف واضح إلى الأندلس ، واستوطن عبد الملك مدينة قاس ، وعدل في أهلها عدلا لم يروه من أحد قبله ، فأقام بها ستة أشهر ، ثم صرفه والده عنها إلى الأندلس ، وبعث إليها عوضا منه عيسا بن سعيد صاحب الشرطة ، فأقام واليا عليها إلى شهر صفر من سنة تسع وثمانين وثلاثمئة فعزله المنصور عنها وعما كان ولاءه من بلاد العدو ، وولا على ذلك واضحا الفتا ، وانصرف عنها عيسا بن سعيد إلى الأندلس ، وذلك في سنة تسع وثمانين المذكورة ، ووصل زيرى بن عطية إلى بلاد صنهاجة فنزل بها ، فوجدتهم قد اختلفوا على ملكهم بادريس بن منصور بن بلكين بعد وفاة أبيه منصور ، فبعث زيرى إلى قبائل زناتة قاتلا منهم خلق كثير من مغراوة وغيرهم ، فاغتنم زيرى تلك الفرصة وزحف بهم إلى صنهاجة ، فأوغل في بلادهم وهزم جيوشهم ، ودخل إلى مدينة تاهرت وجملة من بلاد الزاب ، فملك ذلك مع تلمسان وشلف والمسيلة ، وأقام بها الدعوة المؤيدية ، وحاصر مدينة أشير قاعدة بلاد صنهاجة ، وبقي عليها يقاتلها بالغزو والرواح إلى أن انقضت عليه جراحاته التي حرجه الأسود ، فمات في سنة احدا وتسعين وثلاثمئة (١٠٠١ م) فولي بعده ولده المعز ، فبايعته قبائل زناتة وضبط أمرهم وقام بملك أبيه ، وصالح المظفر المنصور

ابن أبى عامر وقلده أمر المغرب ، فكانت مدة ملكه بالمغرب نحو
عشرين سنة .

الخبر عن دولة الأمير المعز بن زيرى بن عطية

المغراوى بفاس وبلاد المغرب

هو المعز بن زيرى بن عطية المغراوى ، أمة حرة اسمها تكاتيون
بنت مناد بن تبادل المغراوى .

ولي ملك المغرب بعد وفاة أبيه ، وبإيعه قبائل زناتة ، فضبط ملكه
وقام به أتم قيام ، وصالح المنصور ابن أبى عامر ، وقام بدعوته ورجع
الى طاعته ، ولم يزل كذلك الى أن توفي المنصور وولي ولده عبد الملك
المظفر ، فبإيعه أيضا ودعا له على منابرہ ، فعزل المظفر واضحا عن
فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الأندلس ، وكتب الى المعز بن زيرى
ابن عطية بعهدہ ، على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب مدنه وبواديہ ،
وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة ، وشرط له المعز أن يعطيه فى كل
سنة خيلا ودرقا ومالا معلوما يوصله الى قرطبة ، وأعطاه المعز مع ذلك
ولده معنصر رهينة ، فأقام معنصر بقرطبة الى أن قامت الفتنة
بالأندلس وانقضت الدولة العامرية ، والبقاء لله وحده ، ولامعبود سواه ،
فانصرف معنصر الى أبيه المعز (٦٨) ولم تزل بلاد المغرب أيام المعز فى
غاية الهدنة والعافية والرخاء والأمن الى أن توفي فى جمادى الأولى سنة
اثنيتين وعشرين وأربعمئة (أبريل - ماي ١٠٣١ م) فكانت أيامه بالمغرب
ثلاثا وثلاثين سنة ، وولي بعده ولد عمه حمامة بن المعز بن عطية الزناتى
المغراوى ، وقال بعض المؤرخين ولي بعده ولده حمامة بن المعز بن زيرى ،

(68) سياى للمؤلف ما يخالف هذا . انظر حوادث سنة تسع وثلاثمئة فى نصل
(الأحداث التى كانت فى أيام زناتة) الآتى .

ابن عطية وليس بصحيح ، وانما ذلك غلط ووهم منهم اذا اتفقت
أسمائهما وأسمائ أباؤهما ، وانما الوالى بعده ابن عمه حمامة بن المعز
ابن عطية المذكور ، وقيل انه لم يكن للمعز بن زيرى ولد الا معنصر خاصة

الخبر عن دولة الأمير حمامة بن المعز بن عطية

الزناتى المغراوى

هو حمامة بن المعز بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن
خزر الزناتى المغراوى الخزرى ، ملك المغرب بعد وفاة ابن عمه المعز بن
زيرى بن عطية المذكور ، فقام بأمر زناتة واستوطن مدينة فاس ، فقسام
عليه بمدينة سلا الأمير تميم بن زيرى (٦٩) بن يعلا بن محمد بن صالح
اليفرنى وزحف اليه الى مدينة فاس فى قبائل بنى يفرن ، فخرج اليه
حمامة بن المعز من مدينة فاس فى قبائل مغراوة ، فالتقا الجمعان ، فكان
بينهم قتال عظيم مات فيه خلق كثير من مغراوة ، وانهزم حمامة بن المعز
أمام تميم اليفرنى وفر الى مدينة وجدة من أحواز تلمسان ، ودخل
الأمير تميم الى مدينة فاس .

الخبر عن دولة الأمير تميم اليفرنى بمدينة فاس وأعمالها

وهي الدولة الأولى له بها

وهو الأمير ابو الكمال تميم بن زيرى بن يعلا الزناتى ثم اليفرنى
أمير بنى يفرن كلها فى وقته ، ملك مدينة فاس بعد هروب حمامة عنها

١٥٩ فى الأصل تميم بن تميم بن زيرى ، ولعل الصواب تميم بن أبى تميم ، والى الله
المستكنا من هاذو الكنا والالفاظ .

وبهزيمته ، وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وأربعمئة
(ماي ١٠٣٣ م) فأوقع فيها باليهود ، فقتل منهم خلقا كثيرا يزيد على
الستة آلاف يهودي ، وأخذ أموالهم وسبوا نساءهم ، وكان تميم اليفرنى
رجلا مصمما فى دينه الغالب عليه الجهل ، وكان مولعا بجهاد برغواطة ،
كان يغزوهم فى كل سنة مرتين فيقتل منهم ويسبى ، فلم يزل على ذلك
الى أن مات فى سنة ثمان وأربعين وأربعمئة ، فلما كانت سنة اثنتين
وستين وأربعمئة وقتل ولده فى حرب لمتونة أتوا به ليدفوه الى جانب قبر
أبيه تميم ، فسمعوا من قبره تكبيرا عظيما وتشهدا ، فنبشروا قبره
فوجدوه لم يتغير منه شيء ، فرأاه بعض قرابته فى النوم تلك الليلة
وقال له : ماذلك التسبيح والتكبير والتشهد الذي سمعنا من قبرك ؟ قال
ملائكة وكلهم الله تعالى بقبري يكبرون ويهللون ويسبحون ويكون أجر
ذلك لى فلا يقطع لى عمل الى يوم القيامة ، قال له : وبم نلت ذلك
وبلغت من الله تعالى هاذي المنزلة حتى أكرمك هاذي الكرامة ؟ قال
بجهادي فى الكفرة برغواطة وفعلى فيهم فى كل سنة ، فأقام الأمير
تميم بمدينة فاس مدة من سبعة أعوام ، ووصل حمامة بن المعز الى وجدة
فأقام بها سنة وقد تفرقت عنه جيوشه وتمزقت جموعه ، فلما رأى ذلك
خرج من مدينة وجدة الى مدينة تنس ، وكتب الى قياثل مغراوة ،
فاجتمعوا اليه بها ، وأقام حركة وزحف بجيوش مغراوة الى مدينة فاس
فملكها ، وفر عنها تميم اليفرنى الى مدينة شالة ، وذلك فى دولته
الثانية فى ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمئة ، وأقام حمامة بن
المعز على ملك مدينة فاس وكثير من أعمال المغرب ومدنه الى أن توفي
فى سنة أربعين وأربعمئة فكانت أيامه بالمغرب ثمان عشرة سنة ، غلب
فيها تميم اليفرنى بمدينة فاس نحو خمسة أعوام أو سبعة على اختلاف
فى الروايات ، وولى بعد حمامة ولده دونا

الخبر عن دولة الأمير دوناس بن حمامة

هو دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي ، ولي بمدينة فاس وأحوازها وجميع ماكان بيد أبيه من أعمال المغرب ومدنه ، وكانت أيامه أيام دعة وهدنة ورخاء كثير ، وفي أيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من جميع النواحي والبلاد ، فسأدار دوناس السور على الأرباض ، وبنا المساجد والحمامات والفنادق ، فصارت حاضرة المغرب ، ولم يشغل دوناس من يوم ولي الى أن توفي الا بالبناء والتشييد ، وتوفي دوناس بمدينة فاس في شهر شوال من سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة (نوبر ١٠٦٠ م) ، فولي بعده ولداه الفتوح وعجيسة ، فكان الفتوح على عدوة الأندلس ، وعجيسة على عدوة القرويين ، وكانت أيام دوناس بن حمامة اثنتين وعشرين سنة تنقص قليلا

الخبر عن دولة الأخوين الأميرين الفتوح وعجيسة

ابني الأمير دوناس بن حمامة

لما توفي دوناس ولي بعده الفتوح وهو الأكبر ، فاستوطن عدوة الأندلس من مدينة فاس ، وولا أخاه عجيسة على عدوة القرويين ، وكان أصغر منه سنا الا أنه كان شهما ، فقام عليه بعدوة القرويين ، فكان بينهما الحرب على الدوام ، وبنا الفتوح بعدوة الأندلس قصبة منيعة بالموضع المعروف بالكذان ، وبنا أيضا أخوه عجيسة قصبة مثلها برأس عقبة الصعتر من عدوة القرويين ، وكثرت العداوة ، فكانا لايزالان يقتتلان ليلا ونهارا ، فكثر الخوف في أيامهما بالمغرب وغلت الأسعار واشتدت المجاعة وعظم الهرج وقويت الفتن في جميع نواحي المغرب ، وظهرت لتونة على أطراف البلاد فملكوها ، والحرب بين الأخوين عجيسة

والفتوح على الدوام والاستمرار ، ليس لأهل المدينة شغل إلا القتال أثناء الليل وأطراف النهار الى أن ظفر الفتوح بأخيه عجيسة فقتله .

والفتوح بن دوناس هو الذى بنا باب الفتوح من مدينة فاس بسورها القبلى وبه عرفت الآن ، وأخوه عجيسة هو الذى بنا باب عجيسة من أبواب عدوة القرويين برأس عقبة الصعتر من ناحية الجوف وسماها باسمه ، فلما ظفر الفتوح بأخيه عجيسة وقتله أمر الناس بتغيير اسم الباب الذى بناه أخوه وترك اضافته اليه ، فأسقط الناس العين من عجيسة وأدخلوا عوضا منها الألف واللام ، فقالوا الجيسة ، فبقى ذلك الى الآن ، وكانت مدة اقامة الفتوح يحارب أخاه عجيسة ثلاثين متوالية الى أن دخل عليه عدوة القرويين ليلا بالغدر فقتله وملك العدوتين ، ولم يزل الفتوح على ملك مدينة فاس الى أن أناه لمتونة ، فنزلوا عليه وضيقوا عليه بالحصار والغارات ، فتخلا عنها ووليها ابن عمه معنصر بن حماد ابن معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية ، وذلك فى سنة سبع وخمسين وأربعمئة ، وكانت أيام الفتوح خمسة أعوام وسبعة أشهر ، وكلها فى شدة وخوف ومجاعة وحرب وغلاء مفرط ، أغادنا الله وإياكم منه .

الخبر عن دولة الأمير معنصر بن حماد بن معنصر

ابن المعز بن زيرى بن عطية المفاوى بمدينة فاس

لما تخلل الفتوح بن دوناس عن ملك مدينة فاس ولي ابن عم أبيه معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية ، فبايعته قبائل مغراوة الذين بها ، وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة سبع وخمسين وأربعمئة (غشت ١٠٦٥ م) وكان معنصر ذا حزم ورأى وتدبير وإقدام وشجاعة ونجدة ، فبقى أميرا على مدينتي فاس يحارب لمتونة الى أن اشتد عليه الأمر وعظمت الخروب فى بعض الوقائع ففقد ، فلا يدري

ما فعل الله به وذلك فى سنة ستين وأربعمئة (٧٠) ودخل اللمتونيون مدينة فاس مع أميرهم يوسف بن تاشفين الصنهاجى بعد فقد معنصر بن حماد بخمسة أيام ، وهي الدخلة الثانية (٧١) لهم بهادخلوها طحا بالآمان فأقام الأمير يوسف بن تاشفين أياما ، ثم ارتحل عنها الى جبل غمارة وترك بها عامله فى مئة فارس من لتونة ، فأتا تميم بن معنصر فى جمع عظيم من زناتة ، فدخلها على من بقي من لتونة وقتلهم ومثل بهم بالحرق والصلب ، وأقام بها ملكها وضبطها ، ولم يزل يقاتل بها الى أن اشتد عليه الحصار فدخلها عليه الأمير يوسف بن تاشفين عنوة بالسيف بعد حروب كثيرة ، وهي الدخلة الثالثة (٧٢) الكبرا قتل بها من مغراوة وبنى يفرن فى جوامعها وأزقتها مايزيد على العشرين ألف رجل ، وذلك فى سنة اثنتين وستين وأربعمئة ، فكانت أيامه بها نحو سنتين ، وكانت أيام مغراوة وبنى يفرن بالمغرب نحو مئة سنة ، وذلك من سنة اثنتين وستين وثلاثمئة الى سنة اثنتين وستين وأربعمئة وفى أيامهم تمدنت فاس وعظم شأنها . وبنيت الأسوار على أرباضها . وحصنت أبوابها . وزيد فى جامعها القرويين والأندلس ، زيادة كثيرة ، واتسع الناس فسى أيامهم فى البناء ، فكبرت المدينة وكثرت الخيرات بها ، واتصل الأمن والرخاء بطول أيامهم الى أن ظهر المرابطون بالمغرب وقد ضعفت أحوال مغراوة ونقص ملكهم وجاروا على رعيقتهم فأخذوا أموالهم وسفكسوا دماءهم وتعرضوا لحرمتهم ، فانقطعت عنهم الموارد وكثر الخوف فى البلاد ، وغلت الأسعار ، وتبدل الرخاء بالشدة ، والأمن بالخوف ، والعدل بالجور ، وتوالا منهم ظلم وعدوان على رعيقتهم ، وغلاء مفرط لم يسمع بمثله ، وفتنة شديدة ، فاتصل الجوع والغلاء ، وعدمت الأقوات فى مدينة فاس وأعمالها أيام الفتوح بن دونائس وأيام ابن عمه معنصر

(70) دخل المرابطون فاس الدخلة الأولى سنة 455 هـ .

(71) فى الأصل الدخلة الأولى .

(72) فى الأصل الدخلة الثانية .

وأيام ولده تميم بن معنصر الى أن بلغ الدقيق بمدينة فاس وغيرها من البلاد المغربية القريبة منها أوقية بدرهم ، وعمدت الأقوات فيها بالكلية ، فكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يدخلون على الناس فى ديارهم فيأخذون مايجدون فيها من الطعام ويتعرضون لتسائهم وصبيانهم ، ويأخذون أموال التجار ، فلا يقدر أحد ان يصدهم عن ذلك ولايتجراً أن يكلمهم فيه ، ومن لم يوافقهم فى شيء من ذلك أو صدهم عنه قتلوه ، وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على جبل العرض (٧٣) فينظرون الى الدير التى بالمدينة ، فأى دار رأوا فيها دخانا قصدوا اليها فدخلوها وأخذوا ما يجدون بها من الطعام ، فلما فعلوا ذلك سلبهم الله ملكهم ، وغير نعمته لديهم ، فان الله لا يغير نعمة قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فسلط الله عليهم المرابطين ، فأزالوا ملكهم وشتتوا جمعهم وقتلوه وأخرجوهم عن بلاد المغرب بأسره ، وفى أيام جورهم اشتد الجوع بالمغرب ، فأتخذ أهل فاس المطامير فى بيوتهم وديارهم للخن والطحن والطبخ ليلا يسمعون دوي الرحا ، وفيها أيضا اتخذوا غرفا لا أدراج لها ، اذا كان عشي النهار طلع الرجل فيها بسلم هو وعياله وأولاده ، ثم رفع السلم معه ليلا يدخل عليه فجأة .

الخبر عن الأحداث التى كانت بالمغرب

فى أيام زناتة من مغراوة وبنى يفرن

وذلك من سنة 380 إلى سنة 462

فى سنة احدا وثمانين وثلاثمئة كان قحط شديد ببلاد المغرب والأندلس وأفريقية ، جفت من أجله المياه جفوا كثيرا ، وجاء هاذة السنة بوادى سجلماسة سيل عظيم لم يعهد مثله ولم ير بتلك الأرض كلها فى

تلك السنة مطر ، فعجب الناس من ذلك •

وفيها كانت المجاعة الشديدة بأفريقية والأندلس والمغرب ، ودامت
المجاعة ثلاث سنين ، من سنة تسع وسبعين الى سنة احدا وثمانين •

وفيها ظهر نجم فى السماء ، وذلك فى ليلة الخميس الثالث والعشرين
من شهر رجب من العام المذكور (٥ أكتوبر ٩٩١ م) ، كان هاذن النجم فى
رأى العين كالصومعة العظيمة ، طلع من جهة المشرق وتهاقت جريا من
بين المغرب والجوف ، وتطايير منه شرر عظيم فزع الناس منه ودعوا الله
تعالا فى صرف مكروهه عنهم ، وكسف بالشمس فى آخر هاذن الشهر ،
قاله ابن الفياض فى كتاب القبس ، وقال ابن مزين : كان ذلك فى سنة
ثمانين وثلاثمئة •

وفى آخر احدا وثمانين أغاث الله تعالا الأمة وتداركهم بالرحمة
ومطر الناس مطرا عاما ، وأكلت الأرض وحطت الأسعار ، وحيى الناس
وانتعشت البيهائم والدواب •

وفيها أتا الجراد الكثير فوق النهاية ، عم جميع بلاد الأندلس فشرح
بها ، وكان جله وأكثره بقرطبة حتى كثر به الأذا وعظم به المبالء ، فأبرز
المنصور الأموال للناس وأمرهم بجمعه وعقره ، وجعل جمعه وظيفة كل
أحد بقدر طاقته ، وأفرد له سوقا لبيعه من جانب السوق ، وتمادا أمر
هاذا الجراد ثلاث سنين من سنة احدا وثمانين وثلاثمئة الى آخر سنة
ثلاث وثمانين •

وفى سنة احدا وثمانين المذكورة نبذ يدو بن يعلا طاعة المنصور ابن
أبى عامر •

وفيها ولي (عبد الرحمان) ابن ثعلبة عدوة الأندلس من فاس ، وولي
(علي) ابن قشوش عدوة القرويين •

وفيها ولي الفقيه عامر بن القاسم قضاء المدينتين : الأندلس
والقرويين •

وفى سنة اثنتين وثمانين دخل يدو بن يعلا اليفرنى عدوة الأندلس
من فاس بالسيف .

وفىها جاء السيل الطائل بقرطبة فأذهب أسواقها ، وعلا
على الزهراء .

وفىها كانت الريح الشديدة بالمغرب وهدمت الديار وأفسدت الثمار
وفىها قطع المنصور ابن أبى عامر من الكتب خاتم المؤيد ، واقتصر
على خاتمه فسمي المؤيد من تلك السنة .

وفىها كان الكسوف الذي أذهب القرص كله .

وفى سنة أربع وثمانين وأربعمئة ولد الفقيه الظاهري أبو محمد
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب مولي زيد بن أبى سفيان ، وله
تأليف جمة فى أنواع العلوم ، وتوفى سنة ست وخمسين وأربعمئة .

وفىها توفي الفقيه الجليل موسى بن يحيى الصديقي .

وفى سنة خمس وثمانين كانت الرياح الهائلة التي هدمت المباني
بمدينة تلمسان وأحوازاها واقتلعت الأشجار العظام ونظر الناس إلى
البهائم تمر بين السماء والأرض ، نعوذ بالله من سخطه .

وفى سنة أحدا وتسعين وثلاثمئة توفي الأمير زيري بن عطية وولي
بعده ولده المعز .

وفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمئة توفي المنصور بن أبى عامر ملك
الأندلس فى شهر رمضان منها وهو بالثغر قافلا من غزوة له ، فدفن فى
مدينة سالم ولحد فى الغبار الذى كان يعلوه فى غزواته ، فانه كان اذا
خرج إلى غزوة تنفض أثوابه فى عشي كل يوم على انطاع من جلد ،
ويضم مايقع منها من الغبار ، فاجتمع له من ذلك كثير ، فلما مات لحد
فيه وكان سنه يوم توفي خمسا وستين سنة .

وفى سنة تسع وتسعين وثلاثمئة توفي ولده عبد الملك الوالي بعده
مسموما ، وولي بعده أخوه عبد الرحمان ، فبعث إليه المعز بن زيري بن

عطية بهدية عظيمة ، فيها مئة وخمسون فرسا ، وكان ولده معنصر مرتبها عنده بقرطبة ، فأحضر الحاجب عبد الرحمان ابن المنصور معنصر بن المعز حين وصلت الهدية ، فخلع عليه وعلى الرسل الذين قدموا عليه بالهدية وبعثه الى أبيه مكرما (٧٤) فجمع المعز كل فرس كان عنده وبعث به الى قرطبة وكان مبلغها تسعمئة فرس ، ولم تصل من المغرب الى الأندلس هدية أعظم منها •

وفى سنة احدا وأربعين وثلاثمئة توفي الفقيه القاضى العدل الورع الصالح عبد الله بن محمد ابن محسود الهوارى (٧٥) بمدينة فاس وولى القضاء مكانه بها الفقيه العالم القاضى العدل محمد بن أبى شعيب ، فبقي على قضاء مدينة فاس ستا وعشرين سنة الى أن قتل هو وبنوه ، قتلهم الأمير دوناس بن حمامة المغراوى ، وكان القاضى ابن محسود من قضاة العدل وأئمة الفضل زاهدا فى الدنيا مقبلا على الله تعالى على قدم التجريد ، لما مات لم يترك غير سجادة مصلاه وقعب يتوضأ فيه ومصحفه الذى كان يقرأ فيه رحمه الله تعالى •

وفى سنة ثلاث وأربعمئة غلب الأمير المعز بن زيرى بن عطية على مدينة سجلماسة •

وفى سنة ست وأربعمئة طلع الكوكب الوقاد فى السماء ، وكان عظيم الجرم كثير الضياء ، يطلع فى الأفق الشرقى ، قال بعض المنجمين ان ذاك النجم يعرف بالمضيء من ذوات الأذئاب ، وهو نجم هائل المنظر مفرط الضياء شديد الاضطراب والحركة ، له ذوائب أربع محددة الاطراف ، وهو أحد النيرات الاثني عشر الذى ذكرها الأوائل ، ورصدها علماءهم فى المدة الطويلة ، وزعموا أنه لا يظهر منها كوكب الا لقضية يحدثها فى العالم ، والله أعلم بغيبه ، وكان ابتداء ظهوره فى أول شعبان من سنة ست وأربعمئة المذكورة ، طلع أول ظهوره قبل وقت المغرب

(74) هذا مخالف لما تقدم .

(75) انظر ترجمته فى التشوف ع 17 و سلوة الأنفاس 3 : 160 و جدوة الاقتباس ص 235 .

ثم تقهقر الى أن طلع فى الليل ، وأقام مدة من ستة أشهر ثم غاب ، وكان
بهاذه السنة رياح كثيرة وبروق خاطفة ورجود قاصفة دون مطر .

وفى سنة سبع وأربعمئة انقرضت الدولة الأموية بالأندلس ، وقامت
بها الدولة الحمودية ، وكان مبلغ مدتهم بها سنتي سنة وستين سنة وثلاثة
وأربعين يوما .

وفىها كان بالمغرب والأندلس وأفريقية قحط شديد ومسغبة عامسة
ووباء كثير .

وفى سنة احدا عشرة وأربعمئة اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من
تيهرت الى سجلماسة ، وكثر الفناء فى الناس .

وفىها ظهر الثوار على بلاد الأندلس ، وبدأت بها ملوك الطوائف ،
واستبد كل واحد منهم بجهة .

وفى سنة ثلاث عشرة وأربعمئة توفي الفقيه عبد الرحيم ابن العجوز
بفاس (٧٦) .

وفى سنة خمس عشرة كانت الزلزلة العظيمة ببلاد الأندلس التي
هدمت الجبال واضطربت بها الأرض وهدمت الديار من شدتها .

وفى سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة توفي الأمير المعز بن زيري بن
عطية بفاس ووليها حماسة ابن عمه .

وفى سنة ثلاثين وأربعمئة توفي الفقيه أبو عمران الفاسى رحمه
الله فى مدينة القيروان .

وفى سنة احدا وثلاثين وأربعمئة توفي القاضى اسماعيل بن عباد
القائم باشبيلية .

وفى سنة ثمان وأربعين وأربعمئة دخل الأمير أبو بكر بن عمر

(76) فى الأصل وفى سنة سبع عشرة وأربعمئة ، انظر ترجمة عبد الرحيم ابن العجوز فى
شجرة النور الزكية I : 115 وانظر بيوتات فاس الكبرى ص 41 - 68 .

اللمتونى المغرب •

وفى سنة احدا وخمسين وأربعمئة قتل الفقيه عبد الله بن ياسين
الجزولى مهدى لمتونة ، قتله مجوس برغواطة ، فمات شهيدا •
وفى سنة اثنتين وخمسين دخل المهدي بن كلاتو بن توالى مدائن
مكناسة •

الخبر عن ظهور الدولة المرابطية للمتونية

وقيامها بالمغرب والقبلة وبلاد الأندلس

وذكر ملوكهم ومدة أيامهم إلى انقضائها وذهابها

ذكر محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني صاحب كتاب
الاكلیل فى الدولة الحميرية أن لمتونة فخذ من صنهاجة ، وصنهاجة فخذ
من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير ، وأن الملك أفريقيش بن أبرهة ندى
المنار بن الحرث الرائش بن شداد بن الملطاط بن عمرو بن الصوار بن
عبد شمس بن وائل بن حمير لما ملك حمير خرج غازيا نحو بلاد المغرب ،
وأرض أفريقية ، فلما توغل بالمغرب بنا مدينة أفريقية ، وهي مشتقة من
اسمه ، وخلف بها من قبائل حمير وزعمائها صنهاجة ليردوا البربر على
شاكلتهم ويأخذوا خراجهم ويدبروا أمرهم •

وروا أبو عبيدة عن ابن الكلبي أن أفريقيش لما نقل البربر عن الشام
ومصر الى المغرب وبنا مدينة أفريقية وأنزل العرب منازلهم من المغرب
ترك فيه قبيلتين من دهاته ، وهما صنهاجة وكناسة ، فهما فى البربر
الى اليوم •

وقال الزبير بن بكار أن صنهاج أيا صنهاجة ابن حمير بن سبأ
ولد حمير بن سبأ لصلبه •

وقال أبو فارس عبد العزيز الملويزى الشاعري رحمه الله فى

ارجوزته فى التاريخ المسماة بنظم السلوك فى الأنبياء والخلفاء والملوك (٧٧) مرابطون أصلهم من حمير قد عدت أنسابهم عن مضر كانوا ملوكا فى الزمان الأول وأمرهم وحالهم لم يجهل وقد رأيت فى كتاب النسب قولاً به أعجز أهل الأدب بأن صنهاج سليل حمير وهو ابنه لصلبه لا العنصر أكرم به من نسب صريح فقله لا تخف من التصريح عدلهم وفضلهم مشهور ومجدهم وسعدهم مذكور قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا فى غربنا وبلغوا فيه المنا وقيل صنهاج فخذ من هواره ، وهواره فخذ من حمير يمانيون من ولد الصوار بن وائل من حمير ، وإنما سموا هواره لأن أباهم المشهور لما جال فى البلاد ووقع بالمغرب بقبلة القيروان من بلاد أفريقية قال : لقد تهورت فى البلاد ، فسموا هواره بذلك والله أعلم .

وتنقسم صنهاج على سبعين قبيلة ، منهم لتونة ، وكدالة ، ومسوفة ولطة ، ومسرانة ، وتكلاتة ، ومنداسة ، وبنى وارث ، وبنى مسفير ، وبنى دخير ، وبنى زياد ، وبنى موسا ، وبنى لماس ، وبنى فشتال ، وفى كل قبيلة بطون وأقخاذ وقبائل أكثر من أن تحصى ، وهاذه القبائل كلها صحراوية ، حوز بلادهم فى القبلة مسيرة سبعة أشهر طولا ومسيرة أربعة أشهر عرضا ، من نول لطة الى قبلة القيروان من بلاد أفريقية ، وهي ما بين بلاد البربر وبلاد السودان ، ومنهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرا ولا ثمارا ، وإنما أموالهم الأنعام ، وعيشهم اللحم واللبن ، يقيم أحدهم عمره لا يأكل خبزا الا ان يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق ، وكثيرهم على السنة والجماعة يجاهدون السودان .

وكان أول ملك منهم بالصحراء يتلوتان بن تلاكاكين الصنهاجى الممتونى ، ملك بلاد الصحراء بأسرها ، ودان له بها أزيد من عشرين

ملكا من ملوك السودان ، كلهم يؤدون له الجزية ، وكان عمله مسيرة ثلاثة أشهر فى مثلها ، كلها عامرة ، وكان يركب فى مئة ألف نجيب ، وكان فى أيام الامام عبد الرحمان القائم بالأندلس ، ودامت أيامه وطال عمره نحو من ثمانين سنة الى أن توفي فى سنة اثنتين وعشرين ومئتين فكانت أيامه خمسا وستين سنة ، فولي بعده حفيده الأثير بن فطر بن يتلوتان المذكور ، فقام بأمر صنهاجة الى أن توفي سنة سبع وثمانين ومئتين ، فكانت أيامه خمسا وستين سنة ، فولي بعده ولده تميم بن الأثير ، فأقام ملكا على قبائل صنهاجة الى سنة ست وثلاثمئة ، فقامت عليه أشياخ قبائل صنهاجة ، فقتلوه وافترق أمرهم ، فلم يجتمعوا على أحد بعده ، فاختلفت كلمتهم ، وتفرقت أهواؤهم مدة من مئة وعشرين سنة ، الى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفافوت المعروف بتارشتا اللمتونى ، فاجتمعوا عليه وقدموه على أنفسهم ، وكان من أهل الدين والفضل والصلاح والحج والجهاد ، فأقام أميرا على صنهاجة مدة من ثلاثة أعوام الى أن استشهد فى غزاة له بموضع يقال له بغارة ، وهم قبائل من السودان يسكنون بمقربة من مدينة تاتكلاتين غربا منها ، كانوا على دين اليهودية ، ومدينة تاتكلاتين يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون ببني وارث ، وهم قوم صالحون على السنة والجماعة ، وأسلموا على يد عقبة بن نافع الفهري أيام فتحه للمغرب ، وهم يجاهدون السودان الذين هم على غير الاسلام ، فلما توفي الأمير أبو عبد الله بن تيفافوت اللمتونى ولي أمر صنهاجة بعده صهره يحيى بن ابراهيم الكدالى .

الخبر عن دولة الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالى

وقيامه بأمر صنهاجة

ولي الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالى بعد وفاة محمد بن تارشتة اللمتونى ، وكدالة ولتونة اخوة يجتمعون فى أب واحد ، وهم يسكنون الآخر بلاد الاسلام ، ويحاربون السودان ، ويلبهم من جهة المغرب البحر المحيط ، فأقام الأمير يحيى بن إبراهيم على رئاسة صنهاجة وحروبهم مع أعدائهم الى سنة سبع وعشرين وأربعمئة ، فاستخلف ولده إبراهيم بن يحيى على رئاسة صنهاجة وحروبهم مع أعدائهم ، وارتحل الى المشرق برسم حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه السلام ، فوصل وقضا حجه وزيارته وقصد الى بلاده ، فمر فى طريقه بمدينة القيروان فلقى بها الفقيه الصالح أبا عمران موسى بن الحاج الفاسى ، كان قد رحل من مدينة فاس فاستوطن القيروان يأخذ عن أبى الحسن القابسى ، ثم رحل الى بغداد ، فحضر بها مجلس الفقيه القاضى أبى بكر بن الطيب ، فأخذ عنه علما كثيرا ، ثم عاد الى القيروان ، فلم يزل بها الى أن توفي رحمه الله لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم سنة ثلاثين وأربعمئة فلما وصل يحيى بن إبراهيم الكدالى الى القيروان ألفا بها أبا عمران الفاسى يدرس العلم ، فجلس اليه وسمع منه ، فراه أبى عمران محبا فى الخير فأعجبه حاله ، فسأله عن اسمه وبلده ونسبه فأخبره بذلك وأعلمه بسمه بلاده وماقيها من الخلق ، فقال له وما ينتحلون من المذاهب ؟ فقال له انهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كثير علم ، فاختره الفقيه وسأله عن واجبات دينه ، فلم يجده يعرف منها شيئا ، ولا يحفظ من الكتاب والسنة حرفا ، الا أنه حريص على التعلم ، صحيح النية والعقيدة واليقين ، جاهل بما يصلح دينه ، فقال له ما يمنعك من التعلم للعلم ؟ فقال له ياسيدي ان أهل بلادي قوم عمهم الجهل ، وليس فيهم من يقرأ القرآن ، وهم مع ذلك يحبون الخير ويرغبون فيه ويسارعون اليه لو وجدوا من يقرئهم

القرآن ويدرس لهم العلم ويفقههم في دينهم ، ويدعوهم إلى العمل بالكتاب والسنة ويعلمهم شرائع الاسلام ، ويبين لهم سذن النبي عليه السلام ، فلو بغيت الثواب من الله تعالى بتعليمهم الخير لبعثت معي إلى بلادنا بعض طلبتك وتلاميذك يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين ، فينتفعون به ويسمعون له ويطيعون فيكون لك في ذلك الأجر العظيم والثواب الجسيم عند الله ، ان تكون سببا لهدايتهم ، فندب الشيخ الفقيه أبو عمران تلاميذه إلى ذلك فامتنعوا وأشفقوا من دخول الصحراء ، ولم يجبه منهم أحد ممن يرضاه الشيخ ، فلما ينس منهم قال : انى أعرف ببلاد نفيس من أرض المصامدة فقيها حاذقا تقيا ورعا لقينى هنا وأخذ عنى علما كثيرا وعرفت ذلك منه، واسمه واجاج بن زلو اللمطى من أهل السوس الأقصا ، وهو الآن يتعبد ويدرس العلم ويدعو الناس إلى الخير فى رباط هنالك ، وله تلاميذ جمة يقرءون عليه العلم ، أكتب له كتابا لينظر فى تلاميذه من يبعثه معك فسر اليه ، فعنده تجد ماتريد ، فكتب اليه الفقيه أبو عمران كتابا فيه : سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد اذا وصلك حامل كتابى هاذا وهو يحيى بن ابراهيم الكدالى فابعث معه إلى بلاده من طلبتك من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويفقههم فى دينهم وله ولك فى ذلك الثواب والأجر العظيم ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، والسلام ، فسار يحيى بن ابراهيم الكدالى بكتاب أبى عمران حتى وصل إلى الفقيه واجاج بن زلو اللمطى بمدينة نفيس ، فسلم عليه ودفع اليه الكتاب ، وذلك فى شهر رجب الفرد فى سنة ثلاثين وأربعمئة فقرأ الفقيه واجاج بن زلو الكتاب ، وجمع تلامذته فقرأ عليهم ، وندبهم لما أمره به الشيخ أبو عمران الفاسى ، فانتدب لذلك رجل منهم جزولى النسب يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولى ، وكان من حذاق الطلبة الأذكاء النبهاء النبلاء من أهل الدين والفضل والتقا والورع والفقه والأدب والسياسة ، مشاركاً فى العلوم ، فخرج مع يحيى بن ابراهيم حتى وصل بلاد كدالة ، فالتقاه قبائل كدالة ولمتونة بالسورور وفرحوا به غايّة ، وبالغوا فى اكرامه وبره .

الخبر عن دخول الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى

صنهاجة وقيامه بها مع لمتونة والمرابطين من قبائل صنهاجة

هو الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى المجاهد المرابط الورع الزاهد
الصوام القوام ، مهدي المرابطين .

لما وصل بلاد كدالة مع ابراهيم بن يحيى الكدالى فرح به قبائل لمتونة
وأكرموه وعظموه لما ذكر لهم يحيى عنه من العلم والفضل ، وكان يحيى قد
أنزله معه ، فوجد عنده تسع نسوة ، فسأله عنهن ، فقال : هن زوجاتي ،
فقال له الفقيه : هاذا شيء لايجوز فى دين الاسلام ، وانما يجوز لك اربع ،
ففارق خمساً ، فأجاب به بالسمع والطاعة وفارقهن ، ثم قال له ان جميع
الرؤساء من كدالة ولمتونة على مثل حالى ، فأنذرهم وعرفهم حكم الله ،
فخرج الفقيه عبد الله بن ياسين ويحيى معه وجمع الرؤساء فقال لهم :
بلغنى أنكم تتزوجون بما شئتم من النساء ، حتى ان الشخص منكم يجمع
بين العشرة ، وليس هاذا من السنة ، وانما السنة والاسلام أن يجمع
الرجل بين أربع نسوة حرائر ، وله سعة فيما شاء من ملك اليمين ، ثم
جعل يعلمهم الدين ويبين لهم شرائع السنة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن
المنكر ، فلما رأوه قد شدد عليهم فى ترك ما هم عليه من المنكرات تبرأوا
منه وهجروه ونافروه وثقل ذلك عليهم ، ومع ذلك فانه وجد أكثرهم
لايصلون ولايزكون وليس عندهم من الاسلام الا الشهادة ، وقد غلب عليهم
الجهل ، فلما رأى عبد الله بن ياسين أعراضهم واتباعهم أهواءهم أراد
الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا فى الاسلام اذ كان الاسلام
بها قد ظهر ، فلم يتركه يحيى بن ابراهيم الكدالى ، وقال له انى لاتركك
تنصرف ، وانما أتيت بك لأنتفع بعلمك فى خاصة نفسى ودينى ، وما على
فيمن ضل من قومى ، ولكن ياسيدي هل لك فى رأي أشير به عليك أن كنت
تريد الأخرة ، قال وما هو ؟ قال : ان هاهنا فى بلادنا جزيرة فى البحر
اذا انحسر البحر دخلنا اليها على أقدامنا ، واذا امتلأ دخلناها على

الزوارق ، وفيها الحلال المحض الذي لاشك فيه من أشجار البرية وصيد
البر وأصناف الطير والوحش والحوث ، فندخل اليها فنعيش فيها بالحلال
ونعبد الله تعالى حتي نموت ، فقال ، فقال له عبد الله بن ياسين هاذا
أحسن ، فهلم بنا ندخلها على اسم الله ، فدخلها ودخل معها سبعة
نفر من كدالة ، فابتنوا بها رابطة ، وأقام بها مع أصحابه يعبدون الله تعالى
مدة من ثلاثة أشهر ، فتسامع الناس بأخبارهم ، وأنهم يطلبون الجنة
والنجاهة من النار ، فكثر الوارد عليهم والتوايون فأخذ عبد الله بن ياسين
يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الآخرة ويرغبهم فى ثواب الله تعالى
ويحذرهم اليم عذابه حتى تمكن حبه منهم فى قلوبهم ، فلم تمر عليهم أيام
حتى اجتمع له من تلاميذه نحو ألف رجل من أشرف صنهجة ، فسماهم
المرابطين للزومهم رابطته ، وأخذ هو يعلمهم الكتاب والسنة والوضوء
والصلاة والزكاة وما فرض الله عليهم من ذلك ، فلما تفقها فى ذلك
وكثروا قام فيهم خطيبا ، فوعظهم وشوقهم الى الجنة ، وخوفهم من النار ،
وأمرهم بتقوا الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخبرهم بما فى
ذلك من ثواب الله تعالى وعظيم الأجر ، ثم دعاهم الى جهاد من خالفهم
من قبائل صنهجة ، وقال لهم : يامعشر المرابطين انكم جمع كثير ، وأنتم
وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم الى
صراطه المستقيم ، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمرؤا بالمعروف
وتنهؤا عن المنكر وتجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده ، فقالوا ايها الشيخ
المبارك : مرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين ، ولو أمرتنا بقتل آبائنا
لفعلنا ، فقال لهم اخرجوا على بركة الله ، وأنذروا قومكم ، وخوفوهم
عقاب الله ، وأبلغوهم حجتة ، فان تابوا ورجعوا الى الحق وأقلعوا عماهم
عليه فخلوا سبيلهم ، وان أبوا من ذلك وتمادوا فى غيهم ولجوا فى
طغيانهم استعنا بالله تعالى عليهم ، وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا ،
وهو خير الحاكمين فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيرته ، فوعظهم
وأنذرهم ودعاهم الى الاقلاع عماهم بسبيله ، فلم يكن منهم من يقبل ولا
يرجع ، فخرج اليهم عبد الله بن ياسين . فجمع أشياع القبائل ورؤساءهم

وقرأ عليهم حجة الله ودعاهم إلى التوبة وخوفهم عقاب الله ، فأقسام يحذرهم سبعة أيام وهم في كل ذلك لا يلتفتون إلى قوله ولا يزدادون إلا فسادا ، فلما يؤس منهم قال لأصحابه : قد أبلغنا الحجة وأنذرنا ، وقد وجب علينا الآن جهادهم ، فاغزوهم على بركة الله تعالى ، فبدأ أولا بقبيلة كدالة ، فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين ، فانهزموا بين يديه ، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسلم الباقيون أسلاما جديدا وحسنت حالهم ، وأدوا ما يلزمهم من جميع ما فرض الله عليهم وذلك في شهر صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمئة ، ثم سار إلى قبائل لمتونة فنزل بهم وقاتلهم حتى ظهر عليهم وأدعوا إلى الطاعة وتابوا ، وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة ، ثم سار إلى قبائل مسوفة فغزاهم حتى ادعوا وبايعوه على ما بايعته قبائل لمتونة وكدالة ، فلما رأى ذلك قبائل صنهاجة ولمتونة سارعوا إلى التوبة وإلى مبايعته وأقرؤا له بالسمع والطاعة ، فكان كل من أقبل إليه تائبا منهم طهره بأن يضربه مئة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع الإسلام ويأمره بالصلاة والزكاة وإخراج العشر ، وجعل لذلك بيت مال يجمعه فيه ، وأخذ يركب منه الجيوش ويشترى السلاح ويغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء واستولا على قبائلها ، وجمع أسلاب القتولين في ذلك الغزو وجعلها فينا للمرابطين ، وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده من الزكاة والأعشار والأخماس إلى طلبة بلاد المصامدة وقضااتها ، واشتهر أمرهم في جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب ، وأنه قام رجل بكدالة يدعو إلى الله وإلى طريق مستقيم ويحكم بما أنزل الله ، وأنه متواضع زاهد في الدنيا ، واشتهر ذلك ببلاد السودان ، وتوفي يحيى بن إبراهيم الكدالي ، فأراد عبد الله بن ياسين أن يقدم غيره في موضعه ليقوم بحروبهم ، وكان أكثر قبائل صنهاجة طاعة لله تعالى ودينا وصلاحا لمتونة ، فكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويشرفهم ويقدمهم على قبائل صنهاجة ، وذلك لما أراد الله من ظهور أمرهم وتملكهم على المغرب والأندلس ، فجمع عبد الله بن ياسين رؤساء القبائل من صنهاجة ، فقدم عليهم يحيى بن عمر

اللمتونى وأمره على سائرهم ، وعبد الله بن ياسين هو الأمير على الحقيقة ، لأنه هو الذي يأمر وينها ويعطى ويأخذ ، فكان الأمير يتولا النظر فى أمر حروبهم ، وعبد الله بن ياسين ينظر فى ديانتهم وأحكامهم ويأخذ زكاتهم وأعشارهم .

الخبر عن دولة الأمير يحيى بن عمر بن تكلابن الصنهاجى اللمتونى

لما قدم عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر اللمتونى الم رابط وكان من أهل الدين المتين والفضل والورع والزهد فى الدنيا والصلاح ، أمره بالجهاد ، وكان يحيى شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين ، كثير الطاعة له فيما يأمره به وينهاه عنه ، فمن حسن طاعته له أنه قال له يوما وجب عليك أدب ، قال له فيم ياسيدي ؟ قال له لا أعرفك به حتى أخذه منك ، فكشف له عن بشرته ، فضربه عشرين سوطا ، ثم قال له انما ضربتك لأنك باشرت القتال واصطليت الحرب بنفسك ، وذلك خطأ منك ، فان الأمير لا يقاتل ، وانما يقف ويحرض الناس ويقوى نفوسهم ، فان حياة الأمير حياة عسكره ، وموته فناء جيوشه ، فاستولا الأمير يحيى على جميع بلاد الصحراء ، وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها ، فلما كان فى سنة سبع وأربعين وأربعمئة اجتمع فقهاء سجلماسة وفقهاء درعة وصلحاءهم فكتبوا الى الفقيه عبد الله بن ياسين والى الأمير يحيى بن عمر وأشياخ الم رابطين كتابا يرغبون منهم الوصول لبلادهم ليظهروها مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف والجور ، وعرفوهم بما هم فيه بها أهل العلم والدين وسائر المسلمين من النذل والصغار والجور مع أميرهم مسعود بن وانودين الزناتى المغراوي ، فلما وصل الكتاب لعبد الله بن ياسين جمع رؤساء الم رابطين وقرأ عليهم الكتاب وشاورهم فى الأمر ، فقالوا له أيها الشيخ الفقيه هاذا مما يلزمنا ويلزمك ، فسر بنا على بركة

الله تعالى ، فأمرهم بالجهاز ، وخرج بهم فى الموقى عشرين لصفر سنة سبع وأربعين وأربعمئة (الأحد ٢١ ماي ١٠٥٥ م) فى جيش عظيم من المرابطين ، فسار حتى وصل بلاد درعة فوجد بها عامل أمير سجلماسة ، فأخرجه عنها ، ووجد بها خمسين ألف ناقة كانت بها فى مراعيها لصاحب سجلماسة مسعود المغراوى ، فعلم الأمير مسعود بذلك ، فجمع جيوشه وخرج نحوهم ، فالتقا الجمعان فكانت بينهم حروب عظيمة منح الله تعالى المرابطين فيها النصر على مغراوة ، فقتل مسعود بن وأثودين المغراوى وأكثر جيوشه وفر الباقون ، فأخذ عبد الله بن ياسين أموالهم ودوابهم وأسلحتهم مع الابل التي أخذ فى درعة ، فأخرج منه خمس جميعه ففرقه فى فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهما ، وقسم الباقي على المرابطين ، وارتحل من فوره حتى دخل مدينة سجلماسة فقتل من وجد بها من مغراوة ، وأقام بها حتى هدنها وأصلح أحوالها ، وغير ما وجد بها من المنكرات ، وقطع المزامير ، وأحرق الديار التي كانت تباع بها الخمر ، وأزال المكوس ، وأسقط الغارم الخزنية ، وترك ما أوجب الكتاب والسنة تركه ، وقدم عليها عاملا من لمتونة وانصرف الى الصحراء ، وتوفي الأمير يحيى بن عمر فى جهاد كان ببلاد السودان ، فقدم الفقيه عبد الله ابن ياسين فى مكانه أخاه أبا بكر بن عمر اللمتونى ، وذلك فى شهر المحرم سنة ثمان وأربعين وأربعمئة (مارس - ابريل ١٠٥٦ م) .

الخبر عن دولة الأمير أبى بكر بن عمر اللمتونى المرابط

لما توفي يحيى بن عمر قدم عبد الله بن ياسين عوضا منه أخاه أبا بكر بن عمر وقلده أمر الحرب ، فندب المرابطين الى غزو بلاد الحاصدة وبلاد السوس ، فخرج اليها فى جيوش عظيمة وذلك فى شهر ربيع الثانى من سنة ثمان وأربعين وأربعمئة ، وكان الأمير ابنو بكر رجلا صالحا متورعا ، فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتونى ، ثم

سار حتى وصل الى بلاد السوس ، فغزا بلاد جزولة ، وفتح مدينة ماسة ومدينة رودانة وجميع بلاد السوس ، وكان برودانة قوم من الروافض يقال لهم البجلية منسوبين الى عبد الله البجلي الراقصى ، كان قدم الى السوس حين قدم عبيد الله الشيعي الى افريقية ، فأشاع هنالك مذهبه فورثه بعده جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن لا يرون الحق الا ما فى أيديهم ، فقاتلهم الأمير ابوبكر بن عمر وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة ، وقتل بها من الروافض خلق كثير ، فرجع من بقي منهم الى السنة وأخذ أموال من قتل منهم فجعلها فيئا للمرابطين ، وأظهر الله المرابطين وأعلا كلمتهم ، ففتحوا معاقل بلاد السوس ، وأطاعتهم جميع قبائلها ، فأخرج عبد الله بن ياسين عماله على نواحيها ، وأمرهم باقامة العدل وأظهار السنة فيها وألزمهم اعطاء الزكاة والعشر ، وأسقط ما سوى ذلك من المغارم المحدثه ، وارتحل الى بلاد المصامدة ففتح جبل درن ، وفتح أيضا بلاد ^{درمي} روهة ؟ وفتح مدينة شيشاوة بالسيف ، ثم فتح بلاد نفيس وسائر بلاد كدميوة ، وأتاه قبائل رجراجة وحاحه قبايعه ، وارتحل الى مدينة أغمات وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي ، فنزل عليها وضيق عليه الحصار وقاتله أشد القتال ، فلما رأى لقوط مالا طاقة له به أسلمها له وفر عنها ليلا هو وجميع حشمه الى ناحية تادلة ، فنزل فى حما بنى يفرن أربابها ، ودخل المرابطون مدينة أغمات ، وذلك فى سنة تسع وأربعين وأربعمئة ، فأقام عبد الله بن ياسين بمدينة أغمات نحو الشهرين حتى استراح المرابطون ، ثم خرج بهم الى غزو تادلة ففتحها وقتل من وجد بها من بنى يفرن ملوكها وظفر بلقوط المغراوي فقتله ، ثم سار الى بلاد تامسنا ففتحها ، فأخبر أن يساحلها قبائل براغواطة فى عدد عظيم وأنهم مجوس كفار .

الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين مجوس برغواطة وذكر مذهبهم السخيف وديانتهم الخسيسة

لما وصل عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا اخبر ان بساطلها قبائل برغواطة عى أمم لاتحصى ، وأنهم مجوس أهل ضلال وكفر ، وأخبر بديانتهم الخسيسة التي تمسكوا بها ، وقيل له : ان برغواطة قبائل كثيرة ، وليس لهم أب واحد وأم واحدة ، وإنما هم اخلاط من قبائل شتا من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف القائم بتامسنا حين ادعا النبوة فى أيام هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان أصله لعنه الله من برباط حصن من عمل شذونة من بلاد الاندلس ، فكان يقال لمن تبعه ودخل فى ديانته برباطى ، فعربيته العرب وقالوا برغاطى ، قسموا برغواطة ، وكان صالح ابن طريف الذى ادعا فيهم النبوة ، رجلا خبيثا يهودي الأصل ، من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام ، نشأ برباط من بلاد الأندلس ، ثم رحل الى المشرق ، فقرا على عبيد الله المعتزلى القدرى ، واشتغل بالسحر ، فجمع منه فنونا كثيرة ، وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا ، فوجد بها قبائل من البربر جهالا ، فأظهر لهم الاسلام والزهد والورع ، وأخذ بعقولهم واستمالهم بسحره ولسانه ، وأراهم من نيرجه (٧٨) وتمويهاته ، فاستغواهم بذلك وأقروا بفضله واعترفوا بولايته ، فقدموه على أنفسهم ، وصدروا عن رأيه فى جميع أمورهم ، ووقفوا عند أمره ونهيه ، فنادعا النبوة وتسما بصالح المؤمنين ، وقال لهم : أنا صالح المؤمنين الذى ذكره الله فى كتابه العزيز الذى أنزله على محمد عليه السلام ، وشرع لهم الديانات التى أخذوها عنه ، وذلك سنة خمس وعشرين ومئة ، وكان الضلال الذى شرع لهم أنهم يقرون بنبوته ، وأنهم يصومون شهر رجب ، يأكلون شهر رمضان ، وفرض عليهم عشر صلوات : خمس بالليل

وخمس بالنهار ، وأن الأضحية واجبة على كل من تبعه في الحادي والعشرين من المحرم ، وشرع لهم في الوضوء غسل السرة والخاصرتين ، وصلاتهم ايماء لاسجود فيها ، ويسجدون في آخر ركعة خمس سجادات ، ويقولون عند الطعام والشراب باسم ياكش وزعم أن تفسيره باسم الله ، وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار ، وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ماشاء ، ولايتزوج من بنات عمه ، ويطلقون ويراجعون ألف مرة في اليوم فلا تحرم المرأة بشيء من ذلك ، وأمرهم بقتل السارق حيث وجد ، وزعم أنه لايطهره من ذنبه الا السيف ، وأمرهم بالدية من البقر ، وحرم عليهم رأس كل حيوان ، والدجاجة مكروه أكلها ، وقدوتهم في الأوقات الديكة ، وحرم عليهم ذبحها وأكلها ، ومن ذبح ديكا وأكله أعتق رقبة ، وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولاتهم تبركا به ، فكان يبصق في أكفهم فيلحسونه تبركا ويحملونه الى مرضاهم يستشفون به ، ووضع لهم قرأنا يقرأونه في صلاتهم ويتلونه في مساجدهم ، وزعم أنه نزل عليه ، وأنه وحي من الله تعالا اليه ، ومن شك في شيء من ذلك منهم فهو كافر ، والقرآن الذي شرع لهم ثمانون سورة سماها لهم بأسماء النبيين وغيرهم منها سورة آدم ، وسورة نوح ، وسورة أيوب ، وسورة يونس ، وسورة موسا ، وسورة هارون ، وسورة الأسباط ، وسورة فرعون ، وسورة بنى اسرائيل ، وسورة الديك ، وسورة الحجل ، وسورة الجراد ، وسورة الجمل ، وسورة هاروت وماروت ، وسورة ابليس ، وسورة الحشر ، وسورة غرائب الدنيا ، وفيها العلم العظيم عندهم ، وأمرهم أن لاغسل عليهم من الجنابة الا من الحرام ، وقد ذكرنا اخبار برغواطة وملوكهم مستوفاة في كتابنا الكبير المسما (بازهار البستان في اخبار الزمان ، وذكر الموجود ، مما وقع في الوجود) .

قال المؤلف عفا الله عنه :

فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وماهم عليه من الخلالة راا أن الواجب تقديم جهادهم على غيرهم ، فسار الى غزوهم في جيوش

المرابطين ، والأمير على برغواطية يومئذ أبو حفص عبد الله بن أبي بن
أبى عبيد محمد بن مقلد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطى
المتنبى ، فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين حروب عظيمة وملاحم
شديدة ، مات فيها من الفريقين خلق كثير ، واستشهد فيها عبد الله بن
ياسين الجزولى مهدي المرابطين ورئيسهم ، فلما ثقل بالجراح فى الحرب
وحمل الى عسكره ، وبه رمق جمع أشياع المرابطين ورؤسائهم فقال :
يا معشر المرابطين انكم فى بلاد أعدائكم ، انى ميت فى يومى هذا لامحالة ،
فاياكم ان تجبنوا وتفشلوا فتذهب ربحكم ، وكونوا ألفة وأعوانا على
الحق واخوانا فى ذات الله تعالى ، واياكم والمخالفة والتحاسد على طلب
الرياسة ، فان الله يؤتى ملكه من يشاء ، ويستخلف فى أرضه من احب
من عبادہ ، ولقد ذهبت عنكم ، فانظروا من تقدمونه منكم يقوم بأمركم
ويقود جيوشكم ويغزو عدوكم ويقسم بينكم فيأكم ويأخذ زكاتكم وأعشاركم ،
فاتفق رأيهم على تقديم أمر الحرب لأبى بكر بن عسر اللمتوفى ، فقدمه
عبد الله بن ياسين عليهم باتفاق من جميع أشياع صنهاجة واجماع منهم
على ذلك ، وتوفي عبد الله بن ياسين فى عشي يومه ذلك ، وذلك يوم
الأحد الرابع والعشرين لجمادى الأولى سنة احدى وخمسين وأربعمئة (٨
يوليوز ١٠٥٩ م) ودفن بموضع يعرف بكريفة بتامسنا (٧٩) وبني على
قبره مسجد ، وكان عبد الله بن ياسين شديد الورع فى المطعم والمشرب ،
فكان طول اقامته فيهم لا يأكل شيئا من لحمانهم ولا يشرب من البانهم ،
فان أموالهم كانت غير طيبة لشدة جهلهم ، فكان يتصيد ويتعيش من لحوم
الصيد ، وكان مع ذلك كثير النكاح يتزوج فى كل شهر عددا من النساء
ويطلقهن ، ولا يسمع بامرأة جميلة الا خطبها ، ولا يجاوز فى مهرها
أربعة مثاقيل ، وكان يأخذ الثلث من الأموال المختلطة ، ويرأ أن ذلك يحل
باقبيها ، وذلك شذوذ من القفل ، ومما يذكر من فضله وصلاحه وبركاته

(79) ما زال ضريح عبد الله بن ياسين معروفا مزارا بكريفة من أرض قبيلة زعير
بحوز الرياض .

التي شاهدها الناس أن المرابطين خرجوا معه فى غزواته الى السودان فنجد الماء حتى أشرفوا على التلف ، فقام عبد الله بن ياسين فتييم وصلا ركعتين ، فدعا الله تعالى وأمن المرابطون على دعائه ، فلما فرغ من الدعاء قال لهم احفروا تحت مصلاي هاذن ، فحفروا فوجدوا الماء تحت مقدار شبر من الأرض فشربوا منه وسقوا دوابهم وملأوا أوعيتهم بماء عذب بارد ، ومن بركاته أنه نزل منزلا به بركة كثيرة الضفادع لا يقدر واحد أن يستقر حولها لكثرة نقيقتها وصياحها ، فوقف عبد الله بن ياسين حذاءها فسكتت ولم يسمع لها نقيق ، فلما تباعد عنها عادت الى صياحها ، ولم يزل صائما من يوم دخل بلادهم الى أن توفي رحمه الله تعالى ، ومن حسن سياسته فيهم أنه أقام فيهم السنة والجماعة فى المدة القليلة ، وحكم عليهم أنه من فاتته الصلاة فى الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة منها ضرب خمسة أسواط .

الخبر عن دولة الأمير أبى بكر بن عمر الصنهاجى اللمتونى

هو الأمير أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين بن ورتانطق اللمتونى المحمدي ، أمه حرة كدالية اسمها صفية ، لما قدمه عبد الله ابن ياسين بايعته قبائل المرابطين من صنهاجة وغيرهم ، فتمت له البيعة ، وكان أول ما فعله أن أخذ فى دفن عبد الله بن ياسين ، فلما فرغ من دفنه عبأ جيوشه وقصد الى قتال برغواطة مصمما فى حربه متوكلا على الله تعالى ففى جميع أموره ، فاستأصل برغواطة حتى قروا بين يديه وهو فى أثرهم يقتل ويسبى حتى أئخذ فيهم وتفرقت برغواطة فى الصحراء وأذعنوا له بالطاعة وأسلموا اسلما جديدا ، ولم يبق لديانتهم الخسيصة أثر الى اليوم ، وجمع أموالهم وغنائمهم وقسمها بين المرابطين ، ورجع الى مدينة أغمات فأقام بها الى شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة ، فخرج بجيوشه الى بلاد المغرب فى أمم لاتجصا من صنهاجة وجزولة والمصامدة ،

ففتح بلاد فازاز وجبالها وسائر بلاد زناتة ، وفتح بلاد مكناسة ، وارتحل الى مدينة لواتة فحاصرها حتى دخلها بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بنى يفرن ، وكان دخوله اياها وتخريبه لها فى آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة ، (الجمعة ٢ يونيو ١٠٦٠ م) فلم تعمّر بعدها الى اليوم ، فلما فرغ من فتح لواتة ارتحل الى مدينة أغمات ، وكان قد تزوج بها امرأة اسمها زينب بنت اسحاق الهوارى رجل من النجار ، وأصله من القيروان ، وكانت امرأة حازمة لبية ذات رأي وعقل وجزالة ومعرفة بالأمور ، حتى كان يقال لها الساحرة ، فأقام الأمير أبو بكر معها بأغمات مدة من ثلاثة أشهر الى ان قدم عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال الصحراء ، وكان الأمير أبو بكر رجلا صالحا كثير الورع ، فلم يستحل قتال المسلمين وسفك دمائهم ، فعزم على السير الى الصحراء ليصلح أحوالها ويقيم بها ليجاهد الكفار من السودان ، فلما عزم على الخروج الى الصحراء طلق زوجته زينب وقال لها عند فراقه لها : يا زينب انك ذات حسن وجمال فائق ، وانى سائر الى الصحراء برسم الجهاد لعلى أرزق الشهادة والفوز بالأجر الوافر ، وأنت امرأة لطيفة لاطاقة لك على بلاد الصحراء ، وانى مطلقك ، فان تمت عدتك فتزوجى ابن عمى يوسف بن تاشفين ، فهو خليفتى على بلاد المغرب ، فطلقها ثم ارتحل عن أغمات وأخذ على بلاد تادلة حتى خرج الى سجلماسة ، فدخلها وأقام بها أياما حتى أصلح أحوالها ، فلما أراد السفر منها دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين فعقد له على المغرب وفوض اليه أمره ، وأمره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة وبنى يفرن وقبائل البربر وزناتة ، واتفق على تقديمه أشياخ المرابطين لما يعلمون من دينه وقضله وشجاعته وحزمه ونجدته وعدله وورعه وسداد رايه ويمن نقيته ، فرجع يوسف بن تاشفين الى المغرب ينصف جيش المرابطين ، وارتحل الأمير أبو بكر بن عمر بالنصف الثانى الى الصحراء ، وذلك فى شهر ذي القعدة من سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة (نونبر - دجنبر ١٠٦١ م) ، فتزوج يوسف بن تاشفين زينب المذكورة ، فكانت القائمة بملكه والمديرة لأمره والفاطنة

بسياستها أكثر بلاد المغرب الى أن توفيت فى سنة أربع وستين وأربعمئة ،
وسار الأمير أبوبكر الى الصحراء فهدنها وسكن أحوالها ، وجمع جيوشا
كثيرة وخرج الى غزو بلاد السودان فجاهدهم حتى فتح من بلادهم
مسيرة ثلاثة أشهر ، وغلب أيضا يوسف بن تاشفين على أكثر بلاد
المغرب واستوثق أمره به ، فلما سمع الأمير أبوبكر بضخامة ملك يوسف
ابن تاشفين وما فتح الله عليه من بلاد المغرب أقبل اليه من الصحراء
ليعزله ويولي غيره ، فأحس يوسف بن تاشفين بذلك فشاور زوجته فى
ذلك الأمر ، فقالت له : ان ابن عمك رجل متورع فى سفك الدماء ، فإذا
لقيته فقصر عما كان يعهده منك من الأدب والتواضع ، وأظهر له غلظة
حتى كأنك مساو له ومقاومه ولاطفه مع ذلك بالأموال والهدية والخلع
والثياب والطعام والطرف ، واستكثر من ذلك ، فإنه ببلاد الصحراء ، وكل
شيء عندهم من هنا مستطرف ، فلما قرب الأمير أبوبكر بن عمر من
عمل يوسف خرج اليه ، فالتقاء فى الطريق ، فسلم عليه وهو راكب سلاما
مختصرا ولم ينزل له ، فنظر الأمير أبوبكر كثرة جيوشه ، فقال له
يا يوسف ماتصنع بهاذه الجيوش كلها ؟ قال أستعين بها على من خالفنى ،
فارتاب أبوبكر من سلامه عليه راكبا ومن جوابه ، ونظر الى ألف بعير
موقورة قد أقبلت ، فقال ماهاذه الابل موقورة ؟ قال أيها الأمير جئتك
بكل مامعى من مال وثياب وشيء من الأدام والطعام لتستعين به على
الصحراء ، فازداد تعرفا من حاله ، وعلم أنه لايتخلا له عن الأمر ، فقال
له يا ابن عمى انزل نوصيك ، فنزل يوسف ونزل الأمير أبوبكر ، ففرش
لهما فرش فقعدا عليه فقال يا يوسف انى وليتك هذا الأمر وانى مسؤول
عنه ، فاتق الله فى المسلمين واعتقنى واعتق نفسك ، ولاتضيع من أمور
رعيته شيئا فانك مسؤول عنهم ، والله تعالا يصلحك ويمدك ويوفقك
للعمل الصالح والعدل فى رعيته ، وهو خليفتى عليك وعليهم ، ثم ودعه
وانصرف الى الصحراء ، فأقام بها مدة يجاهد الكفرة من السودان الى
ان استشهد رحمه الله فى بعض غزواته ، رمي بسهم مسموم فمات
رحمه الله ، وذلك فى شهر شعبان المكرم سنة ثمانين وأربعمئة (نونبر

١٠٨٧ م) بعد ان استقام له أمر بلاد الصحراء الى جبل الذهب من بلاد السودان وخلص الأمر ليوסף بن تاشفين من بعده .

الخبر عن دولة الأمير يوسف بن تاشفين اللمتوني

أمير المسلمين وسيرته وغزواته

هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت ابن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملى بن تليت الحميري الصنهاجي من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير .

أمه حرة لمتونية بنت عم أبيه ، اسمها فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن ورتانطق المذكور .

صفته : أسمر اللون نقيه ، معتدل القامة ، نحيف الجسم ، خفيف الغارضين ، رقيق الصوت أكحل العينين ، أقنا الأنف ، له وفرة تبلغ شحمة أذنيه ، مقرون الحاجبين ، جعد الشعر ، وكان رحمه الله بطلا نجدا شجاعا حازما مهابا ضابطا للكه ، متفقد الموالي من رعيته ، حافظا لبلاده وثغوره ، مواظبا على الجهاد ، مؤيدا منصورا ، جوادا كريما سخيا زاهدا في الدنيا ، لباسه الصوف ، لم يلبس قط غيره ، وأكله الشعير ولحوم الابل والبانها ، مقتصرا على ذلك ، لم ينتقل عنه مدة عمره الى أن توفي رحمه الله تعالى على ما منحه الله من سعة الملك في الدنيا وخوله منها ، فانه خطب له بالأندلس والمغرب على ألف منبر وتسمعنة منبر ، وكان ملكه من مدينة افراغه أول بلاد الافرنج قاصية شرق بلاد الأندلس الى الآخر عمل شنترين والاشبونة على البحر المحيط من بلاد غرب الأندلس ، وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولا ، وفي العرض مايقرب من ذلك ، وملك بالمغرب من بلاد العدو من جزائر بني مزغنة الى طنجة الى الآخر السوس الأقصا الى جبل الذهب من بلاد

السودان ، ولم يوجد فى بلد من بلاده ولا فى عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى حاضرة ولا بادية الا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين ، وجبا فى ذلك من المال على وجهه مالم يجبه أحد قبله ، فيقال انهم وجدوا فى بيت المال بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربيع من الورق وخمسة آلاف وأربعين ربعاً من دنانير الذهب المطبوعة ، ورد أحكام البلاد الى القضاء ، وأسقط مادون الأحكام الشرعية وكان يسير فى أعماله فيتفقد أحوال رعيته فى كل سنة ، وكان محباً فى الفقهاء والعلماء والصلحاء مقرباً لهم صادراً عن رأيهم مكرماً لهم ، أجراً عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه ، وكان مع ذلك حسن الأخلاق متواضعاً كثير الحياء جامعاً لخصال الفضل ، وكان كما قال الفقيه الكاتب أبو محمد بن حامد فيه وفى بنيه :

ملك له شرف العلا من حمير وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا أحوال كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

مولده فى سنة أربعمئة ببلاد الصحراء ، ووفاته فى سنة خمسمة ، فكان جميع عمره مئة سنة ، أيامه منها بالمغرب منذ استخلفه أبوبكر بن عمر الى أن توفي رحمه الله سبع وأربعون سنة وذلك من سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة الى سنة خمسمة .

كنيته : أبو يعقوب ، وكان يدعى بالأمير ، فلما فتح الأندلس وصنع غزاة الزلاقة وأذل الله تعالى بها ملوك الروم بايعه فى ذلك اليوم ملوك الأندلس وأمرائها الذين شهدوا معه تلك الغزاة ، وكانوا ثلاثة عشر ملكاً ، وسلموا عليه بأمير المسلمين ، وهو أول من تسموا بأمير المسلمين من ملوك المغرب ، وخرجت كتبه مصدرة عنه بذلك الى بلاد العدو وبلاد الأندلس فى ذلك اليوم ، فقرئت على المنابر يخبرهم فيها بغزاة الزلاقة ومأمون الله تعالى له فيها من النصر والظفر والفتح العظيم ، وضرب السكة من يومئذ وجدها ، ونقش فى دينارها (لا اله الا الله

محمد رسول الله) وتحت ذلك (أمير المسلمين يوسف بن تاشفين) وكتب في الدائرة (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً قلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين) ، وكتب في الصفحة الأخرى (الأمير عبد الله العباسي) وفي الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكه .

بنوه : علي الخليفة بعده ، وتميم ، وأيوبكر ، والمعر ، وإبراهيم ، وكوته ، ورقية .

لما قدمه أيوبكر بن عمر على المغرب وفوض إليه أمره وذلك في سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة انصرف عنه من مدينة سجلماسة ، فوصل إلى وادي ملوية فميز جيوشه فوجدهم أربعين الفا من المرابطين ، فاختر منهم أربعة من القواد ، وهم محمد بن تميم الجدالي ، وعمر بن سليمان المسوقي ومدر ك التلكتاتي ، وسير بن أبي بكر اللمتوني ، وعقد لكل واحد منهم على خمسة آلاف من قبيلته ، وقدمهم بين يديه إلى قتال من بالمغرب من مغراوة وبنى يفرن وغيرهم من قبائل البربر القائمين به ، وسار هو في أثرهم ، فغزا قبائل المغرب قبيلة بعد قبيلة ، ولدا بعد بلد ، فقوم يقرون بين يديه ، وقوم يقاثلونه ، وقوم يدخلون في طاعته ، حتى أخذ في بلاد المغرب وسار حتى دخل مدينة أغمات ، فتزوج زيتب التي فارقتها ابن عمه أيوبكر بن عمر ، فكانت عنوان سعيه .

ودخلت سنة أربع وخمسين وأربعمئة ، فيها تقوا أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب وكبر صيته وفيها اشترا موضع تأسيس مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة ، فسكن الموضع بخيام الشعر ، وبنا فيه مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه ، ولم يبن على ذلك سورا ، وكان رحمه الله لما شرع في بناء المسجد يحترم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه وتورعا غفر الله له ونفعه بقصده ، والذي بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوقا من جامع الكتبيين منها ، ولم يكن بها ماء ، فحفر الناس بها الآبارا فخرج لهم الماء على قرب ، فاستوطنها

الناس ، ولم تزل كذلك لاسور لها ، فلما ولي بعده علي بنا سورها في ثمانية أشهر ، وذلك في سنة ست وعشرين وخمسمئة ، ثم احتفل في بنائها ومصانعها أمير المسلمين يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدى أيام ملكه بالمغرب ، ولم تزل مدينة مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم من يوم أسست الى انقراض الدولة الموحدية ، فانتقل الملك منها الى مدينة فاس .

وفي سنة أربع وخمسين المذكورة جند يوسف الأجناد ، واستكثر القواد ، وفتح كثيرا من البلاد ، واتخذ كثيرا من الطبول والبندود ، وأخرج العمال وكتب العهود ، وجعل في جيشه الأغزاز (٨٠) والرماة ، كل ذلك ارهابا لقبائل المغرب ، فكمل له من الجيش في تلك السنة أزيد من مئة ألف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة والأغزاز والرماة ، فخرج بهم من حضرة مراكش قاصدا مدينة فاس ، فتلقياه قبائلها من زواغة ولماية ولواتة وصدينة وسدراتة ومغيلة وبهلولة ومديونة وغيرهم في خلق عظيم وعدد كثير ، فقاتلوه ، فكانت بينهم وبينهم حروب عظيمة انهزموا فيها بين يديه ، وانحصروا له بمدينة صدينة (٨١) فدخل عليهم بالسيف ، فهدم أسوارها وخربها وقتل بها مايزيد على أربعة آلاف رجل ، وارتحل الى مدينة فاس ، فنارلها بعد أن فتح جميع أحوازها ، وذلك في آخر سنة أربع وخمسين وأربعمئة ، فأقام عليها أياما ، فظفر بعاملها بكارين ابراهيم فقتله وارتحل عنها الى مدينة صفرو ، فدخلها من يومه عنوة بالسيف وقتل أربابها أولاد مسعود المغراوي المالكين لها والقائمين بأمرها ، ثم رجع الى فاس فحاصرها حتى فتحها ، وهو الفتح الاول ، وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمئة ، فأقام بها أياما ، ثم استخلف عليها

(80) جنس من الترك ، كانوا يعملون في جيوش الدول الموحدية والمرينية والزيانية .
(81) كانت مدينة صدينة - على ما يبدو - واقعة الى الشمال من فاس قرب مجرى نهر سبو حيث مساكن قبيلة شراكة الحالية ، ولا يزال بطن من بطون هاذة القبيلة يسما صدينة الى الآن ، وبحوز تطوان قرية تسما صدينة أيضا ، وهي في الأصل قبيلة من شعب ضريسة من البربر البتر ، اشتهرت بقيامها مع قبيلة مغيلة بنصرة ادريس بن عبد الله الكامل عند دخوله المغرب سنة ١70 هـ وتأسيسه الدولة الادريسية .

عاملا من لتونة وخرج الى بلاد غمارة ، فلما بعد يوسف عن فاس وتوغل
فى بلاد غمارة خالفه اليها تميم بن معنصر فدخلها وقتل عامل يوسف
الذى كان بها ، وفى هاذى السنة بايع المهدي بن يوسف الجزائى
صاحب مكناسة يوسف بن تاشفين ودخل فى طاعة المرابطين ، فأقبره
يوسف على عمله وأمره أن يخرج بين يديه بعسكره لقتال بلاد المغرب
وقبائلها ، فتجهز المهدي وخرج فى جيشه من مدينة عوسجة يريد يوسف
ابن تاشفين ، فسمع بذلك تميم بن معنصر المغراوى القائم بمدينة فاس ،
فخاف على نفسه منه أن يتقوا عليه بالمرابطين ، فعاجله وخرج اليه من
فاس فى أنجاد مغراوة وقبائل زناتة فلحق به فى بعض الطريق ، فكان
بينهما قتال شديد ، قتل فيه المهدي بن يوسف واقترب جمعه ، وبعث
تميم بن معنصر برأسه الى صاحب سبتة وهو سكوت البرغواطى (٨٢)
فلما قتل المهدي بن يوسف بعث أهل مدينة مكناسة الى يوسف بن تاشفين
فأخبروه بموت أميرهم وأعطوه البلاد فملكها يوسف ، وتوالت عساكر
المرابطين على تميم بن معنصر المغراوى صاحب فاس بالغارات ، فلما
را الأمر قد اشتد عليه وطالت عليه الفتنة وانقطعت عنه المواد والموارد
وعدمت الأقوات بفاس جمع جيشا عظيما من مغراوة وبنى يفرن وخرج
الى المرابطين ، فكانت الهزيمة عليه ، وقتل تميم بن معنصر وقتل معه
خلق كثير من حشمه ، فتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبدالرحمان
ابن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية الزناتى المكناسى ، فجمع قبائل

(82) ويكتب أيضا سقوت ، أصله من قبيلة برغواطة الزناتية ومنازلها بين طنجة وأصيلة ،
أسر فى حرب غمارة وبرغواطة ، وانتهى أمره الى أن صار عبداً لشيخ من غمارة ثم صار لعل بن
حمود الإدريسي وبفضل قومه وصل الى الخلافة فولاه على طنجة وسبتة وأطاعته غمارة ، وبعد سقوط
دولة الحموديين ظل سكوت يحكم طنجة وسبتة مناوئاً للمعتضد ابن عباد ومهدداً له ، ولما قامت
دولة المرابطين ووصل يوسف بن تاشفين الى شمال المغرب كاد سكوت ينضم اليه ،
ولكن ابنه ضياء الدولة ثناه عن ذلك ، فلما فرغ يوسف من أمر غمارة توجه الى طنجة واستولوا
عليها من يد سكوت الذى قتل فى الحرب مع القائد صالح ابن عمران ، ثم أرسل يوسف ابنه المعز
فاستولوا على سبتة من يد ابنه ضياء الدولة وقتله وانتظمت قبائل تلك الناحية كلها فى سلك
الدولة الملتونية المرابطية .

زناة وخرج بهم الى لقاء جيش المرابطين ، فالتقا معهم بوادي صيفير ، فكانت بينهما حروب شديدة انهزم فيها المرابطون وقتل جماعة من فرسانهم ، فاتصل خبر هزيمتهم بيوسف بن تاشفين وهو ببلاد قزازان محاصرا لقلعة مهدى ، فارتحل عنها وترك عليها جيشا من المرابطين محاصرا لها ، فاقاموا عليها تسعة أعوام فدخلوها صلحا ، فى سنة خمس وستين وأربعمئة ، ولما رحل يوسف عن القلعة وذلك فى سنة ست وخمسين سار الى بنى مراسن ، وأميرهم يومئذ يعلا بن يوسف ، فغزاهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح بلادهم ، وسار الى بلاد فندلاوة فغزاهها وفتح جميع تلك الجهات وسار منها الى بلاد ورغة ففتحها ، وذلك فى سنة ثمان وخمسين .

وفى سنة ستين وأربعمئة فتح يوسف جميع بلاد غمارة ، وجبالها من الريف الى طنجة وفيها فتح فاس الفتح الثانى (٨٢) .

وفى سنة اثنتين وستين أقبل الى مدينة فاس فنزل عليها بجميع جيوشه وشدد عليها فى الحصار حتى دخلها عنوة بالسيف ، فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة ، وقبائل زناة خلقا كثيرا حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلا ، وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الأندلس مايزيد على ثلاثة آلاف رجل ، وفر من بقي منهم الى أحواز تلمسان وهو الفتح الثالث ، وكان دخول يوسف اياها يوم الخميس ثانى جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وأربعمئة (١٨ مارس ١٠٧٠ م) فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس حصنها وثقفها وأمر بهدم الأسوار التي كانت بها فاصلة بين المدينتين : عدوة القرويين وعدوة الأندلس وهدمها مصرا واحدا ، وأمر ببنيان المساجد فى أحوازها وإزالتها وشوارعها ، وأي زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله وأجيرهم على بناء مسجد فيه ، وبنا الحمامات والفنادق والأرحاء ، وأصلح المستواقها وهذب بناءها وأقام بها الى شهر صفر سنة ثلاث وستين وأربعمئة فخرج

منها الى بلاد ملوية ففتح حصون وطاط .

وفى سنة أربع وستين وأربعمئة وجه يوسف الى أمراء الغرب وأشياخ القبائل من زناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر فقدموا عليه وبايعوه ، فكسا جميعهم ووصلهم بالأموال ، ثم خرج معهم ليطوف على جميع أعمال المغرب ويتفقد أحوال الرعية وينظر الى سير ولائهم وعمالهم فيه ، فصلح على يديه بذلك كثير من أمور الناس .

وفى سنة خمس وستين غزا يوسف بن تاشفين مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان (٨٤) .

وفى سنة سبع وستين فتح جبال غياثة وبنى مكود وبنى رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا .

وفىها فرق عماله على المغرب ، فولا سيري بن أبى بكر مدائن مكناسة وبلاد مكلانة وبلاد فازاز ، وولا عمر بن سليمان مدينة فاس وأحوازها ، وولا داوود بن عائشة سجلماسة ودرعة ، وولا ولده تميما مدينتي أغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وبلاد تادلة وبلاد تامسنا .

وفىها بعث المعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية الى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد ، فقال له لايمكنني ذلك الا ان أتملك سبتة وطنجة ، فراجعه ابن عباد يشير عليه ان يسير اليها فى عساكره فى البر فينازلها ويبعث ابن عباد قطائعه فيجتاز لها فى البحر حتى يتملكها ، فأخذ يوسف فى محاولة ذلك .

وفى سنة سبعين وأربعمئة نظر يوسف فى حرب سبتة وطنجة ، فبعث لها قائده صالح بن عمران فى اثنى عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من سائر قبائل المغرب من زناتة وغيرهم ، فلما قربوا من أجوان طنجة خرج اليهم الخاجب سكوت البرغواطى بجموعه ، وهو شيخ كبير سنه ست وثمانون سنة . فقال والله لايسمع أهل طنجة طبول الملمتونيين وأنا

(84) يقع بقبيلة بنى زروال (قيادة تافراوت - إقليم فاس)

حي أبدا ، فالتقا الجمعان بأحواز وادى منى من أحواز طنجة ، فالتحم القتال بينهم فقتل سكوت وهزم جيشه ، وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها ، وبقي بسببة الحاجب ضياء الدولة يعيا بن سكوت فكتب القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف .

وفى سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلى لغزو مدينة تلمسان ، فسار اليها فى عشرين الفا من المرابطين ، فهتكها ودخلها ، وظفر بولد أميرها معلا بن يعلا المغراوى فقتله ، ثم رجع الى يوسف فألفاه بمدينة مراكش .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ، فيها بدل يوسف بن تاشفين السكة فى جميع عمله وكتب عليها اسمه ، وفيها فتح مدينة جرسيف ومدينة مليلية وجميع بلاد الريف ، وفتح مدينة نكور وخربها ، فلم تعمر بعد .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ، فيها طلع يوسف بن تاشفين الى مدينة وجدة ففتحها وفتح مدينة تنس ومدينة وهران وجبال وانشريس وأعمال شلف بأجمعها الى الجزائر ، ورجع الى مراكش فدخلها فى شهر ربيع الاخر سنة خمس وسبعين وأربعمئة ، فورد عليه بها كتاب المعتمد ابن عباد يعلمه بحال الأندلس ، وما آل اليه أمرها من تغلب العدو على أكثر ثغورها وبلادها ، وسأله نصرها واعانتها ، فأجابه يوسف : اذا فتح الله لى سببة وصلت بكم قبذلت فى جهاد العدو المجهود .

وفى هذه السنة تحرك ألفونسو السادس لعنه الله فى جيوش لاتحسا من الروم ومن الافرنج والبشكنس والجالقة وغيرهم ، فشق بلاد الأندلس شقا يقف على كل مدينة منها ثلاثة أيام فيفسد ويخرب ويقتل ويسبى ويرتحل الى غيرها ، ونزل على اشبيلية ، فأقام عليها ثلاثة أيام ، فأفسد أحوازها وهتكها ، وخرب بالشرف قرا كثيرة ، وكذلك فعل بشذونة وأحوازها ، ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف ، فأدخل قرائم فرسه فى البحر وقال : (هاذا آخر بلاد الأندلس قد وطئت) ثم رجع الى مدينة سرقسطة ، فذل عليها وحاصرها وحلف ان لايرتحل عنها حتى

يدخلها أو يحول الموت بينه وبين ما يريد ، وأراد أن يقدمها بالفتح على غيرها من بلاد الأندلس ، فنزل اليه أميرها المستعين ابن هود بمال عظيم بذله له فلم يقبله منه ، وقال : المال والبلاد لي ، وبعث الى كل قاعدة من قواعد الأندلس جيشا للتضييق عليهم والحصار ، فملك مدينة طليطلة وذلك في سنة سبع وسبعين وأربعمئة (٨٥) فلما رأى ذلك أمراء الأندلس ورؤسائهم اتفق رأيهم على جواز يوسف بن تاشفين ، فكتبوا اليه بجمعهم يستنصرونه ويستصرخون به لينفي العدو عن مخنق بلادهم ، ويكونون معه يدا واحدة في جهاد العدو ، فلما تواترت الكتب على يوسف بالاستصراخ لنصرة المسلمين ونفي العدو عن مخنق بلادهم بعث ولده المعز الى سبتة في جيش عظيم ، فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها ، وذلك في شهر ربيع الاول من سنة سبع وسبعين وأربعمئة (يوليو ١٠٨٤ م) وكتب اليه بالفتح ، فوصله الكتاب وهو بمدينة فاس ينتظر في أمر الجهاد ويستنصر له قبائل المغرب ، ففرح لفتح سبتة وخرج من حينه نحوها ليجوز منها الى الأندلس ، فلما رأى المعتمد ابن عباد أن الفونسو السادس قد ملك طليطلة وأحوازها وشدد على سرقسطة وسمع أن يوسف فتح سبتة ركب البحر وسار الى العدو لاستجلاب يوسف بن تاشفين ، فلقيه مقبلا لبلاد طنجة بموضع يعرف ببليطة على ثلاث مراحل من سبتة ، فأخبره بحال الأندلس وماهي عليه من شدة الخوف والضعف والاضطراب ومايلقاه المسلمون بها من القتل والأسر والحصار من الفونسو السادس وجنوده ، وأنه قد عزم على دخول سرقسطة ، فقال له الأمير يوسف رحمه الله : ارجع الى بلدك وخذ في أمرك فاني قادم عليك في أترك ان شاء الله تعالى ، فرجع ابن عباد الى الأندلس ، ودخل يوسف سبتة فهدنها وأصلح أحوالها وسفنها ، ولحقت به العساكر والجنود ، وقدمت عليه الوفود ، وأتاه من بلاد الصحراء والقبلة والزاب القبائل والحشود ، فشرع في تجويز الجيوش الى الأندلس ، فجوز منها ما لا يحصى كثرة ، فلما كمل

جواز الجيش واستوفت عساكر المجاهدين بساحل الخضراء جاز هو في أثرهم في جيش عظيم من قبائل المرابطين وأنجاهم وصلحائهم ، فلما ركب السفينة واستقر على ظهرها رفع يديه ودعا الله تعالى وقال في دعائه : (اللهم ان كنت تعلم ان في جوازي هذا خيرا وصلاحا للمسلمين فسهل علي جواز هذا البحر ، وان كان غير ذلك فصعبه علي حتى لا أجوزه) فسهل الله عليه الجواز في أسرع ما يكون ، فكان جوازه في يوم الخميس عند الزوال في منتصف ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمئة (٣٠ يونيو ١٠٨٦ م) ، ونزل بالجزيرة الخضراء ، فصلا بها صلاة الظهر من يومه ذلك ، فبلقاه بها المعتمد في جميع أمراء الأندلس ورؤسائها ، فاتصل بالفونسو السادس خير جوازه فارتحل عن سرقسطة قاصدا للقاء أمير المسلمين يوسف رحمه الله .

الخبر عن جواز الأمير يوسف بن تاشفين

إلى الأندلس برسم الجهاد وذكر غزاة الزلاقة

قال المؤلف للكتاب :

لما جوز أمير المسلمين يوسف جيوش المسلمين للجهاد وقدمها بين يديه فاستقروا بساحل الجزيرة الخضراء جاز هو في أثرهم ، فالتقاه ملوك الأندلس مستبشرين بقدومه ، واتصل خير قدومه بالفونسو السادس وهي محاصر سرقسطة ، فسقط في يديه وانحلت عزائمه ، فانزعج عن سرقسطة وبعث إلى ابن رزمير وإلى البرهانس (٨٦) وكان ابن رزمير على

٨٦٠ (86٠) ابن رزمير هو الملك الفونسو الأول ملك أراكون ، ولكن الاستاذ عبد الله عنان في حاشية من حواشيه على كتاب (تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين) ص 80 يذكر أنه هو سانشو راميريز ملك أراكون وصاحب بنبونة ، وقد يكون الاسماء لثمتا واتحد الأول كان قبل الملك والثاني بعده .

أما البرهانس فهو القائد القشتالي النصراني البار فانيث ابن أخي السيد القنيطور كان من أكبر قواد الفونسو السادس .

مدينة طرطوشة محاصرا لها ، والبرهانس على بلنسية ، فأتياها بجيوشهما فلقوا به ، ويحث إلى بلاد قشتالة وجليقة وبنبلونة (٨٧) فأتاه من تلك البلاد من حشود الروم أمم لاتحصا ، فلما اجتمعت للفونسو السادس جيوش الكفر واستوفت لديه حشودهم ووفودهم ارتحل إلى لقاء الأمير يوسف بن تاشفين وجيوش المسلمين ، وارتحل يوسف من الجزيرة الخضراء قاصدا نحوه ، وقدم بين يديه قائده أبنا سليمان داوود بن عائشة في عشرة آلاف فارس من المرابطين ، وتقدم أيضا المعتمد ابن عباد أمام ابن عائشة مع أمراء الأندلس وجيوشهم ، منهم ابن صمادح صاحب ألرية ، وابن جبوس صاحب غرناطة ، وابن مسلمة صاحب الثغر الأعلا ، وابن ذى النون ، وابن الأفطس ، وابن باديس ، فأمرهم يوسف رحمه الله أن يكونوا مع المعتمد ابن عباد ، فتكون محلة الأندلس محلة واحدة ، ومحلة المرابطين أخرا ، فتقدم بهم ابن عباد ، فكانوا إذا قام ابن عباد ورساء الأندلس من موضع إلى غيره نزله الأمير يوسف بن تاشفين بمحلته ، فلم يزلوا على ذلك حتى نزلوا بمدينة طرطوشة فأقاموا بها ثلاثة أيام ، وكتب منها الأمير يوسف بن تاشفين كتابا إلى الفونسو السادس يدعو فيه إلى الجزية أو الاسلام أو الحرب ، فلما وصل كتابه إلى الفونسو أدركته الأنفة وداخله الكبر ، وقال للرسول : قل للأمير لا تتعب نفسك ، أنا أصل اليك ، فارتحل يوسف رحمه الله وارتحل الفونسو السادس حتى نزل بالقرب من مدينة بطليوس ، ونزل الأمير يوسف بموضع يعرف بالزلاقة (٨٨) من أحواز بطليوس ، وتقدم المعتمد وأمراء الأندلس فنزلوا بجهة أخرا بينهما ربوة حاجزة ترهيبا للعدو وتخويفا له ، وبين الفريقين وعسكر الروم نهر بطليوس حاجز يشرب منه هؤلاء وهؤلاء فأقاموا ثلاثة أيام والرسل تختلف بينهم إلى أن اتفق رأيهم أن تكون

(87) في الأصل بيونة .

(88) ويسمى أيضا السهلة ، مكان يبعد بضعة أميال عن بطليوس يسمى النصرار

سكر الياس .

الملاقاة بينهم يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمئة (٢٦ أكتوبر ١٠٨٦ م) فلما وقع الاتفاق بينهما على ذلك بعث المعتمد الى الأمير يوسف بن تاشفين يعلمه أن يكون على أهبة واستعداد للحرب ، وأن العدو صاحب مكر وخديعة فى الحرب ، فلما كان الليل من يوم الخميس العاشر لرجب المذكور عبأ ابن عباد كتائبه وصف جيوشه واستعد للقتال ، وجعل على عسكر العدو عيونا على خيل سبق يأتونه بأخبارهم رمايرونة من حركاتهم ، فلم يزل كذلك الى الفجر من يوم الجمعة ، فبينما ابن عباد فى آخر ركعة من صلاة الصبح وكان قد غلس بالصلاة اذ أقبلت الخيل التي كانت طليعة على العدو مسرعة اليه ، فأخبروه أن العدو قد زحف نحو المسلمين فى أمم كالجراد المنتشر ، فأرسل فى الحين بالخبر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فوجده على أهبة للحرب قد عبأ كتائبه طول ليلته ، لم ينم احد فى محله تلك الليلة ، فأرسل قائده المظفر داوود بن عائشة فى جيش عظيم من متونسة ووجوه المرابطين وأقبالهم ليكونوا طليعة له ، وكان داوود بن عائشة لانظير له فى العزم والحزم والنجدة ، وكان عدو الله ألفونسو السادس قد قسم عساكره على فرقتين ، فتوجه هو وفرقة نحو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوقع فى الجيش الذي كان مع القائد داوود بن عائشة، فاقتتلوا قتالا عظيما ، وصبر المرابطون صبورا جميلا ، وداسهم اللعين بكثرة جنوده حتى كاد يستأصلهم ، وكانت بينهم مضاربة تفلت فيها السيوف وتكسرت الرماح ، وسارت الفرقة الثانية من عسكر اللعين مع البرهانس وابن رنمير نحو ملحة ابن عباد ، فداسوها ، واستمرت الهزيمة على رؤساء الأندلس الى جهة بطليوس ، ولم يثبت منهم غير ابن عباد وجيشه ، فانهم ثبتوا فى ناحية يقاتلون لم ينهزموا ، وقاتلوا قتالا شديدا ، وصبروا صبر الكرام ، لحرب اللئام ، فاتصل الخبر بيوسف ان الهزيمة قد استمرت على عسكر أمراء الأندلس ، وأن المعتمد وداوود ابن عائشة صابران يقاتلان لم ينهزما ، فبعث قائده سيرى بن أبى بكر فى قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر الذين

كانوا في محله اعانة لداوود بن عائشة وابن عباد ، وسار هو في جيش
لقتونة وقيائل الماريطين من صنهاجة قاصدا الى محلة الفونسو السادس
حتى ضرب فيها والفونسو مشغول بقتال داوود بن عائشة فأضرمها نارا
وأحرقها ، وقتل من كان بها من الأبطال والرجال والفرسان الذين تركهم
الفونسو بها يحرسونها ويحمونها ، وفر الباكون منهزمين نحو الفونسو
فأقبلت عليه خيله من محله فارين وأمير المسلمين يوسف في أثرهم
بساقتة وطبولة وبغوده ، وجيوش الماريطين بين يديه يحكمون في الكفرة
سيوفهم ويروونها من دمائهم ، فقال الفونسو السادس ماهاذا ؟ فتأخبر
الخبر بحرق محله ونهبها وقتل حماقتها وسبي حريمها ، فرد وجهه الى
قتاله وصمم أمير المسلمين نحوه ، فانتشبت الحروب بينهما ، فكانت
بينهما حروب عظيمة لم يسمع قط بمثلها ، وكان أمير المسلمين على فرس
أثنا يمر بين صفوف المسلمين يحرضهم ويقوي نفوسهم على الجهاد
والصبر ، ويقول : يا معشر المسلمين اصبروا لجهاد أعدائكم أعداء الله
الكافرين ، فمن رزق منكم الشهادة فله الجنة ، ومن سلم فقد فاز بالأجر
العظيم والغنيمة ، فقاتل المسلمون قتال من يطلب الشهادة ويرغب في
الموت ، وكان المعتمد رحمه الله وأصحابه الذين ثبتوا معه قد يتسوا من
الحياة ولا علم لهم بالحال ، إذ نظروا الى الروم مغرمتين ، وعلى
أعقابهم ناكسين ، فظنوا أنهم الذين هزمهم ، فقال لأصحابه : شدوا
على أعداء الله تعالى فشدوا عليهم ، وحمل القائد سيرى بن أبي بكر بمن
معه من قبائل المغرب وزناقة والمصامدة وغمارة ، فاستمرت الهزيمة
على الروم ، وتراجعت الطائفة المنهزمة من المسلمين نحو بطليوس لما
أخبروا أن أمير المسلمين يوسف قد ظفر ، وتدارك الناس بعضهم ببعض
طائفة بعد طائفة ، وفوجا بعد فوج ، واشتد القتال على الفونسو السادس
حتى أيقن بالفناء ، ولم يزل القتال يشتد عليه الى غروب الشمس ، فلما
راى الفونسو اللعين أن الليل قد أقبل وأكثر جنوده قد قتل ، وراى صبر
الماريطين وصدق نيتهم في جهادهم علم أنه لا طاقة له بقتالهم ، ففر مهزوما
على وجهه في نحو الخمسمئة فارس على غير طريق ، وركبهم الماريطون

بالسيف يقتلونهم في كل فج وسهل ، ويلتقطونهم التقاط الحمام للحب
القليل ، الى أن حال الليل بظلمته بينهم ، وبات المسلمون تلك الليلة على
خيولهم يقتلون ويأسرون ويغنمون ويشكرون الله تعالى على مامنهم
حتى أصبح ، فصلوا صلاة الصبح في وسط القتلة ، وكانت هذه الهزيمة
العظيمة على أعداء الكفرة من أعظم الوقائع ، قتل فيها ملوك الشرك
وأنصاره ، وحماته وشجعانه ، ولم ينج من جميعهم الا الفونسو السادس
اللعين مثقلا بالجراح في شردمة قليلة نحو الخمسمئة فارس مثخنين
بالجراح ، فمات منهم أربعمئة فارس ، ودخل طليطلة في مئة فارس من
حماته ورجاله ، وكانت هذه الغزوة المباركة يوم الجمعة الحادي عشر من
رجب الفرد عام تسعة وسبعين وأربعمئة (٢٣ أكتوبر ١٠٨٦ م) واستشهد
فيها من المسلمين نحو الثلاثة آلاف رجل ممن سبقت لهم من الله
الحسنا وختم لهم بالشهادة ، وأمر أمير المسلمين يوسف برؤوس القتلا
من الروم أن تقطع فقطعت وجمعت بين يديه أمثال الجبال ، فبعث منها الى
اسبيلية عشرة آلاف رأس والى قرطبة عشرة آلاف ، والى بلنسية كذلك ،
والى سرقسطة ومرسية مثلها ، وبعث الى بلاد العدو بأربعين ألف
رأس ، فقسمت على مدن العدو ليراها الناس فيشكرون الله تعالى على
مامنهم من النصر والخير ، وكان عدد الروم فيما نقل مئة وثمانين ألف
فارس ومئتي ألف رجل فقتلوا أجمعين ، ولم ينج منهم الا الفونسو في مئة
فارس ، وفيها أذل الله الشرك ببلاد الأندلس فلم تقم لهم قائمة نحو
الستين سنة .

وفي هذا اليوم تسمي يوسف بن تاشفين بأمر المسلمين ولم يكن
يدعها قبل ذلك ، وأظهر الله تعالى الاسلام وأعز أهله ، وكتب أمير
المسلمين بالفتح الى بلاد العدو ، والى تميم صاحب الهدية ، فعملت
المفرحات في جميع بلاد أفريقية وبلاد المغرب والأندلس ، واجتمعت كلمة
الاسلام ، وأخرج الناس الصدقات ، وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى على
صنعه الجميل وفضله .

ومن فصول الكتاب الذي كذب به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
الى بلاد العدو .

(أما بعد حمد الله تعالى المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل رسله وأكرم خلقه وأسراه ، فإن
العدو الطاغية لعنه الله لما قربنا من حماه وتواقفنا بأزائه ، لقناه الدعوة
وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب فاخترت الحرب ، فوقع الاتفاق بيننا
وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الرابع عشر لرجب ، وقال الجمعة عيد
للمسلمين ، والسبت عيد لليهود ، وفي عسكرنا منهم خلق كثير ، والأحد
عيدنا نحن فتفرقنا على ذلك ، وأضرر اللعين خلاف ماشرطناه ، وعلمنا
أنهم أهل خدع ونقض عهود ، فأخذنا أهبة الحرب لهم ، وجعلنا عليهم
العيون ليرفعوا إلينا أحوالهم ، فأتتنا الأنباء في سحر يوم الجمعة
الحادي عشر من رجب المذكور بأن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين ،
يرا أنه قد اغتيم فرصته في ذلك الحين ، فانتدبت اليه أبطال المسلمين
وفرسان المجاهدين ، فتعشته قبل أن يتعشاها وتغذته قبل أن يتغذاها ،
وانقضت جيوش المسلمين على جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ،
ووثبت عليهم وثوب الأسد على فريسته ، وقصدنا برايتنا السعيدة
المنصورة ، في سائر المشاهد المشهورة ، في جيوش متونة نحو الفئس ،
فلما أبصر النصارا رايتنا المشتهرة ، ونظروا إلى مراكينا المنتظمة
الظفرة ، وغشيتهم بروق الصفاح ، وأظلتهم سحائب الرماح ، وزلزلت
خوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح ، التحم النصارا بطاغيتهم
الفئس ، وحملوا على المسلمين حملة منكرة ، فتلقاهم المرابطون بنية صادقة
خالصة ، وهمم عالية ، فعصفت ريح الحرب ، ووكفت ديم السيوف والرماح
بالطعن والضرب ، وطاحت المهج ، وأقبل سيل الدماء في هوج ، ونزل من
سماء الله على أوليائه النصر العزيز والفرج ، وولا الفئس مطعوناً في
أحدا ركبتيه ، طعنة أفقدته أحدا ساقيه ، في خمسمئة فارس من مئة
وثمانين ألف فارس ، ومئتي ألف راجل ، قادهم الله الى المصارع والحتف

العاجل ، وتخلص لعنه الله الى جبل هنالك ، ونظر الذهب والنيران فى محلته من كل جانب ، وهو من أعلا الجبل ينظرها شزرا ، لم يجد عنها صبرا ، ولا يستطيع عنها دفاعا ولا لها نصرا ، فأخذ يدعو بالشبور والويل ، ويرجو النجاة فى ظلام الليل ، وأمير المسلمين بحمد الله قد ثبت فى وسط مراكيه المظفرة ، تحت ظلال بنوده المنتشرة ، منصور الجهاد مرتفع الأعداد ، يشكر الله تعالا على مامنحه من نيل السؤل والمراد ، وقد سرج الغارات فى محلاتهم تهدم بناءها وتسلم ذخائرها وأسبابها وتريه رأي العين دمارها ونهاياها ، والفنش ينظر اليها نظر الغشي عليه ، ويعض غيظا وأسفا على أئامل كفيه ، وحين تمت الهزيمة وتنازع الفرار ، عاد رؤساء الأندلس المهزومون نحو بطليوس والغار ، وتراجعوا حذرا من العار ، ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواد ، أبى القاسم المعتمد ابن عباد ، فأتا الى أمير المسلمين وهو مهيب الجناح ، مريض عفاء وجراح ، فهناه بالفتح الجميل ، والصنع الجليل ، وتسلسل الفنش تحت الظلام ، قارا لا يهدأ ولا ينظم ، ومات من الخمسة فارس الذين كانوا معه بالطريق أربعئة ، فلم يدخل طليطلة الا فى مئة فارس ، والحمد لله على ذلك كثيرا ، وكانت هاهه النعمة العظيمة ، والمنة الجسيمة ، يوم الجمعة الحادي عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربعئة موافق الثالث والعشرين لشهر أكتوبر العجمي .

وفى ذالك يقول ابن اللبانة :

يوم العروبة كان ذاك الموقف وأنا شهدت فإين من يستوصف ؟

وقال ابو جهور :

لم تعلم الروم اذ جاءت مصمة يوم العروبة أن اليوم للعرب

ولم يكن لرؤساء الأندلس الذين شهدوا الزلاقة فى هاهذا اليوم أمير يشكر ، فيقيد عنهم ويؤثر ، الا ابن عباد وطائفة من جيشه ، فأنه ثبت وأيلا بلأ حسنا ، وجرح ست جراحات ، وفى ذالك يقول يخاطب بعض ولده :

أبا هاشم هشمته الشفار قلله صبرى لذالك الأوار
تكرت شخيصك مايبينها فلم يثننى ذكره للفرار
واتصل بأمير المسلمين يوسف فى ذالك اليوم وفاة ولده أبى بكر ،
وكان تركه مريضا بسببة ، فاغتم لذالك وانصرف راجعا الى العدو
بسبب وفاة ولده ، ولولا ذالك لم يرجع ، فجاز الى العدو ودخل حضرة
مراكش فاقام بها الى سنة ثمانين وأربعمئة ، فخرج فى شهر ربيع الآخر
منها يتطوف على بلاد المغرب ، ويتفقد أحوال الرعية وينظر فى أمور
المسلمين ، ويسأل عن سير عماله فى البلاد وقضاته .

وفى سنة احدا وثمانين وأربعمئة جاز أمير المسلمين الى الأندلس
الجواز الثانى برسم الجهاد ، وسبب جوازه أن ألفونسو السادس لعنه الله
لما هزم وجرح وقتلت جيوشه عمد الى حصن لبيط الموالى لعمل ابن عباد ،
فشحنه بالخيول والرجال والرماة ، وأمرهم أن يدخلوا من حصن لبيط
المذكور فيغيرون فى أطراف بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الأندلس ، إذ
كان السبب فى جواز أمير المسلمين يوسف فكانوا يدخلون منه خيلا
ورجالا فيقتلون ويأسرون فى كل يوم ، جعلوا ذالك وظيفة عليهم ، فساء
ابن عباد ذالك وضاق ذرعا ، فلما رأى تماديهم على ذالك عبر البحر الى
العدوة الى لقاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فلقيه بالمعمورة من
ملقا وادى سبو ، فشكا اليه حصن لبيط ، وشدة ضرره على المسلمين ،
واستغاث به فى ذالك ، فوعده بالجواز والوصول اليه ، فسار المعتمد
وسار يوسف فى اثره ، فركب البحر من قصر المجاز الى الجزيرة
الخضراء فتلقاء ابن عباد بها بألف دابة تحمل الميرة والضيافة ، فلما
نزل يوسف بالخضراء كتب منها الى أمراء الأندلس يدعوهم الى الجهاد ،
وقال لهم : الموعد بيننا حصن لبيط ، ثم تحرك يوسف من الجزيرة
الخضراء ، وذالك فى شهر ربيع الأول من سنة اخطا وثمانين وأربعمئة
(يونيو ١٠٨٨ م) فنزل على حصن لبيط ، فلم يأتهم ممن كتب اليه من
أمراء الأندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية والمعتمد ابن عباد ،

فنزلا معه الحصن وشرعوا في قتاله والتضييق عليه ، وشن يوسف الغارات على بلاد الروم في كل يوم ، فدام الحصار على لبيط أربعة أشهر ، لا يفتقر عنه القتال ليلا ولا نهارا الى ان دخل فصل الشتاء ووقع بين ابن عبد العزيز أمير مرسية وبين ابن عباد أمير اشبيلية نزاع وشنان فشكا المعتمد الى أمير المسلمين يوسف ابن عبد العزيز فدعا يوسف قائده سيزي بن أبي بكر وأمره بالقبض على ابن عبد العزيز وثفاقه فقبض عليه وثقفه في الحديد وأسلمه الى المعتمد ، فاحتلت الحلة بسبب ذلك ، وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميزة عن المحلة ، فوقع بها الغلاء ، فلما راا ذلك الفونسو السادس حشد وقصد التي خماية حضن لبيط في أمم لاتحصاء ، فلما قرب الفونسو من لبيط انحرف له يوسف عن الحصن الى ناحية لوزقة ، ثم الى المرية ، ثم جاز الى العدو ، وقد تغير على أمراء الأندلس لكونه لم يأتهم أحد الى نزول حصن لبيط الذي كتب لهم به ، ولما رحل يوسف عن لبيط وجاز الى العدو أقبل الفونسو السادس حتى نزل على لبيط فأخلاه وأخرج من كان فيه من بقايا النصارا المنفلتين من مخالف الموت ، وارتحل الى طليطلة ، فأخذ ابن عباد الحصن بعد خلائه وفناء جميع من كان به بالقتل والجوع ، وكان فيه لما نزله يوسف من النصارا نحو اثني عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية ، فني جميعهم بالقتل والجوع ، ولم يبق فيه غير مئة من الرجال ، وهم الذين أخرجهم الفونسو حين أخلاه .

وأقام يوسف ببلاد العدو الى سنة ثلاث وثمانين وجاز الى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثالث ، فسار حتى نزل طليطلة وحاصرها والفونسو بها ، وهتكها وقطع ثمارها وخرب أحوازها وقتل وسبها ، ولم يأتهم أحد من أمراء الأندلس ، ولم يعرج عليه فغاضه ذلك ، فلما رجع من غزو طليطلة سار الى غرناطة فنزلها ، لأن صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس كان قد صالح الفونسو السادس وظاهره على يوسف وبعث اليه بالمال ، واشتغل بتحصين بلده ، ولذلك قال بعض أدباء عصره :

يبني على نفسه سقاهاها كأنه دودة الحرير
دعوة بيني فسوف يدري إذا أنت قدرة القدير

فلما وصل يوسف الى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن
بلكين وأغلق الأبواب في وجهه ، فحاصره أمير المسلمين مدة من شهرين ،
فلما رآه تمادا بالحصار عليه بعث اليه يطلب الأمان فأمنه بعد أسلام
البلاد ، فملك يوسف غرناطة وأحوازها وجميع ما كان بيد عبد الله بن
بلكين من الأعمال والبلاد ، وبعث بعبد الله بن بلكين صاحب غرناطة
وأخيه تميم صاحب مالقة الى مراكش مع حريمهما وأولادهما ، فأقاما
بها وأجزأ عليهما الاتفاق الى أن ماتا بها ، فلما خلع يوسف بنى بلكين
ابن باديس عن غرناطة ومالقة وملك بلادهم خافا منه ابن عباد وانقبض
غته ، فمشا بينهما الوشاة بالنمائم ، فتغير عليه يوسف ، فجاز السى
العدوة في شهر رمضان المعظم من سنة ثلاث وثلاثين المذكورة ، وقصد
الى مراكش ، وقدم على الأندلس قائده سيزى بن أبى بكر اللموتى ،
وفوض اليه جميع الأمور كلها ، ولم يأمره فى ابن عباد بشيء ، فسار
سيزى بن أبى بكر نحو اشبيلية وهو يحيط أن ابن عباد إذا سمع به
خرج اليه وتلقاه عن بعد بالضيافة ، فلم يفعل وتحصن منه ولم يصيفه
ولم يلتفت اليه ، فرأسه سيزى بن أبى بكر فى أن يسلم اليه البلاد ويدخل
فى طاعته ، فامتنع المعتمد من ذلك ، فأخذ سيزى فى حصاره وقتاله ،
وبعث قائده بطى الى جيان ، فحاصرها حتى دخلها صلحاء ، وملكها
المرابطون ، وكتب سيزى بالفتح الى يوسف وأمر القائد بطى أن يتحل
عن جيان ويسير الى قرطبة ، فسار اليها وبها يومئذ المأمون بن المعتمد ،
فأزل عليه بطى بغساكر المرابطين حتى فتحها وفتح حصونها ، ومعاقلها ،
وكان فتح المرابطين لقرطبة يوم الاربعاء الثالث من شهر صفر سنة أربع
وثمانين وأربعمئة (٢٦ مارس ١٠٩١ م) ، ثم فتح بياضة وأبيدة وحضن
البلاط والمدور والصخيرة وشبقورة ، ولم ينقض شهر صفر المذكور حتى
لم يبق لابن عباد بلد الا وقد ملكه المرابطون ماعدا قرمونة واشبيلية ،
فأقلم القائد بطى بن اسماعيل بقرطبة حتى سكنها وزم شعورها ، وبعث

• (p 1.9V

وفى شعبان من هذه السنة ملك الرابطون مدينة نبرة وفى شهر شوال منها دخل القائد يوسف بن داود بن عائشة مدينة مرسية وأعمالها، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين يوسف ، وكان القائد يوسف بن داود بن عائشة عادلا فى أحكامه صالحا ورعا لاتأخذه فى الله لومة لائم ، فأحبه الناس ، وفيها رحل القائد محمد بن عائشة بجيش الرابطين فنزل المرية ، فهرب عنها صاحبها معز الدولة بن صمادح فى البحر الى إفريقية بأمواله وعياله وأسلم له البلد ، فملكها الرابطون ، وكتب محمد بن عائشة بالفتح الى أمير المسلمين يوسف ، فملك يوسف مملكة خمسة أمراء من أمراء

الأندلس في سنة ونصف ، وهم : ابن عباد ، وابن جبرس وابن الأخص ،
وابن عبد العزيز ، وعبد الله بن بكر صاحب حيان وأيلة واستجة .
وفي سنة خمس وثمانين أمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائده
ابن عائشة أن يسير إلى دانية ، فسار إليها وملكها وملك شاطبة ، وكان
صاحبها ابن منقذ ، ففر عنها ودخلها المرابطون ، ثم سار قائده ابن
عائشة إلى مدينة شقورة فملكها ، وسار إلى يلفسية وكان بها القادر بن
ذى النون ، والحاكم فيها جمع من النصارا يجيئون خراجها ، ففر عنها
ودخلها القائد ابن عائشة وكتب بالفتح إلى أمير المسلمين .

وفي سنة ست وثمانين وأربعمئة فتح المرابطون مدينة الفراغ من
بلاد شرق الأندلس ، ولم يزل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يبعث
جيوشه وقواده إليها يرسم الجهاد للروم وخلق أمرائها المتغلبين عليها
حتى ملك جميع بلاد الأندلس واستوثق له أمرها .

وفي سنة ست وتسعين وأربعمئة أخذ أمير المسلمين البيعة لولده
علي بقرطبة فبايعه جميع أمراء لتونة وأشياخ البلاد وفقهاؤها ، وذلك
في شهر ذي الحجة منها ، وكان علي غائبا بسببة وبها نشأ .

وفي سنة ثمان وتسعين مرض أمير المسلمين يوسف وابتدأته العلة
التي مات منها وهو بمدينة مراكش ، فلم يزل مرضه يشتد وحاله يضعف
إلى أن توفي رحمه الله في مستهل شهر محرم سنة خمس مئة (الأحد ٢
شتمبر ١١٠٦ م) وقد بلغ عمره مئة سنة ، فكانت مدة ملكه من يوم دخل
مدينة فاس سنة اثنتين وستين وأربعمئة ، إلى أن توفي ثمانيا وثلاثين
سنة ، ومن حين قدمه أبو بكر بن عمر سبعا وأربعين سنة ، والبقاء لله
وخده .

الخبر عن دولة أمير المسلمين علي بن يوسف

ابن تاشفين بالمغرب وبلاد الأندلس

هو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت ابن وارتقطين بن منصور بن عصالة بن أمية بن وارتملى بن تمليت الصنهاجى اللمتونى .

كنيته : أبو الحسن .

أمه أم ولد رومية اسمها قمر ، وتكنأ أم الحسن .

مولده : بسبئة سنة سبع وسبعين وأربعمئة .

صفته : أبيض اللون ، مشرب بحمرة ، تام القد ، أسيل الوجه أفلج

أقنا خفيف العارضين أكحل العينين سبط الشعر .

بنوه : تاشفين المولا بعده ، وأبوبكر ، وسيرى .

كاتبه : أبو محمد بن أسباط .

بويع له يوم مات أبوه يمراكش بعهد أبيه له ، وتسمأ بأمير المسلمين ، وذلك فى غرة محرم سنة خمسمة ، وسنه يوم بويع ثلاث وعشرون سنة ، وملك جميع بلاد المغرب من مدينة بجاية الى بلاد السوس الأقصا ، وملك جميع بلاد القبلة من سجلماسة الى جبل الذهب من بلاد السودان ، وملك بلاد الأندلس شرقا وغربا ، وملك الجزائر الشرقية وميورقة ويابسة ، وخطب له على ألفي منبر ونيف وثلاثمئة منبر ، وملك من البلاد ما لم يملكه والده ، لأنه وجد البلاد هادئة ، والأموال وافدة ، والملك قد توطأ ، والأمور قد استقامت .

ولما ولي رحمه الله أقام العدل ، وضبط الثغور ، ووالا الجهاد ، وسرح السجون ، وفرق الأموال ، ورد أحكام البلاد الى القضاة ، وسلك طريق أبيه فى جميع أموره ، واهتدا بهديه ، وعزل عن قرطبة الأمير أبنا

عبد الله ابن الحاج ، وولا مكانه القائد محمد بن أبي زلفى ، فغزا طليطلة وأوقع بالنصارا فقتلهم قتلًا ذريعًا بباب القنطرة أخذهم على غرة .

وقيل لما توفي والده يوسف رحمه الله سجاه بثوبه وخرج ويده في يد أخيه تميم إلى المرابطين فنجاه لهم ، فوضع تميم يده في يد علي فبايعه ثم قال للمرابطين : قوموا فبايعوا أمير المسلمين ، فبايعه جميع من حضر من لتونة وسائر قبائل صنهاجة والفقهاء وأشياخ القبائل فتمت له البيعة بمراكش ، فكتب إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وبلاد القبلة يعلمهم بموت أبيه واستخلافه من بعده ويأمرهم بالبيعة ، فأنته البيعة من جميع البلاد ، وأقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنئة إلا مدينة فاس ، فان ابن أخيه يحيى بن أبي بكر ابن أمير المسلمين يوسف كان أميراً عليها من قبل جده يوسف ، فلما وصله الخبر بموت جده وولاية عمه عظم ذلك عليه وأنف من بيعة عمه وخالف عليه وامتنع من البيعة ، ووافقه على ذلك جماعة من لتونة ، فخرج إليه أمير المسلمين علي من مراكش حتى قرب من مدينة فاس ، فخاف يحيى ابن أخيه على نفسه وعلم أنه لا طاقة له بحربه ، ففر عن مدينة فاس وأسلمها لعمه ، فدخلها أمير المسلمين علي بن يوسف ، واستقام له الملك ، وكان دخوله مدينة فاس وقرار الأمير يحيى بن أبي بكر عنها يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس مئة (٧ دجنبر ١١٠٦ م) .

وقيل أن أمير المسلمين علي بن يوسف لما قرب من مدينة فاس نزل مدينة مغيلة (٨٩) من أحواز فاس ، ثم كتب إلى ابن أخيه كتاباً يعاتبه فيه على فعله ويدعوه للدخول في طاعته كما دخل الناس ، وكتب إلى

89) مغيلة : مدينة مغربية مسماة باسم القبيلة التي كانت تسكنها ، تقع بين فاس ومكناس عن يمين الداهب من الأولا إلى الثانية بطن المهاي من قبيلة عرب سايس ، كان الطريق القديم يمر بها قبل تعبيد الطريق الجديد في أول هذا القرن ، خربها الجند الروم الذين كانوا في جيش الخليفة السعيد الموحدي ، فهبطت إلى مستوى قرية لا تزال قائمة العين والذات إلى اليوم ، ينتسب إليها جماعة من الأعلام . أنظر عنها بيوتات فاس الكبرى وأخبار المهدي بن توفرت ص 25 وانظر عنها قصة لطيفة في المطرب لابن دحية ص 124 .

أشياخ البلد كتابا يدعوهم فيه الى بيعته ويهددهم ويوعدهم ، فلما وصل الكتاب الى يحيى وقراه جمع أهل البلد واستشارهم فى الحصار والمقاتلة فلم يوافقوه على ذلك ، فلما يئس منهم خرج فارا الى مزدلى العامل على تلمسان ، فلقىه مزدلى بوادى ملوية (٩٠) وهو مقبل بالبيعة لأمير المسلمين علي بن يوسف والسلام عليه ، فأعلمه بما كان من شأنه ، فضمن له مزدلى من عمه العفو والصفح ، فرجع معه يحيى حتى وصل الى مدينة فاس ، فدخل مزدلى الى أمير المسلمين علي ، ونزل يحيى مختفيا بحومة وادى شدرور فلما دخل مزدلى وبايع أمير المسلمين وسلم عليه وراا منه قبولا وكراما عظيما أعلمه بخبر يحيى وبما ضمن له من العفو فأجابه الى ذلك وعفا عنه وأمنه ، وأتاه يحيى فبايعه ، وخيره أمير المسلمين اما ان يكون سكناه بجزيرة ميورقة واما ان ينصرف عنه الى بلاد الصحراء ، فانصرف اليها ، ثم سار منها الى الحجاز ، فحج بيت الله الحرام ورجع الى عمه ، فاستأذنه ان يكون من حماته ويكون سكناه بحضرة مراکش ، فأذن له فى ذلك فسكنها ، فاتهمه عمه بالقيام عليه فنقفه وبعث به الى الجزيرة الخضراء ، فبقي بها الى ان مات .

وفى سنة احدا وخمسمئة عزل الأمير علي أخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب وولا مكانه القائد أبا عبد الله بن الحاج ، فاقام واليا على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب ستة أشهر ، ثم عزله وولاه مدينة بلنسية من بلاد شرق الأندلس ، ومنها دخل سرقسطة سنة اثنتين وخمسمئة وفى سنة اثنتين وخمسمئة كانت وقعة اقليج على النصارى ، وكان أمير جيش المسلمين تميم بن يوسف بن تاشفين ، وكان واليا على غرناطة

(90) نهر كبير ينبع من ملتقى جبال الأطلس المتوسط والأطلس الكبير ثم تجرى مياهه فى اتجاه شمالى شرقى حتى تصب فى البحر المتوسط بين السعيدية ومليبية بعد ما تقطع فى جريها مسافة 480 كلم من المنبع الى المصب ، تبلغ كمية فيضه خلال فصل المطر 200 م³ فى الثانية ولكنها تنخفض بالتدريج حتى لا تتجاوز 20 م³ فى فصل الصيف ، وقد بنى بأسفل النهر المذكور قرب مصبه سدان أحدهما بمشروع القليلة والثاني بمشروع حمادى ، وتستقل مدخرات السدين المذكورين من المياه فى توليد الكهرباء وسقى سهول بركان الواقعة فى شرقه وسهول صيرة الواقعة فى غربه .

فخرج منها غازيا الى بلاد الروم ، فنزل حصن اقليج وبه جمع عظيم من الروم ، فحاصروهم حتى دخل عليهم فتحصن النصارى فى القسبة ، فبلغ خبرهم الى الفونسو السادس ، فاستعد للخروج الى اغاثة بلده ، فأشارت عليه زوجته ان يوجه ولده عوضا منه فيكون مقابلا لتميم ، لأن تميما ابن ملك المسلمين ، وسانشو ابن ملك الروم ، فسمع منها فبعث ولده سانشو فى جيوش كثيرة من زعماء الروم وانجادهم ، وساروا حتى قربوا من اقليج ، فأخبر تميم بقدمه ، فأراد ان يقطع عن الحصن ولا يلقاهم ، فأشار عليه عبد الله بن محمد بن فاطمة ، ومحمد بن عائشة ، وغيرهما من قواد لمتونة بالمقام ولا يرحل ، وشجعوه وهونوا عليه أمرهم وقالوا له لا تخف فانما قدموا فى ثلاثة آلاف فارس وبيننا وبينهم مسافة ، فأطاعهم فى ذلك ، فلم يكن الا عشي يومهم ذاك حتى أتتهم جيوش الروم فى الوف كثيرة ، فأراد تميم الفرار وأحجم عن قتالهم ، فلم يجد سبيلا للفرار ولا للروغ مخلصا ، وصمم قواد لمتونة الى لقاء العدو وضاجرته ، فالتقوا فكانت بينهم حروب عظيمة لم يسمع مث لها ، فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين ، وقتل ولد الفونسو السادس وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف ، ودخل المسلمون اقليج بالسيف ، واستشهد فيها جماعة من المسلمين رحمهم الله ، واتصل الخبر بالفونسو ، فاغتم لقتل ولده ودخل بلده وهلاك عسكره ، فمرض بالفقعة ومات لعشرين يوما من الكائنة (٩١) وكتب تميم بالفتح الى أخيه أمير المسلمين علي بن يوسف .

وفيهما سار محمد بن الحاج من بلنسية الى سرقسطة ، فدخلها وأخرج عنها بنى هود وملكها ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين علي ، ولم يزل بها الى أن خرج غازيا الى برشلونة ، فاستشهد بها ، وذلك فى سنة ثمان وخمسمئة ، وكان رحمه الله طول أيام ولايته ببلنسية وسرقسطة قد ضيق بالنصارى تضيقا عظيما بالمغارات على بلادهم ، فخرج فى غزاة له فأخذ على الطريق البرية ، فغنم وسبا وكان معه

جماعة من قواد لمتونة ، فبعث بالمغنم على الطريق الكبير ، وأخذ هو على البرية لقربه من بلاد المسلمين ، وممر أكثر الناس مع المغنم ، وكان طريق البرية الذي أخذه محمد بن الحاج لايسلك الا على طريق واحد لصعوبته وشدة وعره ، فلما توسط الأمير محمد ابن الحاج وأخذته الأوعار والمضايق وجد النصارا قد كمنوا له فى جهة من تلك الجهات ، فقاتلهم قتالا شديدا ، قتل من أيقن بالموت واغتنم الشهادة ، اذ لم يجد منفذا يخلص منه ، فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوعة ، وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة فى نفر بالحيلة الى بلاد المسلمين ، فاتصل خبر وفاته بأمير المسلمين علي ، فأسف عليه وولا مكانه أبا بكر ابن ابراهيم بن تافلوت ، وكان عاملا على مرسية ، فاجتمع اليه من كان بها من الجند الى جند سرقسطة ، وسار بها الى برشلونة ، فنزلها وأقام عليها عشرين يوما حتى هتكها وقطع ثمارها وخرب أنحاءها وقرأها ، فأناه ردمير فى جيوش كثيرة من حشود لبيط وبرشلونة وبلاد أربونة فكانت بينهم حروب عظيمة مات فيها خلق كثير من الروم واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعمئة رجل .

وفى سنة ثلاث وخمسمئة جاز الأمير علي بن يوسف الى الأندلس برسم الجهاد ، فجاز من سبنة فى الخامس عشر من المحرم من السنة المذكورة (السبت ١٤ غشت ١١٠٩ م) فى جيوش عظيمة تزيد على مئة ألف فارس ، فوصل الى قرطبة فأقام بها شهرا ، ثم خرج منها غازيا الى مدينة طلايوت ، ففتحها عنوة بالسيف ، وفتح من أحواز طليطلة سبعة وعشرين حصنا ، وفتح مجريط ووادي الحجارة ، ووصل الى طليطلة فحاصرها شهرا وقطع ثمارها وبلغ فيها من النكاية كثيرا ، ثم قفل منها الى قرطبة بعد ان دوخها .

وفى سنة أربع وخمسمئة فتح الأمير سيري بن أبى بكر مدينة شريش وبطليوس وبرتقال ويابرة والاشبونة وجميع بلاد الغرب ، وذلك فى شهر ذى القعدة منها ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين علي بن يوسف

وفى سنة سبع وخمسمئة توفي الأمير سيري بن أبى بكر باشيبيلية
ودفن بها ، وولى أشيبيلية بعده عوضا منه محمد بن قاطمة ، فلم يزل
عليها الى أن توفي فى سنة عشر وخمسمئة .

وفى سنة سبع المذكورة غزا الأمير مزدلى طليطلة واتحاهها
فدوخها ، وفتح حصن ارهينة عنوة ، وقتل كل من كان به من الرجال
وسبى النساء والذرية ، فاتصل الخبر ، بالبرهانس ملك السروم فأقبل
لنصرتهم واستنقذاهم ، فسمع به مزدلى فقصده للقائه ، ففر أمامه ليلا
ورجع مزدلى الى قرطبة ظافرا غانما ، فأمر بحمل الميرة الى أريونة
وتحصينها ، ورتب بها الرجال والرماة والفرسان ، وأعلم الأمير مزدلى
أن ابن الزند غرسيس صاحب وادي الحجارة قد حاصر مدينة سالم ،
فقصده اليه مزدلى ، فاتصل الخبر بابن الزند غرسيس قولا هاربا وأقلع
عنها حصاره ولم يكذب ، وترك جميع أسبابه وأثقاله ومضاريه ، فاحتوا
مزدلى على ذلك كله .

وفى سنة ثمان وخمسمئة توفي الأمير مزدلى رحمه الله غازيا ببلاد
الروم ، وكتب بموته الى أمير المسلمين علي بن يوسف ، قولا مكانه محمد
ابن مزدلى ، فأقام واليا عليها ثلاثة أشهر وتوفي شهيدا فى غزاة له .
وفى سنة تسع وخمسمئة ملك أمير المسلمين علي بن يوسف
الجزائر البحرية من شرق الأندلس .

وفى سنة احدا عشرة وخمسمئة ولي عبد الله بن مزدلى بلنسية
وسرقسطة ، فسار اليها من غرناطة ، فوجد ابن ردمير اللعين قد أذاق
أهلها شرا ، وكانت بينهما حروب عظيمة حتى هزمه وأخرجه عن البلاد ،
وأقام عبد الله بن مزدلى على سرقسطة عاملا كاملا ، فتوفي ، فبقيت
سرقسطة دون أمير ، فأتاها الفونسو الأول ملك أراكون فنزلها ، وأتت
الفنش (٩٢) أيضا فى أمم لاتحصى من الروم فنازل لاردة من بلاد الجوف .

92) فى الأصل (فاتاها ابن ردمير فنزلها وأتا الفنش أيضا) مما يؤهم أن هناك فنشين
ابن ردمير الذى هو الفنش الأول المجارب ملك أراكون ، وفنش آخر ، والحقيقة أنه لم يكن هناك

فاتصل الخبر بأمر المسلمين علي بن يوسف ، فكتب الى أمراء غرب الأندلس بالمسير الى ناحية تميم ، وكان واليا على شرق الأندلس ، ليسيروا معه لاستنقاذ سرقسطة ولاردة ، فقدم على تميم عبد الله بن مزدي (٩٣) وأبو يحيى بن تاشفين صاحب قرطبة بعساكرهما ، فخرج تميم بن يوسف بن تاشفين من بلنسية مع أمراء لمتونة ، فقصده نحو لاردة ، وكان بينه وبين الفونسو الأراكوني قتال عظيم ألقعه عن لاردة خاسئاً خاسراً بعد ان بذل جهده في حصارها وقتالها ، وفقد عليها من جيوشه مايزيد على العشرة الألف فارس ، ورجع تميم الى بلنسية ، فلما رأى الفونسو الأول الأراكوني ذلك بعث الى طوائف الأفرنج يستنصر بهم على سرقسطة فأتوا في أم كالنمل والجراد ، فنزلوا معه بها وشرعوا في قتالها ، وصنعوا أبراجاً من خشب تجري على بكارات وقربوها منها ، ونصبوا فيها الرعادات ، ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً ، ووقع طمعهم فيها ، فاستمر الحصار عليها حتى فنت الأوقات وفني أكثر الناس جوعاً ، فراسلوا الفونسو الأول على أن يرفع عنهم القتال الى أجل ، فان لم يأتهم من ينصرهم أدخلوا البلاد وأسلموها له ، فعاهدهم على ذلك ، فتم الأجل ودفعوا اليه المدينة ، وخرجوا عنها الى مرسية وبلنسية ، وذلك في سنة اثنتي عشرة وخمسمئة ، وبعد دخولها وتملك النصاري اياها: وصل من العدو جيش من عشرة الألف فارس بعثه أمير المسلمين عيسى لاستنقاذها ، فوجدوها قد فرغ منها وملكها ونفذ حكم الله فيها .

وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمئة تغلب العدو الفونسو الأول ملك أراكون على بلاد شرق الأندلس واستولا على أكثرها ، وملك قلعة أيوب التي ليس في بلاد الشرق أمنع منها ، وألح بالغارات على بلاد الجوف ، فاتصلت هاهنا الأخبار بأمر المسلمين عيسى بن يوسف ، فجاز السى

الافئس واحد هو ابن رذمبر الذي أثبتنا في المتن اسمه الحقيقي اصلاً وتحقيقاً ورفعاً لكل التباس.
93) يلاحظ التناقض في هذه الرواية ، فقد تقدم لابن أبي زرع أن عبد الله بن مزدي توفي بعد أن حاصر سرقسطة عاماً ، وهاهو يعيده مرة أخرى الى الحياة .

الأندلس برسم الجهاد وإصلاح أحوال بلادها وضبط ثغورها ، وهو جوازه
المثاني ، فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناتة
والمصامدة وسائر قبائل البربر ، فوصل بجيوشه الى قرطبة فنزل
بخارجها ، وأتاه بها وقد الأندلس للسلام عليه ، فسألهم عن أحوال بلادهم
وتغورهم بلدا بلدا ، فعرفوه بما كان عندهم من ذلك ، وعزل ابن رشد
عن قضاء قرطبة لأجل اشتكائه ابن رشد عليه ، لأنه اشتغل بتأليف البيان
والتحصيل ، وولا مكانه أبا القاسم بن حمدين ، ثم ارتحل الى بلاد
شذمرية فنزل عليها حتى فتحها عنوة ، وسار فيها غازيا يقتل في بلاد
الغرب ويسبي ويقطع الثمار ، ويخرب القرا والديار ، حتى دوخها ، وفر
أمامه الروم ، وتحصنوا بالمعاقل المنيعه .

وفي سنة خمس عشرة وخمسمئة جاز أمير المسلمين الى العدو ، وولا
أخاه تميم جميع بلاد الأندلس ، فلم يزل عليها الى سنة عشرين ، فتوفي
تميم وولي مكانه الأمير تاشفين بن علي ، فجاز الى الأندلس في جيش
من خمسة آلاف فارس ، وبعث الى أجناد البلاد فأتوا ، فخرج بهم غازيا
الى طليطلة ، فدخل حصنا من حصونها بالسيف ، وهتك أحوازها .

وفيها أعنى سنة عشرين المذكورة هزم الأمير تاشفين النصارى
بفحص الصباب وقتلهم قتلا ذريعا ، وفتح ثلاثين حصنا من حصون بلاد
الغرب ، وكتب بالفتح الى أبيه .

وفي سنة ثمان وعشرين غزا الأمير تاشفين بن علي قنطرة محمود
فدخلها بالسيف .

وفي سنة ثلاثين وخمسمئة هزم الأمير تاشفين جموع الروم بفحص
عطية وأفنا منهم خلقا كثيرا .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة جاز الأمير تاشفين من الأندلس
الى العدو بعد ان غزا مدينة اشكونية وحمل من سبيلها الى العدو ستة
الاف سبية وفتحها عنوة ، فوصل الى مراکش فلقاه والده علي أمير
المسلمين في زي عظيم وفرح به .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة أخذ أمير المسلمين البيعة أولاده
تاشفين .

وفى سنة سبع وثلاثين تسوفي أمير المسلمين علي بن يوسف ، بن
تاشفين وولي بعده ولده تاشفين ولي عهده .

الخبر عن دولة أمير المسلمين تاشفين بن علي

ابن يوسف بن تاشفين اللمتوني رحمه الله

هو أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي
اللمتوني .

كنيته : أبو المعز ، وقيل أبو عمرو ، وأمه أم ولد رومية اسمها
ضوء الصباح .

ولي بعد وفاة أبيه وبعهده إليه في حياته ، وذلك في الثامن من
رجب الفرد من سنة سبع وثلاثين وخمسمئة (الأربعاء ٢٧ يناير ١١٤٣ م)
في معظم أيام الفتنة ، وقد قام الموحدون وظهر أمرهم وانتشر سلطانهم
وملكوا كثيرا من بلاد العدو ، فكانت بينهم وبين عبد المومن بن علي
حروب عظيمة ووقائع كثيرة .

ولما خرج عبد المومن بن علي من تينمل يريد فتح المغرب خرج
تاشفين من مراکش واستخلف عليها ولده إبراهيم ، فكان يتبع عبد
عبد المومن حيثما توجه من البلاد يباكره بالحرب ، إلى أن سار إلى
مدينة تلمسان ، وأتا عبد المومن فنزل عليه بها ، فخرج تاشفين إلى قتاله
فنزل عبد المومن بجيوشه بالصخرتين من ظاهر تلمسان مقابل الجبل ،
ونزل تاشفين بجيوش صنهاجة بالبيسط الذي يلي الصقيصيف (٩٤).

(94) واد صغير يقع شرقي تلمسان ينزل من جبل الصخرتين ويصب في نهر يسر ، عليه
قرية صغيرة تسمى بناسقه ، يعرف في كتب الجغرافية القديمة بنهر سفسيف .

فزحف المرابطون لقتال الموحدين ، فنهاهم تاشفين فلم ينتهوا ، وتعلقوا بالجبل لقتالهم ، فهبط عليهم الموحدون فهزموهم هزيمة عظيمة شنيعة ، وفر تاشفين الى مدينة وهران ، فنزل بظاهرها ، وترك تلمسان للأمير محمد المعروف بالسيورى يضبطها ، فترك عليها عبد المومن يحيا بن يومر بجيش الموحدين محاصرا لها ، وانصرف الى وهران فى طلب تاشفين بن علي ، فنزل عليه بوهران ، فلما اشتد الحصار على تاشفين بن علي خرج ليلا ليضرب فى محلة الموحدين ، فتكاثر عليه الخيل والرجال ، ففر امامهم ، وكان بجبل عال مشرف على البحر ، فظن أن الأرض متصلة ، فهو من شامق عال بازاء وهران ، وذلك فى ليلة مظلمة ممطرة ، وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم من سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (الجمعة ٢٣ مارس ١١٤٥ م) فوجد من الغد بازاء البحر ميتا ، فاحتز رأسه وحمل الى تينمل ، فعلق بها على شجرة ، وذلك بعد ملازمته الحرب فى البداء مع الموحدين لايأوى الى وطن من يوم ولي الى ان مات رحمه الله ، وكانت دولته سنتين اثنتين وشهرا ونصف شهر ، ولله عاقبة الأمور ، لارب غيره ، ولا معبود سواه ، والبقاء لله تعالى .

الخبر عن سيرهم والأحداث التى كانت فى أيامهم

رحمهم الله تعالى بمنه وكرمه

(وذلك من سنة اثنتين وستين وأربعمئة إلى سنة أربعين وخمسمئة)

كانت لتونة قوما غلبت عليهم البداوة ، وكانوا مع ذلك أهل دين متين ، وقام لهم بالمغرب والأندلس ملك عظيم ، فعدلوا فى أحكامهم ، وواظبوا على الجهاد .

وقال ابن جنون : كانت لتونة أهل ديانة ونية صادقة خالصة وصحة مذهب ، ملكوا بالأندلس من بلاد الافرنج الى البحر الغربى فى المحيط ،

ومن مدينة بجاية من بلاد العدو الى جبل الذهب من بلاد السودان ، لم
يجر فى عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى بادية ولا
فى حاضرة ، وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر ، وكانت أيامهم أيام
دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن ، تناها القمح فى أيامهم الى
أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال ، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال ،
والقطانى لاتباع ولا تشترا ، كان ذلك مصطحبا بطول أيامهم ، ولم يكن
فى عمل من بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف
المخزنية حاشا الزكاة والعشر ، وكثرت الخيرات فى دولتهم وعمرت
البلاد ووقعت القبضة ، ولم يكن فى أيامهم نفاق ولا قطاع ولا من
يقوم عليهم ، وأحبهم الناس الى أن خرج عليهم مهدى الموحدين فى سنة
خمس عشرة وخمسمئة .

وأما الاحداث التي كانت فى أيامهم :

ففى سنة اثنتين وستين وأربعمئة فتحوا مدينة فاس واستوثق لهم
ملك المغرب .

وفيهما فتحوا بلاد فازاز .

وفى سنة ثلاث وستين تملكوا حصون وطاط من بلاد ملوية .

وفى سنة أربع وستين توفي المعتضد ابن عباد القاضى محمد ابن
عباد صاحب أشبيلية ، ووليها بعده ولده محمد المعتمد ابن عباد .

وفى سنة خمس وستين قاتل يوسف بن تاشفين صدراته وأهل صفرو

وفى شهر ذى الحجة من سنة سبع وستين ظهر النجم المعكف
بالمغرب .

وفى سنة سبعين دخل يوسف بن تاشفين مدينة تادراوت التي بمقرية
ملوية بالسيف وقتل أميرها القاسم بن محمد بن أبى العافية وأباد جميع
جيوشه ولم يبق منهم باقية .

وفيها ملك يوسف بن تاشفين طنجة وتوفي صاحبها سكوت البرغواطي
وفي سنة احدى وسبعين وأربعمئة كسفت الشمس يوم الاثنين عند
الزوال في اليوم الثامن والعشرين وهو كسوف الشمس العظيم الذي لم
يعهد قبله مثله ، وفي هذه السنة ملك الفنش مدينة قورية وأخرج منها
المسلمين .

وفي سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة بعث الأمير يوسف قائده مزديلي
في عشرين ألفا من المرابطين ففتح مدينة تلمسان .

وفي ربيع الآخر منها كانت الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس
بالمغرب مثلاً ، هبت البنيان ومات فيها خلق كثير تحت الردم ، ووقعت
الصوامع والمنارات ، ولم تزل الزلزلة تتعاقب وتتكرر في كل يوم وليلة من
أول يوم من ربيع الآخر إلى آخر يوم من جمادى الآخرة من السنة
المذكورة .

وفي شهر ذي القعدة منها ثار أهل طليطلة على ملكهم القادر ابن
ذي النون وقتلوا أكثر رجاله ووزرائه ، فخرج القادر قاراً بنفسه وعياله
إلى حصن كنانة

وفي سنة أربع وسبعين فتح يوسف مدينة وجدة وتنس ووهران
وجبال ونشريس وأعمال شلف إلى الجزائر .

وفيها توفي صاحب السوق وأحكامه بقرطبة ، وهو الفقيه الحافظ
أبو طالب مكي رحمه الله .

ولد الفقيه القاضي محمد بن أصبغ المعروف بابن مناصف صاحب
الأرجوزة .

وفي جمادى الأولى منها توفي المقدم أحمد المقدّر صاحب سرقسطة
وولي مكانه ولده يوسف المؤمن .

وفي سنة سبع وسبعين فتح الأمير يوسف مدينة سبتة ، وفيها
استولوا الفونسو السادس على طليطلة .

وفى ربيع الأول من سنة تسع وسبعين جاز أمير المسلمين يوسف إلى الأندلس برسم الجهاد ، فكانت غزوة الزلاقة •
وفى سنة احدا وثمانين جاز الأمير يوسف إلى الأندلس جـوازـه
الثانى برسم الجهاد •

وفى سنة ثلاث وثمانين جاز جـوازـه الثالث ، وفيها خلع بنى بلكين واستولوا على ماكان بأيديهم ووجههم إلى مراکش •

وفى سنة أربع وثمانين استولوا المرابطون على مايبـد المعتمد ابن عباد من البلاد ، واعتقل وأرسل إلى أغمات ، وفيها ملك القائد محمد ابن عائشة المرية وفر صاحبها ابن صمـاح فى البحر إلى أفريقية •

وفى سنة خمس وثمانين ملك المرابطون دانية وشاطبة وفر صاحبهما ابن منقذ ، وفى هاذـه السنة ملك المرابطون بلنسية وفر صاحبها القادر ابن ذي النون •

وفى سنة ست وثمانين فتحت مدينة افراخ من شرق الأندلس •

وفى سنة تسعين تمحـض ملك الأندلس ليوسف بن تاشفين واستوثق له أمره •

وفىها توفي أبو الحسن عبد الرحمان بن محمد بن يونس بن افلج النجوى بأشبيلية ، وكان عالما فاضلا ، وله تأليف •

وفى سنة ست وتسعين أخذ الأمير يوسف النـبيـعة لولده علي بقرطبة

وفى سنة سبع وتسعين توفي الفقيه الحافظ محمد ابن الطـلاع ، وله تأليف •

وفىها توفي الفقيه المشاور أبو المطرف عبد الرحمان بن قاسم الشعبى المالقى ، وكان فقيها ذاكرا للمسائل ، وشوور ببلده فى الأحكام وفيها توفي الفقيه الحافظ محمد بن فرج ، له تأليف •

وفى سنة ثمان وتسعين ابتدأت علة أمير المسلمين يوسف التي مات منها •

وفى مهل محرم فاتح سنة خمسمئة (الأحد ٢ شتنبر ١١٠٦ م) توفي
أمير المسلمين يوسف رحمه الله وعمره مئة سنة ، وبويع لولده علي
بمراكش .

وفيهما غزا القائد أبو عبد الله بن زلفى طليطلة وأوقع بالنصارا
ببواب القنطرة ، وفى ربيع الآخر منها دخل أمير المسلمين علي مدينة
فاس وقد فر عنها ابن أخيه المخالف عليه .

وفى سنة احدا وخمسمئة توفي الشيخ الصالح العالم الواغظ أبو
الحسن عبد الرحمان ابن خلف الكناشي القرطبي المعروف بالزيتوني .

وفيهما توفي الولي الكامل العارف الواصل أبو جبل (٩٥) رضي الله
عنه وذكر صاحب التشوف بأن أبا جبل توفي فى سنة ثلاث وخمسمئة ،
ودفن بظاهر الرابطة الذي بخارج باب أصليتين من أبواب فاس ، وكان
أبو جبل نفع الله به من كبار الفضلاء ، لقي بمصر أبا الفضل عبد الله
ابن حسن الجوهري ، وكان جزارا أسود اللون مليح الوجه نقي القلب
أحد المخلصين الخائفين من الله تعالى ، ويقال انه رأى الخضر عليه السلام
بعد أربعين سنة من اقباله على الله تعالى ومجاهدته ، فبشره ان الله قد
اثبت في الأبدال ، وكان كثير السياحة فى الأرض ، وهو القائل :

سافر لتكسب فى الأسفار فائدة	فرب فائدة تلقا مع السفر
ولا تقم بمكان لاتصيب به	شيئا ولو كنت بين الظل والزهر
فان موسا كلم الله أعوزه	علم تكسبه فى صحبة الخضر

وفيهما (٩٦) كانت وقعة اقليج على النصارا وفتح الحصن ، وقتل
سانشو ولد الفنش فى الوقعة ، ومات أبوه بعده لعشرين يوما من الوقعة

(95) يعلا الفاسي المكنى بأبي جبل ، انظر ترجمته فى التشوف ع 10 وجنوة الاقتباس ص 351
وسلوة الأنفاس 3 : 162 .

(96) فى الأصل (وفى سنة اثنتين وخمسمئة) وهو خطأ والصواب أن وقعة اقليج ابتدأت
فى فجر يوم الجمعة 16 شوال عام 501 هـ (29 مايو سنة 1108 م) انظر عن وقعة اقليج مجلة
تطوان ع 2 ص 115 سنة 1957 .

بالفقهة (٩٧) .

وفى سنة سبع وخمسمئة توفي العالم الصالح عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن الطوج من أصحاب الامام أبى عمر بن عبد البر ، وكانت له جنازة لم ير مثلها .

وفى سنة أربع عشرة وخمسمئة ظهر المهدي الموحدي بالمغرب ، واجتمع فى طريقه من الشرق بعبد المومن بن علي .

وفى سنة تسع عشرة ضعفت الدولة الممتونية وظهر فيها الخلل ، واشتغلوا بحرب المهدي والموحدين القائمين عليهم بجبل درن (٩٨) ، وعجزوا عن نصرة بلاد الأندلس ، وضعفت أحوالهم ، واشتغلوا بأنفسهم عنها ، وقوي أمر الموحدين ، وملكوا بلادا كثيرة من بلاد المغرب حتى ضاقت الأرض على المرابطين .

وفى سنة احدا وعشرين وخمسمئة فى التاسع عشر من شهر ربيع الأول منها توفي الفقيه القاضى أبو الوليد الباجي باشبيلية وهو معزول عن القضاء .

وفى سنة تسع وثلاثين ثار القاضى ابن حمدين بقرطبة على المرابطين وقتلهم مع العامة ، والبقاء لله وحده .

97) بل بعد ذلك بنحو سنة يوم 30 يونيو سنة 1109 م .

98) كان اسم درن بفتح أوله وثانيه يطلق فى العصر الوسيط على جبال الأطلس ولاسيما جبال المصامدة الواقعة خلف مدينة مراكش ، وفى هذه الجبال قال المعتمد بن عباد أمير اشبيلية عند ما كان سجيناً بأغصان :

هذى جبال درن	حفت بكل درن
يالىتنى لم أرها	وليتها لم ترنى

الخبر عن الدولة الموحدية المومنية

وقيامها على يد محمد بن تومرت المسمّى بالمهدي

قال المؤلف عفا الله عنه :

أما المهدي القائم بدولة عبد المومن بالمغرب الأقصى فهو على ما ذكره المؤرخون لدولتهم : محمد بن عبد الله المعروف بتومرت ابن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر ابن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وقيل هو دعي في هذا النسب الشريف ذكره ابن مطروح القيسي في تاريخه وقال : هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة يعرف بمحمد بن تومرت الهرغي وقيل هو من كنفيسة والله أعلم بذلك كله .

كان في أول أمره وابتداء حاله رجلاً فقيراً مشغولاً بطلب العلم وتحصيله ، وكان له ناموس عظيم ، فارتحل إلى المشرق في طلب العلم ، فرأى مشايخ وسمع منهم وأخذ عنهم علماً كثيراً ، وحفظ كثيراً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ونبغ في علم الأصول والاعتقادات ، وكان في جملة من لقي من العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ الامام الأوجد أبو حامد الغزالي رضي الله عنه ورحمه ، لازمه لاقتباس العلم منه ثلاث سنين ، فكان أبو حامد إذا دخل عليه المهدي يتأمله ويختبر أحواله الظاهرة والباطنة ، فإذا خرج عنه يقول لجلسائه : لا بد لهذا البربري من دولة ، أما أنه يثور بالمغرب الأقصى ويظهر أمره ويعلو سلطانه ويتسع ملكه فان ذلك ظاهر عليه في صفاته ، وبائن عليه في شمائله ، وردت بذلك الأخبار ، ودلت عليه العلامات والآثار ، فنقل إليه الخبر بعض الأصحاب وأخبره أن ذلك عند الشيخ في كتاب ، فلم يزل يجتهد في خدمة الشيخ ويتقرب إليه ، حتى أطلعه على العلم الذي كان عنده فيه ، فلما تحققت عنده الحال استخار الله تعالاً وعزم على الترجال .

قال المؤلف عفا الله عنه :

أقبل محمد المهدي المذكور من المشرق يؤم بلاد المغرب متوكلا على الله عازما على إقامة شرائع الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام ، وكانت رحلته عن بلاد المشرق في أول يوم من ربيع الأول المبارك من عام عشرة وخمسمئة (الجمعة ١٤ يوليوز ١١١٦ م) فكان حيثما حل من مدن أفريقية وبلاد المغرب يدرس العلم ، ويظهر التقشف والورع والزهد في الدنيا ، ويأمر بالمعروف وينها عن المنكر حتى وصل لبلاد بجاية ، فنزل منها بقرية تعرف بملالة من أحواز بجاية ، فلقبه بها (٩٩) عبد المومن بسن علي ، قانضاف الى خدمته وقرأ عليه وأخذ عنه العلم ، وعلم بمراده وماقصد اليه من طلب الخلافة ، فوافقه على حاله وتبعه في أمره ، وبايعه على مؤازرته في الشدة والرخاء ، والعسر واليسر ، والأمن والخوف ، وقدم معه الى المغرب الأقصا ، وكان المهدي أوحده عصره في علم الكلام وعلوم الاعتقاد ، حافظا للحديث والفقه ، له لسان وفصاحة ، فأخذ يشيع عند الناس أنه الامام المهدي المنتظر ، المخبر به القائم في آخر الزمان الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، وأخذ يستنقص المرابطين ملوك المغرب ويطعن فيهم ، وينسبهم الى الكفر والتجسيم ، ويدعو الى خلع طاعتهم ، ويمشي في الأسواق ويأمر بالمعروف وينها عن المنكر ، ويكسر المزامير وألة اللهو ، ويريق الخمر حيثما وجده ، يفعل ذلك في أي بلد حل فيه وأي موضع نزل به الى أن وصل مدينة فاس ، فنزل بها بمسجد طريانة (١٠٠) فأقام بها يدرس العلم الى سنة أربع عشرة وخمسمئة ، فارتحل الى مدينة مراکش دار مملكة المرابطين ، لعلمه أنه لا يظهر أمره الا منها ، فسار الى أن وصلها وبها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، فدخل المدينة بزي الزهاد ، وقصد مسجدا يأوي اليه

(99) في الأصل (حتى وصل لبلاد تلمسان فنزل منها بقرية تعرف تاجرة من أحواز تلمسان فلقبه بها عبد المومن بن علي) وذلك غلط من ابن أبي زرع ، فلقاه عبد المومن للمهدي كان بقرية ملالة (تأملت) من ظاهر بجاية أثناء سفر عبد المومن صحبة عمه الى المشرق للحج وطلب العلم .
(100) هو المسجد الواقع بمداخل درب ابن سالم من الطالعة الكبرى بفاس .

ومعه عبد المؤمن بن علي في خدمته مشيعا لامامته ، فكان يمشى قسـى
أسواق المدينة وشوارعها يأمر بالمعروف وينها عن المنكر ، ويريق الخمر
ويكسر آلات الطرب من غير إذن أمير المسلمين ولا مؤامرة من أحد من
القضاة والوزراء ، فاتصل خبره بأمرير المسلمين علي بن يوسف ، فأمر
بإحضاره ، فلما مثل بين يديه نظر الى نقشفه ورثائه حاله ، فاستحقره
وهان عليه أمره ، وقال له : ماهاذا الذي بلغنا عنك ؟ قال : ومايلـغـك
أيها الأمير ؟ انما أنا رجل فقير طالب الآخرة ولست بطالب دنيا ولا حاجة
لى بها ، غير أنى الأمر بالمعروف وأنها عن المنكر ، وأنت أولا من يفعل
ذلك ، فانك المسؤول عنه ، وقد وجب عليك احياء السنة وامامة البدعة ،
وقد ظهرت بملكك المنكرات وفشت البدع ، وقد أمرك الله بتغييرها وحياء
السنة بها ، اذ لك القدرة على ذلك ، وأنت المأخوذ به والمسؤول عنه ،
وقد عاب الله تعالا قوما تركوا النهي عن المنكر فقال تسعالا : (كانوا
لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ماكانوا يفعلون) ، فلما سمع ذلك أمير
المسلمين علي بن يوسف من مقالته هابه وأطرق برأسه الى الأرض مليا
يفكر فى أمره ومقالته وينظر فى حاله ، ثم رفع رأسه الى وزرائه ، فأمرهم
بإحضار الفقهاء الى مناظرته واختباره ، فحضر فقهاء مراکش وطلبتها
وأشياخ ملتونة والمرابطين حتى امتلأ المجلس وغص بالناس ، فعرفهم
أمير المسلمين بأمر المهدي ومقالته ، وقال لهم انما بعثت لكم لتختبروا
أمره ، فان كان عالما اتبعناه ، وان كان جاهلا أدبناه ، فأكثروا الكلام ،
وأخذوا فى الملام ، وكان المهدي عالما بالجدال ، فقال لهم : قدموا من
تقوم به حجتكم ، وتأدبوا بأدب أهل العلم ، وسلموا عند شروط المناظرة ،
واتركوا اللجاج ، وقدموا أحدهم ممن تتقون بمعرفته وتقدمه ، وكان جل
من حضر ذلك المجلس من الفقهاء أصحاب حديث وقزوع ، وليس فيهم من
له معرفة بالأصول والجدل ، فكان أول ماسألهم عنه ان قال للذي تقدم
للكلام : أيها الفقيه أنت لسان الجماعة المتقدم للكلام ، فأخبرنى هل
تنحصر طرق العلم أم لاتنحصر ؟ فأجابه : هي تنحصر فى الكتاب والسنة
والمعاني التى بنيت عليهما ، فقال له المهدي : انما سألتك عن طرق العلم

هل تنحصر ام لا ، فلم تذكر الا واحدة منها ، ومن شرط الجواب أن يكون مطابقا للسؤال ، فلم يفهم مقالته وعجز عن الجواب ، ثم سألته عن أصول الحق والباطل ماهي ؟ فعاد الى جوابه الأول ، فلما رآه عجزه وعجز أصحابه عن فهم السؤال وفحوا الخطاب ولم تكن لهم معرفة بالجواب شرع لهم في تبين أصول الحق والباطل فقال لهم : أما أصول الحق والباطل فهي أربعة : العلم والجهل والشك والظن ، فالعلم أصل للهدا ، والشك والجهل والظن أصل للضلال ، ثم أخذ في تبين طرق العلم ، فبهروهم بطريق أنوار العلم ، وغلقت دونهم أبواب الفهم ، وعجزوا عن جوابه ، ولم يفهموا له معنا خطابه ، فلما رأوا باهر علمه وأصابه معرفته أخذتهم فضيحة العجز ، وركنوا الى ظلمة الجحد والانكار ، فلبسوا عليه وقالوا لأمير المسلمين علي بن يوسف : هاذا رجل خارجي مسعور أحرق صاحب جدل ولسان يضل جهال الناس ، وان بقي بالمدينة يفسد عقائد أهلها وينشر ذالك عند الناس حتى يرسخ ذالك في قلوب أكثر العامة ، فأمره أمير المسلمين علي بالخروج من المدينة ، فخرج منها فبنا خيمة بالجبانة بين القبور بقرب المدينة وقعد بها ، فسكان يأتونه بعض الطلبة فيقرأون عليه ويأخذون عنه حتى كثر عليه الجمع واجتمع عليه أتباعه وتلاميذه وتكاثر عليه الناس ، وامتألت قلوبهم له محبة ومهابة وتعظيم ، فأعلم الخاصة منهم بالذي قصده وبما يريد ، وأخذ يطعن على المرابطين ويقول : هم كفرة مجسمون ، وغزوهم واجب على كل من يعلم أن الله تعالى واحد في ملكه وأوجب من غزو الروم والمجوس ، وتابعه على ذالك مايزيد على الف وخمسمئة ، فرفع خبره الى المسلمين علي بن يوسف ، وعرف أنه يطعن في دولته ويكفرهم ، وأنه قد كثر أتباعه على مذهبه ، فبعث اليه فقال له : أيها الرجل اتق الله في نفسك ، ألم أنهك عن عقد الجموع والأحزاب وأمرتك بالخروج عن المدينة ، فقال : قد امتثلت أمرك وخرجت عن المدينة الى الجبانة ، فبنيت خيمة بين الموتى واشتغلت بطلب الأخرة ، فلا تسمع لأقوال المضلّين ، فأغلظ له أمير المسلمين بالقول وتوعده بالنكال وهم بالقبض عليه ، فعصمه الله منه ، ليقتضي

الله أمرا كان مفعولا ، فأمره بالانصراف ، فأنصرف يريد خيمته ، فبينما هو فى بعض الطريق اذ أغروا به أمير المسلمين وشرحوا له جلية حاله وما يدعو الناس اليه من امامته وبيعته ، فبدأ له فى أمره وعزم على قتله ، وبعث من يأتيه برأسه ، فسمع بذلك بعض تلامذته فأثاء مسرعا حتى وقف بالقرب من خيمته ونادا بأعلا صوته : (ياموسا ان الملائة يأترون بك ليقنلوك فأخرج اني لك من الناصحين) ، وكرر النداء ثلاث مرات ثم سكت ، ففطن المهدي لندائه ، فخرج فى الحين مسرعا مختفيا حتى بلغ تينمل ، وذلك فى شهر شوال من سنة أربع عشرة وخمسمئة (يناير ١١٢١ م) ، فنزل هناك ، ولحقه أصحابه العشرة ، وهم : عبد المؤمن بن علي ، وعبد الله البشير ، وعمر (أبو حفص) بن يحيى أينتى ، وعمر بن علي أصناك ، وسلميان بن مخلوف ، وإبراهيم بن اسماعيل الهزرجي ، وعبد الواحد الحضري ، وموسا بن تمارى ، وأبو عثمان ابن يخلف ، وأبو يحيى بن يجيت ، فهؤلاء أصحاب المهدي العشرة السابقون الى دعوته المصدقون بإمامته المنقادون لامارته ، المسارعون الى بيعته فأقاموا معه بتنمل الى شهر رمضان المعظم من سنة خمس عشرة وخمسمئة ، فكثر أتباعه وعظم صيته فى جبل درن ، واجتمع عليه خلق عظيم ، فلما رأى ذلك أظهر دعوته ، ودعا الناس الى بيعته ، فكان أول من بايعه أصحابه العشرة المذكورون ، وكانت بيعتهم له بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان عام خمس عشرة وخمسمئة (٢٧ نونبر ١١٢١ م) فلما كان من الغد وهو يوم السبت السادس عشر من رمضان المذكور خرج الى المسجد يتنمل مع أصحابه العشرة متقلدين سيوفهم ، فصعد المنبر وخطب الناس ، وأعلمهم أنه الامام المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا وأظهر دعوته الى بيعته ، فبايعه كافة أهل تينمل ومن جاورهم بها من الناس ، وبقي بعد ذلك يستجلب القبائل ، وفرق من يثق بسياسته من تلاميذه فى البلاد القاصية والدانية يدعون الى بيعته ويثبتون عند الناس امامته ، ويزرعون فى قلوبهم محبته مما يذكرون له من الفضائل والكرامات

ويفسونه به من الزهد فى الدنيا واطهار الحق ، فقصد الناس اليه من كل جهة ومكان يبائعونه ويتبركون برؤيته ، فيأخذ عليهم البيعة ويعلمهم أنه المهدي المنتظر حتى علا أمره ، وقوي سلطانه ، وسما كل من دخل فى طاعته وباعه وتابعه على طريقته بالموحدين وعلمهم التوحيد باللسان البربري ، وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور ، وقال لهم : من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بمؤمن ، وإنما هو كافر لاتجوز امامته ، ولا توكل ذبيحته ، فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز ، لأنه وجدهم قوما جهلة لايعرفون شيئاً من أمور الدنيا ولا من أمور الدين ، فاستهواهم بكيده ، وغلبهم بعذوبة لفظه ولسانه ومكره ، حتى كانوا لا يدكرون غيره ، ولا يمثلون أمراً إلا أمره ، يستغيثون به فى شدائدهم ، ويتبركون بذكره على موائدهم ، ويقولون هذا الامام المعلوم والمهدي المعصوم على منابرهم ، قدخل الناس فى طاعته أفواجا ، واتخذوا سنته شريعة ومنهاجا ، فرتب العشرة والخمسين ، وتمكن فى الملك أي تمكين ، وسما العشرة من أصحابه السابقين الأولين ، وجعل الخمسين للسراي والمشورة ، وعقد لنفسه الامامة والنظر للمسلمين ، فلم تزل تقبل اليه الجموع والقبائل ، وتقد عليه الوفود ، ويخطب له فى المحافل ، حتى كمل له من أنصاره من الموحدين وأصناف قبائل المصامدة مايزيد على العشرين ألف رجل ، فقام فيهم خطيبا ، وندبهم الى جهاد المرابطين ، فانتدب اليه الناس وبائعوه على الموت بين يديه ، فانتخب منهم جيشا من عشرة الاف رجل من أجناد الموحدين ، وقدم عليهم عبد الله البشير وعقد لهم راية بيضاء ، ودعا لهم وودعهم ، فخرجوا قاصدين مدينة أغمات ، فاتصل خبرهم بأمر المسلمين علي بن يوسف ، فبعث لقتالهم جيشا من الحشم والأجناد وقدم عليهم الأحول أكلثوم ، وكان له النظر على لتونة فهزم جيش علي بن يوسف ، وقتل الأحول ، واستمرت الهزيمة على لتونة واتبعهم الموحدون بالسيف حتى أدخلوهم مدينة مراکش ، فاقاموا عليها محاصرين أياماً ، ثم ارتحلوا عنها الى الجبل لما تكاثرت عليهم جيوش لتونة ، وذلك فى سادس شعبان المكرم من سنة ست عشرة وخمسمئة (١٠)

أكتوبر ١١٢٢ م) فانتشر أمر المهدي بجميع بلاد المغرب والأندلس ، وقسم الغنائم التي غنموا من عسكر لمتونة على الموحدين وثلا عليهم : (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هاذه) الآية .

الخبر عن غزواته وحروبه مع لمتونة

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما هزم الموحدون جيوش أمير المسلمين علي بن يوسف عظم أمر المهدي وقوي سلطانه ، وركب أكثر جيشه على خيل المرابطين التي غنموها من عساكرهم ، فنهض الى قتال المارقين ، وقتل أهل الزيغ المبطلين ، فجمع قبائل الموحدين وعبا الجيوش وقصد نحو مراكش ، فسار حتى نزل بجبل كليز قريبا من المدينة ، فأقام به ثلاثة أعوام يباكر جيوش لمتونة بالقتال ويرأوهم في كل يوم من سنة ست عشرة الى سنة تسع عشرة ، فلما طال مقامه هنالك ارتحل الى وادي نفيس وسار مع مسير الوادي ، فانقاد اليه أكثر تلك الجهات والنواحي من السهول والجبال ، وبإيعته قبائل كدميو ، ثم غزا بلاد رجاجة ، فأخذهم بالدعوة الى معرفة الله تعالا وتعليم شرائع الاسلام ، فسار في بلاد المصامدة ، وكل من انف منهم عن دعوته غزاه الموحدون ففتح بلادا كثيرة ، ودخل في طاعته عالم كثير من قبائل المصامدة ، ورجع الى تينمل فأقام بها شهرين حتى استراح الناس ، ثم غزا مدينة أغمات وبلاد هزرجة ، فخرج اليها من تينمل في ثلاثين ألفا من الموحدين ، فاجتمع أهل أغمات وقبائل هزرجة وخلق كثير من الحشم وملتونة وغيرهم واستعدوا لقتال المهدي ، فالتقا الجمعان ، فكان بينهما قتال شديد فنصر عليهم المهديون فهزمهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وقسم المهدي الأنفال على الموحدين ، ثم غزا قبائل جبل درن فسار فيه يقتل من عصا ويؤمن من اتبعه وانقاد اليه ، ففتح جميع قلاع جبل درن وحصونه وأوديته ، وأطاعه جميع من فيه من قبائل هنتاتة

وجنقيسة وهرقة وغيرهم ، ثم رجع الى تينمل فاقام بها مدة حتى استراح الناس ، فميز الموحدين وأمرهم بالخروج الى قتال مراکش وجهاد من بها من المرابطين ، وقدم عليهم عبد المومن بن علي ومحمدا البشير ، وجعل امام الصلاة عبد المومن بن علي ، فارتحلت عساكره من تينمل قاصدين مراکش ، فلما وصلوا الى أغمات تلقاهم بها الأمير أبوبكر بن علي بن يوسف اللمتوتى فى جيوش عظيمة من لمتونة وقبائل صنهاجة والحشم وغيرهم ، فكانت بينهم حروب عظيمة ثمانية أيام ، ثم منح الله تعالى الموحدين النصر ، فهزم الأمير أبوبكر بن علي وملتونة ، وتبعهم عبد المومن ابن علي بجيوش الموحدين يقتلونهم فى كل فج ، واتصلت الهزيمة الى أن أدخلوهم مدينة مراکش وسدوا الأبواب فى وجوههم ، فحاصروهم بها ثلاثة أيام ، ثم ارتحلوا عنها الى تينمل ، وذلك فى شهر رجب الفرد عام أربعة وعشرين وخمسمئة (يونو - يوليو ١١٣٠ م) فلما رجع الموحدون الى تينمل خرج المهدي الى لقائهم فسلم عليهم ورحب بهم وعرفهم بما يكون له من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد ومدة ملكهم ، وأعلمهم أنه يموت فى تلك السنة ، فبكوا لذلك وأسفوا ، ثم بدأه مرضه الذى مات منه ، فاقام مريضا أياما ، وقدم عبد المومن بن علي للصلاة فى أيام مرضه ولم يزل مرضه يشتد الى أن توفي فى يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان المعظم سنة أربع وعشرين وخمسمئة (٢٠ غشت ١١٣١ م) .

الخبر عن وفاته رحمه الله

ذكر بعض المؤرخين لأيامهم ان المهدي الموحي را فى منامه قبيل وفاته بيسير كان رجلا وقف بباب بيته فأنشده هاذا البيت :

كأنى بهاذا البيت قد باد أهله وقد درست أعلامه ومنازله

فأجابه المهدي :

كذلك أمور الناس يبلا جديدها
فأجابه الرجل :
تزود من الدنيا فانك راحل
فأجابه المهدي :
اقول بأن الله حق شهادته
فأجابه الرجل :
فخذ عدة للموت انك ميت
فأجابه المهدي :
متى ذاك خبرنى هديت فأننى
فأجابه الرجل :

تبيت ثلاثا بعد عشرين ليلة
الى منتها شهر فما أنت كامله
فلم يلبث بعدها الا ثمانية وعشرين ليلة ومات رحمه الله .

وقيل انه لما ثقل عليه المرض وأيقن بالموت دعا عبد المومن بن علي
قاوصام بما أحب وأوصاه بأخوانه خيرا ، وأعطاه كتاب الجفر الذي
صار اليه من قبل الامام أبى حامد الغزالي رضي الله عنه ، وأمره أن
يخفي أمر موته أياما اذا مات حتى تجتمع كلمة الموحدين ، وأمره بما
يكفنه فيه من الثياب ، وأن يتولا غسله ودفنه بيده ويتقدم للصلاة عليه
ويدفنه بجامع تينمل ، فبكاء عبد المومن لفراقه بكاء شديدا ، وتوفي فى
يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان المعظم سنة أربع وعشرين
وخمسئة ، قاله البرنسى ، وقيل توفي يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر
رمضان المذكور ، وقاله ابن الخشاب فى تفسيره ، وقال غيره كان قيام
المهدى وأظهار دعوته فى يوم السبت غرة شهر المحرم مفتتح عام خمسة
عشر وخمسئة ، وتوفي يوم الأربعاء الثالث عشر من رمضان سنة أربع
وعشرين المذكورة ، فكانت دولته على هاذا تسع سنين وثمانية أشهر
وثلاثة عشر يوما ، أولها يوم السبت مفتتح خمسة عشر ، وآخرها يوم

الأربعاء المذكور ، والصحيح فى بيعته ووفاته ما ذكره ابن صاحب الصلاة فى كتاب المن بالامامة ، وأبو علي ابن رشيقي المويسى فى كتاب ميزان العمل أنه ببيع يوم السبت غرة محرم مفتتح عام ست عشرة وخمسمئة ، وتوفي يوم الأربعاء الثالث عشر لشهر رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، وقال بعض المؤرخين أنه نقل ذلك من خط أمير المسلمين يوسف بن عبد المومن ، وأنه قيده بين يدي أبيه عبد المومن وبأمره وأملائه فكانت أيامه على هاذي الرواية ثلاثة آلاف يوم وخمسة وثمانين يوما ، يجب لها من السنين ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما ، أولها يوم السبت يوم بيعته ، وآخرها يوم الأربعاء الذي توفي فيه .

الخبر عن صفته وسيرته ونبذ من أحواله

كان محمد المسما بالمهدي القائم بدولة الموحدين حسن القدر ، اسمر اللون ، رقيق البشرة ، أفلج ، أقنا ، غائر العينين ، خفيف العارضين ، له شامة سوداء فى خده الأيمن ، ذا سياسة ودهاء ومكر وناموس عظيم ، وكان مع ذلك عالما فقيها ، راويا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم حافظا له ، عارفا بالأصول ، عالما فى علم الاعتقاد والجدل ، فصيح اللسان ، مقداما على الأمور العظام ، سفاكا للدماء ، غير متورع فيها ولا متوقف عنها ، يهون عليه سفك دم عالم من الناس فى هوى نفسه وبلوغ غرضه ، وكان مع ذلك متيقظا فى أحواله ، ضابطا لما ولي من سلطانه ، شرع وأسرع ، ومهد الملك لغيره بالخدع ، ووجد قوما قد غلب عليهم الجهل وتمكن منهم فغلب عليهم ، وتحيل على جهال المصامدة حتى بايعوه ، وعلمهم توحيدا بلغتهم ، فانه كان رجلا منهم ، والتوحيد بأيديهم الى الآن ، وأعلمهم أنه الامام المهدي القائم على كمال الخمسمئة سنة ، ونسب المراتبين الى التجسيم والكفر ، وأباح لهم جهادهم وسبي نساءهم وذرائعهم وأموالهم وقال لهم : انهم تسموا بأمراء المسلمين ، وانما

يعرفون بالثلثمين ، وأخبرهم أنهم هم القوم الذين وصفهم النبي صلا الله عليه وسلم بقوله : ضنغان لا يدخلان الجنة ، الأول هم قوم يخرجون في آخر الزمان لهم سياط كأذناب البقر ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسيمة البخت ، وكل ما وصف رسول الله صلا الله عليه وسلم في أمراء آخر الزمان نسيه إليهم ، فاستهوا بذلك قلوب الرعاع الجهال .

ومن تحيله وتهاونه بسفك الدماء أنه أخذ قوما من أتباعه ودفنهم أحياء وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وقال لهم : إذا سئلتهم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من مضاعفات الثواب على جهاد لثونة وعلو الدرجات التي نلنا بالشهادة فجدوا في جهاد عدوكم ، فإن مادعاكم إليه الامام المهدي صاحبكم حق ، وقال لهم : إذا قُلتُم ذلك أخرجتكم وكانت لكم من المنزلة عندى أعلاها وأسطاها : وعاهدكم على ذلك ، والسبب في ذلك أن جيش الموحيدين لما التقا بعسكر المرابطين واشتدت الحروب بينهم قتل من الموحيدين خلق كثير ، فعظم ذلك على قبائلهم وعشائرتهم ، ففعل ذلك ليهون عليهم ما أصابهم من القتل والجراحات ، فأتا الى موضع القتلة ليلا مع أصحابه ، فدقنهم بين القتلا ورد عليهم التراب ثم رجع الى محلته وقد ذهب أكثر الليل ، فقال لأشياخ الموحيدين : يامعشر الموحيدين أنتم حزب الله وأنصار دينه وأعوان الحق ، فجدوا في قتال عدوكم فإنكم على منهاج الحق ، وأنتم على بصيرة من أمركم ، وإن كنتم ترتابون فيما أقوله لكم فاذهبوا الى موضع المعركة واسألوا من قتل اليوم من أخوانكم يخبروكم بفضل جهادكم وعظيم ثوابكم عليه في الآخرة ، فأتا بهم الى القتلة ثم نادا برفع صوته : يامعشر الشهداء ، خبرونا ما لقيتم من الله عز وجل ، فقالوا وجدنا عند الله تعالا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلما سمعوا الجواب رجعوا الى قومهم وقبائلهم فقالوا : قد سمعنا ما أجاب به أخواننا الذين استشهدوا منا وما شاهدوا من فضل الله تعالا وجزيل ثوابه ، فافتنن بذلك كافة الناس ، فأتا فأغلق على أصحابه الذين دفنهم المنافس التي كانت تركت لهم ، فماتوا من

ساعتهم غما ، فعل ذلك بهم ليلا يخرجوا فيسروا الى خاصتهم ما فعله بهم
ومن حيلته وسياسته أنه لم يقدر على طائفة المصامدة أن يتعلموا أم
القرآن لشدة عجمتهم ، فعدد كلمات أم القرآن ، وسما بكل كلمة منها
رجلا ، ثم أقعدهم صفا واحدا فقال لأول منهم : اسمك الحمد لله ،
والثاني رب ، والثالث العالمين ، هاكذا حتى تمت كلمات السورة ، ثم
قال لهم : لا يقبل الله لكم صلاة حتى تجمعوا هاذة الأسماء كلها على
نسقتها في كل ركعة من الصلاة ، فسهل عليهم الأمر وحفظوا أم القرآن
ذكره صاحب المغرب في ملوك المغرب .

الخبر عن الخليفة أمير المؤمنين عبد المومن بن علي الكومي الزناتي

هو أبو محمد عبد المومن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن
عامر بن الأمير بن موسا بن عون الله بن يحيى بن ورزايع بن صطفور
ابن نفور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان
بن نزار بن معد بن عدنان ، هاكذا أثبت نسبه جماعة من المؤرخين لدولته ،
وأصله منقول من خط حقيده عبد الواحد على ماذكروه ، والله تعالى أعلم ،
فهو زناتي الأصل ، وكان والده علي فخارا يعمل الغوافخ (١٠١) وكان
عبد المومن قد تطلب من صغره ولزم المساجد لدرس القرآن ، فمر به
المهدي حين أقبل الى المغرب ، فضمه اليه لما أراد الله تعالى من أمره ،
والذي ثبت من خبره انه رجل زناتي الأصل من كومية هنين من موضع
يعرف بتاجرة (١٠٢) على ثلاثة أميال من مرسا هنين (١٠٣) ، وزعم

(١٠١) نافخ : المجر في العامية المغربية .

(١٠٢) تاجرة : قرية على ساحل البحر بتراب قبيلة بني عابد من حوز ندرومة ، مازالت
تعرف بهذا الاسم الى الآن .

(١٠٣) قرية شهيرة تقع بجبال ترازة على ساحل البحر المتوسط بين مصب نهر تافنا ومرسا
الخروات ، كانت في العصر الوسيط مرسا تلمسان وناحياتها بها اثار موحدية ومرينية .

بنو عبد المومن أن المهدي استخلفه بعده ، لما توفي المهدي بويع عبد المومن بيعة خاصة ، بايعه العشرة أصحاب المهدي وأخفوا موته ، واجتمعوا على بيعة عبد المومن لاختصاص المهدي له وثنائه عليه وقوله فيه :

تجمعت فيك أشياء خصت بها فكلمنا بك مسرور ومغتبط
السن ضاحكة والكف مائحة والصدر متسع والوجه منبسط

الى ماكان من تقديمه له للصلاة وما يعرفونه من فضله وعلمه ودينه وعزمه وبسالته وشجاعته وحسن سياسته ورجاحة عقله .

وقيل لما مات المهدي تشوف كل واحد من العشرة الى الخلافة بعده ، وكانوا من قبائل شتا ، وأحببت كل قبيلة من قبائل الموحيدين أن يكون الخليفة منها وأن لايلي عليها أحد من غيرها ، فتنافسوا في ذلك وتحاسدوا فاجتمع العشرة والخمسون وتأامروا بينهم وخافوا النفاق وأن تفسد كلمتهم وينفرك جمعهم ، فاتفقوا على خلافة عبد المومن لكونه غريبا بينهم ليس منهم مع ماكانوا يرون من ميل المهدي اليه وثباته عليه ، فبايعوه .

وذكر ابن صاحب الصلاة في كتاب (المن بالامامة) أن المهدي الموحيدي لما توفي أخفي موته ولم يعلم به أحد الا عبد المومن وأصحابه العشرة ، فبقي موته مكتوما ثلاث سنين ، وهم يدبرون الأمر ، وذلك بسياسة ظاهرة من عبد المومن في ذلك الوقت ، فانه لما توفي المهدي عمد عبد المومن الى شبل أسد وطائر قرباهما ودرباهما فيما أراد ، فأدس الأسد به ، فكان الأسد اذا رآه ربح بين يديه وبصبع له ، وعلم الطير النطق باللسان العربي ، فكان يقول : النصر والتمكين للخليفة عبد المومن أمير المسلمين ! فلما كمل ذلك من مراده أمر أشياخ الموحيدين وقبائلهم أن يحضروا مجلسه ، فأمر فضربت له قبة كبيرة بخارج تينمل ، وفرش له في وسطها وجعل الطير على عمود القبة ، وأمر سائس الأسد أن يأتي به اذا غص المجلس بالناس فيطلقه بينهم ، فلما اجتمعوا قام عبد المومن خطيبا ، فحمد الله وأثنا عليه وصلا على النبي صلا الله

عليه وسلم وترضا عن الصحابة والامام المهدي ، وترحم عليه ، وأعلمهم بموته ، ونعاه لهم وعزاهم فيه ، فكثرت البكاء منهم وارتفع الضجيج ، فقال لهم : ان الامام قد سار الى ما عند الله ووجد خيرا مما ترك ، فكونوا في أنفسكم ، وانظروا فيمن تولونه أموركم وتجتمع عليه كلمتكم بعده ، ولا تفرقوا ، ولا تنازعوا فتقتلوا وتذهب ربحكم ، ويختل أمركم ويتفرق جمعكم ، ويتمكن منكم عدوكم ، فبينما أشياء الموحدين في تلك الحال وإذا بسائس الأسد قد أطلقه ومعلم الطير قد صفر له ، فقال الطير عند ذلك بلسان فصيح ، النصر والفتح والتمكين لسيدنا الخليفة عبد المومن أمير المسلمين ! وأما الأسد فانه لما أطلقه سائسه ورأى الناس زار وضرب بذنبه وكثر عن أنيابه ، ففر الناس منه يمينا وشمالا ، وبقي عبد المومن بمكانه قاعدا لم يتحرك ، فلما بصر به الأسد بصيص بين يديه ، فجز عبد المومن يده عليه وسكنه ، فلما رأوا الموحدون فعل الأسد وسمعوا كلام الطير انفقوا على تقديم عبد المومن وقالوا : ما على هذا من مزيد ، وليس أحد أولا بخلافة الامام المهدي من عبد المومن الذي ظهرت له هذه الكرامات يدعو له الطائر ، ويبصص بين يديه الأسد ، ويستخلفه الامام للصلاة وهي أصل الاسلام ، فنقدمه نحن للخلافة ، ونقتدي بذلك في فعل الصحابة مع النبي صلا الله عليه وسلم والصدر الأول من هذه الامة في تقديم أبي بكر رضي الله عنه لسابقته وفضله وعلمه ، ولكون النبي صلا الله عليه وسلم قدمه للصلاة في مرضه ، وكان فيهم من هو أقرب له نسبا منه ، فبايعوه وتمت له البيعة ، ويقال أنه لما بصص الاسد بين يديه جز يمينه المباركة عليه وأمره بالرجوع ، فرجع مطيعا لأمره ، ولو قدر على الكلام لناطق بثنائه وشكره ، فظهر في ذلك المقام ماشاع في الأفاق ، وخلد في بطون الأوراق ، وأثبت له من عجائب الاتفاق ، وفي ذلك يقول الحسن ابن الأشيري (١٠٤) :

(94) الحسن بن عبد الله ابن الأشيري من أهل تلمسان كان كاتباً لتاشفين بن علي المرابط ثم لعبد المومن بن علي الموحّد ، توفي عام 569 هـ (3 - 1174 م) انظر عنه اعلام العرب العربي تأليف عبد الوهاب ابن منصور .

أنس الشبل ابتهاجا بالأسد
ودعا الطائر بالنصر لكم
انطق الخالق مخلوقاته
أنك القائم بالأمر له
ورأى شبيهه أبيه فقصد
فقضا حرككم لما وفد
بالشهادات فكل قد شهد
بعد ما طال على الناس الأمد

وكانت بيعة عبد المومن يوم الخميس الرابع عشر لشهر رمضان
المعظم من سنة أربع وعشرين وخمسمئة (٣١ غشت ١١٣٠ م) وهي البيعة
الخاصة ، بايعة العشرة أصحاب المهدي ، وبويع بيعته العامة يوم الجمعة
الوفي عشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمئة (٩ يبرابر
١١٣٢ م) بعد وفاة المهدي بستتين بجامع تينمل بعد صلاة الجمعة من
اليوم المذكور .

وأول من بايعة العشرة أصحاب المهدي ، ثم الخمسون من أشياخ
الموحدين ، ثم كافة الموحدين ، لم يتخلف عن بيعته أحد منهم ، وكانت
بيعتهم له في طالع سعيد سعدوا بها وانقطعت بها دعوة لتونة ، فأفناهم
بالقتل والجلاء وفتح المغرب بأسره ، ثم فتح بلاد أفريقية الى برقة ، وفتح
بلاد الأندلس بأسرها ، وخطب له على منابر هاذة الأقاليم كلها ، ولما
تمت له البيعة واستوثق أمر الموحدين أخذ في الحركة الى جهاد أعدائه
وقتل أهل الزيغ والعناد عن طاعته وافتتاح البلاد ، فكان أول غزوة
غزاها في خلافته غزوة تادلة خرج لها من تينمل يوم الخميس الرابع
والعشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمئة (١٣ يبرابر
١١٣٢ م) في ثلاثين ألفا من الموحدين حتى وصل تادلة فغنمها وسبأ أهلها
وانصرف ، ثم غزا بعدها بلاد درعة ففتحها ، ثم غزا بلاد تيغز (١٠٥)
ففتحها ، ثم غزا بلاد فازاز وبلاد غياثة ، ثم خرج الى غزوته الطويلة
وذلك في شهر صفر من سنة أربع وثلاثين (أكتوبر ١١٣٩ م) فلم يزل
فيها يفتح البلاد ويمهدا ويغزو القبائل الى سنة احدا وأربعين وخمسمئة
(٦ - ١١٤٧ م) وكان الذي فتحه في هاذة الغزاة بلاد تازة وجبال

غياثة ، واستمرت الحروب بين عبد المومن والمرابطين من يوم بويج الى أن توفي علي بن يوسف بن تاشفين وولي بعده ولده تاشفين ، فاستمرت الحال بينهما فى الحرب الى أن مات تاشفين بن علي بعد أن قام عبد المومن بكرنطة عامين اثنين وتاشفين بن علي بازائه يباكره فى الحرب ويرواحه ، ثم ارتحل عبد المومن الى جبل غمارة ، فارتحل تاشفين فى أثره ، فنزل بوادي تهليط بازاء عين القديح وذلك فى فصل الشتاء ، فأقام بذلك المنزل شهرين حتى أحرق أهل مغلته أوتاد أخبيتهم ورماحهم ، وهدموا بيوتهم وأخبيتهم ، ثم ارتحل عبد المومن الى جهة تلمسان ، فارتحل تاشفين يطوي المراحل حتى دخل تلمسان قبله فضببطها وحصنها ، وأتا عبد المومن بجنوده الموحدين فنزلوا عليها بين الصخرتين ، فلم يزل الحرب بينهما الى أن ارتحل عبد المومن الى وهران وترك جيشا من الموحدين يحاصرون تلمسان ، فخرج تاشفين من تلمسان فى خاصة قومه واستخلف عليها بعض المرابطين وصار لحماية وهران ، ف وقعت به رمكته من شاهر مشرف على البحر بالليل فمات ، ففتح عبد المومن وهران وتلمسان ، وذلك فى السابع والعشرين من شهر رمضان من سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (الجمعة ٢٢ مارس ١١٤٥ م) قاله صاحب (المن بالامامة)

قال ابن مطروح القيسى : لما بويج عبد المومن بتينمل ارتحل بجيوش الموحدين نحو مراکش ، وذلك فى شهر شوال سنة ست وعشرين المذكورة فقاتلها أياما ، ثم ارتحل الى تادلة ففتحها ، ثم سار الى درعة ففتحها ، ثم ارتحل الى مدينة سلا ففتحها وتلقاه أهلها طائعين سامعين ، فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين لذي الحجة سنة ست وعشرين المذكورة وخطب له بها .

وفى سنة سبع وعشرين فتح بلاد تازة .

وفى سنة ثمان وعشرين تسما بأمر المومنين .

وفى سنة تسع وعشرين أمر ببناء رباط تازة ، وأقام يحارب تاشفين بن علي من سنة ثلاثين الى سنة سبع وثلاثين الى أن حاصره بتلمسان ،

فلما أن ضاق به الحصار وخرج منها الى وهران سار عبد المومن فى أثره فحاصره بوهران ، وترك جيشا من الموحدين يحاصر تلمسان ، فلما اشتد الأمر على تاشفين خرج فى جمع من جنوده من وهران بالليل ليضرب فى محلة عبد المومن ، وكانت ليلة مظلمة ، فتردا به فرسه من شاهق الجبل ، فأصبح ميتا بساحل البحر ، فقطع رأسه وحمل الى عبد المومن ، فأمر به فحمل الى تينمل ، فصلب بها على شجرة صفصاف عالية ودخل عبد المومن وهران ، عنوة ، وذلك فى شهر محرم من سنة أربعين وخمسمئة ، وفى شهر صفر التالى له دخل تلمسان وملكها الموحدون ، وفر عنها لمتونة الى اكدير (١٠٦) فحاصروا بها الى سنة أربع وأربعين ، فدخله الموحدون عنوة عليهم .

وقال البرنسي : فتح تلمسان سنة تسع وثلاثين .

ولما فتح مدينة تلمسان بعث الى الأندلس جيشا من عشرة آلاف فارس من أجناد الموحدين ، فنزل بساحل الجزيرة الخضراء ، فكان أول مدينة فتحوها من الأندلس مدينة شريش ، فتحوها صلحا ، كان بها قائدها أبو الغمر ، من بنى غانية فى ثلاثة آلاف فارس من المرابطين ، فخرج بمن معه ، فقتلوا الموحدين وبإيعهم لعبد المومن ودخل فى طاعته ، فكان الموحدون يسمونهم السابقين الأولين ، وحررت أملاكهم ، فلم تزل أملاكهم محررة الى انقضاء أيامهم ، فليس فى أملاكهم رباة ، وجميع بلاد الأندلس مربعة ، وكان ملوك الموحدين اذا قدم عليهم وفود الأندلس للسلام فى كل سنة أول من ينادا من أهل البلاد أهل شريش ، فيقال لهم أين السابقون أهل شريش يدخلون للسلام ، فاذا سلموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا ، فحينئذ يدخل غيرهم ، وكان فتح شريش فى أول يوم من شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (الجمعة ٢٥ مايو ١١٤٥ م) .

(١٠٦) الأحياء السفلا من تلمسان القديمة ، بها مسجد الإمام ادريس الذى لا تزال صومعته ماثلة الى اليوم للعيان ، أما الأحياء العليا من تلمسان فقد سماها المرابطون الذين أسسوها (تاكرارت) ومعناها المعسكر والحلة باللهجة الصنهاجية .

وقال ابن فرحون : دخل الموحدون الأندلس فى شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمئة ، فنزلوا بجزيرة طريف ، وكان الأمير عليهم الشيخ موسى بن سعيد ، فدخل طريقا طوعا من أهلها ، ثم أرسل اليه أهل الجزيرة الخضراء فدخلها عليهم يوم النحر ، وهرب عنها المرابطون الى اشبيلية .

وفى سنة أربعين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة فاس بعد الحصار الشديد ، وقطع عنها النهر الداخلى إليها بالألواح والخشب والبناء حتى انحصر الماء فوقها فى الوطا ، فوصل الى مركزه ، ثم خرقة فهبط الماء عليهم دفعة واحدة ، قهدهم سورها وهدم من دورها مايزيد على ألفي دار ، وهلك به خلق كثير ، وكاد الماء أن يأتي على أكثرها ، فدخل عبد المومن مدينة فاس وأمن أهلها الا من بها من المرابطين ، فانهم لايمضوا لهم أمان وقتلهم قتلة كفر ، وأمر بالسور فهدم فيه ثلثات كثيرة ومسافات ، وقال : أنا لانتحاج الى سور ، وأنا الأسوار سيوفنا وعدلنا فلم نزل مدينة فاس لا سور لها ، حتى بناه حفيده المنصور ، فمات وقد شرع فى بنائه ، فتممه ولده الناصر فى سنة ستمئة .

وفى هذه السنة (٥٤٠ هـ) فتحت مدينة اشبيلية ، وملكها الموحدون وخطب بها لعبد المومن بن علي ، وفيها فتحت مدينة مالقة ، وفيها أمر أمير المومنين عبد المومن ببناء أسوار تاجرة من تلمسان وبنا جامعها وحصن المدينة وأعلى سورها ، وفيها فتحت دكالة .

ثم دخلت سنة احدا وأربعين ، فى نصف شهر محرم ، دخل عبد المومن مدينة أغمات صلحا دون قتال ، وفى الآخر ربيع منها دخل الموحدون مدينة طنجة وفر عنها المرابطون ، وفى الثامن عشر من شوال منها وهو يوم السبت فتح عبد المومن مدينة مراكش بعد حروب عظيمة وهزائم كثيرة على المرابطين ، وقبض على أميرها اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فقتله عبد المومن ، وفى هذا الشهر وفدت جميع قبائل المصامدة بأسرها ، واستوثق أمر المغرب لعبد المومن بن علي ، ولم يبق له منازع .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة ، فيها خرج على أمير المؤمنين عبد المومن بن علي الماسي وتسميا بالهادي ، واسمه محمد بن هود بن عبد الله ، وكان قصارا بمدينة سلا ، وكان أبوه دلالا يبيع الكنايش ، فخرج على عبد المومن بعد أن حضر معه فتح مراکش وبايعة ، فغلب على بلاد تامسنا وأكثر بلاد المصامدة ، فبايعة جميع القبائل حتى لم يبق تحت عبد المومن إلا مراکش ، فبعث إليه عبد المومن الشيخ أيسا حفص في جيش عظيم من الموحدين ، فارتحل عن مراکش في أول يوم من ذي القعدة عام اثنتين وأربعين المذكورة (٢٣ مارس ١١٤٨ م) وخرج معه عبد المومن مشيعا حتى وصل تانسيفت ، ثم ودعهم ودعا لهم وانصرفوا ، فالتقوا بالماسي الخارج ببلاد تامسنا ، فكانت بينهم حروب عظيمة قتل فيها الماسي ، قتله الشيخ أبو حفص بيده ، وهزم عسكره ، وذلك في شهر ذي الحجة عام اثنتين وأربعين المذكورة ، فسموا الموحدون الشيخ أباحفص سيف الله ، تشبيها بخالد بن الوليد رضي الله عنه .

وفي هذه السنة وقد أهل أشبيلية على أمير المؤمنين عبد المومن بن علي ، فوجدوه مشغولا بقتال الماسي ، فأقاموا عنده بمراكش نحو سنة ونصف لم يروه حتى لقوه بالمصلا في يوم عيد الأضحا ، وفيهم القاضي أبوبكر بن العربي ، فسلموا سلام جماعة ، ثم بعد ذلك دخلوا عليه ، فسلموا وقبلت بيعتهم ، وسأل عبد المومن القاضي أبوبكر بن العربي عن المهدي هل كان لقيه عند الامام أبي حامد الغزالي أم لا ؟ فقال له : مالقيته ، ولكن سمعت به ، فقال له : وما كان أبو حامد يقول فيه ؟ قال ، كان يقول : ان هذا البربري لابد سيظهر ، ثم صرف الوفود الى أشبيلية وكتب لهم منشورا بتحرير أملاكهم ، فانصرفوا عنه في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين (أكتوبر - نونبر ١١٤٨ م) .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة ، فيها ارتحل عبد المومن الى سجلماسة فدخلها وأمن أهلها ، ثم رجع الى مراکش فأقام بها أياما ، وخرج الى غزو برغواطة فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة هزم فيها عبد المومن ، ثم كانت الكرة عليهم ، فأجال فيهم السيف ، ولم يبق منهم إلا من

لم يبلغ الحلم ، وفى خلال هذه الأيام قام أهل سبته على الموحدين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة ، وكان قيامهم عليهم برأى قاضيهم عياض ابن موسى ، فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم وأحرقوهم بالنار ، وركب عياض البحر الى ابن غانية بالبيعة ، وطلب منه واليا ، فأرسل معه الصحرابي فدخلها وأقام بها أياما ، فلما سمع برغواطة بخروج عبد المومن اليهم كتبوا الى الصحرابي والى سبته يستنصرون به ، فأتاهم ، فبايعوه واجتمعوا عليه وقتلوا عبد المومن وهزموه ، ثم كانت الكرة عليهم وهزمهم وقتلهم وسباهم ، فهرب الصحرابي وراسل عبد المومن يطلب منه الأمان ، فأمنه وأتاه وبايعه وحسنت طاعته ، فلما رأى ذلك أهل سبته سقط فى أيديهم وندموا على صنعهم وكتبوا بيعتهم الى عبد المومن ، وأتوا بها أشياخ المدينة وطلبتها تائبين ، فعفا عنهم وعن القاضي عياض ، وأمره بسكنى مراكش ، وأمر بهدم سور سبته فهدم .

وفىها فتحت مدينة مكناسة بعد حصار سبعة أعوام ، فدخلها عنوة بالسيف ، وذلك يوم الأربعاء الثالث لجمادى الأولى من سنة ثلاث وأربعين المذكورة ، وخربت وقتل أكثر رجالها وخمست أموالهم وبقيت تاجررات المدينة الى الآن .

وفىها فتحت مدينة قرطبة وملكها الموحدون ، وأعطاهما واليها يحيى ابن علي بن غانية ، وخرج منها الى غرناطة ليحكم عاملها اللمتونى فى تمكينها للموحدين ، إذ كان هو قد مكنه من قرطبة وقرموئه ، فتوفى بغرناطة ، وذلك يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين المذكورة ، ودفن فى القصبية بازاء قبر باديس بن حبوس .

وفى هذه السنة ملك عبد المومن مدينة جيان وخطب له بها .
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمئة ، فيها ملك الموحدون مدينة مليانية .

وفىها قام رجل بتامسنا يعرف بأبى مزكيدة (١٠٧) فبايعه برغواطة

وقبائل كثيرة من البربر ، وبقي مدة يحارب الموحدين الى أن ظفر به ، فقتل وحمل رأسه الى مراكش ، وقتل معه خلق كثير من البربر .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ، فيها تحرك أمير المؤمنين عبد المومن الى مدينة سلا فوصل اليها ، وأجرا اليها ماء عين غبولة حتى وصل الى المدينة من رباط الفتح ، وأذن للوفود من أهل الأندلس فى الوصول الى سلا ، فوصلوا فى نحو الخمسمئة فارس من الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد ، فتلقاهم الوزير أبو ابراهيم ، والوزير أبو حفص ، والفقير الوزير الكاتب أحمد بن عطية (١٠٨) وأشياخ الموحدين على نحو الميلىن من المدينة وأنزلوهم خير نزول ، وأضافوهم خير ضيافة ، ثم دخلوا على عبد المومن بن علي فسلموا عليه بعد ثلاثة أيام من وصولهم ، وكان دخولهم عليه فى أول يوم من شهر محرم عام ستة وأربعين وخمسمئة ، (الجمعة ٢٠ ابريل ١١٥١ م) فأشار الفقيه أحمد بن عطية لأهل قرطبة بالتقدم ، فنقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج ، فتكلم على دهش ، ووصف حال قرطبة فقال : يا أمير المسلمين ان الفتن دمره الله قد أضعفها ، فتلافاه أبوبكر ابن الجد بخطبة بليغة ، فاستحسنها عبد المومن ، ووصل الجميع كلا على قدره ، وقضا حاجاتهم ، وأوصلهم بما أرادوا وأمرهم بالانصراف الى بلادهم ، فانصرفوا .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ، فيها تحرك أمير المؤمنين عبد المومن الى المشرق برسم غزو بجاية ، واستخلف على مراكش أبى حفص بن يحيى ، فسار حتى وصل مدينة سلا ، فأقام بها شهرين ، ثم تحرك منها قاصدا مدينة سبتة مظهرا أنه يريد الجواز الى الأندلس ، فلما وصل الى سبتة استدعا طلبة اشبيلية وقرطبة وفقهاء الأندلس وقوادها ، فوصلوا اليه فأوصاهم بما أراد ووعدهم وأخذ فى الحركة ، فلما وصل الى قصر

(108) أحمد ابن عطية القضاى الكنا بأبى جعفر ، كاتب موحدى شهير ، انظر عنه الإحاطة

عبد الكريم (١٠٩) ميز جيوشه وفزق فيهم الأموال ، وأمرهم بتجديد الأزواد ، وأخذ على غير طريق ، وجعل مدينة فاس عن يمينه ، واتصل مسيره حتى خرج الى وادى ملوية ، ثم سار الى مدينة تلمسان ، فأقام بها يوما واحدا ، ثم خرج منها ووالا السير قاصدا الى بجاية حتى وصل مدينة الجزائر ، فدخلها صلحا وأمن أهلها ، وخرج عاملها فازا الى بجاية ، ولم يشعر ابن حماد صاحب بجاية بقدوم عبد المؤمن اليه حتى وصله عامله على الجزائر مخبرجا عنها ، فأخبره بقدوم عبد المؤمن اليه وتملكه الجزائر والمدينة ، فسقط في يديه ، فسار عبد المؤمن حتى نزل بجاية ، ففتح له بابها أبو محمد ميمون بن علي المعروف بابن حمدون ، فدخلها (١١٠) وفر عنها يحيى بن العزيز ابن حماد في البحر الى مدينة بونة ، ومنها الى قسطنطينة ، وذلك في شهر ذي القعدة من سنة سبع وأربعين وخمسمئة (يبرابر ١١٥٣ م) .

وفي سنة ست وأربعين المذكورة جاز الشيخ أبو حفص الى الأندلس بعثه عبد المؤمن في جيش عظيم من الموحدين ، ومعه السيد عثمان ابن أمير المؤمنين برسم غزو الروم واستنقاذ المرية من أيديهم ، فأنهم كانوا قد غلبوا عليها ، فساروا حتى نزلوا المرية ، فحاصروها وضيقوا عليها غاية ، وبنا السيد عثمان على محلته سورا حياطة لها ، فاستغاثت الانصار الذين بالمرية بالقاش ، فبعث اليهم السليطيين (١١١) وابن مردنيس لاغاثتهم في جيش عظيم كثيف ، فلم يمكنهم اغاثتهم ، ولم يتوصلوا الى محلة عثمان ، لكونه حصن عليها سورا عظيما منيعا ، فلما عجز السليطيين الرومي وابن مردنيس عن اغاثتهم أقبلوا واقتربوا ولم يجتمعا بعد فحصر السليطيين على أبدة وبياسة وكان قدملكهما فأجلاهما من النصارا ولزم

(١٠٩) قصر عبد الكريم هو مدينة القصر الكبير الحالية ، وعرف قديما بقصر كتامة أيضا .

(١١٠) انظر رسالة عبد المؤمن عن فتح بجاية في مجموع رسائل موحدية ، الرسالة السابعة ص 20 .

(١١١) السليطيين لقب يلقب به المؤرخون المسلمون الفونسو السابع المعروف بالمحارب المتوفى في 2١ غشت ١١57 (13 رجب عام 552 هـ) ومرة أخرى يجعل ابن أبي زرع من الفتنش فتنشين .

السيد عثمان على حصار المرية حتى فتحها وأنزل منها النصارا صلحا بالامان على يد الوزير الكاتب أحمد بن عطية (١١٢) .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ، فيها دخل عبد المومن بجاية ، وفيها حاصر الموحدون يحيى بن العزيز ابن حماد بقسطنطينة حتى نزل على الأمان وبإيع عبد المومن ودخل فى طاعة الموحدين ، وانتقل الى مراكش بخاصته فأعطاه عبد المومن بها مالا وأنزله منزلة رفيعة ، وأقام عبد المومن ببجاية شهرين حتى هدنها وفتح أحوازها وأقطارها وقدم فيها طلبة الموحدين ورجع الى مراكش .

وفى سنة ثمان وأربعين وخمسمئة رجع عبد المومن من فتح بجاية الى مراكش وبعث ليصليتين (١١٣) قريب المهدي ، فأتى به مكبولا من سبتة ، فأمر بقتله وصلبه بباب مدينة مراكش ، وأرثحل عبد المومن بعد قتل يصليتين الى تينمل لزيارة قبر المهدي ، ففرق فى أهلها أموالا عظيمة ، وأمر ببناء مسجد لها وتوسيعه ، ثم أرثحل منها الى سلا فأقام بها بقية سنة ثمان وأربعين .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ، فيها ولا عبد المومن ولده محمدا العهد بعده ، وأمر بذكره فى الخطبة بعده ، وكتب بذلك الى جميع عمله ، وفيها ولا بنيه البلاد ، فولا السيد عمر تلمسان وأحوازها ، وأصحبه أبا محمد عبد الحق ، ومن الكتاب الفقيه عبد الملك ابن عياش ، وكان يكتب بعد ذلك للخليفتين ، وولا السيد عثمان سبتة وطنجة ، وأصحبه عبد الله بن سليمان وسعيد بن ميمون الصنهاجي ، ومن الكتاب الفقيه أبا الحكم هرمس ، ثم أبا بكر ابن الطفيل ، ثم أبا بكر بن حبيش الباجي ، وولا السيد عبد الله بجاية وأعمالها ، وأصحبه أبا سعيد يخلف بن الحسن

(II2) يجب التنبيه الى أن ابن أبى زرع يجعل فتح المرية واسترجاعها من يد النصارا فى عام 546 هـ والحقيقة أن المرية استردت فى أواخر سنة 552 هـ (1157 م) بعد تملك غرناطة الذى حدث سنة 551 كما سيأتى للمؤلف .

(II3) ويعرف أيضاً ببصلايين ، كان من زعماء قبيلة هرغة ومن أهل دار المهدي . ينظر عن مقتله اخبار المهدي بن تومرت ص 74 و 75 .

وولا السيد يوسف أشبيلية وشلب وأحواهما ، وولا الشيخ أبا زيد بن يكيث قرطبة وأعمالها ، فلما ولا عبد المومن أولاده البلاد وجعل عهده لولده محمد وقتل يصلين قريـب المهدي خرج عليه عبد العزيز وعيسا أخوا المهدي وكانا بفاس ، فخرجا عنها الى مراكش على طريق المعدن ، فاتصل خبر خروجهما من فاس بعبد المومن ، فخرج هو من سلا متلافيا مدينة مراكش بعد ان قدم اليها وزيره أحمد بن عطية ، فرجدهما قد دخلا مدينة مراكش وقتلا عاملها عمر بن تفراكين ، فلما وصل عبد المومن لمراكش لم يقدم شيئا قبل قتلها وصلبها •

وفى هاذـه السنة دخل الموحدون لبلة بعد الحصار الشديد ، بعث اليها أمير المومنين عبد المومن قائده يحيـا بن يومر ، فحاصرها حتى دخلها عنوة ، فأخرج أهلها الى خارج المدينة وصفهم صفوفا ، ثم أمر بقتلهم جميعا وقتل جماعة من فقهاءهم ، منهم الفقيه أبو الحكم بن بطال المحدث ، والفقيه الصالح الفاضل أبو عامر ابن الجد ، والذي وقع عليه الاتفاق من الناس أنه عد من قتلا لبلة فى ذلك الموضع ثمانية آلاف رجل ، وفى أحوازاها أربعة آلاف (١١٤) ثم بيعت نساؤهم وأبنائهم جميعا وصلبهم أموالهم وأمتعتهم ، فعل ذلك برأيه دون اذن عبد المومن ، فرفع الخبر الى عبد المومن فأنكر عليه استبداده بذلك وسوء فعله ، وبعث اليه من مراكش من يقبض عليه مكبولا الى الحضرة ، فرسل لمراكش يرم عيد الفطر ، فسجن بمراكش مدة ثم سرحه وعفا عنه ! ولم يصرف على أهل لبلة شيئا من جميع ما أخذ لهم •

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمئة ، فيها أمر أمير المومنين عبد المومن باصلاح المساجد وبنائها فى جميع بلاده وتغيير المنكر وتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة الحديث ، وكتب بذلك الى جميع طلبة المغرب والعدوة •

(١١٤) هاذـه المجزرة لا يمانلها فى الهول والفظاعة الا التمييز التسهير ، الاول الذى قام به محمد بن تومرت ، والثانى الذى قام به عبد المومن ، وذلك من أكبر الأخطاء والخطايا التى يواخذ بها الموحدون ، وعند الله يجتمع الخصوم .

ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمئة ، فيها ملك الموحدون مدينة غرناطة ، وخطب بها لعبد المومن بن علي ، وبعث أهلها ببيعته اليه فقبلها ، وبعث اليهم عامله فنكثوا البيعة وقتلوا العامل ، وقام بها ابن مردنيش وابن همشك والبار ريدريكي (الأقرع النصراني) .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ، وفيها أمر امير المومنين بغزو غرناطة فسار اليها ولداه يوسف وعثمان بعساكر كثيرة ، فقاتلوا حتى فتحوها عنوة ، وقتل البار ريدريكي (الأقرع النصراني) ومن كان معه من النصارا ، وفر ابراهيم ابن همشك وابن مردنيش عنها ، قاله ابن مطروح ، وقال ابن صاحب الصلاة : كان فتح غرناطة وقتل الأقرع النصراني عام سبعة وخمسين والله أعلم بذلك .

وفيها نكب أمير المومنين وزيره أحمد بن عطية وسجنه مدة ، ثم قتله في شوال منها واستوزر مكانه عبد السلام بن محمد الكومي ، وكان والد عبد المومن تزوج أم عبد السلام هاذا ، فولدت له ابنة تزوجها أبو حفص ثم طلقها ، فاستوزره عبد المومن حين قتل أحمد بن عطية ، واستكتب في الرسائل والأوامر عبد الملك ابن عياش القرطبي ، ولما حبس ابن عطية كتب الى امير المومنين عبد المومن يستعطفه ويطلب عفو بهاده الرسالة .

بسان العزاء نفرط الهم والحزن
ورحمة منكم أنجا من السفن
وعطفة منكم أوقا من الجنن
بمن أجارته رحماك من المحسن
بنصره لم يخف بطشا من الزمن
والطرف ينهض بعد الركض في سنن
من دون من بها كلا ولا ثمن
كلنا الحياتين من نفس ومن بدن
لم يالفوا النوح في فرع ولا فنن
والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

عظفا علي أمير المومنين فقد
قد أغرقنا ذنوب كلها لجج
وصادفتنا سهام الدين عن غرض
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه
من جاء عندكم يسعا على ثقة
فالثوب يظهر بعد الغسل من درن
أنتم بذلتكم حياة الخلق كلهم
ونحن من بعض من أحييت مكارمكم
وصيبة كفراخ الورق من صغر
قد أوجدتهم أياد منك سائلة

تأله لو أحاطت بي كل خطيئة ، ولم تنفك نفسى عن الخيرات بطيئة ، حتى سخرت بمن فى الوجود ، وأنفت لأدم من السجود ، وقلت ان الله لم يوح ، فى الفلك الى نوح ، وأبرمت لحطب نار الخيل حبلا ، وبريت لقدار (١١٥) ثمود نبلا ، وحططت عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدت مع هامان على الطين ، وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبتتها ، واغترت على العذراء البتول فقذفتها ، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظاهرت الأحزاب بالقصوا من العدو ، وأبغضت كل قرشى ، وأحببت لأجل وحشى كل حبشى ، وقلت بأن بيعة السقيفة ، لاتوجب امامة خليفة ، وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة ، واعتقلت من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبة ، وقلت تقاتلوا رغبة فى الأبيض والأصفر ، وسفكوا الدماء على الثريد الأعفر ، وغادرت الوجه من الهامة خضيبا ، وناولت من قرع سن الحسين قضيبا ، ثم كنت بحفرة المعصوم لائذا ، وبقبر المهدي رضى الله عنه عائذا ، لقد ان لقاللتى أن تسمع ، وأن تغفر لى هاذة الخطيئات أجمع ، مع أنى مقترف ، وبالذنب معترف :

فَعَفُوا أَسِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ لَنَا بِسَرْدِ قُلُوبٍ هَدَاهَا الْخَفْقَانِ

والسلام على المقام الكريم ورحمة الله وبركاته .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ، فيها كانت حركة المهدية وفتحها وتخليصها من أيدي الروم الذين كانوا ملكوها (١١٦) وفيها فتحت جميع بلاد أفريقية ، وكانت المهدية قبل ان يملكها الروم بيد الحسن بن علي بن يحيى ابن تميم بن المعز بن باديس اراثة من أبيه وأجداده ، فنزل عليه بها العدو الرومى صاحب صقلية وشدد عليه الحصار حتى دخلها عنوة ، وذلك فى عام ثلاث وأربعين وخمسمئة ، فهرب الحسن بن علي المذكور الى الجزائر واستوطنها ، فلما وصل عبد المؤمن الى الجزائر بجيوش

(١١٥) عاقر ناقة نمود .

(١١٦) استولا أمير البحر جرجى الأنطاكي - لحساب روجار الثاني ملك صقلية - على المهدية يوم ٢ صفر عام ٥٤٣ هـ (الثلاثاء ٢٢ يونيو سنة ١١٤٨ م) ، وكان عدد سفن أسطوليه ٢٥٠ سفينة .

الموحدين وجد فيها الحسن بن علي المذكور ، فخرج اليه وبأيعه وصاهره عبد المومن ، وحمله الى مراكش ، فأقام معه الى سنة ثلاث وخمسين المذكورة ، فخرج عبد المومن الى المشرق يرسم غزو المهديّة ، فوصل اليها ونازلها برا وبحرا وشرع في قتالها حتى نزعها من أيدي الروم ، وذلك في سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، قاله البرنسي .

وقال ابن جنون : تحرك أمير المؤمنين عبد المومن الى غزو المهديّة من حضرة مراكش ، وذلك في العشر الأول من شهر شوال عام ثلاثة وخمسين المذكور (أكتوبر - نونبر ١١٥٨ م) واستخلف على مراكش أبا حفص بن يحيى ، وترك معه ولده السيد علي ، واستعمل على مدينة فاس وأعمالها يوسف بن سليمان ، واستخلف على اشبيلية وقرطبة وجميع بلاد غرب الأندلس ولده السيد يوسف ، وعلى غرناطة ولده عثمان ، وسار هو في أمم لاتحصا وجيوش لانعد من الموحدين وقبائل العرب وقبائل زناتة والأغزان والرماة متوجها الى المشرق ، ففتحه الله عليه ، فسار في أرض الزاب وبلاد أفريقية يفتح البلاد والمعقل ، ويؤمن من استأمن ويقتل من عصا حتى وصل الى مدينة تونس فحاصرها ثلاثة أيام ، وارتحل عنها وترك عليها جيشا من الموحدين ، وسار الى القيروان ففتحها ، وفتح سوسة وصفاقس وارتحل الى المهديّة فنزل على من بها من الروم برا وبحرا ، ونصب عليها المجانيق والرمادات في البر والبحر ولم يرفع عنها القتال ليلا ولا نهارا ، وجعل قتالها نوبا على قبائل الموحدين حتى فتحها وقتل بها خلقا كثيرا من النصارا .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ، في شهر جمادى الأولى منها فتحت تونس وخطب بها لأمر المؤمنين عبد المومن ، وبعدها ببسير كان فتح المهديّة بعد حصارها سبعة أشهر ، وفيها فتح عبد المومن جميع بلاد أفريقية كلها ودخل أهلها في طاعته من برقة الى تلمسان ولم يبق له بها منازع ، ففرق فيها عماله وقضاته ، وسكنها وأمنها وضبط ثغورها وأصلح أقطارها .

وفي هذه السنة أمر عبد المومن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب ،

وكسرها من بلاد أفريقية من برقة الى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا ، فأسقط من التكسير الثلث فى الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والخزون ، وما بقي قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق ، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب .

وقيل كان تملك عبد المومن بن علي المهدي وفتحها يوم عاشوراء من سنة خمس وخمسين (٢١ يناير ١١٦٠ م) .

وفى سنة خمس وخمسين وخمسمئة أمر أمير المومنين ببناء جبل الفتح وتحصينه ، فبنى وشيد حصنه ، وكان ابتداء البناء به فى تاسع ربيع الأول من سنة خمس وخمسين المذكورة (١٩ مارس ١١٦٠ م) وكمل بناؤه فى ذي القعدة منها .

وفى هذه السنة تحرك أمير المومنين من أفريقية الى المغرب يريد طنجة يرسم الجواز الى الأندلس ، فسار حتى وصل الى مقربة من وهران فطلبه عرب أفريقية فى الوداع بالرجوع الى حلهم فأسعفهم بذلك ، ونقل منهم الى المغرب ألفا من كل قبيلة بعيالاتهم وإبنائهم ، وهم عرب جيشم ، وبنا فى رجعتهم هذه مدينة البطحاء (١١٧) وسبب بنائه إياها أنه لما طالت بالموحدين الإقامة بالمشرق والمغرب عن أولادهم وأوطانهم عزموا طائفة منهم على قتل عبد المومن والفتك به فى خبائه اذا نام ، وتوافقوا على ذلك ، فأثا شيخ (١١٨) ممن علم الأمر الى عبد المومن فأخبره الخبر وقال له : دعنى أبت الليلة فى موضعك وأنم فى فراشك ، فان فعلوا ما اتفقوا عليه كنت فديتك بنفسى فى حق المسلمين ، وأجرى فى ذلك على الله ، وان كانت السلامة فمن الله تعالى ويكون أجرى على قدر نيتي ، فبات على فراشه فاستشهد ، فلما أصبح وصلا عبد المومن

(١١٧) تقع قرب وادى شلف بالمغرب الأوسط .

(١١٨) هو اسماعيل بن يسالان الهزرجي تلميذ محمد بن تومرت واحد أصحابه العشرة .

ينظر عنه المقتبس من كتاب الأنساب ص 3١ .

الصباح افتقده ، فوجده مقتولا ، فأخذه وحمله بين يديه على ناقته لايقودها أحد ، فسارت الناقة تمر يمينا وشمالا حتى بركت وحدها ، فأمر عبد المومن بالشيخ فانزل عنها وأخذ بزمائها وأزيلت عن مبركها ، وحفر قبره فيه ودفن وبنت عليه قبة ، وبنا بازاء القبة جامعا ، ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد ، وترك بالمدينة عشرة من كل قبيلة من قبائل المغرب ، فقبر الشيخ هناك معظم عند أهل تلك البلاد يزار الى اليوم ، وعند دخول أمير المومنين الى مدينة تلمسان من هاهنا الحركة قبض على عبد السلام ابن محمد الكومي وزيره وحبسه ، سمه في قدرة (١١٩) لبن فمات من ليلته (١٢٠) وخرج عبد المومن من تلمسان الى المغرب فسار حتى وصل الى طنجة ، وذلك في ذي الحجة سنة خمس وخمسين (دجنبر ١١٦٠ م) وفيها (١٢١) جاز الخليفة أمير المومنين عبد المومن بن علي من طنجة الى الأندلس ، فنزل بجبل الفتح ، فأقام به شهرين واستشرف على أحوال بلاد الأندلس ، وأتاه قوادها وأشياخها للسلام ، فأمر بغزو بلاد غرب الأندلس ، فخرج اليها الشيخ عبد الله بن أبي حفص من قرطبة في جيش كثيف من الموحدين ، ففتح حصن اطرانكش ، من أحواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصاري وأتا الفنش من طليطلة لاغاثته فوجده قد فتح ، فقصده الموحدون لقتاله ، فهزمه الله ، وقتل من عسكره ستة آلاف رجل ، وساق المسلمون النسبي الى قرطبة واشبيلية .

وفي سنة ست وخمسين ملك الموحدون بطليوس وباجة ويابورة وحصن القصر ، فولا عليها عبد المومن ، محمد بن علي ابن الحاج ، ورجع عبد المومن الى مراكش .

ودخلت سنة سبع وخمسين وخمسمئة ، وفيها أمر أمير المومنين

(II9) وقيل سمه في ثردة .

(I20) انظر عن مقتل عبد السلام الكومي المن بالامامة ص 173 .

(I21) في الأصل (ثم دخلت سنة ست وخمسين ، فيها جاز) الخ والحقيقة أن جواز عبد المومن بن علي الى الأندلس كان في شهر ذي القعدة من عام 555 هـ كما عند ابن صاحب الصلاة في المن بالامامة ص 147 .

عبد المومن بإنشاء الأساطيل فى جميع سواحل بلاده ، وعزم على غزو بلاد الروم فى البر والبحر ، فأنشأ منها أربعمئة قطعة ، منها فى حلق المعمورة (١٢٢) ، ومرساها مئة وعشرون قطعة ، ومنها فى طنجة وسبتة وبادس (١٢٣) ومراسى الريف مئة قطعة ، ومنها ببلاد أفريقية وهران ومرسا هنين مئة قطعة ، ومنها ببلاد الأندلس ثمانون قطعة ، ونظر فى استجلاب الخيل للجهاد ، والاستكثار من أنواع السلاح والعدد ، وأمر بضرب السهام فى جميع عمله ، فكان يضرب له كل يوم منها عشرة قناطير ، فجمع من ذلك مالا يحصى ، وفى خلال ذلك ورد على أمير المومنين قبيلة كومية فى جيش عظيم من أربعين ألف فارس ، والسبب فى قدومهم أنه لما همت طائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذى بات بمكانه وتحقق ذلك منهم جاء بهم لأخذ ثأره منهم بحيلة ، لكونه غريبا بين قبائلهم ليس له عشيرة يستند اليها ولا قبيلة يثق بها ويعتمد عليها ، فبعث فى خفية الى أشياخ قبيلة كومية قبيلته ، وأمرهم بالقدوم عليه ، وأن يركب كل من بلغ الحلم ويأتونه فى أحسن زى وأكمل عدة وهياة ، وبعث اليهم بالأموال والكسا ، فاجتمع منهم اربعون ألفا ، فأقبلوا الى أمير المومنين بمراكش برسم الخدمة بين يديه ولشد ظهره بهم ، فتشوش المغرب بقدومهم وتقول الناس الأقاويل ، فسار الجيش حتى وصل وادي أم الربيع ، فسمع الموحدون بأقبالهم ، فارتاعوا منهم ، وعرفوا أمير المومنين عبد المومن بخبرهم ، فأمر الشيخ أبا حفص أن يخرج اليهم فى جماعة من الموحدين وأشياخهم ليتعرفوا خبرهم ، فسار حتى تلقاهم بوادي أم الربيع فقال لهم : أسلم أنتم أم حرب ؟ فقالوا بل نحن سلم ، نحن قبيل أمير المومنين عبد المومن بن علي ، نحن كومية الزناتيون ، قصدنا زيارته والتسليم عليه ، فرجع أبو حفص وأصحابه فعرف أمير المومنين

122) تعرف اليوم بالمهدية ، عند مصب نهر سبو ، ولكن الغاية المجاورة لها ما زالت تسمى غابة المعمورة .

123) مدينة ساحلية بشاطئ البحر المتوسط تقع غربى مدينة الحسيمة فى تراب قبيلة بقوية ، خربت ولم يبق منها الا بعض أطلال ، أمامها جزيرة صغيرة تسمى باسمها تحتلها اسبانيا ،

بخبرهم ، فأمر عبد المومن جميع الموحدين أن يخرجوا الى لقائهم ، فاحتفلوا لذلك ، وكان بمراكش يوم دخولهم عيد من الأعياد ، فرتبهم عبد المومن فى الطبقة الثانية ، وجعلهم من قبيلة تينمل فى ثانى درجة ، وقربهم من نفسه وجعلهم بطانته ، يركبون فى ظهره ويقفون على رأسه ويمشون بين يديه اذا خرج .

وفى سنة ثمان وخمسين وخمسمئة خرج أمير المومنين من مراكش الى الأندلس يرسم الجهاد ، وكان خروجه يوم الخميس الخامس من ربيع الأول من السنة المذكورة (٢١ يبرابر ١١٦٣ م) ، فوصل الى رباط الفتح ، فكتب الى جميع بلاد المغرب والقبلة وأفريقية والسوس وجميع القبائل يستنفرهم الى الجهاد ، فأجابته خلق كثير ، فاجتمع له من عساكر الموحدين والمرتزقة من قبائل المغرب وقبائل زناتة أزيد من ثلاثمئة الف فارس ، ومن جيوش المطوعة ثمانون الف فارس ومئة الف راجل ، فضافت بهم الأرض وانتشرت المحلات والعساكر فى أرض سلا من عين غبولة الى عين خميس واستدارت راجعة الى حلق المعمورة ، فلما استوفت لديه الحشود ، وتكاملت لديه الجنود والوفود ، ابتداء المرض الذي توفي منه ، فتمادا مرضه واشتد ألمه ، فلما خاف أن يفجأه الموت أمر بإسقاط ولده محمد من الخطبة وعزله عن العهد لما ظهر له من العجز عن القيام بالخلافة ، وذلك يوم الجمعة الثانى من جمادى الآخرة من العام المذكور ، وكتب بذلك الى جميع طاعته وبلاده ، فتمادا مرضه ، واشتد ألمه ووجعه ، الى أن توفي يوم الثلاثاء عند الفجر عاشر جمادى الآخرة (١٦ ماي ١١٦٣ م) المذكورة فسبحان الحي الدائم الذي لا يموت ولا يفنا دوامه ولا يبيد ملكه ، وسنه يوم توفي ثلاث وستون سنة ، قاله ابن الخشاب ، وقيل أربع وستون سنة ذكره ابن صاحب الصلاة فى كتاب (المن بالامامة) ، وحمل الى تينمل ، ودفن بها الى جنب قبر الامام المهدي ، فكانت أيام ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما قاله غير واحد من المؤرخين لدولتهم .

وخلف عبد المومن من البنين جماعة ، وهم : يوسف الخليفة من بعده ، وشقيقه عمر ، ومحمد المخلوع من العهد ، وعبد الله صاحب

بجاية ، وعثمان صاحب غرناطة ، والحسن ، والحسين ، وسليمان ،
ويحيى ، واسماعيل ، وابراهيم ، وعلي ، ويعقوب ، وعبد الرحمان ،
وداود ، وعيسا ، وأحمد ، ومن البنات عائشة ، وصفية .

ومن أولاده النجباء الأدياء السيد أبو عمران ، كان استخلفه أخوه
يوسف على مراكش ، فاعتل وغاب ثلاثة أيام لم يره أحد ، فكتب اليه
القاضى حجاج بن يوسف :

يغيب البدر يوما ثم يبدو وأنت تغيب عن عيني ثلاثا
لئن بلغت ثلاث لم أراكم فليست بمذكر يوم الثلاثا

فأجابه السيد أبو عمران بديهة :

أتستأنا منكم درر فحلت عجالي أوجبت منا انبعاثا
ولولا العذر من سبب قوي لسرنا نحوكم حثما حثا
ولكنى أسير بحال ود اليكم مصبعا يوم الثلاثا

الخبر عن صفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

وسيرته وفضله رحمه الله

كانت ولاية عبد المؤمن حسنة ، وسيرته جيدة ، لم يكن قى ملوك
الموحدين مثله أحسن عطية ولا فروسية ولا دينا ولا أكثر علما منه .
وأما صفته : فكان أبيض اللون مشربا بحمرة ، أكحل العينين ،
أجعد ، تام القد ، له وفرة تبلغ شحمة أذنيه ، أزج الحاجبين ، قويم
الأنف ، عريضه ، مستدير اللحية ، قصيح اللسان نبيها ، عالما بالجدل ،
فقيها فى علم الأصول ، حافظا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ، متقن
الرواية ، مشاركاً فى كثير من العلوم الدينية والدنيوية ، اماما فى النحو
واللغة والأدب والقراءات ، ذاكرا للتاريخ وأيام الناس ، حسن السيرة ،
نافذ الرأي ، ذا حزم وسياسة وشجاعة واقدام فى الحرب وفى مهمات

الامور ، سري الهمة ، ميمون النقيبة ، منصورا مؤيدا ، لم يقصد قط بلدا
الا فتحه ، ولا قاتل جيشا الا هزمه ، وكان مع ذلك سخيا كريم الأخلاق ،
محبا في أهل العلم والأدب ، مقربا لهم ، مشوقا لوفادتهم ، منفقاً
لبضاعتهم ، وله شعر رائع حسن ، قيل انه خرج يوما مع وزيره أحمد
ابن عطية متنزها الى بعض بساتين له بمراكش ، فمر في طريقه بشارع
من شوارع المدينة ، فإذا بطاق في دار عليه شبك خشب قد قابله منه
وجه جارية كأنه الشمس الضاحية قد بادرت الطاق تنظر اليه ، فنظر
اليها عبد المومن ، فأعجبه حسنها ، وحلت من قلبه كل المحل ، فقال
ارتجالا :

قدت فؤادي من الشباك ان نظرت

فقال ابن عطية :

حوراء تروني العشاق بالملل

فقال عبد المومن :

كأنما لحظها في قلب عاشقها

فقال ابن عطية :

سيف المؤيد عبد المومن بن علي

فطرب عبد المومن واستحسن اجازة وزيره ، فخلع عليه وأمر له

بمال جزيل .

قال ابن جنون :

كان عبد المومن ذا سياسة وهمة سنية ، على أنه لم يكن من بيت ملك
ولم ينشأ في نعيم ، فمن همته أنه لم يخلد الى الراحة ، ولا ركن الى
اللذات ، فتح المغرب بأسره ، ثم توجه الى المشرق ، ففتح أفريقية كلها
الى برقة ، وفتح الأندلس ، وقمع الجبارين ، واسترجع من أيدي الروم
المهدية من بلاد أفريقية والمرية وابذة وبياسة وبطليوس من بلاد الأندلس
كتابه : أحمد ابن عطية ، وأخوه عطية ابن عطية ، وعبد الملك ابن

عياش ، وميمون الهواري ، وعبد الله بن جيل .
وزراؤه : أحمد بن عطية ، ثم عبد السلام بن محمد الكومي ثم ولده
السيد عمر ، ثم إدريس بن جامع يقعد بين يدي السيد عمر .
قضاته : موسى بن سهل من أهل تينمل ، ثم حجاج بن يوسف ،
ثم الاستاذ عبد الله بن ميمون القرطبي ، وهو القائل فى شاب من أهل
أغمات يعرف بأبى القاسم بن تسميت :
أبا قاسم والهوا جنة وما أنا من مسها لم أفق
تبوات جاحم نار الضلوع كما خضت بحر دموع الحديق
أكنت الخليل أكنت الكليم أمنت الحريق أمنت الغرق

الخبر عن دولة أمير المومنين يوسف

ابن أمير المومنين عبد المومن بن علي

هو أمير المومنين أبو يعقوب ، يوسف ، بن الخليفة أمير المومنين
عبد المومن بن علي الزناتى الكومى .
أمه : حرة اسمها عائشة بنت الفقيه القاضي موسى التينملى .
مولده : يوم الخميس الثالث من شهر رجب من سنة ثلاث وثلاثين
وخمسمئة (٦ مارس ١١٣٩ م) .
صفته : كان أبيض اللون تشويه حمرة ، حسن القد التام ، أشعر
للحية ، أجعد الشعر ، أفلج ، أقنا ، أعسر أيسر (١٢٤) يعمل بيديه
جميعا ، عاقلا صالحا ورعا فاضلا ، متوقفا فى سفك الدماء ، حليما ،
حسن السياسة والتدبير ، مصيب الرأي ، محبا فى الجهاد ، لما ولي أخذ
بنهج أبيه وسلك سبيله واهتدا بهديه ، وسار بسيرته واقتدا بأفعاله ،

وجمع الأموال الكثيرة ، وهو أول ملك من ملوك الموحدين جاز إلى الجهاد فغزا بنفسه ، وواظب عليه ، واقتنا النخائر ، واستكثر من الجيوش والجنود ، ومهد البلاد ، وأطاعه من بالعدوتين من العباد ، وضخم ملكه ، فكان ملكه من سويقة ابن مكتود قاصية بلاد أفريقية إلى أقصا بلاد نول من أرض السوس الأقصى إلى آخر بلاد القبلة ، وملك بالأندلس من مدينة تطيلة ، قاصية بلاد شرق الأندلس إلى مدينة شذترين من بلاد غرب الأندلس ، يجبا إليه خراج ذلك كله دون مكس ولا جور ، فكثرت الأموال في أيامه وتمهدت البلاد ، وتأمنت الطرقات ، وضبطت الثغور ، وصالح أمر الناس في البادية والحاضرة ، وذلك لحسن سيرته الجميلة ، وعذله الشامل لرعيته ، وتفقده لأحوال بلاده القريبة والبعيدة ومباشرة أمور مملكته بنفسه حتى لا يغيب عنه منها شيء ، ولا يدخله فتور عن النظر في أموره ولا يكلها إلى غيره .

أولاده : ثمانية عشر ذكرا ، أولهم : يعقوب الخليفة بعده الملقب بالمنصور ، واسحاق شقيقه ، ويحيا شقيقهما ، وإبراهيم ، وموسى شقيقه ، وأدريس شقيقهما ، وعبد العزيز شقيقهم ، وأبو بكر ، وعبد الله شقيقه ، وأحمد شقيقهما ، ويحيا شقيقهم ، ومحمد ، وعمر وعبد الرحمان ، وعبد الواحد المخلوع ، وعبد الحق ، واسحاق ، وطلحة .

حاجبه : الضابط لأمره والقائم بملكه أخوه السيد عمر .

وزيره : إدريس بن جامع ، ثم الوزير أبوبكر يقعد بين يدي ولده يعقوب .

قضاته : الفقيه القاضي حجاج بن يوسف ، والفقيه عيسى بن عمران ، ثم الفقيه القاضي أبو العباس بن مضا القرطبي .

كتابه : عبد الملك ابن عياش القرطبي النشأة الياپوري الأصل ، وكان رحمه الله من أهل الحديث والرواية والكتب البار ، له عقل ورأي سديد ، ومن كتبه أيضا الفقيه الكاذب البارع أبو الفضل بن طاهر ، من أهل مدينة بجاية ، وهو المعزوف بمحشرة ، وكان رحمه الله من أهل العلم

والفضل والدين والتقا والنبل فى الكتابة والبلاغة فى الترسيل ، ثم كتب لولده المنصور ثم لحفيده الناصر .

أطبأؤه : الوزير الطبيب أبوبكر بن الطفيل من أهل وادي آش ، من أهل الحنق بصناعة الطب والنظر فى الجراحات ، توفي رحمه الله سنة احدا وثمانين وخمسمئة ، ومنهم الوزير عبد الملك بن قاسم القرطبى ، من أهل التبريز فى صناعة الطب ، توفي سنة خمس وسبعين وخمسمئة . ومنهم الفقيه الأجل أبو الوليد ابن رشد ، استدعاه أمير المؤمنين السى سكنا مراكش سنة ثمان وسبعين برسم الطب ، ثم ولاه القضاء بقرطبة ، وهو ابن رشد الحفيد ، ومنهم الوزير ابوبكر بن زهر كان يتكرر على الحضرة ، فيقيم بها ويرجع الى الأندلس ، ثم انتقل الى مراكش بجملته وأهله وذلك فى سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، فأقام بها الى أن كانت غزوة شنترين فحضرها ، ثم اختص بالمنصور ، وكان من أهل المعرفة بالطب والحفظ للغة والأدب والمجالسة والمحاضرة ، مشاركاً فى الفقه والحديث والتفسير ، ذكر عنه ابن الجد أنه كان يحفظ كتاب البخارى بأسانيد ، وكان من أهل السخاء والحمية ، شاعرا مجيدا ، له اشعار بديعة فى الزهد ، ومن شعره يتشوق الى ولد له صغير :

ولي واحد مثل فرخ القطة	صغير تخلفت قلبى لديه
نأت منه دارى قأوحشتى	لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقنى وتشوقتته	فبيكى على وأبكى عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا	فمنه الى ومنى اليه

توفي رحمه الله بمدينة مراكش فى الحادى والعشرين لذى الحجة من سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وقد بلغ من السن أربعا وتسعين سنة ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه ويسامرونه الفقيه الحافظ أبوبكر ابن الجد ، ومنهم الفقيه القاضي أبو عبد الله ابن الصقر ، ولي القضاء باشبيلية ، ثم نقله أمير المؤمنين يوسف الى حضرته ، فولاه الخزان وببوت الأموال ، وكان من أهل الأدب ، ومن شعره :

لله اخوان تراثات دارهم حفظوا الوداد على النوا أوخانوا
يهدى لنا طيب الثناء وداهم كالد يهدى الطيب وهو دخان
وهو القائل ايضا :

أرض العدو بظاهر متصنع ان كنت مضطرا الى استرضائه
كم من فتا القا بوجه باسم وجوارحي تنقض من بغضائه
فكان الأمير يوسف يجالسهم ويحدثهم ويستظرف ملهم رحمه الله

الخبر عن بيعته وأيامه رحمه الله

ببيع يوسف بعد وفاة أبيه ، وذلك فى غدوة يوم الجمعة (١٢٥) الحادي عشر لجمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمئة (٢٩) ماي ١١٦٣ م) ، وتوفي شهيدا فى غزاة شنترين من بلاد غرب الأندلس يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمئة (٢٩) يوليوز ١١٨٤ م) وهو ابن سبع وأربعين سنة ، فكانت أيامه فى الملك أحدا وعشرين سنة وأشهرًا وأياما ، وقيل أنه بيع يوم الثلاثاء العاشر لجمادى الآخرة المذكور بعد وفاة أبيه بليلة ، قيد ذلك بعض ولده ، وقيل لما مات عبد المومن كتم موته لأجل غيبة ولده الخليفة بعده ببلاد الأندلس ، فلم يشهر موته حتى قدم يوسف من أشبيلية ، ذكر ذلك ابن الخشاب ، وأهل بيته أحق بالتقليد فى ذلك ، وذكر القاضي يوسف بن عمر المؤرخ لدولتهم أن يوسف بيع ببيعة الجماعة ، وانفقت الأمة على بيعته يوم الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ستين وخمسمئة ، وذلك بعد وفاة والده بسنتين ، لأنه لما بيع بعد وفاة والده توقف عن بيعته قوم من أشياخ الموحدين ، وامتنع من بيعته أخواه السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد

محمد صاحب قرطبة ، فكف عنهما ولم يطلبهما بالبيعة وتسميا بالأمير ،
ولم يتسم بأمر المؤمنين حتى اجتمع عليه الناس .

ونذكر ابن مطروح فى تاريخه أنه لما مات عبد المؤمن كان ولده يوسف
باشبيلية ، فأخفى موته ووجه الى يوسف فوصل من أشبيلية الى سلا فى
أقرب وقت ، فبويع ، ولم يتخلف عن بيعته أحد الا ناس قلائل لم يلتفت
اليهم ، فكان أول شيء فعله فى ولايته حين تمت بيعته أنه سرح الناس
المجتمعين للجهاد الى بلادهم وقبائلهم ، وكتب الى جميع البلاد بتسريح
السجون وتفريق الصدقات فى جميع عمله ، وتسميا بأمر المؤمنين ،
وارتحل الى مراكش ، فدخلها وأقام بها وكذب الى جميع طاعته من
الموحدين يطلبهم بالبيعة فأنته البيعة من جميع بلاد أفريقية والمغرب وبلاد
الأندلس ما خلا قرطبة وبجاية ، فان ولاتهما وهما أخواه توقفا فى ذلك ،
فانتشر أمره فى أقطار البلاد ، ودان له من بالعدوتين من العباد ، وفرق
الأموال فى قبائل الموحدين وأعطى كل الأجناد .

وفى سنة تسع وخمسين وخمسمئة قدم عليه أخواه السيد عبد الله
صاحب بجاية والسيد محمد صاحب قرطبة تائبين طائعين مبايعين ، وقدم
عليه بهما أشياخ حاضرتيهما وفقهاؤهما ، فوصلهم أمير المؤمنين يوسف
وأحسن اليهم بالمال والخلع .

وفى هاذة السنة ثار مرزدغ الغماري الصنهاجي من صنهاجة مفتاح
وضرب السكة وكتب فيها (مرزدغ الغريب ، نصر الله قريب) ، فتابعه
خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة (١٢٦) فأفسد تلك الناحية ودخل

(١٢٦) أوربة بفتح الهمزة والواو وسكون الراء وفتح الباء قبيلة بربرية كبيرة من شعب
البرانس ، كانت تشتمل على بطون وعماير كثيرة مثل ديقوسة ورغوة ولجاية ومزياة
ونفاة ونيجة ، وقد كبرت هذه البطون فيما بعد حتى أصبحت فى عداد القبائل ، كان شيخ هذه
القبيلة عند دخول الاسلام أرض المغرب يسمى سكرديد بن زوغى ، ولى عليهم ٧٣ سنة ،
وأدرك الفتح الاسلامى ومات سنة ٧١ هـ وبقيت زعامة البربر فى أوربة حتى دخل الإمام ادريس
أرض المغرب فتنازل له شيخها اسحاق بن محمد بن عبد الحميد عنها فصارت أوربة فى عداد
قبائل دولته ، لا تمتاز عن غيرها الا بالسبق الى تأييد دعوته ومقاتلة عدوه ، وقد حلت الفروع
فى الوقت الراهن محل الأصل ، اذ لم يبق يحمل اسم أوربة الا بطن صغير منها مندمج

مدينة بنى تاودة (١٢٧) وقتل فيها خلقا كثيرا وسبهاها ، فبعث اليه أمير المؤمنين يوسف جيشا من الموحدين ، فقتل وحمل رأسه الى مراكش .
وفى سنة ستين كانت وقعة الجلاب (١٢٨) بالأندلس بين السيد أبى سعيد بن عبد المومن وجيوش الروم مع ابن مردنيش ، وكان الروم ثلاثة عشر الفا ، فهزم ابن مردنيش وقتل من كان معه من الروم بأجمعهم ، وكتب بالفتح الى أخيه يوسف .
وفى سنة احدا وستين ولا أمير المؤمنين يوسف أخاه السيد يحيى بجاية ، وأمره بتفقد أحوال بلاد إفريقية ورفع مظالمها وقطع الطغاة بها .
وفى خالف سبع (١٢٩) بن منغقاد وثار بجبل تيزران (١٣٠) من من بلاد غمارة .

وفى سنة ثلاث وستين اجتمعت الأمة على طاعته وتسميا بأمرير المؤمنين ، وذلك فى شهر جمادى الآخرة منها .
وفى سنة أربع وستين وقد عليه أهل البلاد من إفريقية والمغرب والاندلس القضاة والخطباء والفقهاء والشعراء والأشياخ والأعيان يرسم السلام والمطالعة بأحوال بلادهم فوصلت الوفود الى مراكش ، فسلموا عليه ، ووصل الجميع كلاً على قدره ، وأوصاهم بما أراد ، وكتب لهم الأوامر بحاجاتهم وشؤونهم ، وانصرفوا شاكرين .

فى قبائل البرانس شمال تازة ، وهو معدود من القبائل ، وينطق به عربياً بحذف همزته (وربة) والقبيلة التى تحمل هذا الاسم تشتمل على أربعة بطون : أولاد عيو ، وأولاد عيسى ، وأولاد رحمون ، والربيعيين (تيريين) والبطن الأخير ينقسم الى عمارتين : الربيعيين الفوقانيين ، والربيعيين التحتانيين . والى قبيلة وربة تنسب حوبة الوردية بفاس .
(١27) الاسم القديم لقرية فاس البالي الواقعة ببطن البوار من قبيلة فشتالة (قيادة قلعة سلاس - اقليم فاس) .

(١28) فحص يبعد عن مرسية بضعة أميال ، والمعركة المشار اليها حدثت يوم الجمعة ١5 أكتوبر سنة ١١64 الموافق 7 ذى الحجة عام 560 هـ .
(١29) سباه ابن أبى زرع فى الأصل يوسف وذلك غلط منه ، وجعل ثورته عام 56١ مع أن قمعا كان فى العام التالى ، فلعل عام 56١ هو العام الذى ابتدأت فيه الثورة ، والعام الذى يليه هو الذى تمت فيه . ينظر عن هذه الثورة كتاب **المن بالامامة** ص 307 .
(١30) أعلا جبل بقبيلة غمارة ، يقع بين شفشاون والحسيمة عن شمال الداخ من الأولى الى الثانية .

وفى سنة خمس وستين وخمسمئة بعث الأمير يوسف أخاه السيد عمر الى بلاد الأندلس برسم الجهاد ، فجاز البحر من قصر الجواز الى طريف فى جيش من عشرين الفا من الموحدين والمتطوعة ، فغزا طليطلة .
وفى سنة ست وستين وخمسمئة أمر أمير المومنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت ، وشرع فى بنائها يوم الأحد ثالث شهر صفر من العام المذكور .

وفىها جاز أمير المومنين يوسف الى الأندلس لينظر فى ضبط ثغورها واصلاح أحوالها ولم شعئها ، فوصل الى أشبيلية ، فأقام بها سنة كاملة ، وأتاه بها قواد بلاد الأندلس ورؤساؤها وقضاؤها وفقهاؤها برسم السلام عليه والتعريف بأحوالهم ، ثم خرج بعد السنة الى الغزو ، فغزا مدينة طليطلة ، وفتح حصونا كثيرة من أحوازها ، وقتل خلقا كثيرا من الروم ، وغنم وسبا ، وانصرف الى أشبيلية مؤيدا منصورا .

وفى سنة سبع وستين وخمسمئة شرع أمير المومنين يوسف فى بناء الجامع المكرم بأشبيلية ، وكان أول خطيب خطب به الفقيه عبد الرحمان ابن غافر اللبلى ، وذلك فى ذي الحجة حين فرغ من بنائه .

وفى هاذه السنة عقد أمير المومنين يوسف الجسر على وادى أشبيلية بالقوارب ، وابتنا قصبتهما الداخلة والخارجة ، وبنا الزلاليق للسور ، وبنا سور باب جهور ، وبنا الرصيفين المدرجين بصفتي الوادى ، وجلب الماء من قلعة جابر حتى أدخله أشبيلية ، وأفق فى ذلك أمرا لا لاتحصا ، ثم قفل الى مراکش ، وذلك فى شهر شعبان المكرم من سنة احدا وسبعين وخمسمئة ، فكان جملة مقامه بالأندلس أربعة أعوام وعشرة أشهر وأياما .

وفى سنة سبع وستين المذكورة مات محمد بن سعد ابن مردنيش صاحب بلاد شرق الأندلس ، فتحرك أمير المومنين نحو بلاده ففتحها بأجمعها ، ودان له جميع بلاد شرق الأندلس ورجع الى أشبيلية .

وفى سنة ثمان وستين أغزا أمير المومنين يوسف ولده السيد

أبأبكر بلاد الروم ، فسار حتى بلغ طليطلة ، فقتل وسبا وأحرق القرا ، فخرج اليه زعيم الروم شانشو خيمينو المعروف بأبى بردعة ، عرف بذلك لأنه كان يركب بردعة من الحرير منسوجة بالذهب مكللة بأصناف الجواهر فكان بينهما قتال عظيم قتل فيه شانشو أبى بردعة وجميع جيشه ، ولم يفلت منهم أحد ، فكان عدد من قتل فى هذه الغزاة من الروم ستة وثلاثين الفا .

وفى سنة تسع وستين غزا أمير المومنين مدينة كركونة من بلاد شرق الأندلس ، فأوغل فى تلك الناحية يقاتل ويسبى ويخرب البلاد بالهرق والهدم وقطع الثمار ونسف الآثار ، ثم قفل الى أشبيلية .

وفى سنة سبعين وخمسمئة تزوج أمير المومنين يوسف صفية بنت محمد ابن سعد ابن مردنيش ، وصنع لها مهرجانا عظيما يقصر اللسان عن وصفه ، وفى سنة احدا وسبعين جاز أمير المومنين الى العدو ، فدخل مدينة مراکش فى شهر شعبان منها ، فأقام بها الى سنة أربع وسبعين ، فأتصل به ابن الرند (١٣١) قام بقفصة من بلاد أفريقية ، فاضطربت لأجل ذلك أفريقية ، فتحرك أمير المومنين اليها فى سنة خمس وسبعين ، فوصل الى أفريقية ونزل على مدينة قفصة وضيق عليها بالقتال والحصار حتى فتحها وظفر بابن الرند الثائر بها فقتله ، وذلك فى سنة ست وسبعين ، وعاد الى مراکش فدخلها فى سنة سبع وسبعين .

وفى هذه السنة وفد على أمير المومنين بمراكش أبو سرجان مسعود بن سلطان الرياحي فى جيش عظيم من وجوه رياح برسم الخدمة وفى سنة ثمان وسبعين خرج أمير المومنين من مراکش لبنيان حصن زكندر (١٣٢) بناه على المعدن الذي ظهر هنالك .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمئة ، فيها جاز أمير المومنين

(١٣١) على بن عبد العزيز المعروف بالطويل من أعقاب بني الرند أمراء قفصة .

(١٣٢) زكندر : قرية صغيرة بقيادة سكاوة (ايسكاون) من إقليم ورزازات كانت مدينة مزدهرة فى القديم مبنية على معدن للفضة ، ولا يزال بها غار للتعدين مستعملا الى اليوم .

الجواز الثانى برسم الجهاد ، فخرج من حضرة مراكش فى يوم السبت الخامس والعشرين من شوال من سنة تسع وسبعين المذكورة (١١ يبراي ١١٨٤ م) ، وكان خروجه على باب دكالة برسم أفريقية ، فلما وصل الى سلا أتاه محمد بن أبى اسحاق من أفريقية ، فأعلمه بهدوتها وسكونها ، فصرف الحركة الى الأندلس ، فتحرك من سلا ضحوة يوم الخميس الموفى ثلاثين لذى القعدة (١٥ مارس) من السنة المذكورة ، فنزل بظاهر البلد ، ثم أقلع عن ظاهر سلا يوم الجمعة التالى له ، فوصل الى مدينة مكناسة يوم الاربعاء السادس لذى الحجة ، فعيد بها عيد الأضحا بخارجها ، ثم ارتحل الى مدينة فاس ، فأقام بها بقية الشهر .

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمئة ، فى اليوم الرابع (١٧ أبريل) منها خرج أمير المومنين من مدينة فاس ، فصار حتى وصل سبتة ، فأقام بها بقية شهر محرم ، وأمر الناس بالجواز فجازت قبائل العرب أولا ثم قبائل زناتة (١٣٣) ثم قبائل المصامدة ، ثم غمارة (١٣٤) وصنهاجة وأوربة وأصناف البربر ، ثم جازت جيوش الموحدين والأغزاز ، والرماة ، فلما

١٣٣) جبل كبير من البربر البتر ، من ولد أجانا أو زانا بن يحيى بن خريس ، كانت مواطنهم الأصلية بصحراء المغرب ما بين غدامس ووادي الساور ، ثم طلعت قبائل منهم الى الشمال فغمروا سهول المغرب الأوسط وجباله حتى سمي بهم (وطن زناتة) وتسربت منهم قبائل وبطون فى شرق المغرب الأقصى فغمروه الى جبال تازة .

كانت لزنانة اليد الطولا والزعامة بين قبائل المغرب ، وتسمنوا الملك والإمارة فيه غير ما مرة ، منهم بنو مدرار ملوك سجلماسة ، وبنو مرين ملوك فاس ، وبنو عبد الواد ملوك تلمسان ، وملوك مغراوة وبنى يفرن .

زناتة قبائل كثيرة عديدة مستقرة بمختلف جهات البلاد المغربية ، بعضها يحمل أسماء يتميز بها وبعضها يحتفظ باسمه الأصلي مثل زناتة القبيلة المجاورة لمدينة فضالة (المحمدية) بالمغرب الأقصى ، وزنانة المستقرة بالسهل الواقع أمام تلمسان قرب نهر تافنا .

١٣٤) غمارة : من شعب مصمودة من البربر البرانس، سموا باسم والدهم غمار بن مصمود وتزعم العامة أنهم عرب غمروا فى الجبال فسموا غمارة .

وهم فى الواقع شعب متميز ، كانت مواطنه الأصلية على سيف البحر المتوسط من حد بلاد الريف الى المحيط الأطلسي ، ثم تمتد على السهول الغربية حتى تصل الى تامسنا حيث مواطن برغواطة فى القديم ، وقد انحسرت هذه المواطن فصارت لا تتعدا الجبل المعروف بغمارة الواقع بشمال المغرب الأقصى شمال مدينة شفشاون ويسكنه من قبائل غمارة : بنو زجل ، وبنى زيات ، وبنى سلمان ، وبنى بوزرة ، وبنى منصور ، وبنى جريس ، وبنى سميح ، وبنى خالد ، وبنى رزين .

كامل الناس بالجواز جاز هو في أثرهم في العبيد والدائرة ، وكان جواره في يوم الخميس الخامس لصفر (١٧ ماي) من العام المذكور ، فنزل بمرسا جبل الفتح ، ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ، فسلك منها الى جبل الصوف الى قلعة حولان الى اركش الى شريش الى تيريشة الى اشبيلية ، فلما كان في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر صفر نزل في وادي برتقال ، فخرج اليه السيد ابي اسحاق ولده وفقهاء اشبيلية وأشياخها للسلام عليه ، فبعث اليهم يأمرهم بالوقوف بأخر المنية حتى يصل اليهم فلما صلا الظهر ركب وجاز اليهم ، فلما قرب منهم نزلوا عن دوابهم ، فوقف اليهم حتى سلموا عن آخرهم وركبوا ، ثم تحرك الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس ، فوصلها في السابع من ربيع الأول من سنة ثمانين المذكورة ، فنزل بها وأدار عليها الجيوش والعساكر وشد عليها بالقتال وضيق عليها بالحصار ، وبالع في ذلك جهده ، فأقام محاصرا لها مضيقا عليها الى ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من ربيع الأول المذكور (٣ يوليوز ١١٨٤ م) فانتقل من موضع نزوله بجوف شنترين الى غريبها ، فأنكر المسلمون ذلك ولم يعلموا له سببا ، فلما جن الليل وصلا العشاء الأخيرة بعث الى ولده السيد أبي اسحاق والى اشبيلية ، فأمره بالرحيل من غد تلك الليلة الى غزو مدينة لشبونة وشن الغارات على انحاءها وان يسير اليها بجيوش الأندلس خاصة ويكون رحيله نهارا ، فأساء الفهم وظن أنه أمره بالرحيل في جوف الليل ، وصرخ الشيطان في محلات المسلمين أن أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل في هذه الليلة فتحدث الناس بذلك وتأهبوا له ، فرجل من الناس طائفة بالليل ، فلما كان قرب الفجر ، أقلع السيد أبو اسحاق وأقلع من كان يليه وتتابع الناس بالرحيل ، فارتحلوا وأمير المؤمنين مقيم بمكانه لاعلم عنده بذلك ، فلما أصبح وصلا الصبح وأضاء النهار لم يجد حوله أحدا من أهل محله الا اليسير من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لنزوله وقواد الأندلس لأنهم كانوا يمشون أمام ساقته وخلف محله من أجل من يتخلف منها من الضعفاء ، فلما طلعت الشمس وتطلع النصارا

المحصورون من سور المدينة على المحلة وقد اقلعت وارتحلت ولم يبق حول المدينة غير أمير المؤمنين وعبيده وحشمه وأهل دأثرته وتحققوا ذلك من جواسيسهم فتحو أبواب المدينة وخرج جميع من فيها خرجة منكرة وهم ينادون الراي ! الراي ! أي اقصدوا السلطان ، فضربوا في محلة العبيد الى ان وصلوا أخبية أمير المؤمنين فمزقوها واقتحموا عليه فيها ، فقاتلهم بسيفه حتى قتل من رجاله ستة رجال ، وطعنوه طعنات نافذات ، وقتل ثلاث من جواريه كن قد انصبين عليه حتى طعن ووقع بالأرض ، فتصايح الناس والفرسان والعبيد والأجناد والموحدون وقواد الأندلس وتراجع المسلمون ، فقاتلوهم عليه حتى اقلعوهم عن الخياء بالسيف ، واشتد القتال بينهم وتواقفوا ساعة في قتال شديد ، ثم انهزم أعداء الله ومنح الله عز وجل المسلمين أكتافهم ! فركبهم بالسيف حتى ادخلوهم المدينة عنوة ، وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة الاف ، واستشهد من المسلمين جماعة ، فركب أمير المؤمنين والأمر قد فات فيه، وارتحل الناس ولايدرون الى أين ، ثم اهتموا بالطبول فساروا الى اشبيلية ، فاشتدت به الآلام وطعناته فمات بالطريق ، قاله ابن مطروح ، وكانت وفاته يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة ثمانين وخمس مئة (٢٩ يوليوز ١١٨٤ م) بقرب الجزيرة الخضراء قاصدا للجواز الى العدو ، فحمل الى تينمل فدفن بها الى جانب قبر أبيه ، وقيل انه لم يمت حتى وصل مراکش ودفن بتينمل ، وكان ولده يعقوب الخليفة بعده هو الذي يدخل على أبيه ويخرج وتتصرف الأمور على يديه من يوم طعن والده الى أن مات ، وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة وشهرا واحدا وستة أيام ، وكم موته حتى وصل مدينة سلا ، فأشهره ، والبقاء لله وحده الذي له الأمر من قبل ومن بعد ، لارب غيره .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يعقوب

ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي رحمه الله

هو أمير المؤمنين ، عبد الله ، يعقوب بن عبد المؤمن بن علي .

لقبه المنصور بفضل الله .

أمه أم ولد كان أهداها سيد راي ابن وزير لأبيه يوسف .

مولده بقصر جده ، عبد المؤمن بمدينة مراكش سنة خمس وخمسين

وخمسمئة .

كنيته : أبو يوسف .

نقش خاتمه : على الله توكلت .

صفته : كان آدم ، معتدل القد ، أكحل الشعر ، واسع الأكتاف ،

أقنا الأنف ، عاري العنقفة ، مدور الوجه ، أفلج ، أعين ، له وفرة تنعقد

على جبينه ، جوادا ، شجاعا ، كريما ، شهما ، عالما بالحديث والفقه واللغة

مشاركاً في كثير من العلوم النافعة للدين والدنيا ، محباً في العلماء ،

معظماً لهم صادراً عن رأيهم ، كثير الصدقة ، محباً في الجهاد مساوياً

عليه ، يشهد جوائز الفقهاء والصلحاء ويזורهم ويتبرك بهم .

أولاده الذكور : أربعة ، ولي الخلافة بعده منهم ثلاثة ، محمد

الناصر ، وعبد الله العادل ، وأدريس المأمون .

وزرائه : وزراء أبيه .

أطبائوه : كذلك أطباء أبيه .

قضاته : أبو العباس ابن مضا القرطبي ، ثم موسى بن عيسى بن

عمران .

أيامه في الملك : ببيع رحمه الله يوم الأحد التاسع عشر لربيع

الآخر من سنة ثمانين وخمسمئة (٣٠ يوليو ١١٨٤ م) في بيعة الخاصة ،

وتأخرت بيعة العامة بسبب كتم الوفاة المتقدم ذكره الى يوم السبت الثاني من جمادى الأولى من السنة بعينها ببيع البيعة العامة ، وتوفي رحمه الله يوم الخميس الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وقيل ليلة الجمعة فى آخر الليل بمدينة مراكش ، وحمل الى تينمل فدفن بها ، وسنه يوم توفي أربعون سنة ، فكانت أيام دولته خمسة آلاف يوم ومئتي يوم واثنين وتسعين يوما ، يجب لها من السنين أربع عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة أيام :

ولما تمت له البيعة وأطاعته الأمة كان أول شيء فعله أنه أخرج مئة ألف دينار ذهباً من بيت المال ففرقها فى الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب وكتب الى جميع بلاده فى تسريح السجون ورد المظالم التي فعلها العمال فى أيام أبيه ، وأكرم الفقهاء ورأعا الصلحاء والفضلاء وأجرأ على أكثرهم الانفاق من بيت المال ، وأوصا ولاته وعماله بالرجوع الى أحكام القضاة ، وتفقد أحوال بلاده ورعيته ، وضبط الثغور وشحنها بالخييل والرجال ، وفرق فى الموحدين وسائر الاجناد أموالا كثيرة .

وكان ذا رأي وعزم ودين وسياسة ، وهو أول من كتب العلامة بيده من الموحدين ، (الحمد لله وحده) ، فجرا عملهم على ذلك ، وهو واسطة عقدهم الذي ضخم الدولة وشرفها ، وكانت أيامه أيام دعة وأمن ورخاء ورفاهية وبنية حسنة ، صنع الله عز وجل فى أيامه الأمن بالمشرق والمغرب والأندلس ، فكانت الظعينة تخرج من بلاد نول لمطة (١٣٥) حتى تصل برقة وحدها لاترا من يعارضها ولا من يكلمها ، صنع عام الأراك المشهور ، وحصن البلاد ، وضبط الثغور ، وبنا المساجد والمدارس فى بلاد أفريقية والمغرب والأندلس ، وبنا المارستان للمرضى والمجانين وأجرأ المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم ، وأجرأ الانفاق

١٣٥) بلاد نول باللام أو نون بالنون كما هو النطق اليوم من منتهى أرض سوس من اقليم اكدير ، وبها يمر وادى نون المسمى باسمها ، وهو ينبع من الجبال الواقعة خلف قرية الايدالة (تايدالت) ويصب فى المحيط الاطلسى .

على أهل المارستان والجذما والعميان في جميع عمله ، وبنا المنازل من سوس والقناطر والجباب للماء ، واتخذ عليها المنارات ، وبنا المنازل من سوس الأقصا الى سوقية بني مكتود ، فكانت أيامه زينة للدهس وشرفا لأهل الاسلام ، ولم يزلوا فيها أعزة ظاهرين على العدو قاهرين له .

وفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمئة قتل المنصور أخويه زكرياء ، وعمر ، وقتل عمه سليمان ، وفيها خالفت مدينة قفصة من بلاد إفريقية فخرج اليها المنصور من حضرة مراكش في ثالث شهر شوال من سنة اثنتين وثمانين المذكورة (الأربعاء ١٧ دجنبر ١١٨٦ م) فوصل اليها وحاصرها حتى فتحها في سنة ثلاث وثمانين ، فلما فتح قفصة خرج الى غزو عرب إفريقية فهزمهم واستباح حلهم وأموالهم ، وبعد ذلك أتوه طائعين فقلهم الى المغرب ، ورجع الى مراكش فدخلها في شهر رجب سنة أربع وثمانين وخمسمئة .

وفي سنة خمس وثمانين شرع المنصور في ادخال ساقية مراكش . وفيها تحرك الى الأندلس برسم غزو بلاد غربها ، وهي أول غزواته للروم ، فجاز اليها من قصر المجاز (١٣٦) الى الجزيرة الخضراء ، وذلك يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين المذكورة ، فارتحل عن الجزيرة الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة الاشبونة وانحائها ، فقطع الثمار وقتل وسبنا وأضرم الخيران في القرا وخرق الزرع وبالغ في النكاية ، وانصرف الى العدو بثلاثة عشر ألف سبية من النساء والذرية ، فوصل مدينة فاس في آخر رجب من السنة المذكورة ، فأقام بها أياما ، فتواترت له الأخبار أن الميورقي (١٣٧) قد

136) قصر المجاز هو قرية القصر الصغير الواقعة على مضيق جبل طارق بين مدينتي سبتة وطنجة بتراب قبيلة أنجرة من إقليم تطوان ، سمي كذلك لجواز جيوش المغرب منه الى الأندلس أيام الحكم الاسلامي ، ويسمى أيضاً قصر مصودة ، وهو غير قصر كنامة المسما أيضاً قصر عبد الكريم (القصر الكبير الحالي) .

137) يحيى بن اسحاق بن محمد ابن غانية المسوفى الميورقي ، وهو الذي خلف أخاه عليا المعروف بالميورقي المتوفى في السنة قبلها (584 هـ) .

ظهر فى أفريقية مع قراقوش (١٣٨) غلام بنى أيوب ملك مصر والشام ،
فارتحل إليها من مدينة فاس فى الثامن من شعبان من السنة بعينها ،
فدخل مدينة تونس فى أول شهر ذى قعدة من السنة المذكورة ، فوجد
أفريقية ساكنة وقد فر عنها الميورقى الى الصحراء حين سمع بقدومه .

وفى سنة ست وثمانين دخل النصارا مدينة شلب ومدينة باجة
ويابورة من بلاد غرب الأندلس ، وذلك لما علموا أن المنصور قد بعد عنهم
واشتغل بأفريقية ، فاغتنموا الفرصة فاتصل الخبر بالمنصور ، فاستعظم
ذلك وغازله ، وكتب الى قواد الأندلس يويخهم ويأمرهم بغزو بلاد الغرب
ويعلمهم أنه قادم عليهم فى اثر كتابه ، فاجتمع قواد الأندلس الى محمد
ابن يوسف والى قرطبة ، فخرج بهم فى جيش عظيم من الموحدين والعرب
والأندلس حتى نزل شلب فحاصرها وشد عليها القتال حتى فتحها وفتح
قصر أبى دانس ومدينة باجة ويابورة ورجع الى قرطبة ، فدخلها بخمسة
عشر ألف سبية وثلاثة آلاف أسير من الروم ، وادخلهم فى القطن (١٣٩)
بين يديه ، جعل خمسين علجا فى كل قطينة ، وذلك فى شوال سنة سبع
وثمانين وخمسمئة .

وفى هذا الشهر رجع المنصور من أفريقية فدخل مدينة تلمسان ،
فأقام بها الى آخر سنة سبع المذكورة .

وفى أول يوم من المحرم من سنة ثمان وثمانين وخمسمئة وهو عام
أكرواوا (١٤٠) خرج المنصور من تلمسان الى مدينة فاس وهو مريض ، فكان
يركب فى أكرواوا فدخل فاسا وأقام بها مريضا سبعة أشهر حتى استراح

(١٣٨) هو قراقوش الأرمنى مملوك تقي الدين ، دخل مع طائفة كبيرة من الغز والترك الى
المغرب واستولوا على طرابلس ودعا للسلطان صلاح الدين الأيوبي وابن أخيه تقي الدين عمر بن
شاهنشاه ، وأخباره وأخبار رفيقه القائد ابراهيم بن قراتكين المعظمى الداخل معه الى المغرب طويلة
تتظر فى محلها من كتب التاريخ .

(١٣٩) جمع قطينة قيد أو غل تغل به الأيدى والأرجل ، وملزمة تزيير بها الأخشاب المغراة ،
وما زالت الكلمة - بمعنيها - مستعملة فى المغرب الى الآن .

(١٤٠) المحفة ، المحمل بالبربرية .

من علقته ، وارتحل الى مراكش فأقام بها الى سنة احدا وتسعين وخمسمئة
فخرج من مراكش الى الأندلس برسم الغزو ، فصنع غزاة الأراك المشهورة

الخبر عن غزاة الأراك وهزيمة الروم بها

وهي غزاة المنصور الثانية بالأندلس

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما طالت غيبة المنصور عن الأندلس بأفريقية وبلاد العدو واعرأه
المرض بها اغتتم العدو الفرصة في بلاد الأندلس لطول تلك الغيبة ، فقال
من المسلمين مراده ، وعاث في بلادهم وشن فيها الغارات وشقها بجنوده
واخترق جميعها بوفوده ، ولم يجد بها من ينازعه ويحاربه ، ولا راء من
يقف في وجهه ولا من يدافعه ، ولا من يصدده عن قصده ، فسار الفونسو
الثامن ملك قشتيلة اللعين فيها حتى نزل بظاهر الجزيرة الخضراء ،
فكتب منها كتابا الى الأمير المنصور يستدعيه فيه للقتال ، لما أدركه من
الاعجاب والاختيال ، يقول فيه :

«باسمك اللهم فاطر السماوات والأرض ، وصلا الله على السيد
المسيح ، روح الله وكلمته السيد الفصيح .

أما بعد ، فانه لا يخفا على ذى ذهن ثاقب ، ولا ذى عقل لازب ، أنك
أمير الملة الحنفية ، كما انى أمير الملة النصرانية ، وقد علمت الآن ما
عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والنواكل واهمال الرعية واخلادهم الى
الراحة (١٤١) وأنا أسوقهم بحكم القهر وخلاء الديار وأسبى الذراري
وأمثل بالرجال ، واذيقهم عذاب الهون وشديد النكال ، ولا عذر لك فى
التخلف عن نصرهم اذا أمكنتك يد القدرة ، وأنتم تزعمون أن الله تعالا

(١٤١) هذه العبارة حملت بعض المؤرخين على الاعتقاد بأن هذه الرسالة موجهة من الفونسو
السادس الى يوسف بن تاشفين ، لا من الفونسو الثامن الى يعقوب المنصور .

فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا فلا تستطيعون دقاعا ، ولا تملكون امتناعا ، وقد جكي لى عنك أنك أخذت فى الاحتفال ، وأشرقت على ربوة القتال ، وتماطل نفسك عاما بعد عام ، تقدم رجلا وتؤخر أخر ، فلا أدري أكان الحين أبطأك ، أم التكتيبي برعد ربك ؟ ثم قيل لى أنك لاتجد الى جراز البحر سبيلا لعلة لايسوغ لك التلحم معها ، وها أنا أقول لك مافيه الراحة لك ، وأعتذر لك وعنك ، على أن نفي بالعهود والمواثيق ونستكثر من الرهان وترسل الي جملة من عبيدك بالمراكب والشوانى والطرائد والمسطحات ، وأجوز بجملى اليك فأقاتلك فى أعز الأماكن لديك ، فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك ، وهديفة عظيمة مثلت بين يديك ، وان كانت لى كانت يدى العليا عليك ، واستحققت امارة الملتين والحكم على البرين ، والله تعالى يوفق للسعادة ، ويسهل الارادة ، لارب غيره ، ولا خير الا خيره» .

فلما قرأ المنصور الكتاب أخذته غيره الاسلام ، ثم أمر بقرأته على الوجدنين ، والعرب ، وقبائل زناتة ، والمصامدة ، وسائر الأجناد ، فقريء عليهم فكلهم أنف مه ونعر ، وعزم على الجهاد ، واستعد للسفر ، ثم دعا المنصور بولده وولي عهده ، فدفع اليه الكتاب وأمره أن يرد على اللعين الجواب ، فقرأه ثم مزقه وقلبه فكتب على ظهره :

«قال الله العظيم : ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون» . الجواب ما ترا لاماتسمع»

واستشهد ببيت المتنبي :

ولا كتب الا المشرقية عنده ولا رسل الا الخميس العرمم

ورما بالكتاب الى أبيه ، فسر والده بالتوقيع العجيب ، الذى لا يصدر مثله الا عن عاقل أريب ، ثم صرف الرسول بالكتاب ، وأمر باخراج

أفراك (١٤٢) والقبلة الحمراء والمصحف في ذلك اليوم ، وأمر الموحدين وسائر الأجناد بالحركة والجهاز الى الجهاد ، وكتب الى أفريقية وسائر بلاد المغرب والقبلة يستنفر الناس الى الجهاد ، فأقبل اليه الناس خفافا وثقالا ، من كل فج عميق ، ومن كل مكان سحيق ، فخرج من حضرة مراكش في يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الأولى سنة احدى وتسعين وخمسمئة يجد السير ويوالى الرحيل ويظوى المراحل ، ولايلوى على فارس ولا على راجل ، والجيوش تتابع في أثره من جميع الأقطار ، والوفود تقصد نحوه لغزو الكفار ، فلما وصل قصر الجواز أخذ في تجويز الحيوش ، لايفرغ من تجويز طائفة الا وقد تلاحقت به طائفة اخرا أكثر منها ، فكان أول من جاز البحر قبائل العرب ، ثم قبائل زناتة ، ثم المصامدة ، ثم غمارة ، ثم الجيوش المطوعة من قبائل العرب وغيرهم من الأغزاز والرماة ، ثم الموحدون ، ثم العبيد ، حتى استوفت الجيوش بالجواز واستقروا بساحل الجزيرة الخضراء ، فعند ذلك جاز أمير المومنين في أثرهم في جيش عظيم من أشياخ الموحدين وأهل النجدة والزعامة ، ومعه فقهاء المغرب وصلحاؤه ، فسهل الله تعالى عليه الجواز ، واستقر بالخضراء في أسرع وقت ، وكان وصوله بعد صلاة الجمعة الموفى عشرين من السنة المذكورة (١ يونيو ١١٩٥ م) ، فأقام بظاهر الجزيرة الخضراء يوما واحدا ونهض نحو العدو قبل أن تكل قرائع المجاهدين وتفسد نياتهم ، فسار بجميع جيوشه الوافرة بنيات خالصة ، وعزائم ماضية غير ناكسة ، فلم يعطف العدو بالرجوع الى بلاده بعدده وعديده الا وقد قواشرت عليه الأخبار ، وصحت عنده الانباء والآثار ، بجواز المنصور اليه ، وقدمه لقتالهم في أعز البلاد عليه ، ففقد الفونسو الثامن اللعين ، بجيوشه وجموعه

(142) دائرة كبيرة تشتمل على بيوت وقياب مصنوعة من نسيج الملف والوبر تقام للملوك أثناء تنقلاتهم للنزول بأهلهم ومتاعهم فيها ، وأصل الكلمة عربى (فراق) لأن أفراق يفرق بين الملك وبين مرافقيه في السفر من وزراء وقواد وجنود .

ينتظره بازار مدينة الأراك (١٤٣) ، فارتحل أمير المؤمنين المنصور قاصدا اليه ، ومعولا بحول الله تعالى وقوته عليه ، ولم يدخل بلدا ولم ينتظر أحدا ، ولم يلتفت لمن أبطأ ولا لمن قعد ، بل صمم نحوه وقصد ، حتى بقي بينه وبين مدينة الأراك مرحلتان قريبتان ، فنزل هنالك ، وذلك فى يوم الخميس الثالث من شعبان المكرم من سنة احدا وتسعين وخمسمئة (١٣ يوليوز ١١٩٥ م) .

فلما وصل من يومه ذالك جمع الناس وأخذ فى شورا المسلمين فى كيفية لقائه لأعدائه وأعداء الله الكافرين اتباعا لأمر الله تعالى واقتداء بسنة رسول الله صلا الله عليه وسلم ان هي الصفة المحمودة التي مدح الله تعالى بها هاذة الأمة بقوله تعالى : (وأمرهم شورا بينهم ومما رزقناهم ينفقون) ، وقوله تعالى لنبيه صلا الله عليه وسلم : (وشاورهم فى الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله) الآية ، فدعا أولا أشياخ الموحدين فاستشارهم ، ثم أشياخ العرب ، ثم أشياخ زنادة ، ثم أشياخ القبائل ، ثم الأغزاز ، ثم المطوعة ، كل يقول ما يظهر له من القول والرأي ، ويتبينه من النصيحة والاجتهاد للمسلمين ، ويراه رأيا وصوابا لهم ، ثم دعا أخيرا قواد الأندلس ، فلما دخلوا عليه سلموا وقعدوا بين يديه ، فكلهم بما كلم به من تقدم قبلهم ، ثم قال لهم : يا أهل الأندلس ، ان جميع من استشرت قبلكم وان كانوا اولى بأس وشدة ، ومعرفة بالحروب وقوة فى الجهاد ونجدة ، لا يعلمون من قتال النصارا ماتعلمون ، فانكم المجاورون لهم ، المدربون على قتالهم ، العارفون بخدعهم وأحوالهم ، فقالوا يا أمير المؤمنين ، رأينا أجمع موقوف على واحد منا قد اتفقنا على تقديمه لدينه ، ومعرفته وحسن عقله وتدبيره ، ومعرفته بالحروب ومكايدها وخدعها ، ونصيحته للمسلمين ، فهو لساننا ، وما قال فهو مذهبنا ، على ان رأيكم سندده الله ووفقه أحسن رأي ، وتدبيركم أوفق تدبير ، رضي الله عنكم ،

143) محلة صغيرة من أعمال قلعة رباح تقوم فوق ربوة عالية تمتد سفوحها حتى وادي يانه ، تقع غربى مدينة ثيوداد ريال على بعد II كلم منها ، تقوم مكانها اليوم قرية صغيرة تسمى سانطا مرية دى الاركوس .

وأشاروا بأجمعهم الى القائد الأجل الموفق الصالح أبى عبد الله بن صناديد رحمه الله ، فقربه أمير المؤمنين بين يديه ، وأقبل بكليته عليه ، ثم سأله عن قصده ورأيه فى كيفية الحرب واللقاء لهذا العدو ، فقال له يا أمير المؤمنين ان النصر اهلكتهم الله تعالى اهل خدع ومكائد فى الحروب ، فيجب علينا ان نقابلهم ونقاتلهم بما هم عليه ، ورأينا فى مقاتلتهم - ورأيت الأعلام - أن تقدم لهم امامك شيخا من أشياخ الموحدين الموصوفين بالشجاعة والدين والاخلاص والنصيحة لك وللمسلمين بجيوش الأندلس وحشودها وجميع من فى عسكرك من العرب وزناتة والأغزاز والمصامدة وسائر قبائل الغرب من المتطوعة وغيرهم ، وتعقد له رايك المنصورة ، فيقاتل بهذا العسكر المبارك عسكر العدو اهلكه الله ودمره ، وتقع أنت بجيوش الموحدين أنجدهم الله تعالى والعبيد والحشم بالقرب من موضع المقاتلة فى موضع خفي رداً للمسلمين ، فان ظفرنا بعدونا فبفضل الله تعالى وبركتك ويمن خلافتك ، وان كان غير ذلك تكون أنت بعسكر الموحدين حماية للمنهزمين ، قتلنا العدو بهم وقد انكسرت شوكتهم ، وذهبت قوته وحدته ، وهذا رأيي فى ذلك رضي الله عنكم ، فقال له المنصور ، نعم والله الرأي ما رأيته ، فلقد وفقك الله تعالى فيما أشرت ، فانصرف الناس الى مضاربهم ، وبات أمير المؤمنين ليلته ذلك وهي ليلة الجمعة الرابعة من شعبان المذكور فى سجاده راکعاً وساجداً ومبتهلاً وراغباً الى الله سبحانه فى تأييد المسلمين على أعدائه الكافرين ، فلما كان عند السحر غلبته عيناه فنام فى مصلاه قليلاً ، ثم انتبه فرحاً مسبشراً ، فبعث الى أشياخ الموحدين والفقهاء فدخلوا عليه ، فقال لهم انما بعثت لكم فى هذا الوقت لأبشركم بما بشرت به من نصر الله تعالى فى نومي هذه الساعة المباركة بينما أنا راکح فى مصلاي اذ غلبتنى عياني ، فرأيت فى نومي كأن باباً قد فتح فى السماء ، ونزل منه فارس على فرس أبيض حسن الوجه والرائحة وبيده زاية خضراء منشورة قد سدت الأفق من عظمها ، فسلم علي فقلت له من أنت يرحمك الله ؟ فقال أنا ملك من ملائكة السماء السابعة ، جئتك لأبشرك بالفتح من رب العالمين لك ولعصابتك المجاهدين

الذين أتوا تحت رايتك فى الشهادة راغبين ، ولثواب الله تعالى طالبين ،
ثم انشدنى هاذة الأبيات فحفظتها فانتبهت وكأنما نقشت فى قلبي :

بشائر نصر الله جاءتك سافره لتعلم أن الله ينصر فاصره
فأبشر بنصر الله والفتح انه قريب ، وخيل الله لاشك ظافره
فتفنى جيوش الروم بالسيف والقنا وتخلي بلادا لا ترا بعد عامره
فأيقنت بالفتح والظفر ان شاء الله تعالى .

فلما كان فى يوم السبت الخامس من شعبان المذكور قعد أمير
المومنين فى قبته الحمراء المعدة لقتال الأعداء ، ثم دعا الشيخ الأجل أبا
يحيى بن أبى حفص ، وكان من أكبر وزرائه ، وكان بنو حفص فى الموحدين
أهل الفضل والتقا والدين ، والى بيتهم عاد فى المشرق أمر الموحدين ،
فلما جاءه قدمه على عساكر الأندلس وحشودها والعرب وزناته والمتطوعة
ونشرت على رأسه الرايات وضربت الطبول ، وتقدم بقبيلة هنتاة ، وقدم بين
يديه القائد ابن صناديد بعساكر الأندلس وحشودها ، وعقد لجرمون ابن رياح
على جميع قبائل العرب ، وعقد لمنديل المغراوي على قبائل مغراوة
وعقد لمحيو بن أبى حمامة بن محمد على جميع قبائل مرين ، وعقد لتجلبدن
على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ، وعقد لمحمد ابن منغفاد على قبائل
غمارة ، وعقد للحاج الصالح أبى خرز يخلف الأوربى (١٤٤) على
المطوعة ، والكل تحت طاعة أبى يحيى ابن أبى حفص وحكمه ويده ، وبقي
أمير المومنين بكافة عسكر الموحدين والعبيد ، ثم أمرهم بالرحيل فتقدم
الشيخ أبو يحيى بجيوشه والقائد ابن صناديد على مقدمته بقواد الأندلس
وفرسائها وحماتها ، فكانوا اذا أقلعت محلة أبى يحيى أول النهار من
موضع نزلت به محلة أمير المومنين فى عشيته ، حتى أشرف أبو يحيى
بجيوش المسلمين على محلة المشركين دمرهم الله وهي على ربوة عالية

(144) هو غير أبى خرز يخلف الأوربى الفاسى المتوفى سنة 578 هـ قبل وقوع معركة الأرك
بثلاثة عشر عاماً كما سيأتى للمؤلف فيما بعد .

ذات مهاوي وأحجار كبار قد ملأت السهل والوعر بأراء مدينة الأراك ،
فنزل عسكر المسلمين فى الوطا ، وذلك ضحوة يوم الأربعاء التاسع من
شعبان المكرم من سنة احدى وتسعين وخمسة (١٩ يوليو ١١٩٥ م) ،
فعبأ أبو يحيى عساكره تعبئة الحرب ، وعقد الرايات لأمرأ القبائل ، لكل
أمير راية تلجأ قبيلته اليها ويقفون عندها ، وعقد للمطوعة راية خضراء ،
وجعل عسكر الأندلس فى يمينته ، وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر
قبائل المغرب فى مسيرته ، وجعل المطوعة والأغزاز والزماة فى مقدمته ،
وبقى هو فى القلب فى قبيلة هنتاتة ، فلما أخذ الناس مصافهم للقتال على
هذا الترتيب العجيب ، ولزمت كل قبيلة رايته وأخذت للحرب عدتها
وأهبتها ، خرج الأمير جرمون ابن رياح أمير العرب يمشى بين صفوف
المسلمين ويقوى قلوب المجاهدين ويتلى هذه الآيات : (يا أيها
الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون) ، (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ،
فبينما هم كذلك والعدو أمامهم فى رأس الربوة بجانب الحصن اذ تحرك
من جيش العدو دمره الله تعالى عقدة كبيرة من سبعة آلاف فارس السى
ثمانية آلاف فارس كلهم قد احتجب بالحديد والبيضات والزرذ النظيف
النضيد ، فدفعت نحو عسكر المسلمين فنادا منادى الشيخ أبى يحيى ابن
أبى حفص : معشر المسلمين اثبتوا فى مصافكم ، ولا تزالوا من مواضعكم
وأخلصوا لله تعالى نياتكم وأعمالكم ، واذكروا الله عز وجل كثيرا فى
قلوبكم ، فانما هي احدى الحسينين : اما الشهادة والجنة ، واما الأجر
والغنيمة ، ثم خرج عامر الزعيم يجول فى الصفوف ويقول عباد الله انكم
حزب الله ، فاثبتوا لقتال أعداء الله ، فان حزب الله هم المفلحون ،
وهم المنصورون وهم الغالبون ، فوصلت تلك العقدة التى دفعت بأجمعها
حتى لطمت أطراف رماح المسلمين فى صدور خيلهم وأوكادت ، ثم تفهقروا
قليلا ، ثم عادوا بالحملة ، فعلوا ذلك مرتين ، ثم تهيأوا للدفعة الثالثة ،
والقائد ابن صناديد والزعيم العربي يناديان برفع أصواتهما : اثبتوا معشر
المسلمين ثبت الله أقدامكم بالعزيمة الصادقة ، فدفع النصارى على القلب

الذي فيه أبو يحيى قاصدين اليه يظنون انه أمير المؤمنين ، فقاتل رحمه الله قتالا شديدا وصبر صبورا جميلا حتى استشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاتة والمطوعة وغيرهم ممن ختم الله تعالى له بالشهادة ، وسبقت له من الله تعالى السعادة ، وصبر المسلمون صبورا جميلا ، ورجع النهار بالغبار ليلا ، وأقبلت قبائل المطوعة والعرب والأغزاز والرماة ، وأحاطوا بالنصارا الذين دفعوا من كل جانب ، ودفع القائد ابن صناديد بجيوش الأندلس وحشودها ، وزحفت معه قبائل زناتة والمصامدة وغمارة وسائر البربر الى الربوة التي فيها الفونسو الثامن لعنه الله يقاتلون من فيها من جيش الروم ، وكان الفونسو لعنه الله فيها مع جيوش الروم وجميع عساكره وأجناده فيما يزيد على ثلاثمائة الف مابين فارس وراجل ، فتعلق المسلمون بالربوة وأخذوا فى قتال من بها فاشتد القتال ، وعظمت الأهوال ، وكثر القتل فى النصارا الذين دفعوا فى الحملة الأولى وكانوا نحو العشرة الاف زعيم ، انتخبهم اللعين الفونسو الذميم ، وصلت عليهم الاقصة صلاة النصر ، ورشوا عليهم ماء العمودية فى الطهر ، وتحالفوا بالصلبان الا يفروا حتى لا يتركوا من المسلمين انسانا ، فصدق الله عز وجل وعده ، ونصر جنده ، فلما اشتد القتال على الكفار ، وأيقنوا بالفناء والبيوار ، ولوا الأدبار ، وأخذوا فى الفرار ، الى الربوة التي فيها الفونسو ليعتصموا بها ، فوجدوا عساكر المسلمين قد حالوا بينهم وبينها ، فرجعوا على أعقابهم ناكسين فى الوطا ، فرجعت عليهم العرب والمطوعة وهنتاتة والأغزاز والرماة فطحنوهم طحنا ، وأفنوهم عن الأخرهم ، وانكسرت شوكة الفونسو بفنائهم ، اذ كان اعتماده عليهم ، وأسرعت خيل من العرب الى أمير المؤمنين ، وأطلقوا أعنتهم نحوه ، وقالوا له قد هزم الله تعالى العدو ، فضربت الطبول ، ونشرت الرايات ، وارتفعت الأصوات بالشهادة ، وخفقت البنود ، وتسابقت لقتال أعداء الله الأبطال والجنود ، وزحف أمير المؤمنين بجيوش الموحيدين ، قاصدا لقتال أعداء الله الكافرين ، فتسابقت الخيل وأسرعت الرجال ، وقصدوا نحو الكفرة للطعان والنزال ، فبينما الفونسو الثامن لعنه الله قد هم وعزم ان يحمل

على المسلمين بجميع جيوشه ، ويصدهم بجنوده وحشوده ، إذ سمع المطبول عن يمينه قد ملأت الأرض ، والأبواق قد طبقت الربا والبطاح ، فرفع رأسه لينظر فيها ، فرأى رايات الموحدين قد أقبلت ، واللواء الأبيض المنصور في أولها عليه : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، لا غالب إلا الله ، وأبطال المسلمين قد تسابقت وجيوشهم قد تناسقت وتنايحت ، وأصواتهم بالشهادة ارتفعت ، فقال ماهاذا ؟ فقيل له هاذا أمير المؤمنين قد أقبل وما قاتلك اليوم كله إلا طلائع جيوشه ، ومقدمات عساكره ، فغذف الله عز وجل الرعب في قلوب الكافرين ، وولوا الأديبار منهزمين ، وعلى أعقابهم ناكسين ، وتلاحقت بهم فرسان المجاهدين ، يضربون وجوههم وأديبارهم ، ويقتفون أثارهم ، ويحكمون فيهم رماحهم وشفارهم ، ويزوون من دمائهم السيوف ، ويذيقونهم مرارة الحتوف ، وأحاط المسلمون بحصن الأراك وهم يظنون أن القونسو لبعثه الله قد تحصن فيه ، وكان غدو الله قد دخل فيه على باب وخرج على باب من الناحية الأخرى ، فدخل المسلمون الحصن بالسيف عنوة ، وأضرموا النيران في أبوابه ، واحتقوا على جميع ماكان فيه وفي محلة النصارا من الاموال والذخائر والأرزاق والأسلحة والعدد والأمتعة والدواب والنساء والذرية ، وقتل في هذه الغزاة من الكفرة ألوف لاتعد ولا تحصى ، ولا يعلم لها أحد عددا إلا الله تعالى ، وأخذ في حصن الأراك من زعماء الروم أربعة وعشرون ألف فارس أسارا ، فامتن عليهم أمير المؤمنين واطلقهم بعدما ملكهم ليكون له بذلك الامتنان ويد عليا عليهم ، فعز فعله ذلك على جميع الموحدين وعلى كافة المسلمين ، وحسبت له تلك الفعلة سقطة من سقطات الملوك ، وكانت هذه الغزاة الكريمة والوقعة العظيمة يوم الأربعاء التاسع لشعبان المكرم من سنة احدا وتسعين وخمسمئة (١٨ يوليوز سنة ١١٩٥ م) .

وكان بين غزاة الأراك هذه وغزاة الزلاقة مئة سنة واثننتا عشرة سنة ، والأراك من الغزوات المذكورة المشهورة في الاسلام ، وهي غزاة جرت على أيدي الموحدين أعز الله تعالى بها الاسلام وعلت كلمته ، وكتب المنصور بالفتح الى جميع بلاد الاسلام التي تحت يده ، من الأندلس

والعدوة وأفريقية ، وأخرج خمس الفيء ، وقسم الباقي على المجاهدين ، ثم سار بجيوشه فى بلاد النصارا يخرّب المدن والقرا والحصون ، ويغنم ويسبى ويقتل ، ويأسر حتى وصل الى جبل سليمان ، ثم عطف راجعا وقد امتلأت أيدي المسلمين بالغنائم ، ولم يعارضه من الروم معارض ، حتى وصل الى اشبيلية فدخلها وشرع فى بناء جامعها الكبير ومنارها العظيم ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ، فيها خرج أمير المؤمنين الى غزوته الثالثة ففتح قلعة رباح ووادى الحجارة ومجريط وجبل سليمان واقليج وكثيرا من أحواز طليطلة ، ونزل على طليطلة وبها الفونسو فحاصره بها وضيق عليه وقطع ثمارها وحرق أرياضها ، وهتكها ونصب عليها المجانيق ، ثم ارتحل عنها الى مدينة طلمنكة فدخلها عنوة بالسيف ، فلم يحي أحد من رجالها ، وسبأ نساءها وغنم أموالها ، وحرقها وهدم أسوارها وتركها قاعا صفصفا ، ورجع الى اشبيلية بعد أن فتح الحصون الكثيرة ، وفتح البلاط وترجالة ، فدخل اشبيلية في غرة صفر من سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة ، فأخذ فى اتمام بناء الجامع وتشبيد مناره ، وعمل التفافيح من أملح مايكون ، ومن أعظمه ، لا أعرف لها قدرا الا ان الوسطا منها لم تدخل على باب المؤذن حتى قلع الرخام من أسفله ، وزنة العمود الذي ركبت عليه أربعون ربحا من حديد ، وكان الذي صنعها ورفعها فى أعلا المنار المعلم أبو الليث الصفار ، موته تلك التفافيح بمئة ألف دينار ذهبا ، وكان لما جاز الى الأندلس لغزاة الأراك المذكورة أمر ببناء قصبة مراکش وبناء الجامع المكرم الذي بازاء القصبة ، وصومعته ، وبناء منار جامع الكتبيين ، وبناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا ، وبناء جامع حسان ومناره .

ولما كمل جامع اشبيلية وصلا فيه أمر ببناء حصن الفرج على وادي اشبيلية وارتحل الى العدوة فوصل الى مراکش فى شعبان سنة أربع وتسعين ، فوجد كل ما أمر به من البناء قد تم ، مثل القصبة والقصور والصوامع ، وأنفق فى ذلك كله من أخماس غنائم الروم .

وكان قد تغير على الوكلاء والصناع الذين تولوا ذلك واكتفلوه ،

وقيل له انهم اكلوا المال وصنعوا للجامع سبعة ابواب على عدد ابواب جهنم ، فلما دخله أمير المؤمنين أعجبه وسر به ، فسأل عن عدة ابوابه ، فقيل له انها سبعة والباب الذي يدخل منه أمير المؤمنين هو الثامن ، فقال عند ذلك لابياس بالغالى اذا قيل حسن ، وفرح به غاية .

ولما وصل أمير المؤمنين الى مراكش واستقر بها أخذ البيعة لولده محمد الملقب بالناصر لدين الله ، فبايعه كافة الموحدين ، وبويع له في جميع أقطارهم وبلادهم وطاعتهم ، وكانت طاعته قد عمت بلاد الأندلس بأسرها والمغرب كله وأفريقية من طرابلس الى بلاد نول من السوس الأقصى الى الصحراء من بلاد القبلة ، وما بين هاذي البلاد من القرا والحصون والمعاقل والمدن والجيال والأودية وأهل العمدة من عرب وبربر كلهم كانوا مذعنين طائعين لأمره منقادين لاحكامه ، يطلبون له من خراجهم وزكاتهم وأعشارهم ويخطبون له على منابرهم .

فلما تمت البيعة لمحمد الناصر وقعد في محل الخلافة وجبرت الاحكام والأوامر باسمه وعلى يديه في حياة أبيه دخل المنصور الى قصره فلزمه وبدأ المرض الذي توفي منه .

ولما اشتد به المرض قال ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي الا على ثلاث وددت اني لم أفعلها :

أولها : ادخال العرب من أفريقية الى المغرب لأنني أعلم أنهم أصل فسادهم ، والثانية : بنائي رباط الفتح ، أنفقت فيه من بيت المال وهو صغير لايعمر ، والثالثة : اطلاق أسارى الأراك ، ولا بد لهم أن يطلبوا بثأرهم .

وتوفي المنصور رحمه الله بعد العشاء الأخيرة من ليلة الجمعة الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة (٢٢ يناير سنة ١١٩٩ م) بقصبة مراكش والبقاء لله وحده لا رب غيره ولا معبود سواه .

وكان المنصور رحمه الله أجل ملوك الموحدين وأكثرهم صيتا وأحسنهم في الأحوال كلها ، ولي والملك قد تمهد واتسق ، والمال قد توفر ،

وكانت له الهمة العالية ، والعزائم الملوكية ، والدين المتين ، والسير
الحسنة فى المسلمين ، رحمه الله تعالى بمنه ، وأباحت بحبوة عدنه ، انه
غفور رحيم ، جواد كريم .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين محمد الناصر

ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن بن علي

رحمهم الله تعالى

هو أمير المؤمنين محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن
علي الزناتي الكومى الموحدى .

أمه حرة اسمها أمة الله بنت السيد أبى اسحاق بن عبد
المومن بن علي .

لقبه : للناصر لدين الله .

نقش خاتمه : على الله توكلت ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

علامته فى الأوامر : الحمد لله وحده .

صفته : أبيض ، تام القد ، نحيل الجسم ، مليح العينين ، أدعج
وافر اللحية كبير الهامة ، غليظ الحجاب ، لاتكاد تصله الأمور الا بعد
الجهد ، مصيب برأيه ، مستبد فى أموره وتبدير مملكته بنفسه .

وزرائه : ابن الشهيد ، وابن منشأ .

حاجبه : وزير الأكبر أبو سعيد ابن جامع استبد بالوزارة والحجابة ،

وبويع الناصر فى حياة أبيه ، وجددت له البيعة بعد وفاته ، وذلك
يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه ، وأخذت له البيعة فى
جميع أقطار طاعة الموحدين ، ودعى له على المنابر ، فأقام بحضرة
مراكش بقية شهر ربيع الأول وربيع الثانى ، وخرج فى أول جمادى الأولا

من سنة خمس وتسعين المذكورة قاصدا الى مدينة فاس ، فأقام بها وبنا قصبته وأسوارها الى سنة ثمانية وتسعين ، فوردت عليه الأخبار من أفريقية أن يحيا الميورقي قد غلب على كثير من بلادها ، فخرج الناصر من مدينة فاس قاصدا الى أفريقية ، فوصل الى جزائر بنى مزغنة فأخذ فى تجهيز الأساطيل والعساكر لقتال مدينة ميورقة حتى فتحها وانتزعها من أيدي المرابطين ، وكان فتحها فى ربيع الأول من سنة ستئمة ، ووصل أهلها الى أمير المؤمنين الناصر فسلموا عليه وبايعوه فعفا عنهم ووصلهم على قدر طبقاتهم ، وتكلم اليهم بالجميل ، وقدم على قضاء ميورقة الامام المحدث عبد الله ابن حوط الله ، وارتحل محمد الناصر فى بلاد أفريقية فتطوف على جميع أقطارها وتفقد أحوال أهلها ، وفر الميورقي أمامه حتى دخل الصحراء وارتحل الى المهديّة وقد أطاعه جميع من كان خرج عليه بأفريقية دون قتال الا المهديّة وحدها ، فان واليها امتنع فيها ، وكان قد ولاه اياها يحيا الميورقي حين غلب عليها ، وكان هاذا الوالي حاجا الا أنه كان شهما عاما بوجوه الحرب ومكايده ، فنزل عليه الناصر بظواهر المهديّة وحاصره بها برا وبحرا ، ونصب عليه المجانيق والرغادات ، وكانت قبائل الموحدين وحشود العرب يتناوبون قتالها مع ساعات الليل والنهار ، فأظهر بها هاذا الحاج المذكور من مكاييد الحرب وخدعه مايقصر عنه الوصف ، فحاصره الناصر مدة طويلة وأشهرها عديدة ، وكان الموحدون يسمونه الحاج الكافر (١٤٥) ، ونصب عليه الناصر منجنيقا كبيرا لم يعمل مثله عظما يرمى مئة ربع ، فرما البلد به فوقع الحجر من المنجنيق فى وسط دقة باب المدينة ، فطوا وسطها والدقة من حديد كلها قائمة على قاعدة من زجاج أخضر ، وفى مواضع الشرافات تماثيل أسد من نحاس أصفر ، فلما راا ذلك الحاج والى المدينة علم أنه لا طاقة له بضبطها ولا بمدافعة أمير المؤمنين ، فبايعه وأسلم اليه البلد ، فأمنه الناصر وأكرمه

١٤٥) اسمه على بن مجازى بن محمد بن على ابن غانية ، اشترط على الموحدين قبل تسليم المهديّة الاذن له بالالتحاق بابن عمه ، فقبل شرطه ومضى لحال سبيله ، ثم بدا له فعاد اليهم وصار من خيرة رجالهم وقوادهم ، واستمر فى الخدمة حتى مات شهيدا فى وقعة العقاب سنة 609 هـ .

أكراما عظيما ، وأنزله منزلة رفيعة وذلك لما رأوا منه من مراعاته لصاحبه واجتهاده في حقه ، وأمر الموحدين أن يسموه الحاج الكافي .

• وكان فتح المهدي سنة اثنتين وستمئة (١٤٦) .

وفي سنة اثنتين وستمئة ، ولا أمير المومنين الناصر الشيخ عبد الواحد بن أبي بكر ابن أبي حفص جميع بلاد أفريقية ، وارتحل إلى المغرب ، فلما وصل وادي شلف خرج عليه يحيى المورقي في جيش عظيم من العرب وصنهاجة وزناتة ، فتقاتلا قتالا شديدا انهزم فيه المورقي هزيمة عظيمة ، وذلك يوم الأربعاء عقب ربيع الأول سنة أربع وستمئة (٢٤ أكتوبر سنة ١٢٠٩ م) .

وفيهما أمر أمير المومنين ببناء مدينة وجدة ، فشرع في بنائها في شهر رجب من السنة المذكورة .

وفيهما بني السور على المزمة (١٤٧) من بلاد الريف وبنت قصبة باندس .

وفي شوال من سنة أربع المذكورة خرج أمير المومنين من مدينة فاس إلى حضرة مراكش بعد أن أمر بعمل السقاية بعدوة الأندلس منها ، وجلب إليها الماء من عين بخارج باب الحديد ، وبنا الباب الجوفي المدرج الذي بالصحن من جامع الأندلس شرفه الله بذكره ، وأنفق في ذلك أموالا كثيرة من بيت المال .

وفيهما بنا مصلا عدوة القرويين وأمر أن لا يصلا بمصلا الأندلس ، فأقام الناس يصلون بعدوة القرويين ثلاث سنين ، ثم عادوا يصلون بالأندلس والقرويين كما كانوا بعد أن شهد أنها قديمة ، فأقام الناصر بمدينة مراكش سنة خمس وستمئة وسنة ست بعد ، فاتصلت به الأخبار من الأندلس أن الفونسو الثامن ملك قشتالية لعنه الله يفتك في بلاد الإسلام

146 في الأصل سنة إحدا وستمئة ، والصواب أن تسليم المهدي للموحدين وقع يوم 27 جمادى الأولى عام 602 (11 يناير سنة 1206 م) .
147 في الأصل المدينة .

ويضرب على قراها وعلى حصونها يقتل الرجال ويسبي النساء والأموال ، فاستغاث أهلها بالناصر أمير المؤمنين ، فأخذ في الحركة للجهاد ، وفرق الأموال على القواد والأجناد ، وكتب الى جميع بلاد المغرب وأفريقية وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكافرين ، فأجابه خلق كثير ، والزم كل قبيلة من قبائل المغرب حصة خيلا ورجالا يخرجون معه للجهاد ، فقدمت عليه الجيوش من سائر الأمصار ، وسارع الناس نحوه خفافا وثقالا من الأفاق والأقطار ، فلما تكاملت لديه الوفود ، واستوفت عليه الجنود والحشود ، خرج من حضرة مراكش في يوم السبت عشرين (١٤٨) من شعبان المكرم سنة سبع وستمئة (٥ يبرابر ١٢١١ م) فسار حتى وصل الى قصر الجواز فنزل فيه وأخذ في تجويز الناس ، فأقام بقصر الجواز يجوز العساكر والقبائل والخيال والعدد من أول شهر شوال الى آخر شهر ذي قعدة من سنة سبع وستمئة ، فلما تكامل المجاهدون بالجواز جاز هو في أثرهم ، فنزل بساحل طريف ، وذلك في يوم الاثنين الخامس والعشرين لذي قعدة المذكورة ، فتلقاه هناك جميع قواد بلاد الأندلس وفقهائها وصلحائها ، فسلموا عليه ، وأقام بطريف ثلاثة أيام ، وارتحل الى اشبيلية في جيوش لاتحصى وأمم كالجراد المنتشر قد ملأت السهل والوعر ، وضاق بهم المتسع والنجد والغور ، فأدرك الناصر الاعجاب لما رآه من كثرة جنوده ، فقسم الناس على خمس فرق ، فجعل العرب فرقة ، والمطوعة فرقة وكانوا مئة وستين الفا مابين فارس وراجل ، وقواد الأندلس وحشودها فرقة ، والموحدين فرقة ، وأمر كل فرقة ان تنزل ناحية ، فوصل الى اشبيلية في السابع عشر من ذي حجة من سنة سبع المذكورة (٢ يونيو) ، فأقام بها واهتزت جميع بلاد الروم بجوازه ، ووقع خوفه في قلوب ملوكهم ، واخذوا في تحصين بلادهم ، وأخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم ، وكتب اليه أكثر أمرائهم يسألون سلامته ويطلبون منه عفوه ، وجاء منهم

ملك بيونة (١٤٩) مستمسلا خاضعا مستصغرا يطلب صلحه ويسأل منه عفوه وصفحه .

ولما سمع هذا اللعين بدخول أمير المؤمنين الى اشبيلية أدركه الخوف فبادر الى المداراة عن نفسه ، وبلاده ، فبعث رسوله اليه يستأذنه فى القدوم بجملته عليه ، فأذن له أمير المؤمنين فى الوصول ، وكتب الى كل بلد من بلاد الأندلس هي على طريق هذا اللعين اذا مر بهم أن يضيفوه ثلاثة أيام ، فاذا عزم على الرحيل فى اليوم الرابع يحبسونه بها عندهم من جنسه ألف فارس ، فخرج هذا اللعين من قاعدة ملكه بيونة قاصدا ودخيلا الى أمير المؤمنين ، فكان اذا وصل بلدا فى بلاد المسلمين تلقاه قوادها وأجنادها ، وبرز اليه أهلها فى أكمل عدة وأحسن هيئة وأضافوه ثلاثة أيام خير ضيافة ، فاذا كان يوم رحيلهم حبسوا له ألف فارس من جيشه ، فلم يزالوا يفعلون ذلك به الى ان وصل مدينة قرمونة ، ولم يبق معه من جيشه غير ألف فارس ، فأقام فى ضيافة أهلها ثلاثة أيام ، فلما أراد الرحيل فى اليوم الرابع حبست الألف فارس الباقية معه ، فقال لقوادها كيف تمسكونها ولم يبق لى مع من أسير غيرها ، قالوا له تسير فى ذمة أمير المؤمنين وتحت ظلال سيفه ، فخرج لعنه الله من قرمونه فى خاصته وزوجته وخدامه وهديته التي قدم بها الى الناصر ، وقدم بين يديه كتاب النبي صلا الله عليه وسلم الذي كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع له به ويعلمه ان الملك عنده موروث كابرا عن كابر ، فكان هذا الكتاب عندهم يتوارثونه محفوظا مطبيا فى حلة خضراء فى وسط صندوق من ذهب مملوءا مسكا تعظيما له واجلالا لحقه ، وأمر أمير المؤمنين محمد الناصر أن يجعل له بروز من باب مدينة قرمونه الى باب اشبيلية ، فاصطفت الخيل والرجال أمامها عن اليمين والشمال صفين بالثياب الحسنة والعدة الكاملة والسيوف المصلطة والرماح المشرعة والقسي الماثورة من قرمونه الى اشبيلية أربعين ميلا او

(١٤٩) لعل الذى قدم على الناصر لاشبيلية هو ملك بنبلونة لاببونة ، ينظر عن هذه المسألة كتاب تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين تأليف الأستاذ محمد عبد الله عنان ٢ : 290 .

نحوها ، فخرج ملك بيونة يمشى تحت ظلال سيوف المسلمين ورماحهم ، فلما قرب من اشبيلية أمر أمير المؤمنين الناصر بالقبة الحمراء ان تضرب له بخارج المدينة مما يلي قرمونه ، ويجعل له فيها ثلاث مراتب ، ثم سأل عن يحفظ لسان العجمية من القواد ، فقيل له أبو الجيوش عساكر ، فأمر بإحضاره ، فحضر بين يديه ، فقال له ياأبا الجيوش : ان هذا الكافر قد قدم علي ولا بد من إكرامه ، فان قمت له من مجلسي اذا دخل كنت قد تدمت وخالفست السنة في قيامي لرجل كافر بآله تعالا ، وان قعدت ولم أقم له كنت مقصرا في حقه وهو ملك كبير وضيف وارد ، ودخيل قاصد ، ولكني أأمرك أن تقعد في المرتبة التي في وسط القبة ، فاذا دخل العليج من باب القبة دخلت أنا من الباب المقابل ، فتقوم أنت فتأخذ بيدي فتقعدني عن يمينك ، وتأخذ بيده أيضا فتقعه عن شمالك ، ثم تكون بعدها تترجم بيننا ، فقعد القائد أبو الجيوش في وسط القبة ، فلما دخلا عليه أقعد الناصر عن اليمين ، وملك بيونة عن الشمال ، ثم قال له هاذا أمير المؤمنين ، فسلم عليه ، ثم تكلم بما يجب وتحدثا مليا ، ثم ركب أمير المؤمنين وركب أمير بيونة متأخرا عنه قليلا ، وركب الموحدون وجيوش المجاهدين وحشر الناس ضحا ، وصنع أهل اشبيلية يروزا عظيما ، وكان عندهم من الأيام المشهورة ، فدخل الناصر اشبيلية وملك بيونة على أثره قريبا ، فأنزله بداخل المدينة ، وأعطاه تحفا وحالها صا مؤبدا مادامت مدة الموحدين ، ثم صرفه الى بلاده مكرما مستعفا بجميع مطالبه ، وخرج الناصر في أثره قاصدا لغزو بلاد قشتالية ، وذلك في أول يوم من صفر سنة ثمان وستمئة (الجمعة ١٥ يوليوز ١٢١١ م) فسار حتى نزل حصن شلبطرة وهو حصن عظيم على رأس جبل عال قد تعلق بعنان السماء ، ليس له مسلك الا طريق واحد في أوعار ومضايق ، نزل عليه وأدار به الجيوش وأخذ في قتاله ونصب عليه أربعين منجنيقا فهتك أرباضه ولم يقدر منه على شيء ، وكان وزيره أبو سعيد ابن جامع لم يكن شريف النسب في الموحدين ، فلما ولي حجابة الناصر ووزارته أخذ يقهر أعيان الموحدين ويهين أهل الشرف منهم حتى قر من بساط محمد

الناصر أكثر الأشياخ الذين قام الأمر بهم ، فانفرد بالخدمة هو ورجل
معدل يعرف بابن منشا ، فكان الناصر لا يقطع أمرا الا بمشورتها ، فلما
مر الناصر بهذا الحصن يريد قشتيلية تعجب من منعته ، فقالا له يا أمير
المومنين لاتجاوزہ حتى تفتحه فيكون أول الفتح ان شاء الله ، فيقال انه
أقام على ذلك الحصن حتى عشب الخفاف في خبائه وباض وأفرخ
وأطار أفراخه ، من طول مقامه ، فأقام على ذلك الحصن ثمانية أشهر ،
ودخل فصل الشتاء واشتد البرد وقلت العلوفات ، وفنيت أزواد الناس
ونفذت نفقاتهم وكلت عزائمهم ، وفسدت نياتهم التي قصدوا بها للجهاد ،
وقنط الناس من المقام وانقطعت المواد من المحلة وغلت بها الأسعار ، فلما
تحقق عدو الله الفونسو الثامن ذلك وعلم ان شوكة المسلمين قد انكسرت
والحدة التي قدموا بها قد خمدت انزعج لطلب الثأر ، ورفع صلبانه في
جميع بلاد الكفار ، فجاءته ملوك الروم في جيوشهم مستعدين غايصة
الاستعداد ، قد شمعوا للطعان والجلاد ، وأقبل نحوه عباد سانطامرية
وأظهروا حمية الجاهلية ، فلما استوفت لدى الفونسو الثامن جيوشه
وحشوده ، وتكاملت لديه وفوده ، أقبل في جيوشه حتى نزل ثغرا من
ثغور المسلمين يسما قلعة رباح ، كان فيها القائد الأجل المشهور ، البطل
الشجاع المذكور ، أبو الحجاج ابن قادس في سبعين فارسا من أنجاد
المسلمين يضبط بهم ذلك الثغر ، فحاصره وشرع في قتاله ، وضيق عليه
تضييقا كثيرا ، وابن قادس صابر لقتاله يبعث في كل يوم كتابا الى أمير
المومنين محمد الناصر يعلمه بحاله ، ويستنصره على أعدائه ، وهو على
شلبطرة ، فكانت كتبه اذا وصلت الى الوزير حبسها ولم يطلع أمير
المومنين عليها ليلا يقلع عن الحصن قبل ان يفتحه ، وكان ذلك غشا منه
لأمير المومنين محمد الناصر ولجميع المسلمين ، فانه لم يكن يخبره بشيء
من أخبار بلاده ولا من أمور رعيته ، ويخفي عنه مهمات الأمور التي
لا ينبغي أن يغفل عنها ولا يتهاون بها ، فلما طال الحصار على ابن قادس
ونفذ ماكان عنده بالحصن من الأقوات والسهام ويئس من الاغاثة وخشي

أن يدخل الحصن على من به من المسلمين (١٥٠) فلما خرج المسلمون من حصن قلعة رباح وملكه العدو وسار ابن قادس الى أمير المؤمنين تبعه صهره وكان مثله في النجدة ، فعزم عليه ابن قادس أن يرجع ويتركه يمشى وحده ، وقال له : أرجع فاني والله مقتول لامحالة ، ولا أعيش بعدها أبدا ، لكنني بعث نفسي من الله تعالى بسلامة من كان في الحصن من المسلمين ، فأبى أن يرجع ، وقال له لآخر في الحياة بعدك ، فلما وصلا الى محلة الناصر تلقاهما قواد الأندلس يسلمون عليهما ، فاتصل خبرهما بابن جامع الوزير ، فخرج اليهما مسرعا وأمر العبيد أن ينزلوهما بالعنف ، فأنزلا ، وكثفا ، وقال لا يدخل على أمير المؤمنين فاجر ، ثم دخل فأغرا الناصر بهما حتى أمر بقتلهما ، فخرج فأمر عليهما بالرمح فقتلا في الحين ، فجمد الناس عند قتلتهما وحقدوا على محمد الناصر ، وفسدت نيات قواد الأندلس ، ثم خرج الوزير ابن جامع الى مخيم الساقية فأمر باحضار قواد الأندلس ، فأحضروا بين يديه فقال لهم اعتزلوا من جيش الموحيدين فلا حاجة لنا بكم كما قال الله تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم) ، وسينظر بعد هاذي المقابلة في أمر كل فاجر ، فلما سمع محمد الناصر باقبال الفونسو الثامن وتملكه قلعة رباح التي هي أمتع ثغور المسلمين شق ذلك عليه حتى امتنع من الطعام والشراب حتى مرض من شدة ما تغير لذلك ، ثم شرع في قتال شلبطزة وبذل الأموال الجلية في حقها حتى فتحها صلحا ، وذلك في آخر ذي حجة من سنة ثمان وستمئة .

فلما سمع الفونسو الثامن أن محمد الناصر قد فتح شلبطزة تحرك نحوه بجميع من كان معه من ملوك الروم وحشودهم ، فاتصل خبر قدومه بالناصر فقصده الى قتاله بجيوش المسلمين ، فالتقا الجمعان بموضع يسما بحصن العقاب ، فكانت المقابلة به ، فضربت القبة الحمراء المعدة لقتال الأعداء على رأس ربوة ، وأتا الناصر حتى نزل بها وقعد على

درفته وفرسه أمامه ، ودارت العبيد بالقبة من كل ناحية كلهم بالسلاح والعدة ، ووقفت الساقات والبنود والطبول أمام العبيد مع الوزير أبى سعيد ابن جامع ، فأقبلت اليهم جيوش الروم على مصافها كأنهم الجراد المنتشر ، فطلقاهم المتطوعة وحملوا عليهم أجمعين ، وكانوا مئة وستين الفا فقاموا فى صفوفهم فانطبقت عليهم جيوش الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر المسلمون لهم صبرا جميلا ، واستشهد المتطوعة عن اخرهم وعساكر الموحدين والعرب وقواد الأندلس ينظرون اليهم لم يتحرك منهم أحد ، فلما فرغ الروم من المتطوعة حملوا بأجمعهم على عساكر الموحدين والعرب حملة منكرة ، فلما انتشب القتال بين الفريقين فر قواد الأندلس وحشودها لما كانوا حققوا فى قلوبهم من قتل ابن قادس وتهديد ابن جامع وطرده اياهم ، فلما رأوا الموحدون والعرب وقبائل العرب ان المطوعة قد قتلوا وجيوش الأندلس قد فروا وكثر القتل فيمن بقي وتكاثرت عليهم المروم انهزموا أمامهم ، وانكشفوا عن محمد الناصر ، وركبهم الروم بالسيف حتى وصلوا الى الدائرة التي دارت على الناصر من العبيد والحشم ، فوجدوها كالبناء المرصوص ، فلم يستطيعوا دخولها ، فردوا أكفال الخيل المدرعة الى رماح العبيد وهي مصوبة اليهم فدخلوا فيها والناصر قاعد على درفته أمام خبائه يقول صدق الرحمان ، كذب الشيطان ! وهو فى مكانه لا يتزحزح حتى كادت الروم ان تصل اليه ، وقتل حوله من عبيد الدائرة مايزيد على عشرة آلاف عبد ، فأقبل اليه أعرابى على فرس انتا فقال له الى متى تعودك يا أمير المؤمنين ؟ قد نفذ حكم الله وتم مراده وفني المسلمون ، فحينئذ قام الى جواد سابق كان أمامه ليركبه ، فنزل الأعرابى عن الفرس التي كان عليها وقال له اركب هاذة الحرة فانها لا ترضا بعار ، فعل الله عز وجل ان يسلمك عليها ، فان فى سلامتك الخير كله ! فركبها وركب العربي جواده ، وتقدم أمامه فى كبكة عظيمة من العبيد دائرة بهم ، والروم فى أعقابهم ، وبقي القتل فى المسلمين الى الليل ، وتحكمت فيهم سيوف الروم فاستأصلوهم حتى فني جميعهم ولم ينج منهم الا الواحد فى الالف ، وفادا منادي الفونسو الثامن أن لا أسر

الا القتل ، ومن أتا بأسير قتل هو وأسيره ، فلم يأسر العدو فى هاذه الوقعة أحدا من المسلمين ، وكانت هاذه الكائنة المهمة والرزينة العظيمة يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة تسع وستمئة (١٦) يوليوز ١٢١١ م) غذبت قوة المسلمين بالأندلس من تلك الهزيمة ، ولم تنصرلهم راية بها ، فاستطال العدو عليها فملك معاقلها واستحوذ على أكثر بلادها حتى كاد أن يملك جميعها لولا أن الله عز وجل تداركها بجواز أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ورضي عنه ، فأحيا زمارها وأقام منارها وغزا بلاد الكفرة فدمرها .

ولما فرغ الفونسو الثامن لعنه الله من وقعة العقاب سار الى مدينة أبدة فدخلها على المسلمين بالسيف عنوة فلم يجي فيها ذكرا كبيرا ولا صغيرا ، ومن بعدها لم يزل يملك بلاد الأندلس بلدا بعد بلد حتى استولا على جميع قواعدها ولم يبق بأيدي المسلمين منها الا النزر اليسير ، ولم يوقفهم على أخذ تلك البقية الا حماية الله عز وجل لها على يد الدولة المرينية خلد الله ملكها ، ويقال انه لم يبق من ملوك الروم الذين حضروا وقعة العقاب ودخل أبدة أحد الامات فى تلك السنة بعينها .

ولما وصل محمد الناصر من هزيمة العقاب قدم الى اشبيلية فدخلها فى العشر الأواخر من ذي الحجة من العام المذكور ، وكان الناصر قد أدركه الاعجاب فى هاذه الغزاة واغتر بكثرة جنوده وتوافر جيوشه وحشوده ، لأنه اجتمع فى تلك الحركة من المقاتلين خيلا ورجالا مالم يجتمع لملك قبله ، عد فى عسكره من المتطوعة مئة وستون الفا بين فارس وراجل ، ومن الرجال المحشودين ثلاثمئة ألف راجل ، ومن العبيد الذين يمشون بين يديه بالحراة ويدورون حوله ثلاثون ألف عبد ، ومن الرماة والأغزاز عشرة آلاف ، دون المرتقة من الموحدين وزناتة والعرب وغيرهم ، فاعتمد على كثرة جنوده ، وظن أن لاغالب له من الناس ، فأراه الله عز وجل تلك الآية ليعلم أن النصر من الله عز وجل ، وأن القدرة والحول والقوة بيد الله سبحانه وتعالى .

ولما وصل الناصر لمراكش عند انصرافه من العقاب أخذ البيعة لولده

السيد يوسف الملقب بالمستنصر ، فبايعه كافة الموحدين ، وخطب له فى جميع منابرهم ، وذلك فى العشرة الأخيرة من ذي الحجة من سنة تسع وستمئة المذكورة ، فلما تمت له البيعة دخل الناصر قصره فاحتجب فيه عن الناس ، وانغمس فى لذاته ، فأقام فيها مصطبحا ومغتبقا الى شهر شعبان المكرم من سنة عشرة وستمئة ، فمات مسموما بأمر وزرائه ، دسوا اليه من سمه من جواريه فى كأس خمر فمات من حينه ، لأنه كان قد عزم على قتلهم فعاجلوه قبل ذلك ، فكانت وفاته يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من عام عشرة المذكورة (٢٢ دجنبر سنة ١٢١١ م) بقصره من قصبة مراكش ، فكانت أيام دولة خمسة الاف يوم وأربعمئة يوم وواحدا وخمسين يوما ، يجب لها من السنين خمس عشرة سنة ، وأربعة أشهر ، وثمانية عشر يوما ، أولها يوم الجمعة الثانى والعشرون لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وهو الذى بويع فيه بعد وفاة أبيه ، وأخرها يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من سنة عشر وستمئة ، وهو الذى توفي فى غرته .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر بالله

ابن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المؤمن بن علي

رحمهم الله

هو أمير المؤمنين يوسف بن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف الشهيد ، ابن عبد المؤمن .

لقبه : المنتصر بالله .

كنيته : أبو يعقوب .

صفته : شاب السن ، حسن القد ، أزهر اللون ، جميل الصورة ،

أقنا الأنف ، سبط الشعر .

كتابه: : كتاب أبيه .

وزراؤه : أعمامه ، وهم الذين كانوا يدبرون الدولة مع الأشياخ ، لأنه كان حين بويغ صغير السن كما راق الحلم ، لاحكمة له ولا تجربة ولا معزة بالأمور ، فأقام أشياخ الموحيدين دولته مع أشياخ من أعمامه ، فاستقرت خلافته لأجل ذلك ، ولم ينازع عليها ، ولم يغز في أيامه ولم يقدر عليه ، وكانت أوامره لاتمتثل ، وكل من ولي بلدا عمل فيه برأيه ، واستبد فيه بأمره ، فضعت دولة الموحيدين في أيامه ، واعتراها النقص وأخذت في الأدبار ، إلا أن أيامه كانت أيام هدنة ودعة وعافية ، فلما كبر واستقل بأمره ونهيه واستبد بملكه فرق أعمامه من حواليه الذين كانوا يدبرون أمر دولته وأقاموها وأشياخ الموحيدين الذين أسسوها ، وقرب أناسا لم يكن لهم أصل فيها ، فبعث إلى الأندلس عمه محمد بن يعقوب المنصور وولاه بلنسية وشاطبة ، وولا عمه عبد الله بن يعقوب المنصور مرسية ودانية وأحوازهما ، وبعث معه الشيخ عبد الرحمان بن برجنان وكان من أشياخ الموحيدين ودهاتهم ، وبعث عمه إدريس الكبير إلى إفريقية لمداقة الميورقي ، وإدريس هو الذي بنا البرجين اللذين على باب المهدي وحصنها ، وهو الذي بنا برج الذهب باشبيلية أيام ولايته عليها في حياة أبيه ، فأقام بإفريقية مدة ثم عزله عنها وولا مكانه الشيخ عبد الله ابن أبي حفص .

وفي سنة أربع عشرة وستمئة هزم المسلمون بقصر أبي دانس (١٥١) وهي من الهزائم الكبار التي تقرب من هزيمته العقاب ، لأن العدو كان قد نزل قصر أبي دانس وحاصره فخرج جيش اشبيلية وجيش قرطبة وجيش جيان وجنود بلاد غرب الأندلس بأمر أمير المومنين يوسف المنتصر لاعانته واستنقاذه فساروا نحوهم فلم تجتمع العين بالعين الا والمسلمون قد خامر قلوبهم الرعب وولوا الأدبار وأخذوا في الفرار لما سبق لهم من الرعب في هزيمة العقاب ، لأن العدو كان قد تكالب وقوي واستأنس ،

فركبهم بالسيف وقتلوهم عن آخرهم ورجع الفونسو الثانى ملك البرتغال الى قصر أبى دانس فحاصره حتى دخله بالسيف فقتل كل من به من المسلمين .

وفى سنة عشرين وستمئة توفي أمير المومنين يوسف بمراكش ، وكانت وفاته فجأة ضربته بقرة بقرنها على قلبه فمات من حينه لأنه كان مولعا بالبقر والخيول ، كان يوتا بالبقر من الأندلس فيستنتجها فى رياضه الكبير من حضرة مراكش ، فخرج فى عشي اليوم الذي توفي فيه لينظر اليهم ، وكان قد ركب فنيشا فمشا به بين البقر فقصدت اليه بقرة منهن كانت شرودة فضربته فمات ، وذلك فى عشي يوم السبت الثانى عشر لذى حجة سنة عشرين وستمئة (٦ يناير سنة ١٢٢٤ م) ، وتوفي ولم يعقب الا حملا من جارية ، ولم يخرج من حضرة مراكش طول خلافته الى أن توفي وكانت أوامره لايمتثل أكثرها لضعفه وليانته وادمانه على الخلاعة وركونه الى اللذات وتقويضه أمر مملكته ومهمات أموره الى السفلة .

أيامه فى الملك ثلاثة آلاف يوم وستمئة يوم وخمسة وعشرون يوما ، لها من السنين عشرة أعوام وأربعة أشهر ويومان ، أولها يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من سنة عشر وستمئة ، وهو اليوم الذي بويع فيه ، وأخراها يوم السبت الثانى عشر لذى حجة سنة عشرين وستمئة حكاه من شهد موته ممن أدركه من الثقباب .

الخبر عن دولة أمير المومنين عبد الواحد المخلوع

رحمه الله

هو أمير المومنين أبو محمد عبد الواحد ابن أمير المومنين يوسف ابن عبد المومن بن علي الكومى الموحدى ، بايعه أشيخا الموحدين على كره منه بقبة النصر من قسبة مراكش ، وذلك فى ضحا يوم الأحد الثالث عشر من ذى حجة سنة عشرين وستمئة (٧ يناير سنة ١٢٢٤ م) وهو

يومئذ فى سن الشيخوخة ، فكانت خلافته منسوخة ، وكان رجلا صالحا فاضلا متورعا ، فاستقام له الأمر شهرين ، وخطب له فى جميع طاعة الموحدين ماعدا مرسية ، فان ابن أخيه السيد عبد الله الملقب بالعدل كان واليا عليها وكان وزيره الشيخ أبو زيد بن برجان المعروف بالأصفر وكان أحد دهاة الموحدين ، كان المنصور اذا رآه يستعيز بالله من شره ، ويقول مايجرى على يدك من الفتن يا أصفر ، فلما وصلت بيعة أمير المؤمنين عبد الواحد الى مرسية قال أبو زيد بن برجان للسيد عبد الله ابن المنصور اياك أن تباع عبد الواحد فانك أحق بالخلافة وأقرب اليها منه ، أنت ولد المنصور ، وأخو الناصر ، وعم المنتصر ، ولك الحزم ، والعقل الراجح والكرم ، وحسن السياسة واصابة الرأي ، ولو دعوت الموحدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان ، فدع التواني وبادر الى فسخ أمره قبل التمكن ، فخرج السيد عبد الله من فوره ذلك الى مجلس حكمه ، فبعث الى من بمرسية وأحوازها من الموحدين والفقهاء والأشياخ فدعاهم الى بيعته فبايعوه ، ثم كتب الى أخيه السيد ادريس والى اشبيلية يدعوه الى بيعته فبايعه وأخذ له البيعة أهل اشبيلية ومن بها من الموحدين وامتنع سائر البلاد عن بيعته ، فلما رآ العادل أن الناس قد سبقوا الى بيعه عبد الواحد كتب الى أشياخ الموحدين الذين بحضرة مراکش يدعوه الى بيعته وخلع عبد الواحد ووعدهم على ذلك بالأموال الجزيلة والمنزلة الرفيعة والولايات العظيمة ، فسارعوا الى مادعاهم اليه فدخلوا على أمير المؤمنين عبد الواحد فهددوه وخوفوه بالقتل الا ان يخلع نفسه ويبايع العادل ، فأجابهم الى ذلك ، فخرجوا ووكلوا بالقصر من يحفظه ، وذلك يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان المكرم من سنة احدى وعشرين وستمئة ، فلما كان فى يوم الأحد التالى له دخلوا عليه القصر وأحضروا القاضي والفقهاء والأشياخ فأشهد على نفسه بالخلع وبايع العادل ، ثم انهم دخلوا عليه بعد ثلاثة عشر يوما من خلعه فخنقوه حتى مات وانتهبوا قصره وأخذوا أمواله وسبوا حريمه وهتكوا ستره ، فكان أول من خلع وقتل من بنى عبد المؤمن ، ولم يكن ذلك فيمن تقدمهم من ملوكهم .

ورجع أشياخ الموحدين كالأتراك مع بنى العباس ، فكان فعلهم ذلك سببا لخراب دولتهم ، وذهاب سلطانهم ، وقتل ملوكهم وأشياخهم ، وهر أول باب فتحه القوم على أنفسهم للفتنة .

وكانت وفاة عبد الواحد المخلوع المخلوق ليلة الأربعاء الخامس من شهر رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وستمئة (٢٠ شتنبر ١٢٢٤ م) ، فجميع دولته ميتا يوم اثنتان وخمسة وأربعون يوما يجب لها من الشهور ثمانية أشهر وخمسة أيام ، أولها الأحد وأخرها السبت ولا حول ولا قوة الا بالله .

وقد اختصر صاحب (نظم السلوك) دولة عبد الواحد في رجزه فقال :

قد قام بالملك أخو المنصور	وخلعه من أعظم الأمور
قد قتلوه بعد ما قد خلعا	ولم يخافوا القتل والسبي معا
في قتل عبد الواحد بن يوسف	قد ركبوا أمرا لهم لم يعرف
ورجع الأشياخ كالأتراك	مع بنى العباس في الأملاك
قد دبروا لجهلهم تدبيرا	كان على ملكهم تدميرا
بفعلهم كان خراب الدولة	وقتلهم في الأرض شر قتلة

الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الله العادل

ابن يعقوب المنصور رحمه الله

هو أمير المؤمنين عبد الله بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن الكومي

لقبه : العادل في أحكام الله تعالى .

كنيته : أبو محمد .

أمه : أم ولد رومية من سبي شندريخ ، اسمها سوز الخشن .

صفته : أبيض اللون ، تام القد ، نحيل الجسم ، أشهل العينين ،
أقنا الأنف ، خفيف العارضين ، حازم فى أموره قبل خلوص الأمر له ،
مؤثر هواه على أمر دينه .

ببيع له البيعة الأولى بمرسية فى نصف صفر من سنة احدا وعشرين
وستمئة ، وخلص له الأمر واجتمع على بيعته كافة الموحدين ماعدا أهل
افريقية ، وخطب له بحضرة مراكش وسائر بلاد العدو والأندلس بعد
خلع عمه عبد الواحد وذلك يوم الاحد الثانى والعشرين لشعبان المكرم
سنة احدا وعشرين المذكورة ، وتوقف عن بيعته السيد عبد الرحمان ابن
السيد ادريس بن يوسف بن عبد المومن صاحب بلنسية وشاطبة ودانية ،
وكذلك توقف عن بيعته عمال افريقية الحفصيون واستبدوا لأنفسهم فلم
يستقم له أمر لأجل ذلك .

ولما رأى السيد عبد الله بن السيد محمد بن ادريس بن يوسف أخاه
السيد عبد الرحمان توقف عن بيعته العادل وضبط بلاده قام هو أيضا
ببياسة ، وقرطبة وجيان وقيجاطة وحصون الثغر الأوسط وسمى البياسى
لقيامه ببياسة ، فوقعت الفتن فى بنى عبد المومن وابتدأت فيهم المخن ،
فبعث اليه العادل أخاه السيد ادريس فى جيش كثيف فحاصره ببياسة ،
فلما اشتد عليه الحصار صالحه مكرًا منه ، وباع العادل ، فلما ارتحل
عنه ادريس عاد الى نكته وبعث الى الفونسو يستنصر به على العادل
على أن يعطيه بياسة وقيجاطة ، فكان أول من سن اعطاء البلاد والحصون
للروم ، فبعث اليه الفونسو بجيش من عشرة آلاف فارس ، فلما وصله
الجيش جمع خيله وحشده وخرج من قرطبة يريد اشبيلية حتى قرب منها ،
فخرج اليه السيد ادريس فى جيش من الأجناد والحشود ، فالتقا الجمعان
وتقاتلوا قتالا شديدا هزم فيه السيد ادريس واحتوا البياسى والروم الذين
معه على جميع ماكان فى محلته من سلاح ودواب وغير ذلك .

فلما رأى أن جيشه قد هزم وقتل جنده خاف أن يتغلب عليه البياسى
ويفوته مقصوده من الخلافة ، فجاز من الأندلس الى العدو ، فوصل
لمراكش واستقر فى قصر الخلافة وفوض أمر الاندلس الى أخيه ادريس ،

فأقام إدريس عاملاً للعادل الى شهر شوال من سنة أربع وعشرين ، فنكت بيعته ، وقام عليه ودعا لنفسه ، وتلقب بالمأمون ، فبايعه أهل اشبيلية وجميع بلاد الأندلس فلما تمت بيعته بالأندلس كتب الى الموحدين الذين بمراكش مع أخيه يعلمهم باجتماع بلاد الأندلس ومن بها من الموحدين على بيعته وخلع أخيه العادل ، ويدعوهم مع ذلك الى بيعته والدخول فى طاعته ، ووعدهم ومناهم ، فكان منهم من تردد فى أمره ، ثم اجمع رأيهم على خلع العادل ، ، فدخلوا عليه القصر وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع فجعلوا رأسه فى خصة تفور بالماء وقالوا لانفارك أو تشهد على نفسك بالخلع وتبايع لأخيك المأمون ، فقال لهم اصنعوا ما بدا لكم ، أنا لا أموت الا أمير المؤمنين ! فجعلوا عمامته فى عنقه وخنقوه بها ورأسه فى ماء الخصة حتى مات ، وذلك فى يوم الثلاثاء الحادي والعشرين لشوال من سنة أربع وعشرين وستمئة ، وكتبوا البيعة الى المأمون ، وبعثوا بها اليه مع البريد ، ثم بدا لهم فى بيعه المأمون بعد انصراف البريد بها ، فنكتوا بيعته وبايعوا يحيى بن محمد الناصر ، فكانت أيامه من حين بويع بمرسية الى أن توفي ثلاث سنين وسبعة أشهر وتسعة أيام .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يحيى بن محمد الناصر

ومزاحمته لعمه إدريس المأمون

هو أمير المؤمنين يحيى ، ابن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المؤمن بن علي .

كنيته : أبو زكرياء وقيل أبو سليمان .

لقبه : المعتصم بالله .

صفته : شاب السن ، حسن القد والوجه ، آدم اللون ، خفيف

العارضين ، أشقر الشعر .

اجتمع أشياخ الموحدين على بيعته بعد بيعتهم للمامون وقتلهم العادل ،
وسبب اجتماعهم على بيعته أنهم كتبوا للمامون بالبيعة وبعثوا بها اليه ،
ثم ندموا وخافوا لما يعرفون من شهامة المامون وشدة سطوته وكونهم
قتلوا عمه عبد الواحد المخلوع ، ثم أخاه العادل ، فخافوا ان يطلبهم بثأر
من قتلوه من قرابته ، فلجأوا الى يحيى فبايعوه لصغر سنه ، فانه كان يوم
بؤيع ابن ست عشرة سنة ، فبايعوه بجامع المنصور من قسبة مراكش
بعد صلاة العصر من يوم الاثنين الثامن والعشرين لشوال سنة أربع
وعشرين وستمئة (١١ أكتوبر سنة ١٢٢٧ م) ، فامتنع من بيعته عرب
الخط وقبائل هسكورة ، وقالوا قد بايعنا ادريس المامون فلا ننكث بيعته .
فجهز لهم يحيى جيشا من الموحدين والأجناد وبعثهم الى قتالهم فهزمهم
الخط وهسكورة ، وهم فى طاعة المامون ، ورجع جل الموحدين منهزمين
الى مراكش بعد أن قتل منهم خلق كثير ، وتوالت فى أيامه على عساكره
الهزائم والقتل والأسر وسلبت أموالهم وتبدلت أحوالهم .

ولما تمت بيعته بمراكش بعث الى الشيخ عبد الرحمان ابن برجان
وابنه عبد الله فضرب أعناقهما وأمر بتعليق رؤوسهما على باب الكحل ،
وطيف بجسديهما فى المدينة ، وأقام يحيى بمراكش شهرا من ولايته ،
فاضطربت عليه البلاد وغلت الأسعار وخيفت الطرق وفشا الفساد والخراب
فى المغرب لكثرة الفتن ، وعاد أشياخ الموحدين يعبثون بينى عبد المؤمن ،
يبايعون وينكثون ، ويخلعون ويقتلون ، فلما رأى اختلاف الموحدين عليه
واضطراب أموره لديهم بسبب بيعة أكثرهم للمامون خرج قارا عن حضرة
مراكش الى تينمل ، وذلك فى شهر جمادى الأخيرة من سنة ست وعشرين
وستمئة ، فقدم من كان بمراكش من أشياخ الموحدين واليا عليها يضبطها
للمامون ، وجددوا له البيعة ، وكتبوا له يخبرونه بقرار يحيى عنها الى
تينمل ويسألونه القدوم عليهم ، فأقام يحيى بتينمل أربعة أشهر ثم بدا له
فرجع الى مراكش فدخلها وقتل عامل المامون الذى كان بها ، وخرج عنها
بعد أن أقام بها سبعة أيام ، فنزل بين الجبلين منتظرا لقدم المامون
وقتاله ، ولم يزل يحيى ينازع المامون وولده الرشيد الى ان قتل بفتح عبد

الله من أحواز رباط تازة ، قتله عرب المعقل غدرا ، وذلك فى يوم
الخميس الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين
وستمئة (٥ يونيو سنة ١٢٣٦ م) وحمل رأسه الى الرشيد بمراكش .
فجميع دولة يحيا المعتصم ثلاثة آلاف يوم ومئة يوم وسبعة وتسعون
يوما ، أولها يوم الاثنين الذى بويغ فيه وأخرها يوم الأربعاء لكونه قتل
يوم الخميس التالى له ، يجب لها من السنين تسعة أعوام ، وتسعة أيام ،
كلها فتن ومزاحمة للمأمون والرشيد .

الخبر عن دولة أمير المومنين ادريس

الملقب بالمأمون ابن يعقوب المنصور الموحدى

- هو أمير المومنين ادريس المأمون ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ،
ابن عبد المومن بن علي .
كنيته : أبو العلاء .
لقبه : المأمون .
أمه : حرة اسمها صفية بنت الأمير محمد بن سعد ابن مردنيش .
صفته : كان أبيض اللون ، أكحل العينين ، معتدل القد ، مليح
الوجه ، فصيح اللسان ، فقيها حافظا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ،
ضابطا للرواية عارفا بالقراءات ، حسن الصوت والتلاوة ، اماما فى
علم اللغة والعربية والمعرفة بالأاداب وأيام الناس ، كاتباً بليغاً ، له
التوقيعات العجيبة ، اماما فى الحديث ، لم يزل أيام خلافته يقرأ كتاب
الموطأ وكتاب البخاري وسنن أبى داود ، عالما بأمور الدين والدنيا ،
وكان مع ذلك شهما حازما مهابا شجاعا مقداما على عظام الأمور ،
الا أنه كان سفاكا للدماء ، لا يتوقف فيها طرفه عين .
مولده : بمالقة سنة احدا وثمانين وخمسمئة .

ولي الخلافة والبلاد تضطرم نارا قد توالى عليها الخراب والفتن والقحط والغلاء الشديد والخوف بالطرقات ، وقد تكالب العدو على أكثر بلاد المسلمين بالأندلس ، وبنو حفص قد استبدوا بأفريقية ، وبنو مزين قد دخلوا المغرب واستحوذوا على جميع بواديه وأخرجوا عليها عمالهم وحفاظهم فلم يدر ماذا يصنع في أمره ذلك ، فانشد متمثلا :

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

فربيع بيعته الاولا باشبيلية يوم الخميس ثانی شوال سنة أربع وعشرين وستمئة ، اجتمع عليه في هاذه البيعة جميع بلاد الأندلس وسببة وطنجة من بلاد العدو ، فلما كمل له ذلك أرسل الى الموحدين الذين بمراكش ودعاهم الى بيعته والفتك بأخيه العادل ، فسارعوا لامتنال أمره وقتلوا العادل وكتبوا اليه ببيعتهم وخطبوا له على منبر جامع المنصور ، ثم بدا لهم في ذلك لأمر خافوها منه ، فنكثوا ببيعته ، وباعوا ابن أخيه في عشي ذلك اليوم بعينه ، فوصلته بيعة الموحدين وهو باشبيلية فأمر بها فقرئت على منابر الأندلس ، ثم أخذ في الحركة الى حضرة مراكش دار ملكهم ، فسار حتى وصل الى الجزيرة الخضراء يريد الجواز منها ، فاتصل به أن الموحدين قد نكثوا ببيعته ، وباعوا ابن أخيه يحيا ، فأطرق مليا ثم انشد متمثلا بقول حسان حين قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه :

لتسمعن وشيكا في ديارهم يالرجال الى ثارات عثماننا

ثم بعث من حينه الى ملك قشتالية يستنصره على الموحدين ويسأله أن يبعث اليه جيشا من الروم يجوز بهم الى العدو لقتال يحيا ومن معه من الموحدين ، فقال له ملك قشتالية لا أعطيك الجيش الا على شرط ان تعطيني عشرة حصون مما يلي بلادني اختارها بنفسى ، واذا من الله تعالا عليك ودخلت مراكش تبنى للنصارا الذين يسرون معك كنيسة في وسطها يظهرن بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم في أوقات صلواتهم ، وان أسلم أحد من الروم لايقبل اسلامه ويرد الى اخواته فيحكمون فيه

بحكمهم ، ومن تنصر من المسلمين فليس لأحد عليه من سبيل ، فأُسعفه في جميع ما طلب منه ، فبعث إليه جيشا كثيفا من اثني عشر ألف فارس من النصارا ، برسم الخدمة معه والجواز الى العدو ، فهو أول من جاز الروم الى العدو واستخدمهم بها ، فوصله الجيش في شهر رمضان من سنة ست وعشرين وستمئة ، فجاز الى العدو واستخلف على الأندلس وقد اختلفت عليه أحوالها ، وباع أكثر بلادها لابن هود القائم بها بشرق الأندلس ، فجاز من الجزيرة الخضراء الى سبتة وذلك في شهر ذي قعدة من سنة ست وعشرين المذكورة ، فأقام بسبتة أياما ثم خرج الى مراكش حتى قرب منها فتلقاها يحيا بجيوش الموحدين وذلك في وقت صلاة العصر من يوم السبت الخامس والعشرين لربيع الأول من سنة سبع وعشرين وستمئة ، فهزم يحيا وفر الى الجبل وقتل كثير من جيشه ودخل المأمون مدينة مراكش ، فبايعه الموحدون كافة ، فصعد المنبر بجامع المنصور ، وخطب الناس ولعن المهدي ، وقال أيها الناس لاتدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم ، فانه لامعصوم الا الأنبياء ، ولا مهدي الا عيسا ، وأنا قد نبذنا أمره النحيس ، فلما أتا على آخر خطبته ، قال يامعشر الموحدين لاتظنوا أني أدريس الذي تدرس دولتكم على يديه ، كلا انه سيأتي بعد ان شاء الله تعالى ، ثم نزل فكتب الى جميع بلاده ، بتغيير سير المهدي وما كان ابتدعه للموحدين وجرا عليه عملهم وسير ملوكهم وأمر بإسقاط اسم المهدي من الخطبة وإزالته عن الدنانير والدراهم ، ودوروا الدراهم المكنة التي ضربها المهدي ، وقال كل ما فعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل لبقاء البدع ، ثم دخل الى قصر بها احتجب فيه عن الناس ثلاثة أيام ، ثم خرج في اليوم الرابع فأمر بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضرُوا بين يديه ، فقال لهم يامعشر الموحدين انكم قد أظهرتم علينا العناد ، وأكثرتم في الأرض الفساد ، ونقضتم العهود ، وبذلتُم في حربنا المجهود ، وقتلتم أخوانا وأعماما ، ولم تراعوا لهم عهدا ولا ذماما ، ثم أخرج لهم كتاب بيعتهم التي كانوا له بها بعثوا ، وبين لهم عهدهم الذي نكثوا ، فوقع الحجة على

جميعهم فبهتوا وسقط في أيديهم ، فرد رأسه الى قاضيه المكيدى وكان بازائه قد قدم معه من اشبيلية ، فقال له ماتراه أيها الفقيه فى هؤالء الناكثين ؟ فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول فى كتابه المبين (من نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه اجرا عظيما) ، قال صدق الله العظيم ، نحن نحكم فيهم بحكم الله تعالى فان من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، فأمر بقتل جميع أشياخ الموحدين وأشرفهم فقتلوا عن آخرهم ولم يبق منهم على أحد ، ولم يراع والدا ولا ولدا ، حتى أنه أتى بولد أخته وهو صبي صغير ابن ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرآن ، فلما قدم ليقتل قال له يا أمير المؤمنين أعف عني لثلاث ، قال ماهي ؟ قال صغر سني ، وقرب رحمي منك وحفظي للكتاب العزيز ، فنظر الى القاضي المكيدى كالمستشير له ، فقال له القاضي كيف رأيت قوة جأش هذا الغلام وأقدامه على الكلام فى هذا المقام ؟ فقال له القاضي يا أمير المؤمنين انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ، فأمر به فقتل ، ثم أمر بتعليق الرؤوس على أسوار المدينة فعلمت بدأثرتها ، وكان جملتها أربعة آلاف وستمئة رأس ، وكان زمن القيظ فنتنت منها المدينة ، وتأذا الناس من روائحها ، فرفع اليه ذلك فكان من جوابه أن قال هنا مجانيين وتلك الرؤوس لهم حروز ولا يصلح حالهم الا بها ، وانها لعطرة عند المحبين ومنتنة عند المبغضين ، وأنشد :

أهل الحراية والفساد من الورا	يعزون فى التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لغيره	بالقطع والتعليق فى الأشجار
فتراهم نكرا اذا ما أبصروا	فوق الجذوع وفى ذرا الأسوار
وكذا القصاص حياة أرباب النها	والعدل مألوف بكل جوار
لسوعم حلم الله سائر خلقه	هاكان أكثرهم من أهل النار

وقبض المامون على قاضى الجماعة بمراكش وهو عبد الحق بن عبد الحق فقيده ورفعه الى هلال بن حميدان بن مقدم الخطي فحبسه حتى اقتدا منه بستة آلاف دينار ، وأقام المامون بمراكش خمسة أشهر ،

ثم خرج الى الجبل ليقا تل يحيا ومن معه من الموحدين ، وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة سبع وعشرين المذكورة ، فالتقا معه على بلد لكافة فهزم يحيا وقتل من عسكره ومن أهل الجبل خلق كثير ، سيق من رؤوسهم الى مراكش أربعة آلاف رأس .

وفى سنة ثمان وعشرين أنفذت كتب المأمون الى جميع بلاده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها خرجت بلاد الأندلس كلها عن ملك الموحدين وملكها ابن هود القائم بها .

وفى سنة تسع وعشرين خرج على المأمون أخوه السيد عمران ابن المنصور بمدينة سبته وتسميا بالمؤيد ، فاتصل الخبر بالمأمون ، فخرج اليه فحاصره مدة فلم يقدر منه على شيء ، فلما طالبت غيبته بسبته اغتتم يحيا الفرصة فنزل من الجبل فدخل مراكش وهدم كنيسة الروم التي بنيت بها ، وقتل كثيرا من اليهود ، وبنى فرخان (١٥٢) وسبا أموالهم ، ودخل القصر وحمل جميع ما وجد فيه الى الجبل ، فاتصل الخبر بالمأمون ، فارتحل عن سبته مسرعا الى مراكش وذلك فى شهر ذي الحجة من السنة المذكورة ، فلما بعد عن سبته جاز عمران الى الأندلس ، فبايع ابن هود وأعطاه سبته فولاه ابن هود المرية عوضا منها فمات بها ، فوصل المأمون وهو بالطريق أن ابن هود قد تملك سبته ، فتوالت عليه الفجائع فمرض فمات مفقوعا بوادي العبيد ، وهو قافل من حصار سبته ، وذلك يوم الأحد منسلخ شهر ذي الحجة عام تسعة وعشرين وسبتمئة (١٧ أكتوبر سنة ١٢٣٢ م) ، فكانت أيامه ألف يوم واحد وثمانمئة يوم وثمانية وخمسين يوما يجب لها من السنين خمسة أعوام وثلاثة أشهر ويوم واحد ، أولها الخميس وأخرها الأحد ، وكانت أيامه كلها شقية فى منازعة يحيا افترق الموحدون فيها فرقتين ، فصارت الدولة دولتين ، فكان محو دولتهم وذهاب نخوتهم على يديه ، لأنه وضع السيف فيهم حتى أفنأهم ، ولولا أن الحال فى دولته

152) بنى فرخان ، أى أبناء الحرام ، والمراد السائحون على الدولة المترصون بها ، وفرخان جمع بربرى (يفرخان) معرب لكلمة أفروخ ، أى الفرخ ، وله معنيان فى عامية المغرب ، فهو الشاب فى مقتبل العمر ، وهو ابن الزنا ، والمراد هنا المعنى الثانى .

تغيرت والفتن فى نواحي الأندلس والمغرب قد اشتعلت لكان المامون موافقا
لوالده المنصور فى خلال ، متابعا له فى جميع الأعمال والأحوال .

الخبر عن دولة أمير المومنين عبد الواحد الرشيد

رحمه الله

هو أمير المومنين عبد الواحد بن إدريس المامون ابن يعقوب
المنصور ، ابن يوسف الشهيد ، ابن عبد المومن المؤيد ابن علي الكومى
الموحدي .

كنيته : أبو محمد

لقبه : الرشيد

أمه : أم ولد رومية اسمها حباب كانت من دهاة النساء وعقلائهن .
بويغ له بالخلافة بوادي العبيد ثانى يوم وفاة أبيه وهو يوم الاثنين
غرة محرم من سنة ثلاثين وستمئة (١٨ أكتوبر سنة ١٢٣٢ م) ، وسنه
يوم بويغ أربع عشرة سنة .

أخذ له البيعة كانون بن جرمون السفينانى وشعيب اخو قاريط
الهسكوري ومرقسيل قائد الروم ، لأنه لما مات المامون كتمت حباب موته
وبعثت فى هاؤلاء النفر الثلاثة لأنهم كانوا عمدة عسكر المامون يركب
لكل واحد منهم عشرة آلاف من اخوانه ، فلما وصلوا اليها أعلمتهم
بموت أمير المومنين ورغبت منهم ولاية ولدها والقيام ببيعته ، وبذلت لهم
أموالا جليلة وجعلت لهم مع ذالك مدينة مراكش فيئا اذا غلبوا عليها ،
فبايعوه وقاموا بأمره وتولوا أخذ البيعة له على من سواهم ، فبايع الناس
طوعا وكرها خوفا من سيوفهم ، فلما تمت بيعته توجه الى مراكش وحمل
إياه أمامه فى تابوت ، وكان يحيا قد استقر بها فسمع أهل مراكش بما
شرطته حباب للرومى والقواد من نهب المدينة ، فخرجوا مع نجيا لقتال

الرشيد ، فالتقا الجمعان فهزم يحيى وأتا الرشيد حتى وقف بباب المدينة فتحصن منه أهلها وغلقوا الأبواب فأمنهم وبعث الى القائد الرومى وأصحابه قيمة فيء مراكش فقبضوه منه ، فيقال انه دفع لهم فى ذلك خمسمئة ؟ دينار ، ودخل الرشيد مدينة مراكش ، فلم يزل بها الى سنة ثلاث وثلاثين وستمئة فاستدعا أشياخ الخلط فدخلوا عليه فقتل منهم خمسة وعشرين أميرا فى قصره ، فقامت عليه الخلط ودخلوا لمراكش فنهبوها ، وفر الرشيد عنها بجيش الروم الى سجلماسة ، وبعث الخلط الى يحيى فبايعوه وأدخلوه لمراكش ، فأقام بها الى ان قوي الرشيد وجمع الجيوش والأموال ، فخرج من سجلماسة حتى وصل مدينة فاس ، فأقام بها أياما وفرق فى فقهاءها وصلاحائها أموالا ورباعا كثيرة من رباح مخصصها وارتحل الى مراكش فلتقاه يحيى بجيش العرب والموحدين فهزمه الرشيد وقتل خلقا كثيرا من عسكره ، وفر يحيى قاصدا رباط تازة ، فغدر به عرب المعقل فقتلوه غيلة قبل ان يصل اليها ، وحملوا رأسه الى الرشيد ، ودخل الرشيد لمراكش ، فأقام بها الى أن توفي رحمه الله غريقا فى صهرج ، وذلك يوم الخميس تاسع جمادى الأخيرة سنة أربعين وستمئة (٤ دجنبر سنة ١٢٤٢ م) فمدته ثلاثة آلاف يوم وسبعمئة يوم ، يجب لها من السنين عشرة أعوام وخمسة أشهر وتسعة أيام ، زاحمه يحيى منها فى سنتين وتسعة أشهر .

وفى رمضان المعظم من سنة خمس وثلاثين بايع أهل اشبيلية الرشيد ، وفى شوال التالى له بايعه أهل سبتة ، وكان بالعدوة والأندلس فى هاذه المدة غلاء شديد ووباء مفرط هرب فيها أكثر أهل البلاد ووصل قفيز القمح فيها ثلاثين دينارا .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين علي السعيد

رحمه الله تعالى

هو أمير المؤمنين علي بن ادريس بن يعقوب المنصور ابن يوسف ابن عبد المومن بن علي الكومي .

أمه أم ولد نوبية .

كنيته أبو الحسن .

لقبه السعيد ، وسمي بالمعظم بالله .

صفته أسمر اللون شديد السمرة ، تام القد ، معتدل الجسم ، سبط الشعر ، مليح العينين ، معتدل اللحية ، عالى الهمة ، بطل شجاع مهاب له اقدام فى الحروب ونجدة فاق بها من تقدمه من الأباة .

بويع له بالخلافة ثانى يوم وفاة أخيه الرشيد بحضرة مراكش ، وذلك يوم الجمعة عاشر جمادى الأخيرة سنة أربعين وستمئة (٥ دجنبر سنة ١٢٤٢ م) ، وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء منسلخ صفر سنة ست وأربعين وستمئة (٢٣ يونيو سنة ١٢٤٨ م) وهو محاصر ليغمراسن بن زيان العبد الوادي بقلعة تامجزرت من أحواز تلمسان ، فكانت أيام خلافته ألفي يوم اثنين وثمانية وعشرين يوما ، وبويع السعيد بمراكش وقد ظهر أمر بنى مرين بالمغرب وملكوا جميع بواديه ، فأخذ يبعث اليهم بالجيوش فيهزمونها ، فلما كان فى سنة ثلاث وأربعين اتصل به أن الأمير أيا بكر ابن عبد الحق قد دخل مدينة مكناسة ، وأن يغمراسن بن زيان قيد ملك تلمسان وأحوازها ، وأن محمد المستنصر والي أفريقية قد تسما بأمر المؤمنين خلافا لما كان عليه الأباؤه واحتقارا لدولة السعيد ، فأخذ فى الحركة الى غزوهم ، فخرج من حضرة مراكش فى جيوش لاتحصا من الموحدين ومن العرب والروم ، فسار حتى وصل الى وادي بهت ، فلما نزل به واتصل خبره بالأمير أبى بكر بن عبد الحق خرج له عن مكناسة

وأسلمها له ، وسار الى قلعة تازوطة من بلاد الريف ، واجتمع اليه جميع قبائل بنى مرين هنالك ، ووصل أمير المؤمنين علي السعيد الى مكناسة ، فخرج اليه أهلها يطلبون منه العفو ، وقدموا بين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور ابن حرزوز والصبيان من المكاتب بالألواح على رؤوسهم والمصاحف بأيديهم فعفا عنهم ، وارتحل الى مدينة فاس ، فنزل بظاهرها من ناحية القبلة ، فأقام هنالك أياما حتى وصلته بيعة الأمير أبى بكر ابن عبد الحق فسر بها وخلع على القوم الذين أتوا بها ووصلهم بأموال جلييلة ، وكتب له بالنولية على جميع بلاد الريف والقلاع ، ثم ارتحل عن مدينة فاس فى الرابع عشر من المحرم سنة ست وأربعين وستمئة ، وخسف بالقمر كله فى تلك الليلة ، فأصبح السعيد فى ذلك اليوم مرتحلا ، فلما ركب انكسر لواؤه المنصور ، فتطير به ورجع ولم يرتحل ، فأقام السى اليوم السادس عشر من المحرم المذكور ، فارتحل الى تلمسان ، وبها يغمراسن بن زيان القائم بها ، فخرج عنها يغمراسن فارا بماله وأهله الى قلعة تامجزرت ، فتحصن بها وأسلم له تلمسان ، فتبعه السعيد حتى نزل على القلعة المذكورة ، فحاصره بها ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع ركب مستخفيا فى وقت الهاجرة وخرج مع وزيره على حين غفلة من الناس لينظر الى القلعة ومنعتها وكيف تكون المحاولة فى قتالها والتمكن منها ، فلما توسط من الجبل بمكان وعبر بصر به فارس من بنى عبد الوادى يعرف بيوسف الشيطان كان يحرس ، فسار اليه هو ويغمراسن بن زيان ويعقوب ابن جابر العبد الوادى فخرجوا عليه من مخدع من الجبل فضربه يوسف الشيطان فقتله وقتل يعقوب ابن جابر وزيره وفر الرجال الذين كانوا معه الى المحلة فأخبروا بموته ، فارتحلت المحلة وأخذ أهلها فى الفرار ، وهبط يغمراسن فى بنى عبد الوادى من القلعة ، فاحتوا على جميع المحلة ، وأخذ مافيها من الأموال والسلاح والكراع والعيال والطبول والبندود والأخبية والقباب ، وأمر يغمراسن بالسعيد فغسل وكفن وحمل فدفن بالعباد من خارج مدينة تلمسان .

الخبر عن دولة أمير المومنين عمر المرتضا

هو أمير المومنين عمر ابن السيد اسحاق ابن أمير المومنين يوسف
ابن عبد المومن بن علي الكومي الموحي

كنيته : أبو حفص

لقبه : المرتضا

أمه حرة بنت عم أبيه

ولي بعد وفاة السعيد باجماع ممن بقي بمراكش من أشياع
الموحدين ، فأخذوا له البيعة بجامع المنصور من حضرة مراكش ، وذلك
يوم الاربعاء غرة ربيع الأول من سنة ست وأربعين وستمئة (٢٤ يونيو
سنة ١٢٤٨ م) ، قاله ابن رشيقي في ميزان العلم ، وهذا وهم منه ، فان
السعيد توفي يوم الثلاثاء منسلخ صفر ولا يمكن أن يصل الخبر بموته
من تلمسان الى مراكش في ليلة واحدة ، والصحيح أنه كانت بين موت
السعيد وبيعة المرتضا أيام مهلة نحو العشرة أيام ، وحينئذ عقدت له
البيعة بجامع المنصور ، وكتب له بها في الثاني عشر من ربيع الأول
(الاحد ٥ يوليو) المذكور ، وكان المرتضا واليا للسعيد بقصبة رباط
الفتح ، تركه هنالك حين توجه الى تلمسان ، فوصلته البيعة وهو بها ،
فأمر بها فقرئت على الناس ، فبايعه جميع من حضره من الموحدين
والفقهاء والأشياء ، ثم ارتحل الى مراكش فدخلها وجددت له البيعة بها
واستقام له أمرها وملك جميع أحوارها من مدينة سلا الى السوس ،
فأقام بها الى سنة ثلاث وخمسين وستمئة ، فخرج يرسم غزو مدينة فاس
وقتل من بها من بني مرين والعرب والأعزاز والأندلس والروم ، فسار
حتى نزل بجبل بني بهلول من قبلة مدينة فاس ، وكان خوف بني مرين
قد خامر قلوب أهل محله فكانوا منذ قربوا من أحوار مدينة فاس
لا يرقدون ليلا ، فانطلق فرس لبعض الأجناد فجرا بين الأخبية وجرا الناس
في أثره ليأخذوه ، فظن أهل المحلة أن بني مرين ضربوا بها ، فركب الناس

وماج بعضهم فى بعض ، وفروا منهزمين لايلى على أحد ، واتصل خبرهم بالأمير أبى بكر فخرج من مدينة فاس واحتوا على جميع ما فى المحلة من الأموال والسلاح والأخبية ، وسار المرتضا الى مراكش مهزوما فى نفر يسير من الروم والأشياخ ، فأقام بها الى ان دخلها عليه أبو دبوس وذلك يوم السبت الثانى والعشرين لحرم سنة خمس وستين وستمئة (٢٣) اكتوبر سنة ١٢٦٦ م) ، فخرج فارا بنفسه ، فظفر به وقتل فى الثانى والعشرين لصفر التالى له ، حكاه جملة من الناس من الذين شاهدوا ذلك ، فكانت أيامه فى ملكه ستة آلاف يوم وستمئة يوم وستة وتسعين يوما ، يجب لها من السنين ثمانية عشر سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوما ، وكان المرتضا يدعى الزهد والتصوف والورع ، وتسميا بثالث العمرين ، وكان مولعا بالسماع لا يكاد يستغنى عنه ليلا ولا نهارا ! وكانت أيامه أيام أمن ودعة ورخاء مفرط لم ير أهل مراكش مثله ، والبقاء لله وحده .

الخبر عن دولة ادريس الملقب بأبى دبوس

آخر ملوك بنى عبد المومن رحمهم الله

هو أبو العلاء ، ادريس ابن السيد محمد ابن السيد عمر ابن أمير المومنين عبد المومن بن علي ، تسميا بأمر المومنين وتلقب بالواثق بالله .
أمه أم ولد رومية اسمها شمس .

صفته : أبيض اللون ، أشقر ، أزرق ، طويل القامة ، طويل اللحية ، بطل شجاع ذاهية مقدام فى الأمور ، دخل مدينة مراكش على عمر المرتضا غدرا ففر أمامه فملكها وبويع له بها بجامع المنصور ، يساع له كافة الموحدنين والأشياخ والوزراء والقضاة والفقهاء وأشياخ العرب وأشياخ المصامدة ، وذلك يوم الأحد الثالث والعشرين لحرم سنة خمس وستين وستمئة ثانى يوم دخوله المدينة (٢٤) اكتوبر سنة ١٢٦٦ م) وكان سبب

تملكه لمراكش أن المرتضا أراد قتله لأشياء رفعت له عنه ، فشعر أبو دبوس بذلك فخرج عن مراكش فآرا بنفسه ، فوصل الى أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المريضي مستنصرا به ، فألفاه بمدينة فاس ، فأقبل عليه وبألف في إكرامه ، فطلب منه الإعانة على حرب المرتضا وضمن له أخذ مراكش ، فأعطاه أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق جيشا من ثلاثة آلاف فارس من قبائل بني مرين ، وأعطاه جنودا وطبولا ، وعشرين ألف دينار يرسم النفقة ، وكتب له الى عرب جشم أن يكونوا معه يدا واحدة ، وشرط له أبو دبوس أن يعطيه نصف ما يغلب عليه من البلاد ، فأصرف أبو دبوس بجيشه ونشر بنوده وضرب طبوله ، فوصل الى مدينة سلا ، فكتب منها الى أشياخ المرتضا يدعوهم الى بيعته ويعددهم ويمنيهم ، فتلقتهم وفود العرب والهساكرة ، وكتب الى خاصته من وزراء المرتضا أن يعلموه بأخبار مراكش فراجعوه أن أسرع السير وأقبل ولا تخش فإن الجند قد فرقناهم في أطراف البلاد ، وهذا وقت انتهاز الفرصة قد أمكنك وقتها ، فأسرا أبو دبوس من تلك الليلة فأصبح على مراكش ، فدخلها من باب الصالحة على حين غفلة من أهلها ، وذلك يوم السبت وقت الضحا في اليوم الثاني والعشرين لحرم عام خمسة وستين وستمئة ، فسار حتى وقف بباب البنود من قصبتها ، فغلقت الأبواب في وجهه ووقف عليها غبيد المخزن يقاتلونه ، فلما رأى المرتضا أن المدينة قد شرت معه خرج من القصر على باب القاتحة فآرا بنفسه ودخل أبو دبوس وبويع ، فاستقام له الأمر ، وسار المرتضا الى مدينة أزموور ، وكان بها صهره ابن عطوش واليا له عليها ، وكان قد أسر ، فافتكه المرتضا بمال جسيم وزوجه ابنته وولاه أزموور ، فلما فر عن مراكش قصد اليه ووثق به وبمناصحته ، فأخذه ابن عطوش وأوثقه في الحديد ، وكتب الى أبي دبوس يقول له اعلم يا أمير المؤمنين أنني قد قبضت على الشقي وأوثقته في الحديد ، فبعث في محمل وقتل في الطريق ، واشتغل أبو دبوس بملك مراكش وانجائها ، واتصل الخبر بأمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق فكتب اليه يهنئه بالفتح ويطلب منه أن يمكنه بما شرط له وذلك نصف

البلاد التي غلب عليها ، فلما وصله الكتاب أدركه الكبر ودخله الإعجاب وكفر بما أسداه إليه من نعمة ، وجحد أياديهِ القديمة ومنته ، وقال لرسوله قل ليعقوب بن عبد الحق يغتتم سلامته ، ويَقنع بما بيده من البلاد ، والا أتيته بجنود لأقبل له بها ، فلما وصل الرسول الى أمير المسلمين يعقوب أبلغه مقاله ودفع اليه كتابه ، فاذا هو يخاطبه فيه مخاطبة الخلفاء الى عمالهم والرؤساء الى خدامهم ، فتحقق أمير المسلمين نكته وغدره على ماوقع عليه الاتفاق بينهما ، فخرج الى غزوه فلم يزل يشن الغارات على بلاده ويجهز الجيوش الى محاربته الى سنة سبع وستين ، فسار أمير المسلمين بجيوش بنى حرين ، فالتقا معه أبو دبوس ببلاد دكالة ، وكانت بينهم حروب شديدة باشر فيها أبو دبوس الحروب بنفسه ، فقتل وهزم عسكره وانتهت ملحته ، وأتى برأسه الى أمير المؤمنين يعقوب ، فأمر به فحمل الى مدينة فاس فطيف به في أسواق المدينة .

وكان قتل أبي دبوس وانقراض دولته يوم الجمعة منسلخ شهر ذي حجة من سنة سبع وستين وستمئة (٣٠ غشت سنة ١٢٦٩ م) فكانت أيامه ألف يوم واحدة واثنين وأربعين يوما ، يجب لها من السنين سنتان اثنتان وأحد عشر شهرا وسبعة أيام ، وانقرضت بموته الدولة الموحدية المومنية ، والملك والبقاء لله وحده الذي له الأمر من قبل ومن بعد ، لأرب غيره ، ولا معبود سواه ، وهو الذي يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

وكانت أيام ملكهم من يوم بويح المهدي سنة خمس عشرة وخمسمئة الى أن قتل أبو دبوس في منسلخ سبع وستين وستمئة ، مدة سنة واحدة واثنين وخمسين سنة وعدد ملوكهم أربعة عشر ملكا .

الخبر عن الاحداث التي كانت في أيامهم من أولها إلى آخرها

أول حدث كان في سنة خمس عشرة وخمسمئة قيام المهدي وبيعتة
وظهور الموحدين ، فانه لم يزل أمرهم يظهر في تلك السنة وسلطانهم يقوا
وفي سنة أربع وعشرين توفي المهدي وبايع الموحدون عبد المومن
ابن علي .

وفي سنة ثمان وعشرين فتح عبد المومن درعة وتادلة ومدينة سلا
وبلاد تازة ، وفيها تسمأ أمير المومنين .
وفي سنة تسع وعشرين وخمسمئة أمر عبد المومن ببناء مدينة
رباط تازة فبنيت وحصن سورها .

وفي سنة تسع (١٥٣) وثلاثين وخمسمئة ملك الموحدون شريش وخطب
لهم بها .

وفيها قام ابن زريق وابن حمدين قاضى قرطبة على المرابطين
فأخرجوهم عن قرطبة .

وفيها جاز جيش الموحدين الى الأندلس وملكوا مدينة طريف والجزيرة
الخضراء ، وهرب عنها المرابطون .

وفي سنة أربعين هدم علي بن عيسا بن ميمون الممتونى صتم قادس
وفيها ملك الموحدون مالقة .

وفيها نازل العدو الرية بثمانين جفنا ، فأحرق أرباضها وانصرف عنها

١٥٣ في الأصل وفي سنة سبع وهو غلط ، فان الموحدين لم يملكوا شريشا ولم يرسلوا
جيشا الى الأندلس الا بعد موت تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين بوهراة وفتح عبد المومن
لتلمسان وكان ذلك بعد يوم ٢٧ رمضان من عام ٥٣٩ هـ (٢٣ مارس سنة ١١٤٥ م) انظر ص ١٥٧
المتقدمة وما بعدها ، يؤيد ذلك أن ابن أبي زرع يجعل تملك الموحدين الشريش وتوزة ابن حمدين
قاضى قرطبة في سنة واحدة ، ومن المعلوم أن أبا جعفر حمدين بن محمد بن علي ابن حمدين بويج
بالامارة في المسجد الجامع بقرطبة يوم ٥ رمضان سنة ٥٣٩ هـ .

وفيها فتح عبد المومن مدينة فاس ومدينة تلمسان ووهران وأحواز
ذلك كله ، وفيها بايعه أهل اشبيلية وأخرجوا عنها المرابطين .
وفيها أمر عبد المومن ببناء سور تآكرات (١٥٤) من تلمسان
وتحصينها وبناء جامعها .
وفى سنة احدا وأربعين فتح عبد المومن مدينة مراكش وأغمات وبلاد
دكالة .
وفيها فتح مدينة طنجة وقتل من بها من المرابطين وانقرضت دولتهم
من جميع المغرب والأندلس .
وفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن سجلماسة وسبتة ،
وفيها غزا برغواطة ، وفى الآخرها قام أهل سبتة على الموحدين وقتلوا
عمالهم وحرقوهم بالنار .
وفيها فتح الموحدون قرطبة وقرمونه وجيان ، وملك الروم المهديّة (١٥٥)
من بلاد أفريقية ، وملكوا من بلاد الأندلس مدينة أشبونة والمرية وطرطوشة
وماردة وإفراغة وشنترين وشنترية ، ملكوا ذلك كله على يد رذريق
لعنه الله .
وفيها أعطا يحيا ابن غانية مدينة أبذة وبياسة وماوالاهما من
الحصون الى النصرارا فملكوها .
وفى سنة خمس وأربعين فتح الموحدون مدينة مكناسة فدخلت عنوة
بالسيف بعد حصار سبعة أعوام وقتل أكثر رجالها وأخذت أموالهم وسبي
حريمهم ، وذلك يوم الاربعاء الثالث لجمادى الاولى منها .
وفيها بنيت مكناسة تآكرات المدينة الآن وخربت القديمة .

١54) اسم الأحياء العليا من تلمسان ، أما الأحياء السفلا فاسمها أكدير ، والأولا من بناء
المرابطين ، وتآكرات معناها الرباط بلغة صنهاجة .

١55) فى الأصل وفى سنة أربع وأربعين وخمسمئة ملك الروم المهديّة الخ وهو خطأ ،
فان استيلاء أمير البحر جورجى الأنطاكى قائد أسطول روجار الثانى ملك صقلية على المهديّة وقع
يوم 2 صفر سنة 543 هـ (22 يونيو سنة 1148 م) انظر ص ١97 المتقدمة .

- وفيها أمر عبد المومن بجلب ماء عين غبولة الى سلا فجلبها .
- وفي سنة ست وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن جبال ونشريس ومليانة وجزائر بنى مرزغنة وبجاية .
- وفي سنة سبع وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة بونة وقسنطينة وبلد العناب (١٥٦) والجريد بأسره وجميع بلاد أفريقية .
- وفيها انتزع الموحدون المرية (١٥٧) وأبذة وبياسة من أيدي الروم وملكها المسلمون .
- وفي سنة تسع وأربعين ملك الموحدون لبلة من بلاد الأندلس ، فتحوها عبوة وقتلوا جميع رجالها وسبوا حريمها وأموالها فكان بها الحادث الأعظم .
- وفي سنة خمسين وخمسمئة ملك الموحدون غرناطة ، ثم غدر بهم أهلها فقتلوه .
- وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمئة فتحوها ثانية بعد حصار شديد .
- وفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة تونس وسوسة وقفصة والقيروان وصفاقس وطرابلس المغرب (١٥٨) .
- وفي سنة خمس وخمسين وخمسمئة فتح المهدي وانتزعها من أيدي الروم .
- وفيها أمر عبد المومن ببناء حصن جبل الفتح فبنى .
- وفي سنة ثمان وخمسين توفي عبد المومن وولي ولده يوسف .
- وفي سنة تسع وخمسين قام مرزدغ ببلاد غمارة .

١٥٦) بلد العناب وبونة شيء واحد ، إلا أن يكون مراده ببلد العناب حوز عناية التي هي بونة نفسها .

١٥٧) يجعل المؤلف هنا استرجاع المرية في سنة ٥٤٧ وجعله فيما تقدم (ص ١٩٤) في سنة ٥٤٦ والحقيقة أن فتحها وقع في أواخر عام ٥٥٢ هـ (أواخر ١١٥٧ م) بعد استيلاء الموحدين على غرناطة .

١٥٨) تقدم له (ص ١٤٨) أن فتح تونس كان في جمادى الأولى من عام ٥٥٤ هـ .

وفى سنة تسع وخمسين المذكورة (١٥٩) فى آخر شعبان منها (الأربعاء ٢٢ يوليوز سنة ١٦٤م) توفي الشيخ الفقيه الصالح الفاضل علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله ابن حرزهم بن زيان بن يوسف بن شومران ابن جفص بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فدفن بخارج باب المفتوح من ابواب مدينة فاس ، وكان فقيها حافظا زاهدا فى الدنيا متصوفا ، ذكر عنه خديمه المعروف بأبى قرن قال : دعا لى الشيخ علي ابن حرزهم بالعفو والعافية والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة ، وقال ان رب العزة أمنتى ، انى رأيته فى النوم ، فقال لى سل حاجتك فقلت يارب العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة ، فقال قد فعلت ، ولذلك دعوت لك بهذا الدعاء ، ولما دخل شعبان الذي توفي فيه قال لتلاميذه انى لأصوم مع الناس شهر رمضان المعظم المستقبل ، وهو صحيح ليس به ألم ، فعجبوا من مقاله ، فلم يبق الا ثلاثة أيام من شعبان فمات فى آخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه ، ولما كان اليوم الذي توفي فيه تطهر وبوضأ وتطيب وقال لخدمته لم يبق لكم من خدمتى الا اليوم ، ثم دخل الى بيته فصلا ركعتين ونام على فراشه ، فلما حان وقت صلاة الظهر اناه خديمه يوقظه للصلاة فوجدته ميتا رضي الله تعالى عنه ونفعنا به .

وفى سنة ستين كانت غزوة الجلاب قتل فيها خلق كبير من الروم .
وفى سنة احدا وستين (١٦٠) توفي الشيخ الفقيه الصالح أبا شعيب
أيوب بن سعيد الصنهاجي المعروف بالسارية ، اذا وقف فى صلاته يطيل

159) فى الأصل : وفى سنة تسع وستين وخمسة واصل ان ابن حرزهم توفي قبل ذلك بعشرة أعوام ، وقد نقلنا الفقرة كلها من مكانها الأصل وأثبتنا فى المكان الذى يقتضيه التسلسل التاريخي ، ينظر عن ابن حرزهم التشوف ع 51 ونيل الابتهاج ص 182 وجذوة الاقتباس ص 293 وسكوة الأنفاس 3 : 71 .

160) فى الأصل وفى سنة سبعين وخمسة توفي الشيخ الفقيه الخ والصلاب أن وفاة أبى شعيب أيوب الصنهاجي دفين أزمو كانت يوم الثلاثاء 10 ربيع الثانى عام 561 هـ ، وقد نقلنا الفقرة من مكانها الأصل وحولناها الى مكانها الجديد الذى يقتضيه التسلسل التاريخي ، ينظر عن أبى شعيب التشوف ع 62 .

القيام ، ولذلك سمي بالسارية ، ويقال أنه كان من الأبدال ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثاني من سنة سبعين المذكورة .
وفى سنة أربع وستين وخمسمئة توفى الشيخ الفقيه الصالح عثمان ابن عبد الله السلالجي الأصولي صاحب البرهانية وامام أهل المغرب فى علوم الاعتقاد (١٦١) .

وفىها كان السيل العظيم بأشبيلية .
وفى سنة ست وستين وخمسمئة أمر أمير المؤمنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت فبنيت .
وفى سنة سبع وستين وخمسمئة أمر أمير المؤمنين بعقد الجسر على وادي اشبيلية فعقد على القوارب .

وفىها بنا قسبة اشبيلية ، وبنيت الزلايق لسورها .
وفىها مات محمد بن سعد ابن مردنيش صاحب بلاد شرق الأندلس ، وملك الموحدون بلنسية وشاطبة ودانية وجميع عمله .

وفى سنة ثمانية وستين وخمسمئة فى ثانى عشر شوال منها كان زلزال عظيم هائل لم ير الناس مثله ، عمت الزلزلة أكثر بلاد الشام والموصل وبلاد الجزيرة والعراق ، وأشد ماكانت بالشام ، هدمت كثيرا من دمشق وبلبك وحمص وحماة وسهرورد ، وحلب تهدمت أسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها ، وهلك فيها من الناس ما يخرج عن الحد ولا يحصيه عد نعوذ بالله من سخطه ونلجأ اليه من أليم نقمه ، وتهدمت أسوار تلك المدن وخرب جلها ، وكان بمدينة حلب من اثر الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد ، حتى فر أهلها عنها الى البرية ، وكانوا لايقدر أن يأووا الى مساكنهم خوفا من الزلزلة ، وبنا نور الدين بن أيوب جميع الأسوار التي هدمتها الزلزلة ، وبنا المعقل خوفا على

(161) ينظر عنه ذكريات مشاهير المغرب للأستاذ عبد الله كتون الحسنى ع II والتشوف ع 69 وجنوة الاقتباس ص 289 وسلوة الأنفاس 2 : 183 .

المسلمين من الافرنج أن يفجؤوهم .

وفيهما هزم سانشو خيمينو (أبو بردعة النصراني) وقتل وجميع جيشه على يد الموحدين .

وفى سنة احدا وسبعين وخمسمئة كان الطاعون الشديد بمراكش وأحوازا ، وكان الناس يموتون فيه من غير مرض ، فكان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه فى براءة ويجعلها فى جيبه ، فان مات حمل الى موضعه وأهله ، وانتهى عدد الأموات بمراكش الى ألف وسبعمئة رجل .

وفيهما كان الغلاء العظيم بالمغرب .

وفى سنة اثنتين وسبعين توفي الفقيه القاضي أبو يوسف حجاج .

وفيهما عتب أمير المؤمنين على أخيه الحسن فكتب اليه الحسن بهاذه

الآبيات :

إذا نحن اذنينا فغفوك نطلب	وإن نحن قصرنا فما عنك مهرب
حنائك قد عودتنا منك رحمة	وأنت لنا فى كل حالنا الأب
ولم ذنعود قبل حالة ذلة	ولا حذرا مما يقول المحصب

فلما وقف على الآبيات رضى عنه وولاه قرطبة .

وفى شوال منها توفي قطب دهره ، وأعجوبة عصره ، أبو يعزى يلنور بن ميمون بن عبد الله اليزميري (١٦٢) وقيل هو من بنى صبيح من هسكورة ، مات وقد نيف على المئة وثلاثين سنة ، أقام منها عشرين سنة سائحا فى الجبال المشرفة على تينمل ، ثم ارتحل الى السواحل فأقام بها منتظما ثمانى عشرة سنة لايتعيش الا من نبات الأرض ، وكان أسود كبدي اللون طويلا رقيقا يلبس برنسا مرقعا وشاشية عزف على رأسه .

وفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة توفي الشيخ الفقيه العالم المشاور

١٦٢ ينظر عن الشيخ أبى يعزى كتاب العزى ، فى مناقب الشيخ أبى يعزى لأحمد الصومى الهارونى ، والتشوف ع ٧٧ .

عبد الله ابن الملقى شيخ طلبة الحضرة في وقته ، وكانت وفاته في ذي الحجة منها ، وشهد جنازته أمير المؤمنين يوسف .
وفي سنة ثمان وسبعين توفي الشيخ الفقيه القاضي الصالح الورع عيسا بن عمران قاضي الجماعة بمدينة مراکش ، وولي مكانه أحمد ابن مضا القرطبي ، وكان القاضي عيسا أحد الأجيال من أهل السخاء والكرم ، وله نكت رائقة ، كتب إلى ولد له بمدينة فاس قد راحق الحلم : إلى ولدي فلان هداية الله وصانه ، وجمله بالعلم والتقوى وزانه ، كتبتك اليكم عن اشتياق كثير ، وبمشيئة الله تعالى تفسر الأمور ، ويتكاثف السرور ، وإذا وجدتكم على ما أحبه من أدوات الحفظ والأداء ، والنظام الأدب العقلاء ، جازيتكم بما يرضيكم ، وبما يزيد على أقصا تمنيتكم ، وقد أجمعت الأمة على أن الراحة ، لاتنال بالراحة ، وأن العلم ، لاينال براحة الجسم ، فادرس ترؤس ، واحفظ تحفظ ، وأقرأ ترقا ، ومهما ركنت إلى الدعة ، كنت في أهل الضعة ، وما رأيت الناس مجتمعين على حمده فاجتنبه ، وما رأيتهم مجتمعين على ذمه فاجتنبه ، والأعدل الاعتدال : أن تسلك السبيل الأوسط .

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل
وفي هذه السنة فتح المسلمون مدينة شنتفيلة ومدينة اقلج وقتل من بهما من الروم وسببت نسايتهم وأموالهم .
وفيها توفي الشيخ أبو خزر يخلف بن خزر الأوربي (١٦٣) من أهل مدينة فاس ، وكان أحد الفضلاء والعلماء الحفاظ الموصوفين بالورع والتواضع واجابة الدعاء .
وفي سنة ثمانين وخمس مئة توفي أمير المؤمنين يوسف وولي ولده

(١٦٣) هو غير أبي خزر يخلف بن خزر الأوربي المتقدم في ص 225 ، هذا يجعل المؤلف وفاته سنة 578 والأخير عقد له يعقوب المنصور على المطوعة في معركة الأراك التي وقعت سنة 59١ هـ وأميل إلى الاعتقاد أن الشخصين شخص واحد ، وأن ابن أبي زرع حصل له غلط بشأن وفاته مثلما حصل له ذلك في وفيات غيره ووقع في الغلط جميع من نقلوا عنه ، ينظر عن أبي خزر يخلف الأوربي التشوف ع 55 وسلوة الأنفاس 2 : 49 ونيل الابتهاج ص 394 .

• يعقوب المنصور •

وفيهما دخل علي ابن غانية المعروف بالميورقي مدينة بجاية ، وذلك يوم الجمعة السادس من شعبان منها (١٣ نونبر سنة ١١٨٤ م) والناس فى الصلاة ، وكانت أبواب المدن قبل ذلك لاتسد يوم الجمعة ، فارتقب الناس حتى أحرموا للجمعة ، فدخل عليهم المدينة وقصد الجامع الكبير ، فأدار به الخيل والرجال ، فمن بايعه خلا سبيله ، ومن توقف عن بيعته قتل فأقام بها سبعة أشهر ثم استرجعت من يده ، ومن ذلك اليوم أحدث الناس سد أبواب المدن يوم الجمعة فى وقت الصلاة •

وفيهما توفي الشيخ الصالح المتقشف أبو عبد الله التاودي المعلم لكتاب الله العزيز بمدينة فاس ودفن بخارج باب الكيسة •

وفى سنة خمس وثمانين جلب المنصور الماء الى مراكش •

وفى سنة ست وثمانين وخمسمئة دخل النصارا مدينة شلب وباجة ويابورة من بلاد غرب الأندلس •

وفى سنة سبع وثمانين فتح المسلمون قصر أبى دانس •

وفى سنة احدا وتسعين هزم النصارا فى غزاة الاراك وقتل منهم ألوف كثيرة •

وفى سنة ثلاث وتسعين بني رباط الفتح وتم سورره وركبت أبوابه ، وفيها بني جامع حسان ومنازه ، وفيها بني منار جامع اشبيلية ومنار جامع الكتبيين من مراكش •

وفيهما تمت قصبة مراكش وجامعها بالبناء ، وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه العالم أبو عبد الله بن معطى •

وفى سنة أربع وتسعين وخمسمئة (١٦٤) توفي الشيخ الصالح قطب زمانه

١٦٤) جعل المؤلف وفاة أبى مدين شعيب بن الحسين الأنصارى الاشبيلي التلمسانى سنة 584 وانصواب أنها كانت بعد ذلك بعشرة أعوام ، وقد نقلت الفقرة من مكانها الاصل الى مكانها الجديد الذى يقتضيه التسلسل التاريخى وتجدر الإشارة الى أن ابن أبى زرع أضاف فى آخر

أبو مدين شعيب ابن الحسين الأنصاري ، وأصله من قطنيانة من عمل
اشبيلية ، توفي بتمسان ودفن بجبل العباد ، وكان مقامه التوكل ، سمع
(رعاية الحاسبى) على علي ابن حرزم ، وسمع كتاب السنن لأبى عيسى
الترمذى على علي ابن غالب ، وأخذ التصوف عن أبى عبد الله الدقاق ،
والآخر ما سمع من كلامه عند الموت : الله تعالا الحي القيوم الدائم .

وفى سنة خمس وتسعين وخمسمئة توفي المنصور وولي بعده الناصر
وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه العالم محمد بن ابراهيم المهدي
صاحب كتاب الهداية ، نزل فاسا وبها توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين
لجمادى الأولى من السنة المذكورة ، كان من أهل الفضل والعلم والعمل
والزهد فى الدنيا ، دخل مدينة فاس بأربعين ألف دينار أنفقها كلها فى
سبيل الخير حتى لم يبق له الا دار سكناه ، فباعها وأمتعته المشتري فيها
الى أن مات ، أقام بجامع القرويين مستقبل القبلة نحو الأربعين سنة لم
تفته صلاة فى جماعة يوما واحدا ، وأصابته أهل مدينة فاس مجاعة كان
عنده فيها الف وسقى من قمح قباعه كله من أهل الضعف بوثائق وأخرهم
بالثمن الى أجل ، فلما حل الأجل استدعاهم فحضرُوا فى منزله فحل
الوثنائق فى الماء وقال لهم أنتم من ذاك فى حل ، فانى ما بيعت الا من
الله تعالا .

وفيها توفي الشيخ الفقيه محمد بن علي بن عبد الكريم الفدلاوي
المعروف بابن الكتانى (١٦٥) من أهل مدينة فاس ، كانت وفاته فى العشر الأوسط
من ذي الحجة منها ودفن بخارج باب الجيسية من أبواب مدينة فاس ،
وشهد أمير المؤمنين جنازته ، وكان رحمه الله من أئمة المغرب فى العلم .

الفقرة قوله (وقيل انه توفي فى سنة 596) وهو أيضا قول غير صحيح ، لأن الذى استدعا أبنا
مدين من بجاية الى مراکش هو الخليفة يعقوب المنصور لا ولده محمد الناصر ، وقد كانت وفاة
يعقوب المنصور سنة 595 هـ .

ينظر عن أبى مدين كتاب أنس الفقير وعز الحقيق لأحمد ابن قنفذ القسنطيني .
١65 صاحب كتاب المستفاد ، ينظر عنه المشوف ع ١69 وجودة الاقتباس ص ١37
وسلوة الأنفاس 3 : ١73

مقدما فى فنونه ، زاهدا فى الدنيا معرضا عنها مقبلا على الآخرة ، لزم
العبادة والصوم والمجاهدة حتى لم يبق منه الا رسمه ، وهو القائل :

وما أبقا الهوا والشوق منى سوى نفس تردد فى خيال
خفيت عن المنية أن قرانى كان الروح منى فى محال

وفى سنة ثمان وتسعين وخمسة توفى الشيخ الفقيه الصالح الورع
امام القرويين أبو محمد يسكر الجوراني الغفجومي (١٦٦) وذلك فى ضا
يوم السبت الحادي عشر لذي قعدة من العام المذكور ، نشأ بتادلة واستوطن
مدينة فاس ، وبها توفي ، تفقه على أبي خزر ، وسمع أبا الربيع التلمساني
وصحب علي ابن حرزهم وأبا يعزا ، وكان ورعا فاضلا اذا دخل عليه
شهر رمضان طوا فراشه ، وأخذ فى الاجتهاد ، فيقطع الليل قائما يختم
القرآن فى تسليمة واحدة ، وقد قيل له ذات ليلة لو رحت نفسك قليلا
وأعطيتها حظها من النوم لكان أوفق لك ، فقال انما أطلب راحتها ثم انشد:

لا تجعل رمضان شهر فكاكه تلهيك فيه من الحديث فنونه
واعلم بأنك لن تنال ثوابه حتى تكون تصومه وتقومه

وفى سنة ستمئة كمل سور مدينة فاس بالبناء والتجديد ، وتم باب
الشريعة وركب مصراعه .

وفى هاذه السنة قام العبيدي بجمال ورغة فظفر به وقتل وعلق رأسه
على باب الشريعة من مدينة فاس وأحرق جسده فى وسط الباب ، وذلك
فى اليوم التي تم باب الشريعة المذكور بالبناء وركب مصراعه فسمي
باب المحروق .

وفى سنة احدا وستمئة بنا يعيش عامل الناصر على الريف سور
مدينة بادس وسور المزمة وسور مليلية حياطة على ذلك من فجأة العدو .
وفى سنة اثنتين وستمئة ولي الحفصيون عمالة أفريقية .

وفي سنة أربع وستمئة جدد سور مدينة وجدة .
وفيها أمر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بازاء جامع الأندلس
بقاس ، وجلب إليها ماء العين من خارج باب الحديد ، وفيها بني الباب
الكبير المدرج الذي بصحن الجامع المذكور وأنفق في ذلك كله من بيت المال
وفيها بني مصلا عدوة القرويين .

وفي سنة ثمان وستمئة توفي الشيخ الصالح أبو عبد الله بن جرير
المعروف بابن تاحميسنت من أهل قاس ، مات بها ليلة الثلاثاء السادس
والعشرين لذي حجة من العام المذكور ، ودفن بخارج باب الجيسة ، وكان
كثير الورع شديد الانقباض عن الناس ، وكان له خط حسن ، وكان ينسخ
المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلا لها ابتغاء الثواب ، لم يزل مولعا
بطلب العلم ودرسه وتحصيله الى أن مات وهو القائل :

أخو العلم حي ذكره بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرا يظن من الأحياء وهو عديم

وفي سنة تسع وستمئة كانت هزيمة المسلمين بالعقاب فني بها
جميع عساكر المغرب والأندلس .

وفي سنة عشر وستمئة قام ولد العبيدي المحرق بقاس بجمال غمارة
وادعا انه الفاطمي ، وبنايعه خلق كثير من أهل الجبال والبوادي ، فبعث
اليه الناصر جيشا فظفر به فقتل .

وفيها توفي أمير المومنين الناصر وولي ولده يوسف .
وفيها أقبل بنو مرين من قبلة زاب افريقية فدخلوا المغرب في أمم
كثيرة .

وفيها كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس .
وفيها ملك النصارا مدينة أليزة .

وفي سنة ثلاث عشرة وستمئة هزم بنو مرين جيش الموحدين بفحص
وادي نكور فدخل الموحدون مدينة قاس عرايا قد تستروا بالمشغلة فسمي

عام المشغلة •

وفى سنة أربع عشرة وستمئة هزم المسلمون بقصر أبى دانس ،
وقتل منهم العدو أمما لاتحصا •

وفى سنة خمس عشرة وستمئة دخل القونسو الثاني ملك البرتغال
قصر أبى دانس بالسيف وقتل من به من المسلمين •

وفى سنة سبع عشرة كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد •
وفيهما بني برج الذهب بوادي اشبيلية •

وفى سنة ثمان عشرة وستمئة جدد سور اشبيلية وبني الحرم
البراني وجعل الحفير دائرا بالحرم •

وفى يوم الخميس الخامس عشر من ذي حجة من سنة تسع عشرة
وستمئة فتح الموحدون جزيرة ميورقة •

وفى سنة عشرين وستمئة توفي يوسف المنتصر •

وفى سنة احدا وعشرين وستمئة بويع عبد الله بن يعقوب المنصور
الملقب بالعاذل بمرسية •

وفيهما قتل الأمير عبد الواحد المخلوع •

وفى سنة اثنتين وعشرين قام السيد عبد الله بن محمد بن يوسف
ابن عبد المؤمن البياسى ببياسة ودعا لنفسه ، وفيها أعطا البياسى بياسة
وقيجاطة للنصارا • وفيها تغلب العدو على مدينة قرمونه من نظر مرسية
وقتل جميع من فيها وأسر النساء والذرية ، وفيها أعطا البياسى للأفونسو
حصن أندوجر ومرترس ومدسس وحصن التراب ونحو العشرين حصنا
ومن البروج مالا يوصف •

وفيهما ملك الفونسو مدينة مربالة ودخل تطيلة بالسيف وقتل بها
خلق كثير من المسلمين •

وفيهما قتل من أهل اشبيلية نحو العشرة آلاف قتلهم العدو وكانوا
خرجوا لاعانة تطيلة •

وفيها قتل من أهل مرسية نحو العشرة آلاف كانوا أيضا خرجوا
لإعانة حصن دلالية فهزمهم العدو فقتلوا وقتل في هاتين الكائنتين من أهل
المدينتين اشبيلية ومرسية ألوف لاتحصا حتى خلت المساجد والأسواق .
وفي سنة ثلاث وعشرين وستمئة تغلب العدو على مدينة لوشة من
بلاد غرب الأندلس وفيها أعطا البياسى للنصارا حصن شلبطرة وبالأمس
بذل الناصر في أخذه الأموال الجلية حتى ملكه المسلمون .

وفيها قتل البياسى بحصن المدور قتله ابن يبورق وحمل رأسه الى
اشبيلية .

وفيها أخذ النصارا مدينة كباله .
وفيها تقاتل عرب الخلط مع الموحدين بالعدوة فهزمهم الخلط .
وفي سنة أربع وعشرين وستمئة اشتد الغلاء بالمغرب والأندلس
فبيع قفيز القمح بخمسة عشر دينار .

وفيها كان الجراد المنتشر بالمغرب .
وفيها بايع أهل اشبيلية السيد ادريس بن يعقوب المنصور .
وفيها ملك النصارا جزيرة ميورقة .
وفيها توفي عبد الله العادل .

وفيها بويع يحيى بن محمد الناصر وبويع المامون .
وفي سنة خمس وعشرين وستمئة قام ابن هود الملقب بالمتوكل بحصن
أوريوالة من بلاد شرق الأندلس وبايعه أهل مرسية على الخلافة العباسية
وفي سنة ست وعشرين وستمئة كان السيل العظيم بمدينة فاس
هدم من سورها القبلى مسافتين ، وهدم من جامع الأندلس ثلاث بلاطات
وديارا كثيرة وفنادق من عدوة الأندلس

وفيها ملك ابن هود شاطبة ودانية .
وفيها ملك النصارا حصن جبل العيون من ثغر بفلسية .
وفيها قتل القاضى القسطلبي بمرسية قتله ابن هود .

- وفيها ملك ابن هود جيان
- وفى ذى القعدة منها بايع أهل قرطبة لابن هود وأخرجوا منها
الموحدين وقتلوه •
- وفيها تسما ابن هود بأمر المؤمنين
- وفيها جاز المأمون إلى العدو
- وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين لصفر الموافق آخر يوم من
دجنبر كان الحدث الأعظم على ميورقة أعادها الله تعالى للإسلام •
- وفى سنة ثمان وعشرين وستمئة كانت هزيمة ماردة على المسلمين
- وفيها دخل العدو ماردة بالسيف
- وفى شعبان منها ملك العدو مدينة بطليوس وأحوازها
- وفى رجب منها ملك ابن هود جبل الفتح والجزيرة الخضراء ولم
يبق للموحدين بالأندلس أمر ولا نهي •
- وفى سنة تسع وعشرين وستمئة قام السيد أبو موسى على أخيه
المأمون بسببة •
- وفيها قام محمد بن يوسف بن نصر الشهرير بابن الأحمر ودعا
الناس إلى بيعته فبايعه أهل أرجونة وتسما بأمر المسلمين ، وفيها ملك
العدو مدينة مروالة من عمل سرقسطة •
- وفى سنة ثلاثين وستمئة توفي المأمون وولي بعد الرشيد
- وفيها ملك ابن هود سببة فأقامت على ملكه ثلاثة أشهر فخلعوه
وباعوا أحمد البياسى وتسما بالموفق •
- وفيها رجعت قرطبة وقرمونه لمحمد بن يوسف ابن نصر
- وفيها بويغ القاضي الباجى باشبيلية
- وفيها عقد ابن هود الصلح مع العدو لاشتغاله بقتال ابن الأحمر
والباجى فصالحه بألف دينار فى كل يوم •

وفيهما خلت بلاد المغرب وكثر فيها الجوع والوباء ، وصل فيها وسق القمح ثلاثين دينارا .

وفى سنة واحد وثلاثين وستمئة وقعت المقاتلة بين ابن الأحمر وابن هود والباجى على مقربة من اشبيلية فهزماء .

وفيهما قتل ابن الأحمر الباجى بعد الهزيمة غدرا ودخل اشبيلية فأقام بها شهرا وأخرجه أهلها .

وفى جمادى الآخرة منها ثار شعيب ابن محفوظ بن محمد بابلة وتسم بالمعتصم .

وفى شوال منها صالح ابن نصر ابن هود وبايعه على جيان وأرجونة وبركونه .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وستمئة نازل العدو جزيرة يابسة خمسة أشهر حتى دخلها .

وفيهما نزل الجنوبيون سبتة بأجفان لاحتضا ، ونصبوا عليها المنجنقات فلم يقدروا منها على شيء .

وفى سنة ثلاث وثلاثين أقلق أهل جنوة عن مدينة سبتة بعد الحصار الشديد والتضييق العظيم ونصب المجانيق والآلات الحرب المعدة قवालهم أهلها بأربعمئة ألف دينار .

وفيهما غدر النصارا شرقية قرطبة وذلك فى ثالث شوال عشاء فى غفلة السمار وسلم الله عز وجل النساء والذاري حتى لحقوا بالغربية ، وبقي الناس معهم فى قتال عظيم ، ولم تزل الغربية محصورة الى أن أخذت وملكها النصارا أجمع .

وفيهما انعقد الصلح بين ملك قشتيلة وابن هود لأربعة أعوام بأربعمئة ألف دينار فى السنة .

وفيهما قتل أمير المومنين أشياخ الخلط .

وفى سنة خمس وثلاثين بايع أهل أشبيلية الرشيد وبايعه أهل سبتة

وفيهما اشتد الغلاء والوباء بالعدوة فأكل الناس بعضهم بعضا وكان
يدفن في الحفرة الواحدة المئة من الناس .

وفي سنة أربعين وستمئة توفي الرشيد وولي أخوه السعيد .
وفي سنة ثلاث وأربعين وستمئة ملك الأمير أبو بكر المريني مدينة
مكناسة .

وفي سنة اثنتين وأربعين ملك النصارا مدينة بلنسية .
وفي سنة أربع وأربعين ملك النصارا مدينة جيان .
وفي سنة ست وأربعين توفي أبو الحسن علي السعيد .
وفي هاذي السنة ملك العدو مدينة اشبيلية .
وفيهما ملك الأمير أبوبكر المريني مدينة فاس ورباط تازة .
وفي هاذي السنة وقع الحريق بأسواق فاس احترقت أسواق بساب
السلسلة بأسرها الى حمام الرحبة .
وفيهما ولي المرتضا بمراكش .

وفي سنة ثلاث وخمسين كانت هزيمة عمر المرتضا ببني بهلول من
أحواز فاس .

وفي سنة خمس وستين قتل المرتضا بمراكش وولي أبو دبوس .
وفي سنة سبع وستين وستمئة قتل أبو دبوس وهزم جيشه ، وملك
أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق مدينة مراكش وأحوازها فدخلها في
يوم الأحد التاسع من محرم سنة ثمانية وستين وستمئة .

الخبر عن الدولة السعيدة المرينية العبد الحقية

أطالها الله وخلد ملكها وأعلا كلمتها وأيدها ، وذكر نسبها الصريح ، وقيامها
بالحق والاعتقاد الصحيح ، وأخبار ملوكهم وفتوحاتهم وغزواتهم وسيرهم
الجميلة ومآثرهم

قال المؤلف عفا الله عنه :

أما بنو مرين فهم أعلا قبائل زناتة حسبا ، وأشرفها نسبا ، وأغزرها
كرما ، وأحسنها شيما ، وأرعاهما تماما ، وأرجحها أخلاما ، وأشدّها في
الحروب بأسا وأقداما ، وأكثرها ديناً ، وأحسنها ظناً وأصلحها يقيناً ،
وأوثقها عقداً ، وأوفاهما عهداً ، وأوفرها عدداً ، وأطولها في الشدائد يداً ،
لهم شرف النجار ، وحفظ الجواد ، وحماية الذمار ، ووقود النار ، وإكرام
الضيف والضرب بالسيف ، والبعد عن الغدر والعار والحييف ، والأدب
والدين ، وإكرام العلماء وتوقير الصالحين ، لم يزلوا على هذا السنن
القويم ، والمنهج المستقيم ، يعرفون به قى الحديث والقديم ، أبقاهم الله
تعالاً متصلة أيامهم ، منصوراً أعلامهم ، نافذة أحكامهم ، ماضية قى
الأعداء سيوفهم وأقلامهم ، بمنه وكرمه .

الخبر عن نسبهم الصريح وحسبهم العالی الصحيح

قال المؤلف عفا الله عنه :

نقلت من تقييد الفقيه أبى علي الملياني بخط يده قال :

«بنو مرين فخذ من زناتة ، وهم من ولد مرين ، بن ورتاجن ، بن
ماخوخ ، بن وجديج ، بن قاتن ، بن يدر ، بن عبد الله ، بن ورتيب ،
ابن المعز ، بن إبراهيم ، بن سجيح ، بن واسين ، بن يصلتين ، بن

مشرى ، ابن زاكيا ، بن ورسيك ، بن زنات ، بن جانا ، بن يحيى ، ابن تمزيت ، بن ضريس ، وهو جالوت الأول ملك البربر ، ابن زجيح ، بن مادغيس الأبتى ، ابن بر ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر ، بن نزار ، ابن معد ، بن عدنان .

فمن زنات بن جانا تفرقت قبائل زناتة ، فهم عرب صريحون ، والسبب فى تغير لسانهم عن العربية الى اللغة البربرية ما ذكره علماء التاريخ وأهل المعرفة بالأنساب وأيام الناس أن مضر بن نزار كان له ولدان : الياس وعيلان ، أمهما الرباب بنت جندة بن عمرو بن معد بن عدنان ، فولد عيلان بن مضر ولدين : قيس ، ودهمان ، ابني عيلان ، فأما دهمان فولده قليل ، وهو بيت فى قيس يقال لهم بنوا أمامة ، وأما قيس بن عيلان فولد أربعة رجال وجارية وهم سعد ، وعمر ، وخصفة ، أهمهم مدنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، وبر وأخته تماضر أمهما يريغ بنت مجدلى بن مجدول بن عمار بن مضر البربرى المجدولى ، وكانت قبائل البربر اذ ذاك يسكنون الشام ويجاورون العرب فى المساكن والأسواق والمراعى ، ويشاركونهم فى المياه والمسارح والمساعى ، ويصاهر بعضهم بعضا ، وكانت البهلاء بنت دهمان بن عيلان بن مضر من أجمل نساء زمانها وأكملهم ظرفا وحسنا ، فكثرت خطاياها من كل قبيلة من العرب ، فقال بنو عمها قيس وهم عمرو وسعد وبر وخصفة لايتزوج ابنة عمنا الا أحدنا ، ولا تخرج منا الى غيرنا ، فخيروها فيمن شاءت منهم فاختارت برا ، وكان أصغرهم سنا وأكملهم شبابا ، فتزوجته دون أخوته ، فحسدوه عليها وهموا بقتله من أجلها ، وكانت أمه يريغ من دهاة النساء ، فخافت على ولدها من أخوته ، فبعثت الى البهلاء بنت دهمان وأعلمتها الخبر وتواطأت معها على الخروج الى بلد أخوتها من البربر مع ولدها بر حيث تأمن عليه ، ثم بعثت الى قومها فأتوها سرا ، فسارت معهم هي ولدها والبهلاء بنت دهمان ، فلحقوا ببلاد البربر ، فنزل بر بين أخواله ، وأعرس بابنة عمه البهلاء ، واعتز وامتنع ممن أراده بسوء ، فولدت له هنالك ولدين علوان ومادغيس ابني بر بن قيس بن عيلان ، فأما علوان فمات

صغيرا . ولم يعقب ، وأما مادغيس فكان يلقب بالأبتر ، وهو أبو البتر من
البربر ، واليه يرفعون أنسابهم ، ومن ولده جميع زناة .

وفى ذلك يقول بعض ولد مادغيس بن بر :

أيها السائل عن أحسابنا قيس عيلان بنى العن الأول
نحن مانحن بنو بر النندا طارد الأزيمة نحار الإبل

ولبعض الشعراء من العرب رحمه الله فى معناه :

إلا أيها الساعى لفرقة بيننا توخ هداك الله سبل الأطايب
فأقسم أنا والبرابر أخوة نمانا وهم جد كبير المناسيب
أبونا أبوهم قيس عيلان فى الذرا وفى حومة يشقى غليل المحارب
فنحن وهم ركن منيع وأخوة على رغم أعداء لنأام المناقب

فمات بر بن قيس فى بلاد أخواله فنشأ ولده مادغيس وذريته فى
البربر حتى كثروا وصاروا الوفا لاتعد ولا تحصى ، لسانهم بلغتهم ناطق
وحالهم لحالهم موافق مطابق ، يسكنون البرارى والسياسب ، ويركبون
الخيول والنجائب ، ناطقين بأفصح كلامهم ، الأخدين بأحسن سيرهم
وما هجهم ، وبذلك رثت برا أخته تماضر بنت قيس تيكيه ، وتذكر بعده
عن وطنه وقرباته وذويه ، فى أشعار كثيرة منها :

لتبكى كل باكية أخاها كما أبكى على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته فأضحا ودون لقائه انضاء عيس

وهي القائلة أيضا :

وشطت ببر داره عن بلادنا وطوح بر نفسه حيث يمما
وأزرت ببر لكنة أعجمية وماكان بر بالحجاز بأعجا

وفى ذلك يقول صاحب أرجوزة (نظم السلوك ، فى الأنبياء والخلفاء
والملوك) عبد العزيز الملوزي :

فجاورت زناة البرابرا فصيروا كلامهم كما ترا
مايدل الدهر سوى أقوالهم ولم يبدل منتها أحوالهم

بل فعلهم اربا على فعل العرب
فانظر كلام العرب قد تبديلا
لا يعرفون اليوم ما الكلام
وان تمادت بهم الأحوال
كذلك كانت قبلهم مرين
فاتخذوا سواهم خليلا
فى الحال والايتار ثم فى الأدب
وحالهم عن حاله تحولا
ومسألهم نطق ولا افهام
لم تبق فى الدهر لهم أقوال
كلامهم كالدر اذ يبين
فبدلوا كلامهم تبديلا

الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السنى المعجب

لما أراد الله اظهار الدولة السعيدة المرينية المباركة العبد الحقية
ونسخ الدولة الموحدية المومنية لما سبق فى قدره وعلمه ، من مبرم حكمه ،
كان من تقدم من ملوك الموحدين أولى حزم ورأى ودين ، الى ان كانت
وقعة العقاب ، فأذنت دولتهم بالذهاب ، فرجع الناصر منها ذا انكسار ،
فدخل لمراكش ولم يزل أمره فى اديار ، الى أن مات فى سنة عشر وستمئة
مفجوعا ، وولي ولده المنتصر صبيا صغيرا هلوعا ، لم يبلغ الحلم ولا
جرب الأمور ، فاعتكف على اللهو واللعب والخمر ، وسلم الملك الى أعمامه
وقرأته ، وفوض أموره الى وزرائه وأشياخ دولته ، فتحاسدوا فيما بينهم
على الرياسة ، وناقض بعضهم بعضا تكبرا ونفاسة ، وأدرك رؤسائهم
الاعجاب ، فأضاعوا الأمور وأغلظوا الحجاب ، وقطعوا الأرحام ،
وجاروا فى الأحكام ، وولوا أمورهم سفلتهم ، وتحكم عليهم
أشرارهم ، فبدا الفساد فى ملكهم ، وظهر النقص فى دينهم وبلادهم ،
ولت أيامهم ، وأدبرت سعودهم ، فجعل الله بأسهم بينهم ، وبعث لفنائهم
عصبة مرين ، وأيدهم عليهم فأصبحوا ظاهرين ، ومكن لهم فى الأرض
وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

وكان بنو مرين أهل تصميم وصحة يقين ، يسكنون بلاد القبلة من
زاب أفريقية الى سجلماسة ، وينتقلون فى تلك البراري والقفار ، ولا

يؤدون لأمر درهم ولا دينار ، ولا يدخلون تحت حكم سلطان ، ولا يرضون
بذل ولا هوان ، لهم همة عالية ، ونفوس سامية ، لا يعرفون الخبز ولا
التجارة ، ولا يشتغلون بغير الصيد وطراد الخيل والغارة ، جل أموالهم
الخيول والأبل والخول ، وطعامهم اللحم والتمر واللبن والعسل ، وكانت
طائفة منهم يدخلون بلاد المغرب في زمن الصيف يكتالون ميرتهم ويرعون
أنعامهم ، فإذا توسط الخريف اجتمعوا ببلاد كرسيف ، ثم شدوا رحالهم
وانصرفوا إلى بلادهم ، كان ذلك دأبهم على مر الزمان ، وتعاقب
الأحياء .

فلما كان في عام عشرة وستمئة أتوا على دعائهم من البرية ،
فوجدوا المغرب قد باد أهل ورجاله ، وفني خيله وحماته وأبطاله ، ومات
الكل بغزاة العقاب ، واستولوا على بلادهم الخراب ، وعمرته السباع
والذباب ، فأقاموا بمكانهم ، وبعثوا إلى أخوانهم وأخبروهم بحال البلاد
وخصبها وطيب مزارعها وسعة مراعيها وكثرة مياهها ومشارعها والتفاف
أشجارها ، وغزير ثمارها ، وأطراد عيونها وأنهارها ، وقالوا لهم أسرعوا
إليها ، فليس بها من يصدكم عنها ولا من ينافيكم فيها ، فوصل الخبر إلى
مريـن ، فبادروا إلى المغرب مقبلين ، وعلى الله عز وجل في أمورهم متوكلين ،
يقطعون المهامة والسباسب ، على ظهور الخيل والنجايب ، يرومون الدنو
والبلاغ ، حتى وصلوا إلى وادي تلاغ (١٦٧) فدخلوا المغرب من ذلك
الباب ، بالخيول والأبل والمراكب والقبايب ، في جيش كالسيل أو الليل
المقمر ، وأمم كالنمل أو الجراد المنتشر ، وذلك لأمر قد قدر ، وليظهر
ماكان في الغيب مجهولا ، وليقضي الله أمرا كان مفعولا ، لا إله غيره .

قدمت مريـن إلى بلاد المغرب والسعد يصحبها بنيل المطلب
في عام عشرة كان بدء دخولهم من بعد ست مئتين فاحفظ واكتب

وقال عبد العزيز الملوذي في رجزه :

(١67) وادي وسهل ملاصق لنهر ملوية من جهة الشرق غير بعيد عن كرسيف ، والمغرب
الأوسط ، جنوبى مدينة سيدي بلعباس ، مدينة وسهل يدعا كلاهما أيضاً بتلاغ ، والأول هو المقصود .

فى عام عشرة وست ميه اتوا الى الغرب من البريسة
جاءوا من الصحراء والسباسب على ظهور الخيل والنجايب
كمثل ما قد دخل الملائمون من قبل ذا وهم له ميممون

وكان ملوك الموحيدين فى تلك السنين قد تهاونوا فى الأمور ،
واشتغلوا باللهو والخمور ، وركنوا الى الغيد فى القصور ، فأذا ذالك
بهم الى القصور ، فدخلت مرين المغرب ، والقدر يسوقهم للمكه ، ويقرب
وانتشروا فى بلاده كالجراد ، وملأت عساكرهم النجود والوهاد ، فلم
يزالوا ينتقلون فى بلاده ، ويسيرون فى نجوده ووهاده ، ويقطعونه مرحلة
مرحلة ، حنى أبادوا الجيش عام المشغلة ، وهو عام ثلاثة عشر وستمئة .

قال المؤلف عفا الله عنه :

حدثنى من أثق به من أهل التاريخ (١٦٨) أنه لما دخلت مرين المغرب تفرقت
قبائلها فى أنحاءه ، وشنوا الغارات على بلاده وأرجائه ، فمن أذعن لهم
بالطاعة سالموه ، ومن بدأهم بالحرب قاتلوه وقصموه ، فقر الناس أمامهم
يميننا وشمالا ، ولحقوا بالجبال المنيعة لتكون لهم حصنا ومآلا ،
فاتصل خبرهم ببيوسف المنتصر ، فأطرق يفكر فى أمرهم ويدير ، ثم دعا
الوزراء وأشياخ الموحيدين ، وشاورهم فى أمر بنى مرين ، فقالوا يا أمير
المومنين لا تهتم بأمرهم ، ولا تشغل خاطرك بهم ، فهم أضعف ناصرا . وأقل
عددا ، لكننا لانتركهم سدا أبدا ، بل نبعث لهم جيشا من الموحيدين ،
يبيدهم فى الحين ، يقتل رجالهم ، وينهب أموالهم ، ويسبى نساءهم ،
ويشرد بهم من خلفهم ، ويطفيء بهم جمرة من سواهم ، فبعث اليهم
بجيش من عشرة آلاف من الموحيدين ، وقدم عليهم أبا علي بن وانودين ،
وأمرهم باستئصال مرين ، وقال اقتلوا الوالد والولد ، ولا تبقوا منهم على
أحد ، فارتحل الجيش عن مراكش ، قاصدا للحرب والتناوش ، فسمعت
مرين باقبالهم ، فتأهبت لحربهم ونزالهم ، وتتابعت قبائلها ، وتشاورو

رؤسائها وأقباليها ، فاجتمعت كلمتهم واتفق رأيهم وقولهم أن يجعلوا بلقعة تازوطة حريمهم وأموالهم ، ثم أقبلوا مستعدين ، لقتال جيش الموحدين ، فالتقا الجمعان بمقربة من وادي نكور ، فكان بينهم حرب عظيم مذكور ، منح الله فيه بني مرين النصر على الموحدين ، فهزموهم وقتلهم قتلا ذريعا ، وفر من أفلت منهم خائفا قزوعا ، واحتوت مرين على جميع ماكان فى محلثهم من الأثاث والمال ، والعدد والخيال والبالغ ، فقويت مرين بذلك قوة عظيمة ، وشكروا الله تعالا على ماخولهم من نعمه الجسيمة ، وهابهم جميع من بالمغرب من الناس ، ودخل جل جيش الموحدين الى رباط تازة ومدينة فاس عراة حفاة منهزمين ، وبالمشغلة محترمين ، وبأوراقها مستترين ، قد علاهم الغبار ، واعتورهم الاديبار ، وبدت عليهم الذلة والصغار ، دموعهم مرسله ، وقلوبهم بالحزن مشعلة ، فسمي العام عام المشغلة ، وفيه قوي أمر بني مرين ، وضعف ملك الموحدين فخلت بلادهم ، وقل خراجهم ، وفني أشراقهم ، وقتل حماثهم وأنصارهم ، وجعل الله بأسهم بينهم ، فكان أشياخهم يبايعون سلطانا ثم يخلعوناه ، ويولون غيره ثم يقتلونه ، وينهبون ذخائره وأمواله ، ويقتسمون خوله وعياله ، فجعلوا عبد الواحد ثم قتلوه ، وبايعوا بعده العادل ثم دخلوا عليه فخنقوه ، وبعثوا الى المامون بيعتهم ثم نكثوا ، وبايعوا ابن أخيه يحيا فى الحين وما تلبثوا ، فضعف ملكهم بذلك ، وظهر أمر بني مرين واعتد وقوي .

الخبر عن دولة الامير المبارك عبد الحق بن محيو

ابن أبى بكر بن حماسة

هو الأمير أبو محمد عبد الحق ، ابن الأمير أبى خالد محيو ، بن أبى بكر ، بن حماسة الزناتى المزينى ثم الحماسى ، أمير ابن أمير الى مرين ابن ورتاج ابن ماخوخ ، شهد والده محيو بن أبى بكر غزاة الأراك مع

أمير المؤمنين يعقوب المنصور متطوعا ، فعقد له فى ذلك اليوم على جميع من فى عسكره من زنانة ، وأبلا فى تلك الغزاة بلاء حسنا ، وتوفي رحمه الله فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ببلاده من قبلة زاب أفريقية بعد انصرافه من غزاة الأراك المذكورة من جراحات نالته فى تلك الغزاة فانتقضت عليه فمات شهيدا ، فقام بأمر بنى مرين بعده ولده الأمير عبد الحق ، وكان فى بنى مرين مشهورا بالتقا والفضل والدين ، والصلاح والبركة واليقين ، معروفا بالعفاف ، موصوفا فى أحكامه بالعدل والانصاف ، يطعم الطعام ، ويكفل الأيتام ، ويؤثر على نفسه المساكين ، ويحنو على المستضعفين ، كانت له بركة معروفة ، ودعوة مجابة موصوفة ، كانت قلنسوته وسراويله يتبرك بها فى جميع أحياء زنانة ، تحمل الى الحوامل اللواتى صعب عليهن الوضع فيهن الله تعالى عليهن الوضع ويسهل عليهن الولادة ببركته ، وكان بقية وضوئه يحمل به الناس فيستشفون به لمرضاهم ، وكان رحمه الله على سنن أهل الفضل ، فلا يزال صائما فى شدة الحر والبرد ، ولا يرا مفطرا الا فى أيام الأعياد خاصة ، كثير الذكر والتسبيح والأوراد ، لا يفتر عن الذكر على أي حالة كان ، ولا يأكل الا خلال المحض من طيب كسبه من لحوم ابله وغنمه والبانها ، ومما يعانيه بيده من الصيد ، فكان من قبائل مرين عالما مشهورا ، وأميرا مطاعا مذكورا ، يقفون عند أمره ونهيه ، ولا يصدرون فى جميع أمورهم الا عن رأيه ، وكان قليل الولد ، فريدا فى العدد ، نام ليلة بعد ان فرغ من ورده ، وأكثر من ذكر الله وحمده ، فرأ فى سنته منامة ، كانت له ولعقبه دليل الملك والامامة ، رأ كأن قبس نار خرج من ذكره فعلا فى الهواء وارتفع حتى احدثوا على أقطار المغرب أجمع ، واستوا على جهاته الأربع ، فقص رؤياه على بعض الصالحين ، فقال أبشر ولا تخف منها فهي لك عز وتأمين ، هاذ رؤيا جليلة ، لك ولعقبك بها شرف وفضيلة ، دلت على الملك والتعظيم ، والتأييد والتفخيم ، انك تلد اولادا ذكورا ، ترا لهم فخرا مذكورا ، وشرقا مشهورا ، يملك المغرب منهم أربعة ، تكون الامة على آخرهم مجتمعة ، فيكون لهم التقدم والرياسة ، والامارة والسياسة ،

يتوارث الملك فى بنيه وأعقابه ، وبهم يستقر الأمر فى نصابه ، وكان الأمر كما قص عليه ، فلم يمت حتى رأى ما ذكر له قد صار إليه ، فملك أمر بنى مرين أجمع ، وتوارث الأمر بعده بنوه الأربع .

وفى شهر ذي الحجة من سنة ثلاث عشرة المذكورة زحف الأمير عبد الحق بجيوش مرين الى رباط تازة فوقف بازاء زيتونها فخرج لحربه عاملها فى جيش كثيف من الموحدين والعرب والحشود من قبائل تسول ومكناسة وغيرهم ، فقتل العامل وهزم جيشه ، وجمع الأمير عبد الحق الأسلاب والخيول والسلاح ، وقسم ذلك كله فى قبائل مرين ، ولم يتمسك منها بشيء وقال لبنيه اياكم ان تأخذوا من هذه الغنيمة شيئا ، يكفيكم الثناء والظهور على أعدائكم .

وفى شهر جمادى الأخيرة من سنة أربع عشرة وستمئة كانت الملاقاة بين بنى مرين وبنى رياح ومن ظاهريهم من بنى عسكر ، وكانت رياح أقوا قبائل عرب المغرب وأشجعها وأكثرهم خيلا وأموالا ورجالا ، ولما أقبلوا لقتال مرين وسمعت بنو مرين باقبالهم اجتمعوا على أميرهم عبد الحق فقالوا له أنت أميرنا ورئيسنا ، فماترا فى أمر هؤالء العرب المقبلين الينا ؟ فقال لهم يامعشر مرين أما ان كنتم فى أمركم مجتمعين ، وفى أحوالكم متفقين ، وكنتم فى حزب عدوكم أعوانا ، وفى ذات الله أخوانا ، فلا أخشا ان القا بكم جميع أهل المغرب ، وان اختلفت أحوالكم ، وتشتت أراؤكم ، ظفر بكم أعداؤكم ، فقالوا له أنا نجد لك البيعة على السمع والطاعة ، وعلى أن لا نختلف عليك ولا نفر عنك أو نموت دونك ، فانهض بنا اليهم على بركة الله تعالى ، فالتقا الجمعان بقرية (١٦٩) من وادي سبو على أميال من تافرطست ، فكانت بينهم حروب عظيمة ، فقتل فيها عبد الحق وولده ادريس ، فغضبت مرين لقتل أميرها وانفت لموت رئيسها وكبيرها ، وتراجعت كالأسد فى زئيرها وهريرها ، وأقسمت بأيمانها ألا يدفن حتى تأخذ ثأره ، وتحمي ذماره ، فحملوا على رياح حملة الأسد على الثغالب

وانقضوا فى جيوشهم انقضا من البراة فى اليعاقب ، فصبر الفريقان صبرا جميلا ، ورأوا أن لا محيد عن الموت فى حروبهم ولا تحويلا ، فاشتد الحرب بينهم والكفاح ، وكثر القتل فى الفريقين والجراح ، وتفللت السيوف ونقصت الرماح ، فنصرت مرين ومزقت رياح ، وقتل مرين منهم خلقا عديدا ، وسار من بقي منهم مهزوما شريدا ، واحتوت مرين على جميع ماكان فى محلثهم من الأموال والعدد والثياب ، والخيل والابل والدواب وقام بأمرهم بعد موت عبد الحق أميرهم ولده عثمان .

قال المؤلف للكتاب عفا الله عنه :

أخبرنى الفقيه القاضى عبد الله بن الودون وأخوه الفقيه يوسف أنهما قدما على أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله فى وفد أهل مدينة فاس من الشرفاء والفقهاء والصلحاء بمدينة رباط الفتح ، وذلك فى شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين وستمئة للسلام عليه حين قدم من حضرة مراکش يريد الجواز الى الأندلس برسم الجهاد ، فجرا فى مجلسه رحمه الله ذكر والده الأمير عبد الحق ، فقال أمير المسلمين يعقوب كان والله الأمير عبد الحق صادق اللسان اذا قال فعل ، واذا عاهد وفا ، لم يحلف قط بالله تعالا برا ولا حائثا ، ولا شرب مسكرا ، ولا ارتكب فاحشة ، ببركة ازاره تضع الحوامل اللواتى صعب عليهن الوضع ، وكان يسرد الصوم ، ويقوم أكثر الليل ، واذا سمع بصالح او عابد قصد لزيارته واستوهب منه الدعاء ، شديد الخوف من الصالحين ، متواضعا لهم ، وكان مع ذالك سما لأعدائه ، قاهرا لهم ، وما وجدنا الا ببركته وبركات من دعا له من الصالحين نفعا الله ببركاتهم .

الخبر عن دولة الامير عثمان بن عبد الحق

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما فرغ بنو مرين من قتال رياح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا على

أمير المسلمين عثمان بن عبد الحق فعزوه فى أبيه وأخيه ، وبأبيعه عن رضا منهم به وتنزيه ، فأخذ فى غسل أبيه ودفنه ، وقلبه يلتهب بالأسا من حزنه .

فلما فرغ من شأنه وقف بين قومه وأخوانه فأمرهم بجمع السلب والأموال ، فقسمها فى قبائل مرين بالسوية والاعتدال ، ثم سار الى غزو رياح وحلف الا يكف عنهم حتى يقتل منهم بأبيه مئة شيخ من أشرفهم ، فقتل منهم خلقا عديدا ، فلما رأت رياح ذلك أذعنوا له بالطاعة ، فكف عنهم على مال جليل يؤدونه له فى كل سنة .

وفى هاته المدة ضعفت دولة الموحدين ، وظهر فيها النقص وتبين أي تبين ، وصارت ملوكهم ليس لهم حكم فى البوادي ، وانما سلطانهم وأوامرهم فى المدن خاصة ، وكثرت الفتن بين القبائل ، واشتد الخوف فى الطرقات والمناهل ، ونبت أكثر الناس الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، وقالوا لولائهم لاسمع ولاطاعة ، فاستوا الدنيء والشريف ، وأكل القوي الضعيف ، وكل من قدر على شيء صنعه ، ومن أراد شرا ابتدعه ، ليس لهم سلطان يكفهم ، ولا أمير عن غيهم يردهم ويصدهم ، وكانت قبائل فازاز من جناتة وقبائل العرب والبربر يقطعون الطرقات ، ويغيرون على القرا والمجاشر مع الأحيان والأوقات .

فلما رأى الأمير عثمان بن عبد الحق أن ملوك الموحدين ، قد ضعفت دولتهم ، وضيعوا حرماتهم ، وأهملوا رعيتهن ، واعتكفوا فى قصورهم ، واحتجبوا عن مهمات أمورهم ، واشتغلوا بالخمر والغواني ، وتلذذوا باللهو وسماع الاغانى ، ورأى أن ضلالهم قد تبين ، وغزوه على من له قدرة قد تعين ، وخلعهم من أوجب الواجب ، لعجزهم عن القيام بالحق الواجب ، جمع أشياخ مرين ، وندبهم الى القيام بأمر الدين ، والنظر فى مصالح المسلمين ، فوجدهم الى ذلك مسرعين ، فسار بجيوشه الوافرة ، وجنوده المنصورة الظافرة ، فى بلاد المغرب وقبائله ، وجباله وأوديته ومناحله ، فمن سارح الى بيعته ودخل فى طاعته ، آمنه ووضع عنه الخراج ، وتركه آمنا مغيبا ، ومن حاده ونايذه أباده نهبا وقتلا وغادره

صريعا ، فكان أول من بايعه من قبائل المغرب هواره وزكارة ، ثم تسول ومكناسة ، ثم بطوية وفشتالة ، ثم صدراته وبهلولة ومديونة ، فوضع عليهم الخراج وأخرج لهم الحفاظ ، وصالح أهل مدينة قاس ومكناسة وبارط تازة وقصر عبد الكريم على أموال معلومة يؤدونها اليه فى كل سنة على أن يؤمن بلادهم ويرفع عنهم الغارات ، ويدفع عنهم إذا من كان يؤذيهم من القبائل .

وفى سنة عشرين وستمئة غزا الأمير عثمان بلاد فازان ومن بها من قبائل جناتة فاتخن فيهم حتى أذعنوا له بالطاعة ، وكفوا أذاهم عن الناس واستكفوا عن الفساد .

وفى سنة احدا وعشرين غزا من بفحص أزغار من قبائل العرب فأبادهم ، وأخلا بلادهم ، وكان رحمه الله شديد الحزم ، ذا نجدة وشجاعة وعزم ، له رأي سديد ، وعضد شديد ، وكرم وإيثار ، وحماية للذمار ، وحفظ للجار ، وحياء ودين ، وفضل مستبين ، معظما للفقهاء ، مكرما للصحاء ، سلك بذلك نهج أبيه وطريقته ، ولم يزل على ذلك الى أن توفي رحمه الله ، اغتاله علق كان له رباه صغيرا ضربه بحربة فى منصره فمات من حينه ، وذلك فى سنة ثمان وثلاثين وستمئة ، فكانت أيام امارته على مرين وبوادي المغرب من وفاة والده وبيعة قبائل مرين له ثلاثا وعشرين سنة وسبعة أشهر .

الخبر عن دولة الامير أبى معرف محمد بن عبد الحق

لما قتل الأمير عثمان بن عبد الحق اجتمع أشياخ بنى مرين الى أخيه الأمير محمد فبايعوه على السمع والطاعة ، وان يحاربوا من حارب ، ويسالموا من سالم ، فاستقام له أمرهم ، وسار فيهم بسيرة أخيه ، وفتح كثيرا من جبال المغرب وبواديه ، وكان رحمه الله شهما بطلا شجاعا مؤيدا منصورا مهابا مطاعا كثير الغارات حسن السياسة والمحاولة ، لم

يفتر في أيامه عن قتال ، ولم يزل مرتكبا للحروب والأهوال ، عازفا بمكايد الحرب وخدعه ، فكان كما وصفه الشاعر في رجزه :

وكان في أموره مسدد	ثم تولا بعده محمد
مواظبا للحرب والنزال	فكان لايفتر عن قتال
ومن جموع جمة الجشود	كم عسكر لاقا وكم جنود
أفناه بالحروب والتناوش	وكل جيش جاء من مراکش
لكنه مؤيد معان	نهاره وليله طعان

كان الأمير أبو معرف مع ذلك ميازا الامارة ، ميمون النقية ، حسن الادارة ، ذا عقل ودهاء ، ورأي وصدق ووفاء ، اذا صال أفنا ، واذا أعطا أغنا ، واذا رأى الفرصة انتهزها ، لم يزل يحارب جيوش الموحدين فيرجعون عنه خاسرين ، الى أن كانت سنة اثنتين وأربعين وقد تمكن في الملك اي تمكين ، فأخبر السعيد بشدة بأسه وجلاده ، وأنه قد استحوذ على أكثر بلاده ، فبعث اليه بجيش كثيف من عشرين ألف فارس من قبائل الموحدين والعرب وهسكورة وقواد الروم ، فسار الجيش قاصدا اليه ، فسمع الأمير محمد باقباله ، فاستعد لقتاله وعول عليه ، فالتقا الجمعان بموضع يعرف بصخرة أبي بياش من أحواز مدينة فاس ، فكانت بينهم حروب كثيرة عظيمة لم يسمع بمثلها من أول النهار الى الآخر ، فلما كان العشي قتل الأمير محمد بن عبد الحق ، قتله زعيم من الروم في المعترك تحاملا فطمرت به الفرس فأمكن الرومي منه الغرة قطعته فمات رحمه الله وانهزمت مرين واتخذوا الليل جملا ، فأسروا طول ليلتهم بأولادهم وعيالهم ، وخيلهم ، وأموالهم ، فأصبحوا بجبال غياثة فتمنعوا بها أياما ، وكانت هاذة الواقعة وموت الأمير محمد عشية يوم الخميس التاسع من جمادا الأخيرة سنة اثنتين وأربعين وستمئة (١٢) نونبر سنة ١٢٤٤ م) وولي مكانه أخوه الأمير أبوبكر بن عبد الحق رحمه الله تعالا

الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق

رحمه الله

هو الأمير أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة
الزفانى ثم المرىنى .

أمه : الحرة العبد الوادية .

كنيته : أبو يحيى

صفته : كان أبيض اللون مشربا بحمرة ، تام القد ، بسيط الجسم ،
حسن الوجه طلق اللدين ، يضرب بكلتا يديه ، ويرمى بحريبتين فى حالة
واحدة ، فارسا شجاعا بطلا ، لم يكن فى زمانه مثله ، ذا عزم وحزم
واقدام ، زعيما ضرغاما ، كان فى الحروب فريد عصره ونسيج وحده
يقوم فى الجيش مقام حيدرة ، وكان الأبطال يهابون مبارزته ، والزعماء
يخافون محاربته ومناجزته ، وكان مع ذلك كريما جوادا كالغمام ،
يعطى عطاء تعجز عنه الملوك العظام ، وفيا بالعهود صادقا فى الأقوال
والوعود .

فاق ملوك الأرض بالزعامة وباللوا والصدق والكرامة

وهو أول ملك فى بنى مرين جند الجنود ، وضرب الطبول ونشر البنود ،
وملك الحصون والبلاد ، واكتسب الطارف والتلاد ، وأعطى النصر
والتمكين ، فكان عنوان سعد بنى مرين .

لما تمت بيعته ، واستقرت فى الملك طلعتة ، كان أول شيء فعله ، أنه
جمع أشياخ قبائل بنى مرين فقسم عليهم بلاد المغرب ، فأنزل كل قبيلة
فى ناحية منه ، وجعل لها منازل فيه من الأرض ، وماغلبت عليه من
البلاد طعمة لا يشاركون فيها غيرهم ، وأمر كل واحد من الأشياخ ان
يركب الرجال ، ويستكثر من الفرسان للقتال ، ثم سار هو بجملته فنزل

جبل زرهون (١٧٠) باخوانه ومحلته ، وكان يغادى مدينة مكناسة ويرأوحها حتى غلب عليها وملكها وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وستمئة فى أيام السعيد الموحدي فتحها صلحا على يد شيخها أبى الحسن ابن أبى العافية ، فاتصل بالسعيد ملك الموحدين تملك أبى بكر أياها فخرج الى قتاله من مراكش فى جيوش عظيمة وجنود وافرة من الموحدين والمصامدة والعرب والروم ، فسار حتى وصل الى وادي بهت ، فنزل به وأخذ فى تمييز جيوشه ، فخرج الأمير أبوبكر ليلا وحده من مكناسة متحسسا ومتجسسا يتطلع على عساكر السعيد ، فسار حتى وصل المحلة وشاهد أحوالها وعابن كثرة جيوشها وأبطالها ، فعلم أنه لاطاقة له بلقائه ، فتخلا له عن البلاد ، وبعث الى قبائل مريين فاجتمعت اليه من كل واد ، فارتحل بهم الى قلعة تازوطة من بلاد الريف ، وأتا السعيد حتى نزل مكناسة ، فتلقاه أهلها بأولادهم وعيالهم يطلبون عفوه ، فعفا عنهم وأمنهم ، وارتحل عنهم الى مدينة فاس ، فنزل بظاهرها من ناحية القبلة ، فخرج أشياخها فسلموا عليه ، فتكلم لهم خيرا ، وسألوه دخول المدينة فأبوا وارتحل الى رباط تازة ، فنزل بخارجه فبعث اليه الأمير أبوبكر ببيعته فقبلها ، وكتب

١70) جبل زرهون جبل يقع الى الشمال من بسيط سايس الممتد بين فاس ومكناس وابتدأوه بالنسبة للذهاب اليه من مكناس المحل المعروف بعقبة العربى ، وهو جبل جيد التربة كثير الأشجار المغلة ، عديد القراء ، من أشهر قراه زاوية مولاي ادريس ، وكان يسكن هاذا الجبل فى صدر الاسلام قبيلة أوربة ، ثم انحازت اليه أجيال من قبائل الريف ، ثم طرأت عليه وعلى سهل سايس الواقع الى الجنوب منه فلول قبائل المغرب الشرقى والمغرب الأوسط التى انحاشت الى داخلية المغرب الاقصى أمام زحف الجيش الفرنسى على الأقاليم الجزائرية وتوغلها فى الأقاليم المغربية الشرقية والجنوبية فى القرن الماضى فهى بهما الى الآن ، من أشهر هذه القبائل والبطون حميان والمهايا وأشجع (الشجع) والنصيريين والغنامة والرواشد وفرطاسة وأولاد سيدى الشيخ وذوى منيع ، ولهذا الجبل قدسية فى نفوس سكان المغرب لدفن الامام ادريس به ، وله ذكر طويل يذكر فى تاريخ انتشار الاسلام واللغة العربية بالمغرب الأقصى .

وقد ورد ذكر جبل زرهون فى شعر محمد ابن الخطيب السلماني فى قطعة مدح بها مدينة مكناس يقول فيها :

وكفاك شاهد حسنها وجمالها	أن أوثرت بالقرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجووه	فبكث عذاب عينونه بعيون
وكانما هو نرسرى نافد	فى لوحه والتين والزيتون

له بالأمان هو وجميع قبائل مرين على أن يبعث معه خمسمئة فارس من أنجاد بنى مرين برسم الخدمة ، فقال له الأمير أبوبكر يا أمير المؤمنين ارجع الى حضرتك وقونى بالجيش والرماة وأنا أكفيك أمر يغمراسن (١٧١) وافتح لك تلمسان وأحوازها ، فعزم السعيد على ذلك ثم استشار وزراءه فيه ، فقالوا له يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الزناتى أخو الزناتى ، لا يخذله ولا يسلمه ، فنخاف ان يصطلحا عليك ، ويجتمعا على حربك ، فكتب له أن يقعد بموضعه ، ويبعث اليه بالحصاة ، فبعث اليه خمسمئة فارس من أنجاد بنى مرين ، فسار السعيد الى تلمسان ، فمات على قلعة تامزجردت من أحوازها وهو محاصر ليغمراسن بن زيان ، فاتصل خبر موته بالأمير أبى بكر ، وقدمت عليه الحصاة التي كانت توجهت مع السعيد للخدمة ، فأعلموه بموته وافتراق جيوشه ونهب أمواله وعياله ، فجد السير الى مكناسة فدخلها وملكها ، فأقام بها أياما وخرج الى رباط نازة فملكه وفتح جميع حصون ملوية ، وذلك كله فى الآخر شهر صفر من سنة ست وأربعين وستمئة (الاثنين ٢٥ يونيو سنة ١٢٤٨ م) .

وفى آخر شهر ربيع الاول من سنة ست وأربعين (الخميس ٢٣ يوليو) المذكورة ملك الأمير أبوبكر مدينة فاس ودخلها صلحا عن رضا من أهلها ، فبعث اليه أشياخها فاتاهم فبايعوه بالرابطة التي بخارج باب الشريعة ، وكان أول من بايعه الشيخ الفقيه الصالح عبد الله الفشتالى، ثم الفقهاء والأشياخ ، وأخرجوا السيد أبا العباس من القسبة بعياله وأولاده فأمنه الأمير أبوبكر وأعطاه خمسين فارسا يبلغونه الى وادى أم الربيع ، ودخل الأمير أبوبكر مدينة فاس يوم الخميس قرب الزوال السادس والعشرين من ربيع الآخر من السنة المذكورة (١٨ غشت) وذلك

(١٧١) يغمراسن بن زيان ، فارس زناتة الأشهر ، ووطنها الأكبر ، مؤسس الدولة العبدالوادية الزيانية بتلمسان ، ولد عام 600 وبوع بالامارة يوم الأحد 24 ذى القعدة عام 63١ هـ ومات بوادى رهيو يوم الاثنين 29 ذى القعدة عام 68١ هـ ونقل جثمانه الى تلمسان فألقده بها ، كان مزاحما فى ملكه ببنى عمه مرين ملوك فاس ، وبسبب حروبهم معه والحروب التي تواصلت بين آبنائهما وحفدهما من بعدهما ضاعت الأندلس وذهبت هبة أقطار المغرب وتيسرت السبل أمام الاسبانيين والبرتغاليين لاحتلال شواطئها .

بعد موت السعيد بشهرين ، فاستقامت له الأمور بالمغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة والتهنئة وتهذبت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات ، وتحركت التجارة ، وأمر القبائل بسكنا الأوطية وعمار القرا والمداشر الخالية والاستكثار من الحرث ، فرخصت الأسعار وصلح أمر الناس ، وأعطى رباط تازة الى أخيه يعقوب مع جميع ملوية ، وأقام هو بمدينة فاس سنة كاملة ، والوفود تقصد اليه من كل ناحية .

فلما كان في شهر ربيع الأول من سنة سبع وأربعين وستمئة خرج الأمير أبوبكر من مدينة فاس الى معدن العوام من بلاد فازان واستخلف عليها مولاه السعود بن خرباش الحشمي ، فلما أوغل أبوبكر في بلاد فازان اجتمع نفر من أشياخ فاس الى قاضيها أبي عبد الرحمان المغيلي وتأمرؤا على خلع الأمير أبي بكر وقتل مولاه السعود الذي تركه خليفة عليهم وأن يبيعوا ببيعتهم الى المرتضا ويضبطوا بلدهم الى أن يأتيهم عامله فيمكنوه منه ، فاتفق رأيهم على ذلك وبعثوا الى القائد الشديد الرومي فتواطؤا معه على ذلك ، وكان القائد شديد قد ولاه الموحدون قيادة مدينة فاس فكان بها في منتي فارس من الروم الى أن دخلها بنو مرين ، فأقروه على حاله وخدمته ، وكان مائلا الى الموحدين ، فقالوا له تقتل هذا السعود وتضبط بعده البلاد وتبعث الى المرتضا ببيعته فيبعث لنا بوال من قبله يقوم بأمرنا ، فتضمن لهم الرومي بقتل السعود ، فلما كان صبيحة يوم الثلاثاء الموافق عشرين لشوال من سنة سبع وأربعين المذكورة (٢٦ يناير سنة ١٢٥٠ م) طلع الأشياخ الى القصبة يصبحون على السعود ، فسلموا عليه وقعدوا بين يديه ، فانتهرهم السعود وأغلظ لهم في القول وتوعدهم فردوا عليه أسوأ رد ، ثم نادوا بشعارهم الى القائد الرومي ، وكان واقفا في عسكره أمام القبة ، فقتل السعود وأربعة من رجاله واحتزوا رأسه وجعلوه على عصار (١٧٢) وطوفوه بأسواق المدينة وطرقها

(١٧٢) عصار : وفي بعض النسخ عصا ، والذي في الأخيرة السنية عصار ، وهو عود غليظ كعصا الفاس تعصر عليه الثياب بعد غسلها تسهيلا لتنشيفها وتبييضها ، ومازالت الكلمة مستعملة في عامية فاس الى اليوم .

ودخل الأشياخ القصر وأخذوا ما وجدوا به من الأموال والأثاث والخول
وانتهبوا ذلك كله وسدوا أبواب المدينة وبعثوا ببيعتهم إلى المرتضا ،
فاتصل الخبر بالأمير أبي بكر فجاء السير نحوهم فوجد أبواب المدينة مغلقة
فى وجهه وأشياخها مستعدين لقتاله ، فحاصروهم بها مدة من تسعة أشهر ،
فلم يقدر منها على شيء ، واتصل به أن يغمراسن بن زيان خرج من
تلمسان يرسم رباط تازة ، فترك على فاس حصنة من بنى مرين تحاصرها ،
وتباركها بالقتال وتراجعها ، وارتحل عنها إلى لقاء يغمراسن وقتاله ،
فثقله بوادي أيسلى من أحواز وجدة ، فكانت بينهما حروب عظيمة هزم
فيها يغمراسن وفر وترك أمواله ومحلته ، فاحتوا الأمير أبو بكر على ذلك
كله ، وقتل من بنى عبد الواد فى هذه الواقعة أنجادهم ، ثم رجع الأمير
أبو بكر إلى فاس فوصلها فى جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين
وستمئة ، فشدد عليها الحصار والقتال ، فلما رأى ذلك أهلها سقط فى
أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا فى فعلهم ، إذ لم ياتهم ناصر من قبائل
الموحدين ، وليس لهم بد من طاعة بنى مرين ، فبعثوا إلى الأمير أبي بكر
يطلبون منه الأمان ، ويسألونه العفو والامتنان ، فأمنهم على أن يعطوه
ما أخذ له من المال ، وذلك مئة ألف على الكمال ، فأجابوه لذلك وفتحوا
له أبواب المدينة ، فدخلها فى أحسن ترتيب وأكمل زينة ، وذلك فى
الثالث والعشرين من جمادى الآخرة المذكورة ، فأقام بها أياما إلى أول
رجب التالى له ، وهم يسوفونه فى المال ويؤذون له فى المقال ، فلما رآه
ذلك منهم قبض على أشياخها ورؤسائها وأشرفها فنقفهم فى الحديد
وطالبهم بالمال والأثاث الذي انتهبوه من قصره ، فقال لهم شيخ منهم
يعرف بابن الخبا إنما فعل الذنب مناسطة ، فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء
منا ؟ ولو فعلت ما أقول لك لكان صوابا وحزما ، قال وما هو أيها الشيخ
قال : تخرج هؤلاء الستة الذين سعوا فى الفتنة وكانوا رؤوسها للسيف
فتعشف بهم وتأخذنا نحن بغرم الأموال ، قال صدقت ، فقتل الأشياخ
الستة ، وهم الشيخ القاضى أبو عبد الرحمان المغيلى ، وولده ، والشيخ
المشرف ابن جشار وأخوه وابن أبي طاطو وولده ، ونهبت ديارهم وأموالهم

وأخذت رباعهم ، وكان قتلهم خارج باب الشريعة يوم الأحد الثامن من شهر رجب المذكور عام ثمانية وأربعين وستمئة (٦ أكتوبر ١٢٥٠ م) وأخذ سائر الأشياء بغرم الأموال فذلوا ولم يكن فيهم من يرفع رأسا بعدها الى اليوم .

وفى سنة تسع وأربعين وستمئة ملك الأمير أبوبكر مدينة سلا وولا عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق .

وفى سنة ثلاث وخمسين وستمئة هزم الأمير أبوبكر المرتضا بجبال بهلولة من أحواز فاس واحتوا على جميع ماكان فى محلقه من الأموال والعدد والأخبية والقباب والخيل والابل والخول ، وملك فيها بنو مزين أموالا جليلة .

وفى سنة خمس وخمسين وستمئة ملك الأمير أبوبكر مدينة سجلماسة ودرعة وكانتا للمرتضا ، فطمع فيهما يغمراسن ، وسار نحوهما فى جيش كثيف من بنى عبد الوادي والعرب ، فاتصل خبر مسيره اليهما بالأمير أبى بكر وهو بمدينة فاس ، فجمع عساكر مزين وجد السير الى سجلماسة ، فوجد يغمراسن قد نزل بخارجها من باب تاخنست ، فكانت بينهما حروب عظيمة هزم فيها يغمراسن وفر الى تلمسان وأسلم له سجلماسة ودرعة فملكها وأقام بهما حتى أصلح أحوالهما وولا عليهما عامله أبى يحيى المقطرانى وأوصاه بما أحب ، وارتحل الى مدينة فاس فدخلها وقد عظم ملكه وكثر جيشه وجنوده ، وتأمينت البلاد ، وانقمع أهل الفساد ، وكثرت العمارات ، وفنى أهل الدعارات .

وفى سنة ست وخمسين وستمئة فى رجب منها مرض الأمير أبوبكر بمدينة فاس فمات بها بعد أيام حثف أنفه ، ودفن بباب الجيزين (١٧٣) من أبواب عدوة الأندلس بأزاء قبر الشيخ الفقيه الصالح محمد الفشتالى تبركا به ، فإنه رحمه الله كان أوصا بذلك فى حياته ، فكانت أيام ملكه

(١٧٣) . تسمي اليوم باب الحمراء ، والجيزة الناحية والجهة المتقابلة لك من الوادي ، وما زالت الكلمة مستعملة فى العامة الى اليوم ، لكن العامة تكتب جيبيها دالا فتقول (ديزرة) كما تقول فى كلمة جاز (داز) .

من يوم بويج بعد وفاة السعيد في أول ست وأربعين الى أن توفي في شهر رجب سنة ست وخمسين عشر سنتين كاملة وأشهرًا .

ولما توفي الأمير أبوبكر قام عامله أبو يحيى القطراني بسجل ماسة بالدعوة لنفسه وبإيعه أهلها فأقام أميراً عليها سنتين ثم قتل سنة ثمانية وخمسين ، وقام فيها علي بن عمر بدعوة المرتضا فملكها ثلاث سنين ونصفا الى أن توفي علي بن عمر المذكور في سنة اثنتين وستين وستمئة ، فقام بها عرب المنبات بدعوة يغمراسن بن زيان ، وبعثوا اليه ببيعتهم ، فبعث اليها عاملاً من بني عبد الوادي ، فلم تزل بيد يغمراسن بن زيان الى أن دخلها عليه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق في الآخر يوم من صفر سنة ثلاث وسبعين وستمئة (الاثنتين ٣ شتنبير سنة ١٢٧٤ م) .

الخبر عن دولة أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق

المريني رحمه الله

هو أمير المسلمين عبد الله ، يعقوب ابن الأمير عبد الحق ، بن محيو ، بن أبي بكر ، بن حمامة ، بن محمد الزناتى ثم المريني الحماسي .
أمه : حرة اسمها أم اليمن بنت علي البطيوي الزناتى ، كانت أمه وهي بكر رأت في منامها كأن القمر قد خرج من قبلها حتى صعد في السماء ، وأشرق نوره بالأرض ، فقصت رؤياها على أبيها فسار الى الشيخ الصالح أبي عثمان الورياكلى فقص عليه رؤيا ابنته ، فقال له ان صدقت رؤيا هاذة الجارية فانها تلد سلطانا عظيما صالحا عادلا يعم الناس خيره وبركته فكان كذلك ، ولما تزوجها الأمير عبد الحق قال له والدها علي : بارك الله لك فيها ، أما والله أنها لنأصية خير مباركة ، وانك لتعرف بركتها ، وستلد لك ملكا عظيما يكون لك عزاً ولقومك الى آخر الدهر .

مولده : فى سنة سبع وستمئة وقيل فى سنة تسع وستمئة .

كنيته : أبو يوسف .

لقبه : المنصور بالله .

صفته : كان رحمه الله أبيض اللون ، تام القد ، معتدل الجسم ، حسن الوجه ، واسع المنكبين ، كامل اللحية معتدلاً أشيب ، كأن لحيته من بياضها قطعة ثلج ، مليح الوجه ، كريم اللقاء ، شديد الصفح ، حسن السيرة ، حليماً متواضعاً شقيقاً كريماً جواداً مظفراً منصور الراية ، ميمون النقيبة ، لم تهزم له قط راية ، ولم يقصد قط عدواً إلا قهره ، ولا جيشاً إلا هزمه ، ولا بلداً إلا فتحه ، صواماً قواماً دائم الذكر كثير البر ، لا يزال ذاكراً أثناء الليل وأطراف النهار سبحته فى يده لا يزالها فى أكثر أوقاته ، مكرماً للصالحين موقراً لهم معظماً للعلماء مقرباً لهم ، حاضراً فى مصالح المسلمين ، كثير الخير والرفقة على الضعفاء والمساكين ، لما ولي واستقام له الأمر صنع المارستان للمرضى والمجانين ، وأجرأ عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون إليه من الأغذية والأشربة ، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية ، وأجرأ على الكل الانفاق من بيت المال ، وأجرأ على الجذما والعميان والفقراء مالا معلوماً يأخذونه فى كل شهر من جزية اليهود لعنهم الله ، وبنا المدارس ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن وطلب العلم ، وأجرأ عليهم المرتبات فى كل شهر ، كل ذلك ابتغاء ثواب الله تغالاً نفعه الله بقصده الصالح .

قضاته : بفاس الفقيه علي بن أحمد المعروف بابن القزاز ، والفقيه محمد بن عمران ، والفقيه أبو جعفر المزدغى ، والفقيه أبو أمية الدلائى ، وقضاته بحضرة مراکش الفقيه القاضى العالم المشاور أبو عبد الله الشريف ، والفقيه القاضى أبو فارس العمرانى .

وزرائه : الشيخ الوزير يحيى بن حازم العلوي ، والشيخ الوزير أبو علي بن أبى منديل العسكري ، والشيخ الوزير أبو سالم فتح الله الصدراتى .

حاجيه : مولاه القائد عتيق .

كتابه : الفقيه أبو عبد الله الكنانى وأخوه الفقيه أبو الطيب سعد الكنانى ، والفقيه أبو عبد الله ابن الربيب ، والفقيه أبو عبد الله العمراني وكتب له فى آخر عمره الفقيه عبد الله بن أبى مدين العثمانى .

بويغ له رحمه الله بالخلافة بعد وفاة أخيه أبى بكر بثمانية أيام ، وذلك فى اليوم التاسع والعشرين من رجب سنة ست وخمسين وستمئة (الخميس ١ غشت سنة ١٢٥٨ م) وسنه يوم بويغ ست وأربعون سنة ، واستقام له الأمر ، وفتح البلاد من أقصا السوس الى وجدة ، وفتح حضرة مراكش ، وقطع ملك الموحيدين ومحا أثرهم ، وفتح مدينة سجلماسة وبلاد درعة ومدينة طنجة ، وبأيعه أهل سبتة على مال يؤدونه له فى كل سنة ، وجاز الى الأندلس برسم الجهاد ، فملك بها مايزيد على الخمسين مصرا ما بين مدن وحصون ، منها مالقة ، وزندة ، والجزيرة الخضراء ، وطريف ، والمنكب ، ومربالة ، واشبونة ، وما بين ذلك من الحصون والقرا والبروج ، وخطب له على جميع منابر المغرب ، وهو أول ملك من بنى مرين حما الاسلام وشتت الصليبان وغزا الروم قدوخهم وقهر ملوكهم وحصرهم ، وأعز الله تعالا به الدين ، ورفع بدولته منار المسلمين وكانت الروم قبل ذلك قد استطالت أيديهم ، فملكوا أكثر بلاد الأندلس ، ولم ينصر بها للمسلمين راية من وقعة العقاب التي كانت فى سنة تسع وستمئة الى أن جازت للجهاد رايته المنصورة وجيوشه ، وذلك فى عام أربعة وسبعين وستمئة ، فملك العدوتين ، واحتوا على ملك الحضرتين ، فله الغزوات المشهورة ، والمآثر المذكورة ، والسير الحمودة ، والفضائل المشهودة والورع والدين ، والعدل والرفق بالمسلمين .

وقد كان منصورا على كل من ناواه ، مؤيدا على من عاداه ، لم يزل على هذا السنن القويم ، الى أن أتاه اليقين ، وانتقل الى دار النعيم .

الخبر عن سيره الجليلة ومآثره الجميلة

نذكرها مختصرة وجيزة ، ونقتصر منها على ما ذكر عبد العزيز
الملزوزي صاحب الارجوزة :

سيرة يعقوب بن عبد الحق
سيرته أن يقرأ الكتاب
يقوم للصلاة ثلث الليل
حتى إذا ما أصبح لاح وانصدع
وضج بالتسبيح والتقديس
يقرأ أولا كتاب السير
ثم فتوح الشام باجتهاد
سؤاله تعجز عنه الطلبة
يقعد للكتب الى وقت الضحا
ويأمر الكتاب بالأوامر
ويدخل الأشياخ من مريـن
مجلسه ليس به فجور
كانهم مثل النجوم الزهر
قد ألبس الوقار والسكينة
حتى إذا ما حان وقت الظهر
يبقى الى وقت صلاة العصر
فينصف المظلوم ممن ظلمه
ثم يؤم بيته الكريما
ثم ينام تارة وتارة
ما أن ينام الليل إلا ساهرا
رايته يصحبها التمكين
فأمن الغرب من الفساد

قد حاز فيها قصبات السبق
ويذكر العلوم والآداب
وماله عن ورده من ميل
قام وصلا لئلا له وركع
حتى يتم الحزب فى التقليل
والقصص التى بكل خبر
وبعده المعروف بالأنجاد
ومن لديه من أجل الكتب
ثم يصليها كفعل الصلحا
فى باطن من سره وظاهر
للراي والتدبير والتزيين
ولا فتا فى قوله يجور
وبينهم يعقوب مثل البدر
وحصل فى مكانة مكيته
قام الى بيت النداء والفخر
يأتى بقصد نهيه والأمر
ولم يزل الى صلاة العتمة
ويترك الوزير والخديما
يدبر الأمور والادارة
ينوي الجهاد باطنا وظاهرا
مبارك طالعه ميمون
ونشر العدل على العباد

وإذالت الأموال والفجور	ولم يدع في الغرب من يجور
وآذعنوا لنهييه وأمره	وخضعت مريـن تحت قهره
وقمع الطغاة في البريه	ورفع الظلم عن الرعيه
وهأذه المآثر الأثيرة	فهل سمعتم مثل هأذي السيره
بذاك نال الملك والتعظيمما	كذاك كان فعله قديما

ولما استقامت له الأمور وتوطأ له الملك ، خرج مد مدينة فاس الى رباط تازة يستشرف منها على أخبار يغمزاسن بن زيان ، فدخلها في أول يوم من شعبان من سنة ثمانية وخمسين وستمئة (الاثنين ١٢ يوليوز سنة ١٢٦٠ م) فأقام بها الى اليوم الرابع من شوال ، فوصله الخبر أن النصارا دخلوا مدينة سلا غدرا ووضعوا السيف في أهلها فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأموالها وتمنعوا بها ، فكان دخولهم اياها ثاني يوم من شوال ، من سنة ثمانية وخمسين المذكورة ، فخرج من فورهِ مسرعا لاستنقاذها مشمرا عن ساعد الجد في أمرها ، وكان خروجه اليها من رباط تازة بعد أن صلا العصر في اليوم الرابع من شوال المذكور الذي اتصل به الخبر فيه في نحو الخمسين فارسا ، فأسرا ليلته تلك ، ومن الغد صلا بظاهر سلا صلاة العصر ، فوصلها في يوم وليلة ، ونزل على من بها من الروم ، وتداركت عليه جيوش المسلمين والقبائل المطوعين من جميع أفاق المغرب ، فحاصر الروم بها ، وضيق عليهم فيها ، ولم يرفع عنها القتال ليلا ولا نهارا حتى فتحها وأخرج النصارا قهرا عنها بعد أربعة عشر يوما من دخولهم اياها .

فلما خرج النصارا عنها بنا عليها السور الغربي الذي يقابل الوادي ، لأنها كانت لاسور لها من تلك الجهة ، فكان خروج النصارا منه ، فسار في بنائه فبناه من أول دار الصناعة الى البحر ، وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ، ويمكن الصخرة بيده ، ابتغاء ثواب الله تعالى وتواضعا وحياطة على المسلمين حتى تم السور بالبناء والتحصين .

وفي هأذه السنة ملك أمير المسلمين بلاد تامسنا أنفا .

وفيها وصلت هدية المرتضا صاحب مراكش الى أمير المسلمين يعقوب وكتابه يطلب منه سلمه فصالحه أمير المسلمين وجعل الحد بينه وبينه وادي أم الربيع (١٧٤) .
قال المؤلف عفا الله عنه :

وفي السنة التي ولي فيها أمير المؤمنين يعقوب أنزل الله تعالا على أهل المغرب البركات ، وفتح عليهم بالخيرات ، فرأى الناس فيها من الدعة والخير ما لا يوصف ولا يقوم أحد بشكره ، بيع الدقيق فيها بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب ربع بدرهم ، والقمح ستة دراهم للصحفة والفول وجميع القطن مالها سوم ، ولا يوجد من يشتريها ، والعسل ثلاثة أرتال بدرهم ، والزيت أربعون أوقية بدرهم ، ولحوم البقر مئة أوقية بدرهم ، ولحوم الضأن سبعون أوقية بدرهم ، والكباش بخمسة دراهم ، والزيت درهم ونصف للربع ، والتمر ثمانية أرتال بدرهم ، واللوز صاع بدرهم ، والشابل الطري فرد بغيراط ، والملح حمل بدرهم ، وذلك ببركته ويمن خلافته وحسن سيرته ونيته .

وفي سنة تسع وخمسين وستمئة فسد ما بين أمير المسلمين يعقوب والمرتضا الموحد صاحب مراكش ، فسرح في أطراف بلاده ، وفيها كانت وقعة أم الرجلين بين أمير المسلمين يعقوب وجيش المرتضا من العرب والروم والموحدين ، فهزم جيش المرتضا وقتل حماتهم وفر من بقي وتركوا أموالهم ، وكان المرتضا قد استعد لهاذه الغزاة غاية الاستعداد ، وبعث فيها وجوه الموحدين ، وأشياخهم وسائر عرب جشم من الخلط وسفیان والأثيج وبنی جابر وبنی حسن وقواد الروم والأندلس والأغزاز ، ولم

(١٧٤) نهر عظيم ينبع من جبال الأطلس المتوسط بين خنيفرة وعين اللوح ، ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة أزموور بعد ما يقطع في جريه مسافة 600 كلم ، تقدر كمية فيضه بألف متر مكعب في الثانية خلال فصل المطر وتنخفض في فصل الصيف الى أربعين متراً مكعباً في الثانية فقط ، من أكبر روافده وادي العبيد الشهير ، أقيم على نهر أم الربيع سد علوه 50 م بالمكان المذعور ايمفوت يسقى 150 ألف هكتار من سهول دكالة ، كما أقيم على وادي العبيد سد بين الويدان الشهير الواقع خلف بني ملال ، ويبلغ علوه هذا السد 132 م وتسقي مياه اراضي فلاحية مساحتها 160 ألف هكتار ، وتولد من الكهرباء كل سنة 600 مليون كيلواط

يترك بحضرته من جيشه أحدا إلا نفرا يسيرا ، فهزم الكل وتركوا أموالهم وأثقالهم وعددهم وسلاحهم ، فاحتوا أمير المسلمين يعقوب على ذلك كله .
وفى سنة ستين وستمئة سار أمير المسلمين يعقوب إلى مراكش ، فنزل بجبل جليز ، ثم زحف إليها وبرز عليها أحسن تبريز ، وصف جيوشه ، ونشر ألويته وبنوده ، فانهصر المرتضا بها ، وغلق على نفسه أبوابها ، وفى ذلك يقول عبد العزيز المازوني فى رجزه رحمه الله وعفا عنه :

فى عام ستمئة وستين	سار مراكش سلطان مرسين
فوقف المنصور فى كليز	ميرزا بأحسن التبريز
وعاد فيها المرتضا محصورا	ولم يكن فى قصره منصورا
ودارت الأعراب بالأسوار	واعتمدوا فيها على الحصار

فأخرج المرتضا لخربه السيد أدريس المكنى بأبى دىوس ، فكانت بينهما حروب عظيمة قتل فيها الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يعقوب ، فارتحل عن مراكش بسبب قتل ولده فدخل مدينة فاس فى آخر شهر رجب من سنة أحدا وستين وستمئة .

وفى سنة أحدا وستين وستمئة المذكورة طلع النجم أبو الذؤائب ، وكان ظهوره يوم الثلاثاء الثانى عشر لشعبان من السنة المذكورة (٢٢ يونيو سنة ١٢٦٢ م) وبقي يطلع فى كل ليلة فى وقت السحر نحو من شهرين .

وفى هاذة السنة جاز الفارس الأنجد عامر بن أدريس فى جمع من بنى مرين والمطوعة يزيدون على ثلاثة آلاف فارس يرسم الجهاد ، فعقد لهم أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رايته المنصورة ، وأعطاهم العدد والخيول وودعهم ودعا لهم ، وهو أول جيش من بنى مرين جاز إلى الأندلس وفى سنة اثنتين وستين وستمئة توفي أدريس ابن أبى قريش عامل أمير المسلمين على بلاد المغرب .

وفى سنة ثلاث وستين وستمئة بعث الفقيه العزفى صاحب سبتة

أجفانه الى هدم سور أصيلة وقصبتها ، فهدمت لأنه خاف بخلائها ان يملكها العدو ويتمنع بها .

وفيها سار أمير المسلمين الى مراکش برسم رعي زروعها ، فوصل الى أحوازها وبإيعه جملة من العرب الذين بأنحائها ، وانصرف الى مدينة فاس ، وبعد انصراف أمير المسلمين عن مراکش واستقراره بفاس وشي للمرتضا بقائد جيوشه السيد ادريس أبي دبوس ، وقيل له انه ي كاتب بنى مرين ، فأراد القبض عليه ، ففر منه ولحق بأمر المسلمين يعقوب بحضرته بفاس ، فأكرمه وأقبل عليه غاية الاقبال ، وقال له ما الذي أتاك يا ادريس ؟ قال فررت من القتل وقصدت حماك لتأصبرني وتعطيني على عدوي وتعطيني عسكريا من بنى مرين وبنودا وطبولا ومالا أنفقه على ذلك ، وأنا أضمن لك أخذ مراکش ، واذا أخذتها يكون نصفها لك ونصفها لى فأسعه أمير المسلمين لطلبه وعاهده على ذلك ، وتوثق له بالايامن المغلظة ، والعهود المؤكدة ، فأعطاه جيشا من خمسة آلاف فارس من قبائل ثاثة ، وأعطاه طبولا وبنودا وخيلا وسلاحا ومالا برسم النفقة في طريقه ، وكتب له الى قبائل العرب وقبائل هسكورة أن يكونوا له عوناً ، وودعه فأنصرف ، فارتحل ادريس أبو دبوس حتى وصل بلاد هسكورة ، فنزل بها وكتب الى من بمراكش من خاصته يخبرهم بقومته ويسألهم عن حال البلد والمملكة ، فكتبوا اليه ان أقدم ، فان الناس في غفلة والجيش متفرقة في أطراف البلاد ، ولن تجد وقتاً لانتهاز فرصة مثل هذا ، فأسرع أبودبوس نحوها ، وجد السير بجيوشه حتى دخلها ، وكان دخوله اياها من باب الصالحة في وقت الضحا والناس في غفلة ، فتملك حضرة مراکش واستقر بقصرها ، وفر عنها المرتضا ، فقتل بخارجها وذلك في شهر المحرم من سنة خمس وستين وستمئة ، فبعث اليه أمير المسلمين يعقوب للعهد الذي كان بينهما ، فقال للرسول ما بيني وبينه عهد الا السيف وقال له : قل له يبعث ببيعته وأقره على ما يريده من البلاد ، والا غزوته بجنود لا قبل له بها ، فوصل الرسول الى أمير المسلمين فأبلغه الجواب ، وأعلمه بنكته وميله عن الصواب ، فخرج أمير المسلمين يعقوب بن عبد

الحق الى غزوه من حضرة فاس ، فسار حتى نزل بظاهر مراكش فحاصرها
وهتك أحوازها ، ورعا زروعها فلما راى أبو دبوس ماناله من شدة القتال
والحصار ، ورعي الزروع ونسف الآثار ، وشدة المجاعة فى بلاده وغلاء
الأسعار ، كتب الى يغمراسن بن زيان يستنصر به ويرغب منه ان يكونا
على أمير المسلمين يعقوب يدا واحدة ، فتعاهدا على ذلك ، واتفقا عليه ،
فشئ يغمراسن الغارات فى أطراف بلاد أمير المسلمين يعقوب ، فاتصل به
الخبر وهو محاصر لمراكش فأقلع عنها وقصد الى تلمسان ، لحرب
يغمراسن بن زيان ، ورأا ان تقديم غزوه من الواجب ، اذ هو فارس زناتة
البطل المحارب ، فسار حتى وصل الى مدينة فاس ، فأقام بها أياما حتى
استراح الناس ثم خرج الى تلمسان وذلك فى الخامس عشر من شهر
محرم من سنة ست وستين وستمئة (١٠٥ أكتوبر ١٢٦٧ م) فى احتفال عظيم
وزي عجيب ، بالقباب والعيال ، والجيوش الوافرة والركاب والأموال ،
فسمع يغمراسن بأقباله ، فخرج من تلمسان الى لقائه وقتاله ، فالتقا
الجمعان بوادي تلاغ ، فالتقا الأبطال بالأبطال ، واختلط الأمثال
بالأمثال ، وتمازجت الركاب بالركاب ، واصطفت من الجانبين العيال
والقباب ، وزحفت الجيوش على الجيوش ، فكانت بينهم حروب عظيمة ،
وهزاهز جسيمة لم ير مث لها ، فلم تر الا الخيول تضبح ، وأهلها الى
اللقاء تطمح ، فدام القتال بينهما من وقت صلاة الضحا ، الى صلاة
الظهر ، وصبرت قبائل مرين لقتال عدوها صبر الكرام الغر ، ومنحهم
الله تعالا على أعدائهم النصر ، فتمكنوا من رقابهم ، فهزمت بنو عبيد
الوادي ، وأذاقهم مرين الكرام الحمام فى ذلك الوادي ، وفر يغمراسن
مهزوما على وجهه ، وقتل قرّة عينه عمر أكبر ولده وولي عهده ، وسار
أمير المسلمين يعقوب فى أعقابهم ، ورماحه تشرع فيهم وسيوفه تعمل
فى رقابهم ، فدخل يغمراسن تلمسان خاسرا مقيدا ، مهزوما وحيدا ،
وانتهبت مرين جميع محلته وأمواله ، ومضاربه وعياله ، فكانت غزاة
تلاغ المذكورة يوم الاثنين الثانى عشر لجمادى الآخر من سنة ست
وستين وستمئة (٢٨ يناير سنة ١٢٦٨ م) ، ورجع أمير المسلمين من

هاذه الغزاة مظفرا منصورا ، مؤيدا مسرورا ، واذ حنق على ادريس
ابى دبوس اقام هنالك بمدينة فاس الى ان ظهر هلال شعبان من السنة
المذكورة ، فخرج الى مراكش لغزو ادريس ابي دبوس الناكث لعهوده ،
فلم يزل يوالى المسير ، والسعد يقدمه والتيسير ، حتى وصل الى وادي ام
الربيع ، فنزل هناك وبث جنوده فى بلاد ابي دبوس ياكلون زروعها ،
وينسفون ربوعها ، فاقام هنالك الى ان دخلت سنة سبع وستين
وستمئة فى غرة المحرم منها (الاثنين ١٠ شتنبر سنة ١٢٦٨ م) فارتحل عن وادي
ام الربيع الى ناحية تادلة ، فغزا بها عرب الخلط ، فاكلهم وسبا خريمهم
وأموالهم ، ورجع من تادلة فنزل بواي العبيد فاقام هنالك اياما ، ثم غزا
بلاد صنهاجة وسباها واقبل يدور فى احواز مراكش الى آخر ذي قعدة
من سنة سبع وستين وستمئة ، فاجتمع اشيخ القبائل من العرب والمصامدة
فساروا الى ابي دبوس وقالوا له كم تقعد عن حرب بنى مرين وتجنبن عن
لقائهم ؟ أما ترا بلادنا قد خربت ، وأموالنا قد نهبت ، وحرمانا قد سبي ؟
فاخرج لجهادهم عسى ان يكون السبب لبعادهم ، فانهم فى شزيمة قليلة
وعصابة يسيرة ، واكثرهم قد بقي برباط تازة يحرس ذالك الثغر خوفا
عليه من بنى عبد الوادي ، فاغتر ادريس ابو دبوس بقولهم ، وسارع الى
نصرهم ، وخرج فى جيوش عظيمة وجنود وافرة من الموحدين والعرب
والروم وقبائل المصامدة ، فلما سمع امير المسلمين يعقوب بخروجه من
مراكش كر راجعا نحو المغرب حيلة منه ليلعبه عن حضرته ، فسمع
ادريس ابو دبوس برجوعه قطع فيه ، وظن رجوعه انما هو للخوف منه ،
فجد فى اتباعه ، فكان امير المسلمين يعقوب اذا ارتحل من موضع اقبل
ابودبوس فنزل به ، فلم يزل لاثره يقفو ، حتى اتا لحينه وادي ودغفو ،
فكر امير المومنين راجعا فى وجهه عازما على قتاله وحره ، فالتقا
الجمعان ، واقبلت بنو مرين امثال العقبان ، والتحم القتال واشدت النزال ،
وصبرت مرين صبرها فى قتال أعدائها ، قرأ ابو دبوس مالا طاقة له به ،
فأراد الفرار ، لكى ينجو الى مراكش فيعتصم فيها بالأسوار ، فادركته
الضمير السوابق ، واقبلت أبطال مرين نحوه تسابق ، فحالوا بينه وبين

الأمالة ، وسارعوا الى طعنه وقتاله بالرماح فى وسط المعترك ، وسقط تحت جواده صريعا فكم من نثب مع النسر فى أشلائه اشتبك ، واحتز قاتله رأسه فى الحين ، وأتا به الى أمير المسلمين ، فوضعه بين يديه ، فحمد الله وأثنا عليه ، ثم خر لله تعالا ساجدا ، ثم رفع رأسه شاكررا وحامدا ، ثم أمر بالرأس فحمل الى مدينة فاس ليعتبر برؤيته الناس ، واحتوا أمير المسلمين يعقوب على جميع محله ، وذلك يوم الأحد الثانى لحرم مفتتح سنة ثمان وستين وستمئة (١ شتنبر سنة ١٢٦٩ م) ، وارتحل أمير المسلمين الى حضرة مراكش فدخلها فى يوم الأحد التاسع لمحررم المذكور ، فاستقر بحضرة مراكش وتم له ملك المغرب وتهدنت البلاد ، وصلى أمر العباد ، وتأمنت الطرقات ، وكثرت الخيرات ، وأذعن الناس الى الطاعة ، ودخلوا فى الجماعة ، فلا تائر ولا قاطع ، ولا مفسد ، ولا أفك ولا ملحد .

ولما دخل على حضرة مراكش أمن أهلها وقبائلها وأحسن اليهم ، وأفاض العدل فيهم ، وبعث ولده الأمير عبد الواحد الى بلاد السوس وتلك الأقطار ، وغزو من يها من المنافقين والأشرار ، ففتح تلك البلاد ، وأتت قبائلها طائعة مدعنة من الأغزاز والأجناد .

فلما فتح بلاد السوس بأجمعها واستقام له أمرها ، رجع الى حضرة مراكش قسر والده بقدمه وأقام أمير المسلمين يعقوب بحضرة مراكش يسدد أحوالها وينظر فى أمورها ومصالحتها ، الى رمضان من سنة تسع وستين وستمئة ، فخرج فى أول يوم من رمضان المذكور (الاثنين ١٣ أبريل سنة ١٢٧١ م) الى غزو العرب ببلاد درعة ، فانهم كانوا قد ثاروا بها وملكوا حصونها وقلاعها وأبادوا بالذهب والقتل أهلها وأموالها ، فوصلهم فى النصف من رمضان المذكور فقتل منهم خلقا كثيرا وسلب أموالهم ونساءهم ، وفتح جميع بلاد درعة وملك حصونها بعد ان كان أهل المغرب تمنعوا بمعقل منها ، فحاصروهم بها أياما فنزلوا بأمان ولده الأمير عبد الواحد فعفا عنهم وأمضا أمان ولده اليهم ، ولم يبق ببلاد درعة من أهل النفاق والفساد أحد ، ثم ارتحل الى مراكش فدخلها فى

نصف شوال من السنة المذكورة ، فأقام بها بقية شهر شوال وخرج منها الى مدينة رباط الفتح من أرض سلا ، فدخلها في آخر ذي قعدة من سنة تسع وستين المذكورة ، فعيد بها عيد النحر ، وأخذ البيعة لولده عبد الواحد في ذلك اليوم على بنى مرين ، وكان الأمير عبد الواحد على غاية الفضل والكرم ، والشجاعة والحزم ، ومكارم الاخلاق ، وكان عالي الهمة محبا للأدب مقربا لأهله ، يجالس العلماء والأدباء والشعراء ، ويتخذهم بطانة وقد اختص جماعة من الفقهاء لمجالسته ومنادمته ، منهم القاضي يوسف ابن حكم ، والفقيه القاضي الكاتب البار علي المغيلي ، والفقيه الأديب القدوة مالك ابن المرحل ، والفقيه الكاتب أبو عمران التميمي ، والفقيه الأديب عبد العزيز المزروزي الشاعر .

وكان الأمير عبد الواحد رحمه الله يحب الشعر ويرويه ويأخذ نفسه بنظمه ، وربما نظم منه البيتين والثلاثة ، ومن شعره يفتخر رحمه الله وعفا عنه :

فرقت في الميدان كل ملك
وجعلت في الميدان خدا مالكا
وجمعت بين جراءة ونسوك
كي لا تغيره العدا بسلوك

ولما أخذ أمير المسلمين البيعة لولده عبد الواحد برباط الفتح ، وذلك يوم عيد النحر سنة تسع وستين المذكورة (٢١ يوليوز سنة ١٢٧١م) عز ذلك على جماعة من بنى عبد الحق ، وساروا من ليلتهم تلك الى جبل أمركو (١٧٥) فناققوا به ، وهم محمد بن ادريس بن عبد الحق ، وموسى بن رحو بن عبد الحق ، وجميع أولاد سوط النساء ، فخرج أمير المسلمين في أثرهم ، وقدم بين يديه ولده الأمير يوسف في خمسة آلاف فارس أخرا فشرعوا في قتالهم ثم لحق بهم أمير المسلمين بجميع عساكر مرين ، فنزل عليهم في اليوم الثالث ، فحاصرهم به يومين فأذعنوا للطاعة ، وطلبوا الأمان فأمنهم وعفا عنهم على ان يرتحلوا الى تلمسان فساروا

(١٢٧٥) أمركو : جبل شهير بقبيلة فشتالة قرب ضريح مولاي بوشنا الخمار ، بإعلاء حصن متبع من بناء المرابطين .

اليها ، ثم جازوا منها الى الأندلس .

وفى سنة تسع وستين المذكورة توفى يعقوب بن جابر العبد الوادي أمير سجلماسة ليغمراسن خرج له خراج فى مذاكيره فمات منه .

وفى سنة سبعين وستمئة خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزو تلمسان ، وقتال يغمراسن بن زيان ، فبعث ولده الأمير عبد الواحد الى أرض مراکش يحشد من بها من قبائل العرب والمصامدة ، ويلحقه بالجميع ، فخرج بالجميع من مدينة فاس فى غرة صفر من السنة المذكورة (الثلاثاء ٨ شتنبر سنة ١٢٧١ م) ، فى جميع جيوشه من بنى مرين أنجدهم الله تعالا ، فسار حتى نزل وادي ملوية ، فأقام عليه أياما حتى ورد عليه ولده الأمير عبد الواحد فى جيوش عظيمة من قبائل عرب جشم والأندلس والأغزان والروم فى احتفال واستعداد ، فأقام بعد وصول ولده اليه ثلاثة أيام ، ثم مير جيوشه وارتحل الى تلمسان ، فلما كان بتافنا (١٧٦) أتاه رسول ابن الأحمر يسأله ان ينصر الدين ، ويغيث بالأندلس المسلمين ، ويخبره ان القونسو لعنه الله قد ضيق ببلاده ، فخرج أمير المسلمين يعقوب رحمه الله الى خباء الساقة وجمع أشياخ بنى مرين وأشياخ العرب وأخبرهم بما فيه المسلمون بالأندلس واستشارهم فى ذلك ، فأشاروا عليه بصلح يغمراسن وتهديد البلاد ، والجواز الى الجهاد ، فبعث الأشياخ من كل قبيلة من زناتة والعرب الى يغمراسن يطلبونه فى الصلح ، وقال لهم ان الصلح خير كله ، فان جنح اليه وأتاب فحسن ، وان أبا الا القتال فاسرعوا الى الرجوع ، فسارت الأشياخ الى يغمراسن فرغبوه فى الصلح ولاطفوه فى ذلك بالقول الجميل ، فقال لهذا لاصلح بيني وبينه ، أبعد قتل ولدي عمر أصالحه ؟ والله لاكان ذلك أبدا ، ولا أترك قتاله أبدا ، حتى أخذ منه الثار ، وأذيق بلاده التبار ، فوصلت الرسل بذلك ، فأسرع أمير

(١76) تافنا : نهر ينبع من جبل بنى ورنيد قرب قرية سيدو جنوبى تلمسان ، ويسير متحنشا فى اتجاه جنوبى غربى ثم شمالى شرقى حتى يصب فى البحر المتوسط أمام جزيرة أرشكون غربى مرسا بنى مصاف ، كان به الحد بين المغربيين الأقصا والأوسط خلال الحكم التركى للجزائر ، ثم دفع الحد غربا الى نهر كيس سنة ١845 .

المسلمين نحوه المسير ، ودعا الى الله تعالى بالنصر والتيسير ، وخرج يغمراسن للقائه فى قوة واستعداد ، وجيوش مالها حصر كأنها الجراد ، فالتقا الجمعان بوادي ايسلى بمقربة وجدة ، فالتحمت الحروب بينهما واضطربت ، واشتعلت نار الوغا والتهبت ، وشمرت عن ساقها وتضمرت ، فجعل أمير المسلمين ولده عبد الواحد على المينة وولده يوسف على الميسرة ، فتقدم يوسف بالميسرة للقتال ، وتابعه عبد الواحد بالمينة للطعن والازال ، وأتا والدهم أمير المسلمين على اثرهم فى القلب والساقة فالتحم الحرب وكثرت الأهوال ، فهزم يغمراسن وقتل ولده فارس ، وفر نحو مع بعض ولده ، وخرج من تحت ذباب السيوف وقتل من بنى عبد الوادي وبني راشد خلق كثير ، وقتل جميع من كان بمحلته من الروم . ولولا أنه حال الظلام بين الفريقين لم من بنى عبد الوادي باقية ، ومصر يغمراسن على محله وهو مهزوم ، فأضرم فيها النيران وفر حتى دخل تلمسان ، كما قال الله تعالى فى كتابه المبين (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) ، وانتهبت الناس محله وأمواله ، وأثقاله وعياله ، وارتحل أمير المسلمين من الغد فى أثره حتى وصل الى وجدة ، فوقف عليها حتى هدمت وعفا أثرها وجعل عاليها سافلها ، وتركها قاعا صفصفا ، وارتحل عنها وكانت هاذة الهزيمة فى النصف من رجب من سنة سبعين وستمئة (١٦ يبرابر سنة ١٢٧٢ م) ، وفى ذلك يقول بعض الكتاب ، الملتزمين لخدمة ذلك الباب ، رحمه الله :

إذا الخيل جالت فى الحروب حسبتهم قضاء من الرحمان مامنه عاصم
ووالدهم فى جاحم الحرب بينهم يبيد حماسة الجيش والسعد قائم
فويحك يا يغمور هل لك منجد أيقظان حين أنت أم أنت نائم ؟
أفى كل عام تترك ابنك للقنا وتسبيل لك الغيد الحسان الكرائم
ولما هدم أمير المسلمين وجدة ولم يبق لها اثر أوغل فى بلاد يغمراسن
يخربها ويسبى أموالها حتى وصل الى تلمسان ، فنزلها ودارت المحلات
بأسوارها وشد فى حصارها ، وشرع فى قتالها ، فوصل اليه وهو عليها
الأمير محمد بن عبد القوي التجينى فى جيش كثيف واحتفال عظيم

بالمطبول والبنود ، فركب أمير المسلمين الى لقائه فى جيوشه وأبطاله ،
فقتلاه بأحسن زي وأكمل احتفال ، واشتد الحصار على يغمراسن
وعظم القتال ، وضيق قبائل تحيين بمدينة تلمسان ، لأخذ ثارهم من
يغمراسن بن زيان ، فقطعوا الثمار والجناث وخربوا الرباع ، وأفسدوا
الزروع ورقوا القرا والضياح ، حتى لم يدعوا بتلك النواحي قوت يوم ،
حاشا السدرة والدوم ، فلما نسف بلاده ، وقتل أجناده ، أمر بازيان محمد
ابن عبد القوي بالرجوع الى بلاده ، وأعطاه الف ناقة من مال بنى عبد
الوادي ومئة قرس من مراكبهم ، وخلعا وسيوفا ودرقا ومضارب ، وقعد
أمير المسلمين بظاهر تلمسان حتى تعرف أنه وصل الى ونشريس خوفا
عليه من يغمراسن ان يتبعه ، فلما علم أمير المسلمين أنه قد وصل الى
بلاده بجميع ما أعطاه من النعم ألقع عن تلمسان وكر راجعا الى المغرب
مظفرا منصورا ، فوصل رباط تازة فى أول يوم من ذي حجة من سنة
سبعين المذكورة (الخميس ٢٩ يونيو سنة ١٢٧٢ م) ، فعيد بها عيد النحر
وارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى غرة المحرم من سنة احدا وسبعين
وسمئة (الجمعة ٢٩ يوليوز سنة ١٢٧٢ م) فأقام بها الى اليوم الحادي
عشر من صفر فتوفي ولده الأمير عبد الواحد ، فأسف لفقده ، ثم تلقا
بالرضا أمر ربه ، وصبر الصبر الجميل ، وارتحل الى مراكش فدخلها
فى أول يوم من ربيع الثانى من السنة المذكورة (الثلاثاء ٢٦ اكتوبر) فأقام
بها وأصلح أحوالها ، وهدن أحوازها ، وخرج منها الى طنجة فوصلها
فى أول يوم من ذي حجة من سنة احدا وسبعين المذكورة (الاثنين ١٩
يونيو سنة ١٢٧٣ م) ، فنزل عليها وحاصرها وشرع فى قتالها ، فأقام
يقاتلها غدوا ورواحا ، ومساء وصباحا ، مدة من ثلاثة أشهر ، وكانت
طنجة حين قتل بها ابن الأمين وأولاد أبى يحيى ملكها الفقيه أبو القاسم
العزفى صاحب سبته ، فضبطها وقام بأمرها مع أشياخها ، فلما طال
مقام أمير المسلمين عليها أراد الرحيل عنها فبينما هو فى اليوم الذى عزم
على الرحيل فى غده واقفا أمامها والناس يقتتلون بين يديه وقد قارب
العشي اذا جماعة من رماتها قد قاموا فى برج من أبراجها ، وكان معهم

شيخ من أشياخ الرماة وقوادها يعرف بابن اللجى فأشار الى المحلة ورفع راية
بيضاء شعارا فبادر اليه المقاتلون من أهل المحلة فملكوهم البرج ، فأقاموا
عليه يحاربون أهل البلد طول ليلتهم ، فلما كان عند الصباح تكاثرت عليهم
الرجال والرماة واشتد الكفاح ، فانهزم أهل البلد وأخلوا الأسوار ،
وركنوا للفرار ، فدخلت المدينة عنوة على أهلها ، فعفا أمير المسلمين عنهم ،
ونادا مناديه الأمان ، ولم يمت بها الا نفر يسير ممن رفع يده ، وشهر
سلاحه فى حين الرحلة ، وكان فتح طنجة ودخول أمير المسلمين اياها
عنوة فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين وستمئة .

ولما فرغ أمير المسلمين من فتح طنجة بعث ولده الامير يوسف الى
سبتة فحاصر بها العزفى أياما فبايعه وصالحه على مال يؤديه فى كل
سنة ، فقبل ذلك منه وارتحل عنه .

وفى شهر رجب من سنة اثنتين وسبعين المذكورة خرج أمير المسلمين
يعقوب لغزو مدينة سبلماسة ، وكانت بيد يغمراسن بن زيان وعرب
المنبات ، وكان يغمراسن يبعث اليها فى كل سنة ولدا من أولاده لضبطها
وجباية خراجها مع المنبات الذين قاموا بأمرها ، فسار أمير المسلمين
يعقوب اليها فى جيوش بنى مرين وقبائل العرب ، فحاصرها وشرع فى
قتالها وضيق عليها وبالع فى حربيها وتصب عليها المجانيق والرعدات
وضاق أهلها من شدة الحصار والقتال ، فكانوا يصعدون على الأسوار
فيسبون ويلعنون بالقبيح ، فهتك المنجنيق من سور لها برجاً ومسافة ،
فانهذ البرج والمسافة ، فدخلها من هنالك عنوة بالسيف على عاملها عبد
الملك ابن حنينة العبد الوادى ، فقتل هو ومن كان معه بها من بنى عبد
الوادى وعرب المنبات ، وكان فتحها يوم الجمعة ثالث ربيع الأول من سنة
ثلاث وسبعين وستمئة (٧ شتنبر سنة ١٢٧٤ م) ، وقيل كان فتحها آخر
يوم من صفر من السنة المذكورة ، فأمن أمير المسلمين أهلها وعفا عنهم
وأصلح أحوالهم وأقام بها أياما حتى تهدئت أحوازها وأوديتها وتأمنت
سبلها وراتحل عنها وترك بها عامله .

ولما رجع أمير المسلمين من فتح سبلماسة سمت به همته العلية الى

الجهاد ، اذ لم يبق له منازع بالبلاد ، فورد عليه فى اثناء ذلك كتاب ابن الأحمر يستنصره ويسأله اعانة الأندلس ويخبره بما فيه المسلمون بها من القتل والأسر وكثرة الغارات مع الأحيان والساعات ، فوجده عازما على الجهاد حريصا على الجواز ، فقتابعت عليه رسل ابن الأحمر يقول له يا أمير المسلمين أنت ملك الزمان ، والمنظور اليه فى هاذن الأوان قد وجب عليك نصر المسلمين ، واعانة المستضعفين ، فان لم تنصر الاسلام فمن ناصره ؟ وكان الشيخ أبو عبد الله ابن الأحمر قد أوصا ولده عند وفاته ان يستدعي أمير المسلمين للجهاد ، ويعطيه مايريد من البلاد ، فلما أمير المسلمين دعوته ، وبادر الى اجابته ونصرته ، وخرج من مدينة فاس برسم الجواز رحمه الله .

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب

إلى الأندلس برسم الجهاد وهي أولا غزواته إلى بلاد الشرك

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما تواترت الرسل وتتابعت الكتب على أمير المسلمين من ابن الأحمر يستدعيه للجواز ويستنصره ، خرج من مدينة فاس فى أول يوم من شوال من سنة ثلاث وسبعين المذكورة (السبت ٣٠ مارس سنة ١٢٧٥ م) حتى وصل الى طنجة فبعث الى الفقيه أبى القاسم العزفى ، وأمره بتعمير الأساطيل لجهاد المشركين ، واصلاح الأجفان واعدادها لجواز المجاهدين ، وأمره بالتعاون على البر والتقوا ، وعقد لولده الأمير أبى زيان على جيش من خمسة الاف فارس من أنجاد بنى مرين وفرسان العرب ، ودفع له رايته المنصورة ، وأوصاه بتقوا الله تعالى فى السر والعلانية ، ودعاه الى قصر المجاز ، فوجد الفقيه أبى القاسم العزفى قد جهز له عشرين جفنا وأعد لها هنالك لجواز المجاهدين ، فركب الأمير أبو زيان البحر فى جميع جيشه من قصر المجاز ، فنزل بطريف من بلاد الأندلس ،

وذلك في السادس عشر من ذي قعدة سنة ثلاث وسبعين المذكورة ، فأقام بطريف ثلاثة أيام حتى استراح الناس والخيول من هول البحر ، فخرج إلى البحيرة فغنمها وبعث بالمغنم إلى الجزيرة ، ووالا السير في بلاد العدو يقتل ويسبي ويخرب القرا والحصون ويحرق الزرع ويقطع الثمار ويفسف الآثار حتى وصل إلى شريش ، ولم يقدر أحد من الروم أن يخرج إليه ثم قفل إلى الجزيرة بالمغانم والسبي والعلوج في القطائن يفرح به أهل الأندلس إذ كانت بلادهم لم تنصر بها للمسلمين راية من غزاة العقاب التي هزم بها الناصر الموخدي في سنة تسع وستمئة إلى هاذة الغاية ، وألقا الله تعالى الرعب في قلوب أهلها من الروم ، فكانوا لا يستطيعون قتالهم ولا يبرزون إليهم ولا يواقفونهم ، فملك الروم بلادها وحصونها وقواعدها إلى أن جازت راية المنصور أمير المؤمنين يعقوب فأعز الله تعالى بها الاسلام ونصر بها الايمان ، وأذل بجوازمها عبدة الأوثان ولما انصرف الأمير أبو زيان براية والده المنصورة إلى الأندلس بعث أمير المسلمين يعقوب خفيده الأمير تاشفين بن عبد الواحد السبي يغمراسن بن زيان يطلبه في الصلح واجتماع كلمة الاسلام لكي يجوز إلى الجهاد ، ويزيل الروعة من البلاد ، فتم الصلح بينهما بفضل الله تعالى على المراد ، واجتمعت كلمة أهل الاسلام وألف الله تعالى بين قلوبهم ، فوصل الأمير تاشفين من تلمسان وقد تم صلحه مع يغمراسن ، فسر أمير المسلمين بذلك سرورا عظيما ، وتصدق بمال جليل شكرا لله تعالى ، ثم كتب إلى أشياخ مرين وقبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل العرب يستنفرهم إلى الجهاد ، فخرجت الكتب إلى القبائل والبلاد ، وارتحل أمير المسلمين إلى قصر المجاز ، فأخذ في تجهيز الجيوش والخيول والسلاح والعدد وتجويزهم إلى الأندلس وتجويز المجاهدين ، فكان رحمه الله يجوز كل يوم قبيلة من بني مرين ، وطائفة من المجاهدين ، فكان الناس يجوزون أفواجا أفواجا ، وقبيلة قبيلة ، وأفرد أجفانا لجواز الموطوعين لايجوز فيها غيرهم ، فلما كمل الناس بالجواز واستقروا بسواحل الأندلس وانتشرت محلات المسلمين من طريف

الى الجزيرة الخضراء جاز أمير المسلمين أخرهم على حين غفلة من
الفاطمية ، فنزل بساحل طريف ، وكان جوازه رحمه الله فى ضحوة يوم
الخميس الحادي والعشرين لصفر من سنة أربع وسبعين وستمئة (١٥)
غشت سنة ١٢٧٥ م) فصلا الظهر بطريف وانصرف الى الجزيرة الخضراء
من حينه ، فوجد بها الأمير ابن الأحمر وابن أشقيلولة سلطاني الاندلس
بعساكرهما وحشودهما ينتظرانه بها ، فالتقا بهما وسلما عليه ، وكان
بين ابن الأحمر وابن أشقيلولة منافسة وشحناء ، فأزالها وأصلح بينهما
 واجتمعت الكلمة وتآلفت القلوب بحول الله وتفاوضوا فيما يصلح المسلمين
وكيف يكون العمل فى جهاد المشركين ، ثم ودعه ابن الأحمر وابن أشقيلولة
وانصرفا الى بلادهما ، فسار ابن الأحمر الى غرناطة ، وابن أشقيلولة الى
مالقة ، وارتحل أمير المسلمين يعقوب بجميع جيوش المجاهدين قاصدا
الى غزو الكافرين لم يقعد ولم يتلبث ، ولم يبال بمن قعد او تخلف ، لم
تستطع جفونه مناما ولم يلتذ شرابا ولا طعاما ، حتى وصل الى الوادي
الكبير مخافة أن يشعر الروم بقدومه او ينذرهم به نذير ، فعقد هنالك
لولده الأمير يوسف على مقدمته وقدمه بين يديه فى جيش من خمسة آلاف
فارس ، وأعطاه طبولا وبنودا ، فانتشرت الجيوش فى أرض الوادي
الكبير كأنها السيل العر الغزير او الجراد المنتشر ، لايمرون بشجرة الا
قطعوها ، ولا بقرية الا خربوها ، ولا بمال الا غنموه ، ولا بزرع الا حرقوه
فغنموا مايتلك الناحية من الأموال ، وقتلوا من وجدوه بها من الرجال ،
وسبوا الذرية والعيال ، وسار حتى بلغ حصن المدور من أحواز
قرطبة يقتل ويسبى ويحرق الزروع ، ويخرب القرا والربوع ، حتى هتك
جميع أحواز قرطبة وأبذة وبياسة ونواحيها ، وقتل فيها من الروم ألوقا
لاتحصا وسبوا نساءهم وذرائعهم كذلك ودخل حصن بلنسية بالسيف ،
وغنم المسلمون جميع ماكان به من الأموال ، وامتلأت أيدي بنى مريـن
بالغنائم ، فأمر أمير المسلمين بجمع المغنم ، فجمع البقر والغنم والخيـل
والدواب والعلوج والروميات والذراري والثياب والعدد فتألف منها ماملا
السهل والوعر ، ولا يحويه عد ولا حصر ، ثم أمر بها فقدمت بين يديه ،

وأفسد بالحرق والقطع والتخريب جميع مآمر عليه ، وأضرم النيران فى تلك الجهات ، حتى صار البلد كالشفق فى الظلمات ، واجتمع السبي على شنيل ، وفاضت الغنائم هناك فيض النيل ، ثم ارتحل أمير المسلمين والغنائم تساق أمامه وتقاد الروم بين يديه فى الأصفاد مقرنين ، حتى قربوا من مدينة استجة فأتا بها النذير الى أمير المسلمين ، فأخبره أن جميع النصرانية قد تآلفت على كبيرهم وزعيمهم دون نونيودي لارا ، وأنه قد خرج فى طلبه فى جيوش عظيمة ، وجنود كثيرة جسيمة ، وهو لاحق بك فى يومك هذا ، مستعد الى قتالك ورد الغنائم واستنقاذها من يدك .

الخبر عن غزاة أمير المومنين يعقوب

الى دون نونيودي لارا

لما وصل أمير المسلمين الى استجة برز عليها بجيوشه المنصورة وبما أفاء الله تعالى عليه من الغنائم ، فوافاه النذير باقبال دون نونيودي لارا (١٧٧) اليه بجيوش الروم ، فدعا بأشياخ بنى مريين يشاورهم كيف العمل فى لقاء الكافرين إذ نظر الناس الى طلائع خيل الروم مقبلة نحوهم الوفا الوفا ، والرجال أمامهم صفوفا صفوفا ، وزعيم النصرانية دون نونيودي لارا فى وسط الجيوش كان الفونسو لعنه الله قد قدمه على جيوشه وحروبه ، وفوض له فى جميع بلاده وأموره ، وكان النصارا قد سعدوا به لانه لم يهزم قط ، وكان وبالا على بلاد الاسلام شديد اللوطة عليها قد أباد أكثرها لايفتر عنها بالغارات على مدى الايام ، فأقبل اللعين الى حرب أمير المسلمين بالأبواق وتحت ظلال البنود تخفق على رأسه فى جيش كأنه الليل الداج يموج كالبحر اذا هاج ، والخيـل

(١٧٧) فى الأصل ذى نونه ، ويكتبه المؤرخون المتأخرة ذ نونه أيضاً ، واسمه الحقيقى

هو ما أثبتناه .

والرجال تأتي على أثره زمرا وأفواجا بعد أفواج ، قد أعدوا للحرب
أوزارها ، وزعموا أنهم أصبحوا حماة وانصارها ، وتدرعوا هم وخيولهم
بالزرد النضديد ، ومصفحات الحديد .

فلما عاين ذلك أمير المسلمين من أمرهم وشاهد عزمهم في إقبالهم
أمر بالغنائم فقدمت بين يديه وبعث معها ألف فارس من أنجاد بني مرين ،
وتأخر هو بجميع جيوش المجاهدين ، للقاء أعداء الله الكافرين ، ثم نزل
عن جواده ، فأسيخ وضوءه وصلا ركعتين ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء
والمسلمون يؤمنون على دعائه ، فكان في آخر دعائه مادعا به النبي صلا
الله عليه وسلم يوم بدر للصحابية : اللهم انصر هاذي العصاية وسلمها
وأعنها على جهاد عدوك وعدوها وأيدها ، فقبل الله تعالا دعاءه ورحم
تضرعه وابتهاله .

ولما فرغ من دعائه قام فركب على جواده ، وعبأ جيوشه واستعد
لجهاده وجلاده ، وعقد لولده الأمير يوسف على مقدمته ، ثم أقبل على
أشياخ بني مرين وأمراء العرب ورؤساء القبائل ، فقال : يامعشر
المسلمين وعصابة المجاهدين ان هاذي يوم عظيم ، ومشهد جسيم ، ألا وأن
الجنة قد فتحت لكم أبوابها ، وزينت أترابها ، فجدوا في طلبها ، فان
الله تعالا اشترا من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فشمروا
عن ساعد الجد معاشر المسلمين في جهاد المشركين ، فمن مات منكم مات
شهيدا ومن عاش عاش غانما ماجورا حميدا ، (فاصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

فلما سمع الناس منه هاذي المقالة طاقت أنفسهم الى الشهادة ، وعانق
بعضهم بعضا للوداع ، والقلوب لها وجيب وانصداع ، وقد طابت نفوسهم
على الموت ، وباعوها من ربهم بالجنة قبل الفوت ، وارتفعت أصواتهم
بالشهادة والتكبير ، وكلهم يقول عباد الله اياكم والتقصير ، فتسابقست
أبطال المسلمين نحو جيوش الروم ، فالتقا الجمعان والتحم القنسال ،
واشدت الخزال ، فلاترا الا السهام تهوي في الروم كأنها الشهب الثواقب ،

وتفعل في أعداء الله تعالى فعل العذاب الواصب ، والسيوف بالدماء ترعف ورؤوس الكفرة عن أجسادهم تقطع وتقطف ، ودارت بهم أبطال بنى مرين ، كأسياد العرين ، يحكمون فيهم السيوف ، وينيقونهم مرارة الحنوف ، قد صبروا صبر الكرام ، في حرب السفلة اللثام ، فنصر الله تعالى جنده ، وأظهر أوليائه وأيد حزبه ، فقتل زعيم الكفرة دون دونيو وهزمت جيوشه وعساكره ، وقتلت جموعه ولم يكن الا كلمح البصر حتى لم يبق السيوف منهم من يخبر الخبر ولم تبق الرماح منهم باقية ، ولم تق الدروع منهم واقية ، وأمر أمير المسلمين بقطع رؤوس الروم الذين قتلوا في المعركة واحصائها فقطعت وأحصيت ، فكانت ثمانية عشر ألف رأس ونيف ، طلعت كأنها الجبال ، فصعد المؤذنون عليها فأذنوا للصلاة ، فصلا المسلمون صلاة الظهر والعصر في وسط المعترك بين القتلا مختضيين في دمائهم ، فلما فرغ المسلمون من صلاة العصر افتقد أمير المسلمين جيوشه ونظر من استشهد في تلك الغزاة من المسلمين ممن سبقت له من الله الحسناء وختم له بالشهادة ، فوجد تسعة نفر من بنى مرين ، وخمسة عشر من العرب والأندلس وثمانية من المتطوعين ، فواراهم بالتراب ، ثم حمد الله تعالى وشكره ، وأطال الثناء عليه كما أمره ، وكانت هذه الغزاة الكريمة والنعمة الجسيمة التي أعز الله تعالى بها الاسلام وأذل بها عبدة الاصنام في الخامس عشر من شهر ربيع الأول المبارك شهر مولد سيدنا محمد صلا الله عليه وسلم الذي هو من سنة أربع وسبعين وستمئة (٨ شتنبر سنة ١٢٧٥ م) ، وكتب أمير المسلمين بالفتح الى جميع بلاد المسلمين بالأندلس والعدوة ، فقرئت كتبه على المنابر ، وعملت المفرجات في سائر بلاد المغرب والأندلس ، وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى ، ووصل أمير المسلمين الى الجزيرة الخضراء بالغنائم والأسرا والسبي ، فدخلها في الخامس والعشرين من ربيع الأول (١٨ شتنبر) من السنة المذكورة في احتفال عظيم وزى عجيب وابطال الروم وزعمائهم يقادون بين يديه في القطائن والحبال ، مصفدين في السلاسل والأغلال ، وبعث أمير المسلمين برأس دون دونيو دي لارا الى ابن الأحمر ليبرا فعل

الله تعالى بأعدائه ، ونصره لأوليائه ، فأخذ ابن الأحمر الرأس وجعله في المسك والكافور وبعث به الى القونسو يستخدمه بذلك ، ويتحجب اليه به ، وأقام أمير المسلمين بالجزيرة الخضراء لقسمة ما أقاء الله تعالى عليه من المغنم ، فأخرج الخمس منه لبیت المال وقسم الباقي في المجاهدين ، وكان عدد البقر في هذه الغنيمة مئة ألف رأس وأربعة وعشرين ألف رأس ، وأما الغنم فعجز عنها الحصر لكثرتها ، بيعت الشاة منها في الجزيرة الخضراء بدرهم .

وكان عدد الأسارا من الرجال والنساء والذرية سبعة آلاف وثمانمئة وثلاثين نفسا وعدد الخيل والبغال والحمير أربعة عشر ألف رأس وستمئة ألف رأس .

وأما الدروع والسيوف والعدد فمالها عدد من كثرتها فامتلات أيدي المسلمين ، وصلحت أحوالهم ، وأعطى أمير المسلمين حظه القوي والضعيف والملوك والشریف ، وأقام أمير المسلمين بالجزيرة الخضراء بقية الشهرين ربيع الأول والثاني .

فلما كان في أول يوم من جمادى الاولى (الاربعاء ٢٣ أكتوبر) خرج من الجزيرة الخضراء غازيا الى أشبيلية ، ولما وصل أمير المسلمين الى الخضراء كتب اليه الرئيس أبو محمد ابن أشقيلولة كتابا يهنئه فيه بالفتح وفي آخره هذه القصيدة (١٧٨) .

هبت بنصركم الرياح الأربع	وجرت بسعدكم النجوم الطلوع
وأنت لعونكم الملائك سبقا	حتى لضاق بها الفضاء الأوسع
واستبشر الفلك الأثير تيقنا	أن الأمور الى مرادك ترجع
وأمدك الرحمان بالفتح الذي	مألا البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بذلت في مرضاته	نفسا تفديها الخلائق أجمع

(١٧٨) هذه القصيدة انما تمثل بها ابن أشقيلولة فقط ، وهي من شعر الأمير الموحد سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي ، نظمها مهنأ ابن عمه الخليفة يعقوب المنصور بفتح قفصة ، وهي مثبتة في ديوانه المطبوع بتطوان ص 20 .

وانت انت نصر دينه متوكلا
وكتائب منصوره يجدو بها
الله جندك والصوارم تنتصفا
من كل من تقوا الالاه سلاحه
لايسلمون الى النوائب جارهم
ومنها يصف انهزام العدو :

ان ظن ان فراره منج له
اين المفر ولا فرار لهارب
اخليفة الله الرضا هنته
فلقد كسوت الدين عزا شامخا
ان الذي سماك خير خليفة
هيات سر الله اودع فيكم
لكم الهدا لايدعيه سواكم
ان قيل من خير الخلائف كلها
ان كنت تتلوا السابقين فانما
فالانتم نذر الخلافة والذي
خذها امير المؤمنين مدائحا
فالممدح مني في علاك طبيعة
حزها ملاءة مدحة منسوجة
واسلم امير المؤمنين لامة
وحماك من يحمي بسيفك دينه
وعليك يا اسنا الملوك تحية

بعزيمة كالسيف بل هي اقطع
امر اذا امضيته لايرجع
والخيل تجري والاسنة تشرع
ما ان له الا التوكل مفزع
يوما اذا أضحا الجوار يضيع

فبجهله قد ظن ما لاينفع
والارض تنشر في يدك وتجمع
فتح يمد به سواء ويشفع
ولبست منه انت ما لايلع
جعل الخلافة فيكم لانزع
والله يعطى من يشاء ويمنع
ومن ادعاه يقول ما لايسمع
فالليك يايعقوب يومى الاصبح
انت المقدم والخلانق تبع
وجه الزمان بوقتها يتطلع
من قلب صدق لم يشنه تصنع
والممدح من غيري اليك تطبع
فعساه يحسدها السماك الأرفع
انت الملاذ لها وانت المفزع
وكفك ما تخشا وما تتوقع
يفنا الزمان وعرفها يتضوع

الخبر عن غزاة أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله الثانية في جوازه الأول

قال المؤلف عفا الله عنه :

خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزاته الثانية من الجزيرة الخضراء أول يوم من جمادا الاول من سنة أربع وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٢٣ أكتوبر سنة ١٢٧٥ م) فقصد الى أشبيلية فسار بجيوش المسلمين حتى نزل عليها بموضع يعرف بالماء المفروش ، فشن الغارات على أحوازها ، وجالت جيوشه في أقطارها ، وغنموا ماكان في أنحائها ، وركب في اليوم الثاني حتى أشرف على بابها ، وبرز عليها تهدر طبوله وتخفق راياته ، وركب الروم الأسوار ، واعتمدوا على الحصار ، ولم يكن في ملوكهم من يقدم عليه ، ولم يستطع زعيم منهم ان يخرج اليه ، فلما غنمها وهتك أحوازها وأحرق قراها وخرب حصونها ارتحل عنها الى شريش ، ففعل بها كفعله في أشبيلية ، وأقام عليها ثلاثة أيام وارتحل الى الجزيرة الخضراء فدخلها في اليوم السابع والعشرين لجمادا الاول المذكور فقسم ما جاء به من الغنائم والسبي ، بيعت الرومية في هاذة الغزاة بمئقال ونصف لكثرتهم ، ودخل فصل الشتاء ، فبقي أمير المسلمين زمن الشتاء كله ساكنا بمحلته على وادي النساء بقرب الجزيرة الخضراء ، واحترم الروم الحرثة فقلت أسعارهم ، وضعفت بلادهم ، وقنط بنو مريش من المقام بالأندلس وتشوقوا الى أولادهم وديارهم .

فلما علم أمير المسلمين ذلك منهم جاز الى العدو ، فنزل بقصر المجاز وذلك في آخر يوم من رجب من سنة أربع وسبعين المذكورة (الاحد ١٩ يناير سنة ١٢٧٦ م) ، وكانت مدة اقامته بالأندلس ستة أشهر ، وسار الى مدينة فاس فدخلها في النصف من شعبان من السنة المذكورة ، وعند وصوله الى مدينة فاس ناقق عليه طلحة بن محلى البطوي أحد أخواله وتمنع بجبل أزرو من بلاد قازان فخرج اليه أمير المسلمين من فاس فنزل

عليه بعساكره وحاصره فراا مالا قبل له به ، فنزل اليه بأمانه فعفا عنه وذلك فى نصف شهر رمضان المعظم من سنة أربع وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٣ مارس ١٢٧٦ م) .

وفى ثانى شوال من هاذه السنة قتل اليهود بفاس ، قامت عليهم العامة فقتل منهم أربعة عشر الف يهودي ، ولولا ماركب أمير المسلمين فكف العامة عنهم ونادا مناديه لايتعرض لهم أحد لم تبقى منهم باقية .

وفى اليوم الثالث من شوال المذكور (٢١ مارس) أمر أمير المسلمين يعقوب ببناء البلد الجديد ، فأسس على وادي فاس ، وشرع فى بنائنه وحفر أساسه فى ذلك اليوم ، وركب أمير المسلمين فوقف عليه حتى حد وأسس وأخذ له الطالع الفقيه المعدل علي ابن القطان ، والفقيه محمد ابن مبارك ، وكان تأسيسه فى طالع سعيد ووقت ميمون مبارك ، ومن بركته وسعادة طالعه أنه لايموت فيه خليفة ولم يخرج قط لواء منه الا نصر ، ولا جيش الا ظفر .

وفى شوال المذكور أمر أمير المسلمين ببناء قصبة مكناسة وجامعها وفى شهر محرم من سنة خمس وسبعين خرج الأمير يعقوب من مدينة فاس الى مراكش فوصلها فى نصفه ، فأقام بها الى أول شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة ، وخرج الى بلاد السوس ثم رجع الى مراكش ، فأقام بها أياما وخرج منها الى رباط الفتح ، فدخله فى أول يوم من شعبان فأقام به وكتب الكتب منه الى الأشياخ والقبائل من بني مرين وسائس العرب وسائر قبائل المغرب يستنفرهم للجهاد ، فدنأقلوا عليه ، فلم يزل يحرضهم وهم يلوذون بالأعدار ، ويتناقلون الى ان دخلت سنة ست وسبعين فلما راا تناقل الناس عن الجهاد وتشبطهم عن الجواز ، جد بنفسه وخاصته ، فخرج من رباط الفتح فى أول يوم من شهر محرم من سنة ست وسبعين وستمئة (الجمعة ٤ يونيو سنة ١٢٧٧ م) فسار حتى وصل قصر المجاز ، فجاز منه الى طريف وذلك فى الخامس والعشرين من محرم المذكور (٢٨ يونيو) .

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله إلى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثاني

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما راا أمير المسلمين يعقوب تثاقل الناس عن الجهاد خف اليه بخاصته ، ونهض الى الجواز وسار نحوه بعزيمته ، فخرج من رباط الفتح فى أول يوم من محرم مفتتح عام ستة وسبعين وستمئة (الجمعة ٤ يونيو سنة ١٢٧٧ م) ، فوصل الى قصر المجاز وقد تلاحق به الناس حين راوا عزمه ، وعلموا جده ، فتداركت فى أثره قبائل بنى مرين والسعرب والمتطوعة من قبائل المغرب من المصامدة وصنهاجة وأوربة وغمارة ومكناسة وغيرهم ، فأخذ فى تجويز الجيوش حتى فرغ منها ، ثم جاز هوفى أثرهم فنزل بساحل طريف وذلك فى اليوم الثامن والعشرين من المحرم المذكور (الخميس ١ يوليوز) ثم ارتحل عنها الى الجزيرة فأقام بها ثلاثة أيام ، وخرج الى رندة فوصلها ونزل بخارجها وأتاه هنالك بنو أشقيلولة وهم الرئيس أبو اسحاق صاحب وادي أش ، والرئيس أبو محمد صاحب مالقة ، فسلموا عليه وساروا معه تحت لوائه الى غزو اشبيلية ، فارتحل عن رندة فى أول يوم من ربيع الأول المبارك من سنة ست وسبعين المذكورة (الاثنين ٢ غشت سنة ١٢٧٧ م) ، فوصل اشبيلية فنزل قريبا منها ، وكان بها الفونسو العاشر الملقب بالعالم والحكيم ملك النصرانية ، فلما سمع بنزول أمير المسلمين عليه لم يمكنه الا الخروج اليه ، فخرج بجنوده وجيوشه ، ووقف حول المدينة بعساكره وحشوده ، واصطفت عساكر الزوم على ضفة الوادي الكبير فى استعداد عظيم ، وعدد كثير جسيم ، وكلهم فى الدروع السابغة ، والبيضات اللامعة ، والسيوف البواتر ، والجواشن والحرايب والمغافر ، شعاعها يذهب بالأبصار ، ويدهش الأذهان والافكار ، فزحف اليه أمير المسلمين بجيوش المجاهدين ، وأبطال بنى مرين وذلك يوم مولد سيدنا محمد صلا الله عليه وسلم ، فلما تقارب الجمعان

والتقا العيان بالعيان ، نزل أمير المسلمين رحمه الله فصلا ركعتين على عادته ، ودعا الله تعالى في نصره ومعونته ، ثم قال يامعشر بنى مري ، جاهدوا في الله حق جهاده واشكروه اذ جعلكم مسلمين ، فوالله لا يبصر حر النار ، من جاهد أعداء الله الكفار ، وقد قال رسول الله صلا الله عليه وسلم الحق وهو قائله : (لا يجتمع في النار كافر وقاتله) ، فطوبى لمن يكثر السواد ، وان لم يباشر طعانا ولا جلاد ، اما والله ان اجر الجهاد لكبير ، وقدره عند الله تعالى عظيم ، من مات فيه فهو حي يرزق وهذه مرتبة عالية لا تلحق ، فلما سمع المسلمون منه الموعظة ، وعابنت أبطال مري جيوش الكفرة ، عاد الجيان منهم قسورة ، والضعيف كعمرو وعذرة ، فدفعت عليهم كتائب المسلمين ، يقدمها النصر والسعد والتمكين ، وتقدم الأمير يوسف برايته السعيدة في الف فارس من انجاد بنى مري ، امام أبيه أمير المسلمين ، فاقتحم جيوش الروم ، فارتفعت الغبارات ، وضح المسلمون بالتكبيرات والشهادات ، فكان بينهما قتال شديد عظيم ، وموقف كريم ، ثم أقبل أمير المسلمين على أثر ولده بساقته وجيوشه وطبوله وبنوده ، فلما سمع الروم هدير طبوله ، وعابنوا اشراق رايته المنصورة وبنوده ، ولوا منهزمين ، ونكصوا على أعقابهم مدبرين ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت ذاهلة أمام قسورة ، فالجأهم بنو مري الى الوادي ، وحكموا فيهم السيوف والصفاد ؟ فكل من تاه منهم في البرية قتل في التيه ، ومن اقتحم الوادي غرق فيه ، ومن بقي في المعترك مستمرا للقتال قتل أو أسر ، فمات منهم في الوادي ألوف كثيرة ، واقتحم المسلمون الماء يعمون في أثارهم فيقتلونهم في لجته الغزيرة ، حتى صار الوادي من دمائهم أحمر ، وطلعت جيفهم على وجه الماء فكان منظرهم عبثا للورا ، ومزقت جيوشهم تمزيقا ، وفرقت كتائبهم تفريقا ، وحالت جيوش المسلمين في تلك النواحي نقتل فريقا وتأسر فريقا ، وتحرق وتخرب الى الليل ، وبات أمير المسلمين تلك الليلة راكبا على جواده ، واقفا على سباب اشبيلية والطبول تضرب والنيران تضرم ، حتى عاد الليل كالنهار والروم يضربون قرونها ويحترسون بالأسوار ، فلما ولا الليل بظلمته ، وأصبح

الصبيح بغرته ، صلا أمير المسلمين تلك الصلاة الوسطى مغلسا ، وارتحل الى جبل الشرف فلم يزل في أنحائه راحلا ومعرسا ، وتفرق المجاهدون فيه يقتلون ويأسرون ويضرمون النيران ويخربون ، ودخل أمير المسلمين حصن قطنيانة ، وحصن جليانة ، وحصن القليعة بالسيف وقتل جميع رجاله وأسر كافة نسائهم وأولادهم ، وغنمت أموالهم ، وخربت حصونهم ، وحرقت ديارهم ، ومر الحريق والتخريب على جميع قرا الشرف وحصونه ورجع أمير المسلمين بالغنائم والسبي الى الجزيرة الخضراء ، فدخلها في ثامن وعشرين من ربيع الأول المبارك المذكور من سنة ست وسبعين المذكورة (الاحد ٢٩ غشت سنة ١٢٧٧ م) فأقام بالجزيرة حتى قسم الغنائم على المجاهدين واستراح الناس ثم خرج غازيا الى شريش .
وفى جمادا الأول من هاهذه السنة توفي الرئيس أبو محمد ابن أشقيلولة بمالقة عند انصرافه من هاهذه الغزوة المباركة .

الخبر عن غزوة أمير المؤمنين الرابعة

لما رجع أمير المؤمنين يعقوب من غزو اشبيلية وجبال الشرف أقام بالجزيرة حتى قسم المغنم واستراح الناس ثم خرج غازيا الى شريش وذلك في الخامس عشر من شهر ربيع الآخر من سنة ست وسبعين وستمئة (الاربعاء ١٥ شتنبر سنة ١٢٧٧ م) ، عزم على هلاكها واستئصالها فسار حتى نزل عليها فحاصرها وشد في قتالها وشرع في قطع الزيتون والعنب والشجر وحرق الزروع وفسادها ، وهدم القرا والبروج وتخريبها ، وكان أمير المسلمين رحمه الله يقطع الثمار ويحرق الزرع بيده ، فأبصره الناس فجدوا في فعلهم ، فكان فعله ذالك من الرشاد وأفضل الجهاد ، حتى صارت تلك البلاد خاوية على عروشها ، وقتل من بها من فرسبان الروم وجيوشها ، وبلغت من الروم النكاية ، الى غاية النهاية ، فلما دوح تلك البلاد وهتكها بعث ولده الأمير الأسعد يوسف في سرية من ثلاثة آلاف

فارس الى غزو حصون الوادي الكبير ، فسار اليها فغنم حصن روطنة وشلوقة وغليانة والقناطر وسار مع الوادي يخرب ويفسد ويقتل حتى وصل اشبيلية فغنمها ودوخ أحوازها ورجع بالغنائم والسبي الى والده فوجده ينتظره بمقربة من شريش ، فسر بقدومه وارتحل الى الجزيرة ، فقسم بها المغانم على بنى مرين وقبائل المجاهدين ، ثم رجع أشياخ القبائل من بنى مرين والعرب والأعزاز والأندلس فندبهم الى الجهاد وقال يامعشر المجاهدين ان اشبيلية وشريش وأحوازهما قد ضعفا وبادا ، وان قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الروم واتكاهم ، وبها قوتهم ومعاشهم ، فان غزوناها وقطعنا ثمارها وأفسدنا زروعها فنيست الروم جوعا ، وضعفت جميع بلاد النصرانية ، وقد عزمت على غزوها ، فما ترون في ذلك ؟ فقالوا يا أمير المؤمنين وفقك الله تعالا فيما رأيت ، وأعانك وأثابك على مانويت ، نحن تبع لك في رأيك ، سامعون لأمرك ونهيك ، لو خضت بنا البحر لخضناه ، ولو سرت بنا الى برك الغماد لقاتلناه ، فشكرهم ودعا لهم ، وفرق فيهم الخلع والأموال وأحسن اليهم وزادهم ، وكتب الى ابن الأحمر صاحب غرناطة يخبره أنه أراد غزو قرطبة ويدعوه في المسير معه اليها ، ويقول ان خرجت معي اليها تكن لك مهبة في قلوب الروم ماعشت ، وأجز عظيم عند الله تبارك وتعالى .

الخبر عن غزوة أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله الخامسة وهي غزوة قرطبة

قا المؤلف عفا الله عنه :

خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزو قرطبة من الجزيرة الخضراء في جيوشه الموفرة ، وكتائبه المنصورة المظفرة ، وذلك في أول يوم من جمادى الآخرة من سنة ست وسبعين المذكورة (السبت ٣٠ أكتوبر سنة ١٢٧٧ م) ، وخرج أيضا الأمير ابن الأحمر بجنوده من غرناطة ، فالتقا الجمعان بخمار الورد من بلاد شنونة فاقبل عليه أمير المسلمين وفرح

به ، وجمع الله تعالا كلمة الاسلام وألف بين قلوب أهله ، قطابت نفوس المسلمين على القتال ، وقويت نياتهم ، فاستعدوا للجهاد ، فنزلوا على حصن بني بشير ، والفتح والنصر اليهم يشير ، فدخلوه فى حينه عنوة بالسيف ، وقتل جميع رجاله وسبيت نساؤهم وأولادهم ، وغنمت أموالهم ، وهدم الحصن حتى لم يبق له أثر ، وأطلق أمير المسلمين الغارات فى كل ناحية من بلاد الكفرة وكل من والا من المسلمين مكانا دمره ، وغنموا بتلك الجهات من الغنم والبقر والمعز والخيل والبغال والحمير والزيت والعسل والقمح والشعير مالا يوصف ، فكثرت الخيرات ، وامتلأت أيديهم بالغنائم ، ثم ارتحلوا حتى نزلوا قرطبة ، فنزل أمير المسلمين عليها بالساقات والجيوش ، وضرب عليها الطبول وارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير ، فتحصن الروم بالأسوار والرماة ، وسار أمير المسلمين تحت ظلال بنوده ، وقدم بين يديه الرؤساء من أبطاله وجنوده ، حتى وقف على بابها ، ثم دار بأسوارها ، ينظر كيف الحيلة فى قتالها ، ووقف ابن الأحمر بعساكر الأندلس أمام محلة المسلمين يحرسونها خوفا لما يحدث من قبل الروم ، فافتقرت قبائل بنى مرين والعرب فى أحواز قرطبة وحصونها وقراها ومدنها يقتلون ويأسرون ويفسدون ويخربون ، ودخلوا حصن الزهراء بالسيف ، فأقام أمير المسلمين على قرطبة ثلاثة أيام حتى هتكها وخرب قراها وأحرق زروعها ودوخ أرضها ، وارتحل عنها الى بركونة ، فدخل أرباضها بالسيف وخربها وقطع ثمارها ، وارتحل الى أرجونة ففعل بها كفعله فى بركونة ، وبعث الجيوش الى مدينة جيان وبث السرايا فى كل جهة فانتشرت فى تلك البلدان

فلما رأوا الفونسو مائال بلاده من الفساد والدمار وماحل برعيته من القتل والأسر والتبار ، جنح الى الصلح ورغب فيه ، وبعث بالأقسة والرهبان الى أمير المسلمين ليسأله ويعفيه ، فوصلوا الى بابه يرغبون فى السلم صاغرين ، ويتضرعون اليه داخرين ، فقال لهم أنا ضيف ، ولا أصالحكم الا أن صالحم ابن الأحمر ، فساروا الى ابن الأحمر وقالوا له ان أمير المسلمين قد رد الأمر اليك ، ونحن أتيناك لتصالحنا صلحا مؤبدا

يدوم على توالى الأعضار ، ويبقى ماتعاقب الليل والنهار ، وأقسموا له بصلبانهم ان لم يرضه الفونسو خلعه من سلطانهم ، لانه لم ينصر الصليبان ، ولاحما الثغور ولاضبط البلدان ، وقد ترك رعيته نهبا للعدا ، وان تمادت بهم الحال لم تبق منهم احدا ، فأتا ابن الأحمر أمير المسلمين فبين له الأمور وأخبره ان الأندلس لاتسكن الا بالصلح على قديم الدهر ، وقد سما الله تعالا الصلح خيرا ، فانعقد الصلح بين ابن الأحمر والرهبان وقال لهم تصلون فى أمرنا الى حضرة أمير المسلمين فيكون بها تمام الصلح والاشهاد به علينا وعليكم ان شاء الله تعالا ، فارتحل أمير المسلمين عن أرجونة قاصدا الى الجزيرة الخضراء ، وأخذ على طريق غرناطة ، فأعطا المغنم كلها لابن الأحمر احسانا اليه وقضلا منه وإيثارا له ، وقال له يكون حظ بنى مريين من هذه الغزاة الأجر والثواب ، فسار ابن الأحمر بالمغنم الى غرناطة ، وسار أمير المسلمين على مملكة حتى دخل الجزيرة الخضراء وذلك فى العشر الاول من شهر رجب من سنة ست وسبعين المذكورة ، فنزل بمحلته خارجها ، وعند وصوله اليها مرض ، فبقي مريضا سبعين يوما ، وذلك أنه مرض يوم الحادي عشر من شهر رجب فبقي عشرين يوما من رجب وشعبان بأسره وعشرين يوما من رمضان حتى تحدث الناس بموته فى بلاد العدو ، فبعث ولده الأمير يوسف يهدن الناس ويسكن روعاتهم ، فلما وجد أمير المسلمين الراحة من مرضه أتمه إرسال الروم مع الرهبان والأقسسة لتمام الصلح فصالحهم وذلك فى الآخر شهر رمضان المذكور (الخميس ٢٤ يبرابر سنة ١٢٧٨ م) وفى شهر رمضان من السنة المذكورة بعث الرئيس ابن أشقيلولة الى أمير المسلمين يرغب منه أن يأخذ منه مالقة ، وقال له اني عجزت عن ضبطها فان لم تصل اليها وتقبضها من يدي أعطيتها الروم ولا يملكها ابن الأحمر ابدا ، وكان ابن الأحمر قد أعطى عليها لأفونسو من البلاد والحصون عددا كثيرا ، وكذلك أعطا عليها ابن أشقيلولة ، فبعث اليها أمير المسلمين ولده الأمير أبا زيان فقبضها منه وحل فى قبضتها وذلك فى العشر الأواخر من شهر رمضان المذكور ، فأقام أمير المسلمين بعده

بالجزيرة الخضراء حتى انقضا شهر رمضان وعيد عيد الفطر بها. ثم خرج الى مالقة في ثالث شوال ، فدخلها في اليوم السادس منه ، فتلقاء أهلها ببروز عظيم ، وفرحوا به ، وتهدنت روعاتهم ، وتأمنت بآلدهم ، فأقام بها بقية شوال وشهر ذي قعدة وثمانية عشر يوما من شهر ذي حجة ، وارتحل الى الجزيرة الخضراء برسم الجواز الى العدو بعد ان رتب فيها ألف فارس من بني مرين والعرب ، وسكن في قصبتها عمر بن علي وقدمه عليها وعلى جيشها ، وجاز الى العدو ، وذلك في العشر الأول من المحرم سنة سبع وسبعين وستمئة (يونيو سنة ١٢٧٨ م) فوصل مدينة فاس فأقام بها أياما ثم خرج الى مدينة مراكش ، ولما تحقق الفونسو لعنه الله جواز أمير المسلمين الى العدو واستقراره بحضره مراكش نقض صلحه ورفض الايمان ، ونكث العهود ونسي الاحسان ، وهاذه صفة المشركين ، الذي وصفهم الله تعالا بها في كتابه المبين ، فقال وقوله الحق: (الذين يفتنون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون) ، فبعث اللعين الافروطة لحصر الجزيرة الخضراء وقطع المجاز ، فلما رأى ذلك عمر بن علي قائد أمير المسلمين على مالقة غدر وقام بها وراسله ابن الأحمر في شأنها فباعها منه بخمسين ألف دينار ، وحصن شلوبيانية ، وذلك في نصف رمضان من سنة سبع وسبعين وستمئة ، وأتا ابن الأحمر بجيشه حتى دخل مالقة وملكها ودخل عمر بن علي على ما كان أمير المسلمين تركه بها من العدد والمال برسم المرتبات والانفاق على الأجفان والغزاة ، واتصل بأمير المسلمين غدر عمر بن علي وبيعه مالقة لابن الأحمر ، فبلغ ذلك منه كل مبلغ ، وخرج من فوره عن مراكش قاصدا الى الأندلس وذلك في ثالث شوال من سنة سبع وسبعين المذكورة (الجمعة ١٧ يبرابر سنة ١٢٧٩ م) فوصل قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه الأمطار والرياح والسيول ، ولم تنزل الأنواء مصطخبة لايفتر المطر ليلا ولا نهارا فلم يستطع الرحيل لأجل ذلك ، ووردت عليه الأخبار وهو بهاذا المنزل أن النصارا دمرهم الله قد نازلوا الجزيرة الخضراء برا وبحرا ، المحلات في البر والأجفان في البحر ، وكان نزول الافروطة عليها في نصف ربيع الأول من سنة سبع

وسبعين المذكورة ، ونزلها الفونسو بعساكره في البر سادس شوال من السنة بعينها فأمر أمير المسلمين بالرحيل الى طنجة لينظر في الجواز الى الأندلس واستنقاذ الجزيرة الخضراء فبينما الناس يرتحلون إذ تواترت الأخبار في المحلة أن أمير عرب سفيان مسعود بن كانون قد نافق ببلاد نفيس من أحواز مراکش وبايعه جميع عرب سفيان ، فأسرع أمير المسلمين الرجوع الى مراکش ، فلما وصلها فر مسعود بن كانون أمامه الى جبل سكسيوة وتمنع منه هنالك وترك جميع أمواله وأمتعته ، فأخذها أمير المسلمين ففرقها في بني مرين ، ونزل عليه فحاصره بجبل سكسيوة وأقسم أن لا يرتحل عنه حتى ينزل على حكمه أو يموت دون ذلك ، وكان نفاق مسعود بن كانون المذكور يوم الأحد الخامس من ذي قعدة من سنة سبع وسبعين المذكورة ، فأقام محاصرا له وبعث ولده الأمير أبا زيان الى بلاد السوس فدخلها وهدنها وقمع ثوارها وجبا خراجها ورجع الى والده فوصله في آخر يوم من ذي الحجة من السنة المذكورة (السبت ١٣ ماي سنة ١٢٧٩ م) ، ولما طال مقام أمير المسلمين على حصار الثائر مسعود ابن كانون تواترت عليه الأخبار بما هي عليه الجزيرة الخضراء من شدة الحصار ، وتوالى القتال والأسر بالليل والنهار ، وكان جملة من نازلها من البحر من أجفان العدو أربعئة جفن بين قراقر وقطائع كبارا وصغارا ، ونزلها في البر الفونسو لعنه الله في ثلاثين ألف فارس من الروم وثلاثئة ألف راجل ، فشدوا عليها الحصار ، ودارت محلاتهم بالأسوار ، وأحرقوا بها كما يحرق بالمعصم السوار ، ونصبوا عليها المجانيق والرمادات وضيقوا عليها تضيقا عظيما حتى لا يدخل اليها أحد ولا يخرج منها ، وكان أهلها لا يسمعون خبرا الا ما يأتهم به الحمام من جبل الفتح يحمل اليهم الكتاب ويرد عليهم الجواب ، وفني أكثر أهلها بالأسر والجوع والقتل وسهر الليل في الأسوار ، والحراسة والقتال بالليل والنهار ، حتى أشرف من بقي بها على الهلاك ، وقطعوا بأسهم من الحياة ، فجمعوا صبيانهم وظهرهم خوفا عليهم من التحويل ، واتقاء أن تدخل عليهم الدينة فیدعوهم الروم الى التبديل ، فلما سمع أمير المسلمين ما آل اليه أمر

الجزيرة الخضراء ، وقد كان سبق يمينه ان لا يرتحل عن ابن كاثون حتى يظفر به أو ينزل اليه على حكمه ، دعا بولده الأمير الأجل يوسف وأمره أن يسير الى طنجة برسم النظر في استنقاذ الجزيرة وعمارة الأجفان لجهاد الأفروطة المحاصرة لها ، فخرج الأمير يوسف من حضرة مراكش قاصدا الى طنجة ، وذلك في شهر المحرم من سنة ثمان وسبعين وستمئة فوصل طنجة في غرة صفر التالي للمحرم المذكور ، فأمر بعمارة الأجفان بمدينة سبتة وطنجة وبادس ومدينة سلا ، وفرق الأموال والعدد على الغزاة والمجاهدين ، وكان من أهل سبتة في هاذة العمارة وغزو هاذة الأفروطة جد عظيم ، فان الفقيه أبا حاتم العزفي رحمه الله لما وصله كتاب الأمير يوسف يأمره بالعمارة جمع أشياء سبتة وقوادها ورؤساءها فندبهم للجهاد وحضهم على نصره أهل الجزيرة الخضراء واستنقاذها مما هي فيه من الهلاك والجلاد ، فبادر جميع من فيها وسارعوا خفافا وثقالا الى ركوب الأجفان فأعد أهل سبتة خمسة وأربعين جفنا مابين كبار وصغار ، وركب فيها تطوعا برسم الجهاد جميع من بسبتة من الفقهاء والصلحاء والطلبة والتجار والسوقة ومن لأمعرفة له بالحرب كل قد باع نفسه من الله تعالا ، ولم يبق بسبتة الا النساء والزمناء والشيوخ الذين لا قوة لهم والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، وعمر ابن الأحمر في المنكب والمرية ومالقة اثني عشر جفنا ، وعمر الأمير يوسف بطنجة وسلا وبادس وأنفا خمسة عشر جفنا نض في الجميع اثنتان وسبعون قطعة ، واجتمعت أجفان المسلمين كلها بسبتة ثم أقلعوا عنها الى طنجة ليراهم الأمير يوسف فوصلوها في أحسن زي وأكمل استعداد ، فركب فيها جماعة من أنجاد بنى مرين ممن رغب في الجهاد ، وعقد لهم الأمير يوسف رايته السعيدة المنصورة ، وقال سيروا على بركة الله ويمنه ، فارتفعت أصوات المجاهدين بالشهادة ، وضج الناس بالدعاء لهم والابتهاال الى الله تعالا في نصرهم وتأييدهم على عدوهم ، فأقلعوا من طنجة ثامن ربيع الأول المبارك من سنة ثمان وسبعين المذكورة (٢٠ يوليوز سنة ١٢٨٠ م) ، والناس يبكون ويتضرعون ، فأقام أهل طنجة وسبتة وقصر المجاز أربعة

أيام بلياليها لم يتم منهم أحد ولا غلق فيه باب ، ومن كان بقي بها من الشيوخ والصبيان ركبوا الأسوار ، وأقبلوا على الدعاء والتضرع لهم بالليل والنهار ، وانتشرت قلاع المسلمين في البحر وقدموا المناطج ، ومارج الموج لهم كالأباطج ، وسكنت بيمن الله تعالى الرياح ، ليطيب لهم الحرب والكفاح ، وإذا سكنت البحار الزواجر ، قدمت على حربها القراقير ، فقصدت أجفان المسلمين جبل الفتح فباتوا فيه تلك الليلة مرابطين ، وبات المجاهدون بأجفانهم ما بين تال لكتاب الله تعالى وذاكر ، ومتجهدين وداع ، فلما انفجر الصبح من يوم الأربعاء العاشر من ربيع الأول المذكور صلوا صلاة الصبح لأول وقتها ، فقام فيهم بعض الفقهاء الصلحاء خطيبا وذكروهم بما أعد الله تعالى للمجاهدين من الأجر العظيم ، والثواب الجسيم ، حتى نرفت عيونهم ، وطابت قلوبهم ، وقويت نفوسهم ، وخلصت نياتهم ، واشتاقوا إلى الشهادة وتواعدوا وعانق بعضهم بعضا وتغافروا فيما بينهم ثم أقلعوا قاصدين نحو أجفان المشركين ، فلما أبصر الروم قلوب المسلمين قاصدة نحوهم وقد سدت المسالك ، قاصدة للحروب والمهالك ، قذف الله تعالى الرعب في قلوبهم ، والتحم بعضهم ببعض ليكون أمنع لهم في حروبهم ، وصعد قائدهم المند الأكبر على ظهر قرقورة ليعد أجفان المسلمين ، فعد ألفا وثمان مائة ، وعدها قواد الروم فأجمعوا على أنها ألف وثمان مائة فيهم ، وأيقنوا بالهلاك والدمار ، وعزموا على الهروب والفرار ، وأقبلت أجفان أنجاد المسلمين أنجدهم الله تعالى فاصطفت أمامهم مثل السور ، متوكلين على الله تعالى في جميع الأمور ، وكلهم قد وطن نفسه على الموت ، وباعها من الله تعالى بالجنة قبل الفوت ، فبرز اليهم المند قائد الأفروطة في قرقورة كان قد أعدها وبرزها جماعة من قواد الروم وغزاتها في مقاطع وقرقر هائلة ، وكلهم قد لبس الحديد وأظهر العدة والعديد ، وأكبر جفن من أجفان المسلمين وهو الغراب ترتفع عليه القرقرورة ارتفاع الجبل الشاهق وإذا نشرت شرعها صيرته لها أرضا وجرت عليه جري الجواد السابق ، فالتحم الحرب بين الفريقين .

وتشهد المسلمون وقالوا لا أثر بعد عين ، وأقبلت سهام المسلمين عليهم صائبة كأنها القطر الواكف ، أو الريح العاصف ، تنفذ التراس والدروع ، وتفرق الكتائب والجموع ، ونصر الله تعالى عباده المؤمنين فخرجوا بثلاث قطع من أجفان الكفار ، وكثر فيما بقي من الأجفان القتل والجراح ، وتوالا رشق السهام وطعن الرماح ، فلما رأوا الكفرة مانالهم من البوار ، ولوا الأسيار ، وأخذوا في الفرار ، وقالوا هاذه سفرة دائرة ، وكرة خامرة ، فتراما المسلمون معهم في الأجفان ، فقتلوا منهم عددا لا يحصا وتراما أكثرهم في البحر يعومون كالضفادع ، ويتساقطون فيه تساقط الفراش في الشهاب الساطع ، فقتلهم المسلمون بالرماح الذوابل والسيوف القواطع ، حتى لم تبق منهم باقية ، واضحت أجفانهم خالية خاوية ، فملكها المسلمون واحتوا على ما فيها من العدد والأزواد ففرح المجاهدون واستبشر المسلمون الذين بداخل الجزيرة الخضراء بفساد الأفروطة وهلاكها وقتل جماعتها وأخذها ، وأيقنوا بالحياة بعدما أشرفوا على الوفاة ، وأتاهم من الله تعالى الأمان بعد الذعر ، واليسر بعد العسر ، والنصر بعد الصبر ، والرخاء بعد الشدة ، والسرء بعد الضراء ، والضياء بعد الظلام ، والصحو بعد الغمام ، ودخلت أجفان المسلمين الجزيرة الخضراء على من بها من الروم عنوة بالسيف وقتلوا جميع من وجدوه بها وأسرقائدهم المئذ وجماعة من قواد الروم منهم ولد أخت الفونسو وكبير بيونة واحتوا المسلمون على جميع ماكان بالجزيرة وفي الأجفان من العدد وال سلاح والأسلاب والذخائر التي جاء بها التجار من الحلبي والثياب والجواهر والعدد ، فاحتملوا من ذلك ما لا يصفه لسان ولا يحويه عدد .

ولما رأوا أهل المحلة التي في البر محاصرين للجزيرة الخضراء ما أصاب أهل البحر من الأسر والقتل والفساد خافوا من فجة جواز الأمير يوسف اليهم ، اذ كان مقيما بساحل طنجة مستعدا للجواز ، فأخذوا في الرحيل والفرار ، وخلفوا جميع ماكان معهم من الأثقال والأزواد في تلك الدار ، فخرج الناس من الجزيرة الخضراء رجالا ونساء فانتشروا

فى مضاربهم ، وجالوا فى منازلهم ، يقتلون ويغنمون ، فوجدوا بها من الأموال والأسلاب والفواكه والادام والشعير والدقيق ما لا يحصى كثرة ، فانتهبوا ذلك كله وأدخلوه المدينة فبيع الدقيق القرطبي بالجزيرة فى عشي ذلك اليوم ربعا بدرهم ، بعد أن كان فى غدوته معدوما بالكلية لا يوجد غالبا ولا رخيصة ، ومن فضل الله تعالى وتأييده لأوليائه فى هذه الغزاة أن أجفان المسلمين كانت نيفا وسبعين جفنا ، وأفروطة الرومى زادت على أربعمئة قطعة ، فغلبتها وسارع البشير الى الأمير يوسف فأعلمه بما سناه الله تعالى لعباده المسلمين من الفتح الجليل والصنع الجميل ، فحمد الله تعالى وأثنا عليه وكتب فى الحين الى والده بالفتح ، وكانت هذه الفتيمة العظيمة والمنة الجسيمة فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول المبارك يوم مولد نبينا محمد صلا الله عليه وسلم من سنة ثمان وسبعين وستمئة (الاحد ٢٣ يوليوز سنة ١٢٧٩ م) . فورد كتاب الفتح على أمير المسلمين وهو محاصر لمسعود بن كانون بجبل سكسيوة فخر الله تعالى ساجدا ، ولم يزل لله تعالى شاكرًا وحامدا ، ثم أمر باخراج الصدقات وتسريح السجون وعمل المفرجات وضرب الطبول فى جميع بلاده ، وكان رحمه الله من حين اتصل به حصار الجزيرة الخضراء لم يستلذ مناما ، ولم يستطب طعاما ، ولم يقرب امرأة ولا غيرها ولم يصف له عيش الى أن وصله خبر الفتح وفساد الأفروطة وفرار المحلة واقلاعها عن الجزيرة الخضراء ، وجاز الأمير يوسف باثر هذا الفتح الى الجزيرة الخضراء وذلك فى غرة ربيع الثانى (الجمعة ١١ غشت) فخافت الروم فى جميع الاقطار وعملوا على الحصار فى جميع الأمصار ، فعاقه عن غزو بلادهم تنافسه مع ابن الأحمر فى أخذ مالقة فصالح الأمير يوسف الفونسو على أن يترك معه غرناطة وجاز الى العدو وجوز معه زعماء الروم وسار بهم الى أبيه ليتم لهم الصلح بين يديه ، وظن أن فعله ذلك مما يرضي أباه ، فلما سمع أمير المسلمين بذلك غضب له ولم يرضه ، وسار الى بلاد السنوس وأقسم أن لا يرا واحدا من الزعماء الذين أتا بهم ولده إلا أن رأهم فى بلادهم ، فانصرف الزعماء خائبين ورجع أمير المسلمين من بلاد السنوس فدخل

حضرة مراكش وأقام بها أياما وخرج إلى مدينة قاس فوصلها واستقر بحضرته من المدينة البيضاء منها ، وانفذ الكتب إلى قبائل بني مرين والعرب يستنفرهم للجهاد ، ثم خرج من حضرة المدينة البيضاء قاصدا إلى الأندلس يرسم اصلاح أحوالها وتسكين قتلها وجهاد عدوها ، وذلك في غرة رجب من سنة ثمانية وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٧ نونبر) فوصل طنجة في وسط رجب المذكور ، فنزل قصبته واستشرف على أحوال الأندلس منها فوجدها قد اضطربت نارا وعظم الخفاق في جميع أقطارها بين المسلمين والروم ، واغتنم العدو فرصته فيها بغية أمير المسلمين عنها وتغيره على ابن الأحمر بسبب مألقة ، فبعث رسوله إلى ابن الأحمر ليرد عليه مألقة ويصالحه فامتنع ابن الأحمر من صلحه وأغلظ له في القول ، وكان ابن الأحمر قد صالح يغمراسن بن زيان ، وبعث إليه أموالا جلييلة وهدية عظيمة على أن يشغل عنه أمير المسلمين ويشغل عليه نار الحروب ويشن الغارات على بلاده حتى يمنع الجواز إلى الأندلس ، فأخبر أمير المسلمين بخبرها فبعث رسوله إلى يغمراسن يسأله عن الذي بلغه ويطلب منه تجديد الصلح ، فقال للرسول لاصلح بيني وبينه أبدا ، وليس له عندي ما عشت إلا الحرب وكل ما وصله من صلحي مع ابن الأحمر فهو حق ، فقل له يتأهب للقائى ويستعد لقتالى ونزالى فأبلغه الرسول المقالة ، فاسترجع أمير المسلمين وقال اللهم انصرنى عليهم ياخير الناصرين ، ثم خرج من طنجة راجعا إلى مدينة قاس فدخلها في آخر شوال من سنة ثمان وسبعين المذكورة فكانت مدة إقامته بطنجة ثلاثة أشهر وسبعة أيام ، فأقام بمدينة قاس وبعث رسوله ثانية إلى يغمراسن ليقم عليه الحجة ، ويبين له المحجة ، ويقول له يامغرور ، إلى متى هذا الضلال والغرور ؟ أما أن أن تنشرح الصدور ، وتنقضي هذه الشرور ؟ أما علمت أن السن قد انتهت وذهب الشباب وجاوزت معترك المنايا ، فهل إلى الصلح الذي جعله الله تعالا خيرا للعباد ، واسلك مناهج التقوا وبادر إلى التعاون على البر والتقوا والجهاد :

واعمل على الجهاد والرباط وكن بغزو الروم ذا اغتباط

متى متى لاترعوي حتى متى
فان ابيت السير للجهاد
فلتترك الناس الى جهادهم
واقعد ولا تنهض الى تجين
لابد من كأس الحمام للفنار
وجدت عن مناهج الرشاد
مؤمنين في حما بلادهم
فلانهم في العهد مع مرين

فوصلته الرسل وبلغته الرسالة ، وأدوا اليه الموعظة والمقالة ، فلما
سمع ذكر تجين في اثناء اللفظ ، قام منزعجا وقعد وكاد يتميز من الغيظ ،
وقال والله لاكففت عن تجين ، ولو رأيت النفس في سجين ، فليصنع
مابدا له ، وليتأهب للحرب فهي اولاه ، فلما قطع المنصور من صلحه
الاياس ، خرج الى قتاله من مدينة فاس ، وذلك في شهر ذي الحجة سنة
تسع وسبعين وسبعمئة ، فسار حتى وصل فج عبد الله ، فاجتمع هناك
بولده الامير يوسف ، ثم ارتحل الى رباط تازة فاقام به اياما ، ثم خرج
فنزل وادي ملوية وليس في جيشه خمسمئة فارس ، فاقام عليه اياما
فتلاحقت به الجيوش والابطال ، وتوافدت عليه قبائل مرين الاقيال ، وقدمت
العساكر كالسيول ، حتى ملأت محلاته الربا والسهول ، فارتحل حتى وصل
تافنا فتوفي هناك ولده ابراهيم ، ثم سار حتى نزل وادي تافنا واتى
يغمراسن فنزل امامه بالمال والعيال والنقيير والقطمير ، وقدمت معه قبائل
العرب بالمشاة والبعير ، فمنع أمير المسلمين الناس من القتال فاشتباكت
بنو مرين الى الحرب والنزال ، فخرج جماعة منهم متصيدين ، وعلى محلة
يغمراسن مشرفين ، فأدت بهم لذة الصيد الى أن وصلوا أطرافا محلة
يغمراسن فخرجت لهم بنو عبد الوادي ، وبادرت اليهم الأعراب كالجراد
فكسروهم حتى وصلوا شفير الوادي ، فلما رأى أمير المسلمين بني عبد
الوادي في أثر خيله وكان كما سلم من صلاة الظهر ركب جواده وركب
الجيوش من مزين والعرب وسائر الأجناد وأقبلوا نحوهم كالآساد ، ومرت
الخيال على قسمين نصف قصد محلة يغمراسن ، ونصف سار الى محلة
العرب الذين أقبلوا معه ، وتأخر أمير المسلمين هو ولده الأمير في القسي
فارس من أنجاد بنو مرين فالتحم القتال ، وحمل الوطيس ، واشتد الحرب
بين الفريقين وصرخ ابلis ، ولم يزل القتال يشتد بينهم الى صلاة العصر

فأقبل أمير المسلمين في نحو ألف فارس من بنى مريـن وأقبل ولده الأمير يوسف كذلك من ناحية أخرى وكل واحد منهما بطبولة وينوده فأحدقوا بهم من كل جانب ، وأحاطوا بهم كالعذاب الواصب ، فرأى يغمراسن مالا يقدر عليه فولا هارباً مهزوماً وخلف القباب والأموال ، والمضارب والعيال ، وفر في البيداء كعوائده ، ولم يفكر في أمواله ولا في نواهده ، فقتلت جنوده ، وكسرت بنوده ، ودخل الى حضرته ، ونحسه باد على غرته ، وانتهب الناس جميع محلته ، ولم يزل الناس طول ليلتهم الى الصباح ينتهبون سائر البلاد والنواحي وباتت طبول أمير المسلمين في محلته تضرب في الخيام وأخذت أموال العرب بأسرها ، وامتألت أيدي مريـن من شاتها وبغيرها ، ووصل الأمير ابو زيان بن عبد القوي الى أمير المسلمين يعقوب فبايعه وأقام معه ببلاد يغمراسن هو وقبيلته من بني تجين يدمرون ويخربون ويفسدون ، فلما استأصل جميع بلاده ، وأكل زروعها ، ونهبها وخرب ربوعها ، أمر بنى تجين بالرجوع الى بلادهم وأعطاهم أموالاً جزيلة في جهازهم وأقام هو على تلمسان حتى وصلت تجين الى بلادها ثم ارتحل راجعاً الى المغرب فوصل مدينة فاس فدخلها في شهر رمضان من سنة ثمانين وستمئة ، فأقام بها الى آخر شوال وارتحل الى مدينة مراكش في أول شهر ذي قعدة من سنة ثمانين المذكورة (الاربعاء ١١ يرباير سنة ١٢٨٢ م) فدخلها في غرة المحرم من سنة احدى وثمانين وستمئة (السبت ١١ ابريل سنة ١٢٨٢ م) فبنا بها بامرأة مسعود بن كانون ، وبعث ولده الأمير يوسف الى بلاد السوس ، وأقام هو بمراكش ، فوصله بها رسول الفونسو العاشر وكتابه يدعوه فيه الى نصرته ويقول له أيها الملك المنصور ان النصارا نقضوا عهدي ، وثاروا علي مع ولدي (١٧٩) وقالوا شيخ

(179) كان الفونسو العاشر ملك قشتالية الملقب بالعالم والحكيم (السابيو) كثير الاشتغال بالعلوم والآداب ، والمحبة لجيرانه المسلمين والتقدير لعلمهم وثقافتهم والرغبة في مهادنتهم ، فسخطه رعيته التي كانت ترا أن الممالك لا تنهض الا بالسياسة والحروب ، فثار عليه في الأول اخوه الانفانت فيليب مع جماعة من النبلاء سنة 1270 م (669 هـ) ، ثم ولده سانشو سنة 1282 م (681 هـ) فحدثت بين الأب والابن حروب أهلية استمرت عامين وانتهت بوفاة الفونسو العاشر طريداً مهزوماً سنة 1284 م (683 هـ) والتاج الذي رهنه ألفونسو العاشر بقي محفوظاً بالقصر الملكي بفاس الى عهد ابن خلدون .

كبير قد ذهب رأيه وفني عقله ، فأعنى عليهم ، ويكون سيري ملك اليهم ، فاعتنم النصور هذه الحال ، وجعل جوابه الارتحال ، فارتحل عن مراكش في ربيع الأول ، فلم يدخل بلدا ولا ثبت ولا أمهل حتى وصل الى قصر المجاز فجاز منه الى الجزيرة الخضراء وذلك في ربيع الثاني من سنة احدا وثمانين المذكورة ، فوجد النصارى في غاية الضعف وغاية الشقاق ، فأتته حصص بلاد الأندلس فسلموا عليه ، وارتحل فنزل بصخرة عباد ، فأثاه بها الفونسو العاشر خاضعا ذليلا فأكرمه أمير المسلمين وأعظم قدره ، فشكا اليه بقله ذات يده ، وقال مالي غياث سواك ، ولا ناصر الاك ، ولم يبق لي الا التاج ، وأنا في هذه الحركة محتاج ، وهو تاج أبى واجدادي فخذ رهنا في المال ، وأعطني ما أنفقه في الحال ، فأعطاه أمير المسلمين مئة ألف دينار ، وسار معه يغزو في بلاد الروم حتى وصل الى قرطبة فنزل عليها وقتلها أياما وولد الفونسو محصور بها وبعث سراياه الى جيان فأفسد زروعها ثم ارتحل أمير المسلمين الى أحوار طليطلة يقتل ويسبى ويخرب الغرس والحصون حتى وصل الى مجريط من أحوار طليطلة ، وقد امتلأت أيدي المسلمين بالسبى والغنائم ، فرجع لأجل ذلك الى الجزيرة الخضراء ، وكانت غزوة عظيمة لم يكن مث لها في سالف الدهر ، فدخل الجزيرة في شعبان من السنة المذكورة ، وهي وخرج في أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وستمئة (الخميس ١ أبريل سنة ١٢٨٣ م) ، فنزل مالقة وفتح بأحوازها حصونا كثيرة منها حصن قرصة وذكوان وسهيل .

وفي هذه السنة اصطلى ولد الفونسو العاشر مع ابن الأحمر لأجل صلح والده مع أمير المسلمين يعقوب رحمه الله ، فاشتعلت الأندلس نارا ، وأصل ذلك مالقة وضائق الدنيا على ابن الأحمر ، فبعث رسلا الى الأمير يوسف ببلاد العدو يسأله الجواز ليصلح هذه الخطوب ، فجاز الغزوة السادسة ، فأقام بالجزيرة الى آخر ذي الحجة من العام المذكور الأمير يوسف الى الأندلس في شهر صفر من سنة اثنتين وثمانين وستمئة بعد ان دام النفاق بينهما مدة ، فأصلح الله تعالا على يديه بين المسلمين

ورفع ببركته علم الدين ، واجتمعت كلمة الاسلام ، ورجع الغزو لعبدة الأصنام ، وبث أمير المسلمين سراياه فى بلاد الكفرة ، فغنموا وسبوا ، ثم خرج من الخضراء غازيا الى قرطبة وهي غزاة البرت .

الخبر عن خروج أمير المسلمين الى غزاة البرت

خرج اليها من الجزيرة الخضراء فى أول يوم من ربيع الثانى من سنة اثنتين وثمانين وستمئة (الثلاثاء ٢٩ يونيو سنة ١٢٨٣ م) قسار حتى وصل الى قرطبة ، فغزا بلادها وغنم حصونها وخرب معموورها وارتحل نحو البرت ، وترك محله على بياسة بالمغانم والأنفال ، وترك بها خمسة آلاف فارس من حماة الأبطال ، وكان فى ذلك ذا رياسة وسياسة ، فانها دارت بها بلدانهم ، فجد أمير المسلمين السير الى البرت ، قسار يومين بأرض خالية حتى وصل الى العمران ، فأغارت للخيلى حتى وصلوا الى أحواز طليطلة ، ولم يبق بين أمير المسلمين وبينها غير مرحلة واحدة ، وماصده عن غزوه الا كثرة ما بأيدي المسلمين من الأموال والسبي ، وقتل فى هذه الغزاة من الروم ألوف لاتحصى ، ورجع أمير المسلمين على طريق آخر يحرق ويخرب ويسبى ويقتل ، حتى وصل الى مدينة أبدة ، فقاتلها ساعة من النهار ، فرماه علق من سورها بسهم أصاب فرسه الذي كان عليه ، وسلم الله تعالى أمير المسلمين منه ، فارتحل عنها الى محله التى تركها على بياسة ، فأقام بها ثلاثة أيام حتى استراح الناس ، وارتحل عنها بعدما دمرها وانتسف أثارها ، قسار الى الجزيرة الخضراء ، وقدم بين يديه من السبي والأموال والكراع مايعجز عنه الوصف ، فدخلها فى شهر رجب من سنة اثنتين وثمانين المذكورة ، وقسم بها المغانم بين المسلمين وجاز الى العدو فى أول يوم من شعبان (الاثنين ٢٥ أكتوبر) فأقام بطنجة ثلاثة أيام وارتحل الى مدينة فاس ، فدخلها فى العشر الأواخر من شعبان المذكور ، فصام بها رمضان وعيد بها عيد الفطر ، وارتحل الى مراكش ،

فوصل رباط الفتح فأقام به شهرين ، ثم ارتحل الى حضرة مراكش
فدخلها في الحرم من سنة ثلاث وثمانين وستمئة ، وبعث ولده الأمير
يوسف الى بلاد السوس برسم غزو العرب ومن بها من القبائل الخارجة ،
ففرط العرب أمامه الى الصحراء ، فتبعهم حتى بلغ الساقية الحمراء ،
ومات أكثر العرب جوعا ، ومرض أمير المسلمين يعقوب بمراكش حتى
أشرف على الموت ، وكتب الى ولده الأمير يوسف أن يسرع الوصول قبل
أن يعاجله الموت ، فارتحل نحو مراكش ، ولما وصل الى والده فرح به
وسر الناس بقدمه ، ووجد أمير المسلمين الراحة ، واستقل من مرضه ،
وعاد الى صحته ، فارتحل عن مراكش برسم بلاد الأندلس عازما على
الجهاد ، وذلك في آخر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثمانين (الثلاثاء
١٢ شتنبر سنة ١٢٨٤ م) فدخل رباط الفتح في نصف شعبان من سنة ثلاث
وثمانين المذكورة ، فقام به رمضان المعظم فتوفيت هنالك الحرة المباركة
أم العز بنت محمد بن حازم والدة الأمير يوسف فكان موتها في سابع
وعشرين من رمضان المعظم من سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، ووجد عليه
رباط الفتح أشياخ بلاد المغرب وفقهاؤها برسم السلام عليه والتهنئة بصحته
وكان في ذلك العام قحط شديد ولم ير الناس ماء الا في آخر رمضان
المعظم يوم موت الحرة المذكورة .

وفي آخر شوال من هذه السنة ارتحل أمير المسلمين من رباط الفتح
الى قصر المجاز ، فكتب الى قبائل المغرب يستنفرهم للجهاد ، ثم شرع في
تجويز الجيوش الى الأندلس بقية سنة ثلاث وثمانين وستمئة .

فلما كان في أول يوم من صفر سنة أربع وثمانين وستمئة (الاحد
٨ أبريل سنة ١٢٨٥ م) وقد تكامل الناس بالجواز جاز الى الأندلس فنزل
بطريف ثم سار منها الى الجزيرة الخضراء .

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله إلى الأندلس وهو الجواز الرابع

قال الملف عفا الله عنه :

جاء أمير المسلمين يعقوب إلى الأندلس يرسم الجهاد وهو الجواز الرابع ، وذلك في يوم الخميس خامس يوم من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة ، فنزل بجزيرة طريف ، ثم سار منها إلى الجزيرة الخضراء ، فأقام بها أياماً ، ثم خرج منها غازياً إلى بلاد الروم ، فسار إلى أن وصل وادي لك ، فوجد الزروع في أقبالها ، والخيرات في تناهيها ، فبث الغارات في بلاد الروم ، ثم ارتحل فنزل مدينة شريش فحاصرها وشرع في إفساد زروعها وقطع مرافقها وفساد أعنابها وأشجارها ، وعزم رحمه الله على أنه إذا دمر بلاد شريش ينتقل إلى غيرها من بلاد الروم حتى يأتي على آخر بلدان النصارى التي تولاهم المسلمون قديماً وانتزعها الروم من أيديهم ، وينزل على كل قاعدة من قواعدهم حتى يفني مرافقهم وأقواتهم بالدمير والفساد ، ثم عزم على تفريق الجيوش على قواعدهم لتحاصرها حتى يقضي الله تعالاً في ذلك ما يشاء ، فكانت هاذة نيته أيده الله تعالاً ونفعه بقصده ، وكان نزوله مدينة شريش المذكورة في الموقى عشرين من صفر من سنة أربع وثمانين المذكورة (٢٧ أبريل سنة ١٢٨٥ م) ، فكان من يوم نزوله أياها إذا صلا الصبح ركب وركب جميع المجاهدين فيقف على باب مدينة شريش ، ثم تفترق الجيوش في أحوازها لافساد الزروع وقطع الثمار وتخريب القرا ، فلا يزال رحمه الله واقفاً من أول النهار إلى صلاة العصر فإذا صلا العصر رجع إلى بيته ورجع المسلمون إلى محلاتهم ، فكان لا يفتقر عن تحريض المسلمين ولا عن الوقوف عليهم ، وسبب مداومته على هذا الحال أنه علم أن النصارى دمرهم الله قد فرغت مخازنهم من الزروع ، والغلاء قد عم بلادهم ، والجوع قد استولاهم على جميع أقطارهم ، فخاف أن يتمكنوا من هاذة الصائفة فيرتفقون بها ويكون

لهم فيها بلغة عيش ، فداوم على افساد الزرع لأجل ذالك ، ودأب على قطع المرافق عنهم بالكلية ، وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر صفر المذكور (الثلاثاء ١ ماي) وصل الى المحلة من كان بقي على بحير ؟ واقطارها من بني مرين والعرب بعدما افسدت طول اقامتها هناك جميع ماكان على بحير من زرع وجنات وكروم وأشجار ، ومروا الى مدينة ابن السليم فافسدوا زروعها وقتلوا منهم وأسروا ، وفى هاذه الأيام وصل من كان من فرسان المسلمين بطريف ، ووصل الرجال الذين كانوا مرتبين فى حصون الأندلس بعددهم وأسلحتهم ، فاجتمعت الجيوش المنصورة ، وفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر صفر المذكور بعث أمير المسلمين عياد العاصمى الى حصن شلوقة فأغار عليه وقتل هنالك جملة من الروم ، وفى يوم الخميس السادس والعشرين من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين فى جموع المجاهدين فوقف على مدينة شريش ، وبعث الخيل والبغال الى حصاد الزرع ونقله الى المحلة ، فلم يبق فى المحلة دابة الا جاءت موقورة بالقمح والشعير ، فرغد عيش المحلات منه وبعث أمير المسلمين وزيره الشيخ محمد بن عطو ومحمد بن عمران بمرسم التطلع الى حصن القناطر وحصون روضة ، فركبا وسارا اليها فى نحو الخمسين فارسا فداروا بأسوارها من كل جهة فعاينوا من ضعف من بها من النصارا ماسرت به نفوسهم ، ثم رجعوا فأخبروا بذلك أمير المسلمين ، وفى يوم الجمعة السابع والعشرين منه قعد أمير المسلمين فى محلته ولم يركب ، وكان قعوده فيها حيلة على النصارا حتى اطمأنوا وعلموا أنه لايركب اليهم فى ذالك اليوم ، فخرجوا ببقرهم وغنمهم يرعونها حول المدينة ، فكمن لهم الأمير أبو علي منصور بن عبد الواحد فى الزيتون فى نحو ثلاثمئة فارس من المسلمين مفترقة فأغاروا عليهم فقتلوا الرجال وغنموا الأموال ، ومع اقامة أمير المسلمين فى ذالك اليوم بالمحلة لم يقعد المجاهدون عن الغارات .

وفى يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين وركب معه سائر المجاهدين ، فسار حتى وقف على مدينة شريش

فقاتلها ساعة ثم انصرف عنها وأمر الناس بقطع الأعناب وأشجار التين، فقطع منها شيء كثير ورجع في عشي النهار إلى محلته .

وفي يوم الأحد التاسع والعشرين من الشهر المذكور عقد أمتينز المسلمين لحفيدة الأمير أبي علي منصور بن عبد الواحد راية على ألف فارس وبعثه إلى اشبيلية ، وركب هو على عادته إلى شريش ، فوقف عليها وأمر الناس أيضا بفساد الزروع وقطع الكروم والزيتون ، وسار أبو علي منصور بألف فارس من بني مريش وعرب العاصمة والخط والأتبج والأغزاز غدوة الأحد المذكور إلى نصف النهار فنزل على جبل أبرير فضلا هنالك العصر وركب الناس وساروا حتى غربت لهم الشمس على القنطرة من تحت الأقواس ، فنزل هنالك حتى أكلت الخيل يسيرا من علفها وأسرا بالخيول حتى أصبح بين جبال الرحمة وبين اشبيلية ، وكمن هنالك حتى ارتفعت الشمس فاستدعا الأمير أبو علي منصور برؤوس الجيش من المسلمين وأخذ معهم في المشورة فيمن يغير على اشبيلية ومن يبقا معه ، فاتفق رأيهم على أن تغير خمسمئة فارس منهم وتبقا خمسمئة مع الأمير أبي علي تمشي في أثرهم على مهل ، فأطلقوا الأعنة نحو اشبيلية ، فلما أشرفوا عليها طمع فيهم الروم لقلتهم فخرجوا نحوهم ، والتقا الجمعان ، وصير الفريقان ، وتكاثر جموع الكافرين ، وراموا استئصال المؤمنين ، فبينما هم كذلك وقد ضاقت من المسلمين الصدور إذ أقبل الأمير أبو علي منصور ورايته تشرق وطبوله تخفق ، فلما عاين الكفرة طلعة الجيوش المظفرة ولوا الأدبار ، واعتصموا بالفرار ، فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويسبون ويخربون حتى أدخلوهم المدينة وقد قتلوا منهم نحو الألف وأسروا جماعة وافرة ، وأغار طائفة من المسلمين من بني هوجع؟ وبني غفجوم وبعض برغواطة فصادفوا جمعا وافرا من النصارا فقاتلوهم قتالا شديدا حتى منحهم الله تعالى أكتافهم فقتلوهم وأسروا منهم جملة ، واجتمع سائر الجيش إلى الأمير أبي علي منصور ، فسأل الشيخ أبا علي ابن يوسف بن يزجائن وقال له على أي طريق يكون رجوعنا ؟ فقال أبو الحسن الرأي المبارك أن شاء الله تعالى في أخذ الطريق التي بين قرمونة

والقلعة ، فأمر الأمير أبو علي بالفنائم فجمعت وجعلها في يد أمين وقدمها
بين يديه وانصرف إلى قرمونة ، فاشتد الحر على المسلمين والعطش ،
فبعث الأمير أبو علي الفارس أباسمير وأمره أن يتقدم ويتطلع على أخبار
قرمونة ، فمر أبو سمير مغيرا فلقى جمعا من المسلمين ممن خرج إلى
الإغارة في أول النهار وهم قد جدوا السير محتفزين ومستوفزين ، فقال
لهم أبو سمير ما بالكم ؟ فقالوا أجرينا الخيول نحو قرمونة فخرجت علينا
منها الخيل والرجال ، وهام في أثرنا خلف هذه الرتبة ، فوقف أبو
سمير هنالك مع المسلمين حتى وصل أبو علي بالخيول والمغنم ، فأعلموه
بذلك فقصده نحو النصارى ففروا أمامه فادركهم قريبا من الباب فقتل منهم
جماعة وتحصن الباقون بالمدينة ، ثم أمر بحرق زرع قرمونة وقطع ثمارها
فاقام كذلك إلى العصر وارتحل ولحق بغنيمته مع غروب الشمس ، فبات
بها بوادي لك ، ورجل منه إلى الأقواس ، فأفسد ما هنالك من الزروع ،
واقام إلى أن صلا العصر فارتحل بغنائمه إلى وادي الملاحه ، ثم ارتحل
منه إلى المحلة فوصلها غدوة النهار سالما غانما .

وفي يوم الاثنين الموافق ثلاثين من صفر المذكور ركب أمير المسلمين
وأمر سائر المجاهدين بقطع الكروم والزيتون وإحراق الزروع فأفسد
المسلمون من ذلك شيئا كثيرا ، واقام رحمه الله تعالى يحرض المسلمين
على تدمير أموال النصارى إلى أن صلا العصر ، وكان يوما شديد الحر ،
فأمر رحمه الله تعالى سعيد بن يخلف وجماعة من العرب بإحضار زقاق
الماء الغدب والوقوف بأدوات الماء خلف المجاهدين ليناولوا من شاء أن
يشرب منهم ، فلم يزالوا على ذلك طول مدة الحصار .

وفي يوم الثلاثاء غرة شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة
ركب أمير المسلمين ونادا مناديه في الناس بالخروج إلى إفساد الزرع
وقطع الأشجار ، فلم يرجع أيضا إلى بيته حتى صلا العصر .

وفي هذا اليوم أمر رحمه الله عرب العاصم أن يطوفوا على أبواب
شريش يرسم أخذ من فر منها وقتل من أراد الدخول فيها وأمرهم بالإغارة

على حصن شلوقة فاغاروا عليه فالفوا أهله مطمئنين وقد خرجوا بجميع أموالهم من البقر والغنم والبغال فغنموا وأسروا منهم أربعة عشر رجلا فأبوا عياد العاصمي وجمعه ورجع بالفنمية إلى المحلة .

وفى يوم الأربعاء الثاني من ربيع المذكور عقد أمير المسلمين رحمه الله لائحة من خمسمئة فارس وبعث بها إلى غزو استجة وأحوازها .

وفى هذا اليوم وصل الأمير عمر بن عبد الواحد إلى المحلة من العدو ومعه جمع كثير من المجاهدين والمتطوعة خيلا ورجالا بالتعدد الصافية والأسلحة الوافية .

وفى هذا اليوم وصل الفقيه قاسم ابن الفقيه أبي قاسم العزفي بغزة سبعة وهم خمسمئة رام مقاتلة ففرح أمير المسلمين بقدومه .

وفى هذا اليوم أمر أمير المسلمين رحمه الله الأمير مهلهل بن يحيى الخلطي أن يختار من عرب الخلط ألف فارس يقيمون على شريش يخرسون أهلها ليلا يخرج منهم أحد وليقطع عنهم الميرة فلم يزل عرب الخلط يطوفون عليها ليلا ونهارا .

وفى يوم الخميس الثالث من شهر ربيع المذكور عقد أمير المسلمين رحمه الله رأيته لحفيده الأسعد عمر بن عبد الواحد على ألف فارس من المسلمين يرسم الاغارة على بلاد الكفرة فخرج من المحلة عند طلوع الشمس بعد أن ودع جده بخباء الساقة وسار بالجيش فجد إلى العصر فنزل في مرج الملاحة حتى علفت الخيل ثم أسرا من أول الليل فأصبح على قلعة جابر ، فكمن دونها إلى المغرب ، ثم أسرا بهم إلى ثلث الليل الأول ، ونزل بوادي لك ، فأقام به حتى أصبح ، وكمن به إلى الظهر طلبا لانتشار النصارا في الأرض ، فلما صلا الظهر قسم الجيش على فرقتين ، فرقة أمرها بالاغارة على النصارا ، وفرقة أمرها أن تبقا عنده ، ثم انقسم المغيرون على فرقتين ، فرقة أغارت على مرشانة ، وفرقة أغارت على قرمونة ، فجدت الفرقة المغيرة على مرشانة حتى وقفوا على بابها ، ثم انتشروا في نواحيها فقتلوا خلقا كثيرا من النصارا وغنموا نساءهم

وأولادهم ممن وجدوه في الطرقات وفي الأرحية والجنان وفي أندر الزرع ويقوا في تلك النواحي إلى آخر النهار فأوصلوا غنيمتهم إلى ودي لك .

وأما الفرقة المغيرة من المجاهدين على جهة قرمونة فتوجهت إليها وسار الأمير عمر في أثرها حتى وقف على برج هنالك فيه من النصارا نحو الثلاثمائة رجل ، فقاتلهم قتالا شديدا حتى فتح الله تعالى له في أخذ البرج واحتوا المسلمون على جميع ما فيه من الأسلحة والأمتعة والأموال والروميات ، وقتل جميع من وجد به من الرجال ، وهدم البرج ، وانصرف بالغنيمة سالما منصورا حتى وصل بها إلى وادي لك ، فاجتمع بالفرقة التي أغارت على مرشانة وباتوا جميعا بغنائمهم هنالك ، فلما أصبح قدم الغنيمة بين يديه ، وسار فبات بالأقواس ، وسار إلى المحلة ففرح به أمير المسلمين ودعا له بخير .

وفي يوم الخميس المذكور أغارت رماة سبته على حصن من حصون الروم فسبوا منه ثمانين نفسا بين رجال ونساء وأولاد ، وقدموا بها إلى المحلة فصرف عليهم أمير المسلمين خمسة منها فاقسموا غنيمتهم فيما بينهم .

وفي يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول المذكور ركب أمير المسلمين وسار معه جميع من بالمحلة من المجاهدين ، فأمرهم بإفساد الزرع وقطع الثمار على حسب عادته ، فوصل المسلمون إلى فدادين الزرع وأخذوا في حصاده ودرسه ، وسار أمير المسلمين إلى زيتون شريش وقعد به ليلا يخرج من النصارا من يضر بالمسلمين ، فأقام هنالك رحمه الله تعالى حتى صلا المغرب وعلم أن جميع المجاهدين قد رجعوا إلى منازلهم فانصرف إلى محلته .

وفي يوم السبت الخامس من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين بعد أن صلا الظهر ، فوقف على مدينة شريش فقاتلها قتالا شديدا حتى دخل المسلمون أرباضها وحرقوها وقتل بها خلق كثير من النصارا ما يزيد على سبعمئة رجل ولم يمت فيها من المسلمين حاشا رجلا واحدا .

وفى يوم الأحد السادس من ربيع الأول المذكور ركب أمير المسلمين أيضا الى شريش ، فوقف عليها وأمر الناس بالمسير الى حصاد الزرع ودرسه ونقله ، فخرج الناس من المحلة بالبغال والحمير والجمال فشرعوا فى الزرع ، وأقام هو رحمه الله بالزيتون حتى صلا المغرب حياطة على المسلمين ان يخرج اليهم العدو من البلد ، ورجع الى المحلة بعد ان علم ان المسلمين قد فرغوا من حصاد الزرع ونقله .

وفى هذا اليوم خرج علي بن عجاج الاستجى فى سبعين فارسا من اخوانه فأغاروا على روضة فغنمها وقتل بها عددا من الروم ورجع الى المحلة بغنيمته .

وفى يوم الثلاثاء الثامن من ربيع المذكور بعث أمير المسلمين سرية من خمسمئة فارس من المجاهدين فأغاروا على أركش فغنموها وسبوا منها ثمانين امرأة من الروميات وبقرا وغنما ودواب وقتلوا رجلا كثيرين وأتوا الى المحلة بغنيمتهم .

وفى يوم الأربعاء التاسع من ربيع المذكور عقد أمير المسلمين لولده الأمير محمد (أبى معروف) على ألف فارس من المجاهدين وأمره بتخريب اشبيلية والاغارة على أحوازها فساروا اليها .

وفى هذا اليوم أغار بعض عرب الخلط على برج من أحواز شريش فغنموا منه ثمانية علوج وثلاثمئة رأس من الغنم ومئة وسبعين رأسا من البقر والبغال والرمك ، وقدموا بها الى المحلة .

وفى هذا اليوم أغار رماة سببة وغزاتها على بعض حصون الروم فقتلوا به خلقا كثيرا وسبوا منه ثلاثة عشر علجا ورومية واحدة وقسيسهم وشماسهم ووجدوا مع القسيسين ذهبا كثيرا من ضرب المسلمين ، فصرف لهم أمير المسلمين خمسها منها .

وفى هذا اليوم أغار بعض قواد الأندلس على برج من بروج الروم فدخلوه بالسيف وقتلوا من به وسبوا به ستة أعلاج وأربع روميات ومئة رأس من البقر وقسيا وسلاحا كثيرا فأتوا بها الى المحلة فصرف عليهم

أمير المسلمين خضبه من ذلك كما فعل بأهل سبته ، وانصرف الأمير محمد (أبو معرف) في جيشه الذي عقد له عليه وركب معه والده أمير المسلمين مشيعا له حتى ودعه ودعا له وأوصاه بتقوا الله تعالى في السر والعلانية والصبر والثبات ، ثم انصرف عنه فجد الأمير أبو معرف السير يومه ذلك حتى وصل جبل ابريل فأقام به حتى صلا العصر وركب وجد السير الى المغرب ، فعمل الخيل بوادي لك ثم أسرا طول الليل حتى أصبح على حصن عين الصخرة فكمن هنالك الى العصر ، وركب وسار بجيشه الى وقت المغرب ، فنزل وعلقت الخيل ، ثم أسرا فأصبح وقد قارب القلعة ، فجمع الأمير محمد (أبو معرف) أشياخ المجاهدين فشاروهم فيمن يغير من المسلمين ومن يبقا معه ، فاختاروا للأغارة خمسمئة فارس ، فأطلقت أعنتها في اثر المغيرين ، وكان النصارا قد خرجوا من اشبيلية خيلا ورجالا في عدد كثير لقتال المغيرين ، فلما عاينوا العلم المنصور والجيش على أثره بادروا الى المدينة فدخلوها وغلقوا الأبواب وتمنعوا بالأسوار والسهام فوقف الأمير محمد (أبو معرف) قريبا منها بحيث لا تلحقه السهام ، وأمر المجاهدين بالغارات في أنحائها وتخريق زروعها وتخريب قراها وقطع أشجارها ، ولم يزل واقفا أمام بابها الى الليل حتى اجتمع اليه جميع المسلمين الذين اجتمعوا للغارات والطبول تضرب على رأسه ترهيبا للعدو ، فغنم المسلمون غنيمة عظيمة وقتلوا من النصارا ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل ، وذلك يوم مولد نبينا ومولانا محمد صلا الله عليه وسلم ، وكان جملة ماغنموا فيها من الروميات والأولاد ثلاثمئة وثمانين نفسا ، ومن الرمك والبقال والحمير ألف رأس وخمسمئة وستين رأسا ، ومن البقر والغنم شيئا كثيرا ولم يأسر فيها رجلا الا القتل ورجع الى المحلة بغنائمه سالما .

وفي يوم الثلاثاء الخامس عشر من ربيع الأول المذكور بعث أمير المسلمين حفيده الأمير أبا علي منصور بن عبد الواحد في جملة من المجاهدين ، بعث معه مئة من رماة سبته وألف رجل من متطوعة المصامدة ، وبعث معهم بالبغال تحمل جواليق السهام والمساحي والفؤوس والمعاول

الى برج كان بينه وبين المحلة نحو الثمانية أميال كان به جمع من النصارا يقطعون الطرق على من خرج من المحلة منفردا او فى قلة ، فسار المسلمون الى البرج فشرعوا فى قتاله واطهر من كان فيه من النصارا من الصبر على الحرب مالا يوصف ، ورتبوا الرجال والرماة فى أعلاه وفى أسفله ، فنزل الأمير منصور عن قرسه وأخذ درقته بيده ، وزحف الى البرج على قدميه ، وتولا القتال بنفسه ، ونزلت معه فرسان العرب ففعلوا كفعله ، وتبعهم رماة سببة ورجال المصامدة فدخلوا عليهم البرج عنوة بالسيف فقتلوا فيه ثمانين علجاً وأسروا من بقي من الرجال والنساء المسبيلات ، ووجدوا فيه من السلاح والأمتعة والادام والدقيق شيئا كثيرا ، فأوصلوه الى المحلة فى عشي يومهم بعد ان هدموا البرج ونسفوا أثاره .

وفى يوم الثلاثاء المذكور ركب أمير المسلمين فى سائر جيوش المجاهدين فوقف على شريش وقاتلها قتالا عظيما وخرج لقتاله فى ذلك اليوم جميع من كان بها من الخيل والرجال والرماة ، فتقدم الأغراز ورماة المسلمين الى جهادهم فرشقوهم بالنبال ثم وجفت عليهم خيل بنى مرين. والعرب فهزم النصارا وقتل منهم خلق كثير بباب المدينة .

وفى يوم الخميس السابع عشر من ربيع المذكور ركب أمير المسلمين وسائر المجاهدين فسار الى برج كان بينه وبين المحلة نحو اثني عشر ميلا يعرف بمشقریط ، كان فيه من زعماء النصارا وأشرارهم خلق كثير ، فتشمر المسلمون لحربه ، وتحصن الكفرة بالبرج واستعدوا للقتال ، فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وأحدقت بهم رماة المسلمين فقتلوا منهم نحو الستين رجلا ، وانضم الرجال تحت البرج ، فدخلوا عليهم فى أسفله وملأوه حطبا وأضرموا فيه النيران وخرجوا عنه فبقيت النار تعلق يومها ذلك والليل كله ويوم الجمعة الى نصف النهار ، فلما رأى النصارا مالا طاقة لهم به من النار والسهام استسلموا وألقوا بأيديهم الى الأسر ، فأسر منهم مئة وتسعون علجاً وأربع وتسعون امرأة ، وغنم المسلمون جميع أموالهم ودوابهم وأسلحتهم وهدموا البرج وقطعوا ماحوله من الأشجار ورجع أمير المسلمين الى المحلة .

وفى يوم السبت التاسع عشر من ربيع المذكور وصل الى المحلة عبد الرزاق البطويى ، فآخبر أمير المسلمين بقدوم ولده الأمير يوسف رحمه الله من بلاد العدو ، وأنه تركه بمحلته على مدينة ابن السليم وأنه وصل بجيش عظيم من المسلمين يغص بهم الفضاء وتضيق بهم الأرض ، وأنه قاتل أهل مدينة ابن السليم قتالا شديدا فقتل منهم خلقا كثيرا ، وفرح المسلمون بقدومه وخرج الى لقائه الشيخ على بن جدار فى جماعة ممن بنى عسكر .

الخبر عن قدوم الأمير يوسف من العدو

برسم الجهاد

لما خرج الأمير يوسف من بلاد العدو الى الأندلس فى جيوش وافرة من المجاهدين والمتطوعة سار حتى قرب من محلة والده أمير المسلمين وبعث الى والده يخبره بقدومه ، فركب أمير المسلمين الى لقائه وركب معه جميع من فى محلته من المسلمين ، وانضاف كل واحد من بنى مبرين والعرب والأغزاز الى قبائلهم ، ولزموا رأيهم ، واحتفل الناس للبروز ، وبرزت كل قبيلة بما عندها من العدد ، وتقدمت الرجال والرماة أمام الخيل ، وميزت قبائل المتطوعة من المصامدة فى ذلك اليوم فى ثلاثة عشر ألف رجل ، وميزت قبائل المغرب من أوربة وغمارة وضنحاجة ومكناسة وصدراتة ولطة وبنى وارثين وبنى يازغة وغيرهم فى ثمانية آلاف رجل ، وأقبلت الجيوش والقبائل كل قبيلة منها ممتازة عن الأخرى ، ولما قرب الأمير يوسف من والده أمير المسلمين يعقوب ترجل أمير المسلمين عن فرسه فوقف بازائه تواضعا منه لله تعالى ، وترجل الأمير يوسف قمشا على قدميه أداء لحق والده وتواضعا وأدبا ، فلما وصل اليه قبل يديه وسلم عليه ، ثم ركب أمير المسلمين وأمر ولده الأمير يوسف بالركوب ، فركب وأقبل الناس يسلمون بعضهم على بعض ، واجتمعت الجيوش وضربت

الطبول حتى ارجعت الأرض وساروا الى المحلة ، فنزل أمير المسلمين بخباء الساقة ، ونزل معه ولده يوسف وأشياخ بنى مريين والعرب ، فأتى بالطعام ، فاكل الناس وانصرف الأمير يوسف الى محله ، وانصرف معه الرماة الذين توجه معهم للملاقاة ، وكانوا مئتي رام .

وفى يوم الاثنين الحادي والعشرين لربيع المذكور ركب أمير المسلمين فى جميع جيوشه وقدم بين يديه الرجال والرماة فساروا الى حصن القناطر ، فقاتله المسلمون حتى دخلوا برضه بالسيف وأضرموا فيه النيران ، وقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وغنموا جميع ما وجدوه فيه من الغنم والبقر والدواب .

وفى يوم الأربعاء الثالث والعشرين منه ارتحل أمير المسلمين بجميع محله فبذل المنزل لأنه استقذره أطول إقامة الناس به فعمروا وادي لك ، ونزل الناس فى وسط الكروم والجنات بقرب شريش ، وقاتلها فى ذلك اليوم من وقت الضحا الى صلاة الظهر .

وفى يوم الخميس الرابع والعشرين منه ركب أمير المسلمين بجميع المجاهدين الى شريش فقاتلها أيضا من طلوع الشمس الى صلاة الظهر وانصرف الى بيته .

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين منه عقد أمير المسلمين لولده الأمير يوسف على جيش من خمسة آلاف فارس ، وأمره أن يتوجه بهم الى غزو اشبيلية ، ويجوز الوادي الكبير فيغزو ما فى عدوته من البلاد ، فخرج بعد صلاة الظهر من يومه ذلك ، وتبعه أمير المسلمين الى طرف المحلة وأوصاه بتقوا الله تعالى ودعا له وودعه ورجع عنه ، فوقف على باب شريش فقاتلها الى العصر ثم دار بأسوارها ورجع الى المحلة .

وفى يوم السبت التالى له أمر أمير المسلمين ولده الأمير محمد (أبا معرف) أن يركب فى جيش المجاهدين فيقاتل شريشا ويلازمها بالحروب فى كل يوم ، فسار اليها وقاتلها النهار كله الى الليل ، ولم يزل الأمير محمد يتردد بجيوش المسلمين الى شريش فى كل يوم يقاتلها من أول

النهار الى الليل فكان يقتل كل يوم منهم خلقا كثيرا ويسبي النساء والأولاد ، وسبب لزومه لقتالها والوقوف عليها ليمنعهم عن الخروج الى مرافقهم وليتأمن المسلمون الذين انتشروا في الأرض لحصاد الزرع ودرسه ، فكان الناس في هذه الأيام كلها يخرجون من المحلة بالدواب فيحصدون الزرع ويدرسونه ويحملونه الى المحلة ، فكثر الخيرات بها وتوفرت الأرزاق ، فكان القمح والشعير والفواكه والادام لايباع ولايشترى والمجاهدون فيها في رغد من العيش ، فصارت المحلة بمنزلة قواعد المدن ، اجتمع فيها جميع أصناف الصنائع والتجارة ، فأخبر من تفقد أسواقها من أهل البحث أنه رأى فيها أصناف الصنائع ، كل قد تلبس بصناعته واحترف بحرفته ماعدا الحياكة خاصة ، وأما سوق الغزل والكتان فقد كانا بها إذ أخذ سوق المحلة السهل والوعر إذا غاب عنك رفيقك أو من تعرفه لاتكاد تلقاه الا بعد اليومين والثلاثة لكثرة الخلق .

ولما خرج الأمير يوسف من المحلة الى غزو اشبيلية في خمسة آلاف من أهل الديوان وألفي فارس من المتطوعة وثلاثة عشر ألف رجل من المصامدة ومائتي قبائل المغرب والفين من رماة قبائل بلاد المغرب وحمل معه البغال والأخبية والجمال عليها السلاح والأزواد فعل فعل من لايعبأ بالروم ولايكثر بكثرتهم ولايهوله ماغزم عليه من الدخول في أقطارهم والتوغل في بلادهم ، فدخل بجيوشه المظفرة المنصورة حتى نزل جبل أبريد ، فعلق به ، ثم أسرا الى الأقواس فارتفعت هنالك أصوات المسلمين بذكر الله سبحانه والتكبير والتهليل حتى ارتجت الأرض من أصواتهم ، فسار بالمجاهدين من تلك الليلة وهم على حال ذكرهم حتى أصبح لهم على عين الصخرة ، فصلا الناس بها صلاة الصبح ، وأقاموا بها الى العصر ، ثم ارتحل وسار بالناس حتى أظلم عليهم الليل بوادي لك ، فصادف المسلمون هنالك الطرق الوعرة والشوك وأماكن الحجارة فجاء الأمير يوسف السير في تلك الأوعار والناس خلفه يتقاطعون ، فانقطع عنه أكثر الجيش وتفرقوا في ظلام الليل لايسدري أحد أين سار صاحبه ، فتفقد الأمير يوسف المسلمين فعلم أنه تقدمهم بمسافة طويلة ، فوقف وأمر الخيل بالرجوع الى

من تأخر من المجاهدين وأمر بضرب الطبول ليسمعها من ضل عن الطريق فيقصد نحوها ويهتدي إليها ، فضربت الطبول فسمعها المجاهدون فأتوا نحوها من كل ناحية ، والأمير يوسف واقف في موضعه لا يزال عنه حتى اجتمع إليه كل من تأخر من المسلمين ، فسار بالجميع حتى أصبح فصلا الصبح قريبا من الوادي الكبير ، وسار بالمسلمين يسيرا حتى طلعت الشمس ، فنزل عن قريب وتدرج وتأهب الناس وجددوا نياتهم للجهاد وضجوا بالدعاء الى الله تعالى ثم ركب الأمير يوسف ومن معه من المجاهدين فعبروا الوادي وأمر الناس بالاغارة والانتشار في بلاد المشركين فأغارت كل فرقة من المسلمين على ناحية ، فخرج بنو عسكر وعرب الخلط الى ناحية فلم يكن الا ساعة واذا هم قد قدموا على الأمير يوسف بغنائم لاتحصا من البقر والغنم والدواب والعلوج والنساء وأغارت عرب سفيان على حصن من حصون الروم فدخلوا عليهم بالسيف وأضرموا النيران في أبوابه ، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وغنموا الأموال وقدموا بغنيمتهم على الأمير يوسف وانتشرت طوائف المجاهدين في تلك البلاد يقتلون الروم ويأسرون ويفسدون ويحرقون ويقدمون بالغنائم على الأمير يوسف وهو رحمه الله يمشى في أثر المغيرين على مهلة في جماعة من وجوه بنى مرين وأشياخ العرب ، وخرج شيخ الأغزاز في مئة فارس الى قلعة الوادي فأغار عليها وقاتلها ، فقتل على بابها مايزيد على سبعين علجا وأسروا منهم كذلك ، وشرع المسلمون في حرق الزرع وافساد المرافق الى العصر فرجع الناس وقدموا بالغنائم من كل ناحية ، وشرع الناس في ذبح الغنم فذبح منها نحو العشرة الاف رأس ، ثم أمر الأمير يوسف باحصاء الغنم وجمعها فأحصى عددها في زمام ، وجعلت في أيدي الأمناء وبات المجاهدون هنالك في غبطة وسرور ، وأمر الأمير يوسف بثلاثمائة فارس من المجاهدين يحرسون المسلمين تلك الليلة فباتوا طول ليلتهم يطوفون بعساكر المسلمين حتى أصبح ، فصلا الأمير صلاة الصبح وأمر بضرب الطبول فضربت وركب الناس واجتمعوا فدخل بهم في قرا الغابة وقرا المشرف ، فأقبل المسلمون عليها بالحرق والنهب والتخريب والفساد

وتحريق الزروع وقطع الثمار وهدم الديار ، وقتلوا بها من الروم الوفيا كثيرة ، وأسروا من النساء والرجال والأولاد كذلك ، فأقام بالغابة والشرف يومين حتى لم يترك بهما للنصارا ما يتصرفون فيه ، وارتحل راجعا حتى وصل الوادي الكبير فجازه وجوز الغنائم بين يديه ودخل هناك حصنا بالسيف وقتل جميع من كان به من الروم وغنمت أموالهم ، فبات المجاهدون تلك الليلة هناك ، فلما أصبح ارتحل الأمير يوسف وسار بالغنائم على مهل ، فبات قريبا من قرمونه ، ثم ارتحل من الغد فسار طول يومه حتى نزل بالأقواس وجبل أبريد فأقام هناك الى الثلث الأخير من الليل ، فارتحل وأسرا بقية ليلته فأصبح قريبا من المحلة ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين يعقوب فركب في جيوشه الى لقائه فالتقا الجمعان في جرف شريش ، وذلك يوم الأحد الخامس من ربيع المذكور ، وقدم بغنائم ملأت الأرض طولاً وعرضاً ، وجاءت جيوش المجاهدين بغنائمهم والرجال في الأغلال والنساء مقرنين في الحبال ، وبرزوا بها عليها نكاية لمن بها من الروم وأرهاباً لهم ، ووقف أمير المسلمين على باب المدينة بجيوشه الوافرة ورايته المنصورة والغنائم تسير أمامه ، فضربت الطبول وضج الناس بالتكبير ، فكان يوما عظيما ابتهجت به نفوس المجاهدين وانبسطت أمال المسلمين .

وفي يوم الاثنين السادس من ربيع الثاني وصل الأمير أبو زيان من طريف في جيش عظيم من المسلمين ، فيه الرماة والمتطوعة وخمسمئة فارس من عرب بني جابر ، فبرز بجميع من قدم معه على شريش وقتلها ذلك اليوم قتالا شديدا .

وفي يوم الثلاثاء التالي له عقد أمير المسلمين لولده الأمير أبي زيان على ألف فارس من المجاهدين وأمره بالإغارة على إقليم الوادي الكبير ، فخرج الأمير أبو زيان من خباء الساقة بعلم أبيه ومعه ألف فارس منهم ثلاثمئة فارس من عرب بني جابر عليهم يوسف بن قيطون ، وسبعمئة فارس من قبائل بني مرين ، فسار النهار كله الى الليل ، فبات قريبا من الأقواس ، ثم ارتحل وقدم بين يديه خمسين فارسا وأمرهم بالإغارة على

قرمونة ، فأغاروا عليها وقتلوا بها جملة من الروم وسبوا النساء والأموال ، فخرجت عليهم الخيل من قرمونة وتواترت عليهم الرجال ، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى لحق بهم الأمير أبو زيان فهزم الروم وقُتل منهم خلقا كثيرا ، ثم سار إلى برج هنالك فيه جمع كثير من الروم بنسائهم وأموالهم وقاتلوهم فيه ساعة من النهار ، وترجلت جماعة من عرب بنى جابر فأخذوا درقهم في أيديهم واقتحموا السهام حتى دخلوا البرج عنوة بالسيف ، فقتلوا رجاله وسبوا نساءه وغنموا أمواله ، ثم شرع الأمير أبو زيان في تحريق الزرع وقطع الثمار وتخريب القرا وسار مابين قرمونة واشبيلية يخرب القرا ويقطع الثمار ويسبى ويقتل حتى وصل إلى برج في قبلة اشبيلية ، فقاتله المسلمون وأوقدوا حوله النيران حتى دخلوه بالسيف ثم اختار الأمير أبو زيان من جيشه خمسمئة فارس فأغار بها على اشبيلية ، فسبا من خارجها مئة وخمسين امرأة وأربعمئة عالج ، وقتلوا في قدان واحد مايزيد على خمسمئة نصراني وجدوهم يحصدون زرع الفونسو فلم يبق منهم أحد ، وغنموا من الخيل واليغال والبقر والغنم مالا يوصف ، ثم جمع الغنيمة وقدمها الأمير أبو زيان أمانه وسار في أثر محلته ، فوصلها في وقت المغرب فبات بها وأرتحل من الغد إلى محلة أبيه وفي يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الثاني المذكور ركب الأمير يوسف في ثلاثة آلاف من المجاهدين وثلاثة آلاف من الرجال والرماة إلى جزيرة كبتور التي بإزاء قصر البرت بعد أن بعث إليها القطائع في البحر ، فأغار المسلمون فوصلوا إليها وأتت الخيل فاقتحمت الوادي فدخلوا الجزيرة وقتلوا جميع من وجدوا فيها من الرعاة والناس ، وغنموا ما فيها من الأموال والخيل والبقر والغنم وسبوا النساء والذرية وأبلا في هذه الغزوة رئيس الأغزاز وابن عمه بلاء حسنا .

وفي يوم الخميس السادس عشر من الشهر المذكور توجهت قطائع المسلمين من جزيرة كبتور إلى الجزيرة الخضراء ليأتوا منها بالمجانيق والسهام واللة الحرب لينصب ذالك كله على شبريش .

وفي يوم الجمعة أغار عرب سفيان على بعض الحصون فغنموا منه

ثلاثمئة رأس من البقر وأربعة آلاف رأس من الغنم وثلاثين رومية وستة عشر علجا وقتلوا منهم عددا كثيرا وقدموا الى المحلة بالغنائم .

وفى يوم الثلاثاء الحادي والعشرين منه بعث أمير المسلمين حصّة من ثلاثمئة فارس فاغارت على قرمونة وأحوازها ، فسبّت مالا كثيرا من الدواب والبقر والغنم والنساء والذرية وقدمت بها الى المحلة .

وفى يوم الخميس الموقى ثلاثين من ربيع الثانى المذكور اغار عياد ابن أبى عياد العاصمى فى جماعة من اخوانه على حصن من حصون الوادي ، فدخل ربحه بالسيف ، وحرّقه وقتل فيه ماينيف على ثلاثمئة رجل من المشرّكين ، وسبّا منه ستا وسبعين امرأة وعشرين علجا فقدم بهم الى المحلة .

وفى يوم الجمعة غرة جمادى الأولى خرج النصارا من شريش برسم الارتفاق والاحتطاب ، فحال عرب سفيان بينهم وبين المدينة فقتلوا منهم نيفا وخمسين علجا .

وفى يوم السبت الثانى منه عقد أمير المسلمين للحاج طلحة بن علي على منّي قارس وأمره ان ينصرف بهم الى اشبيلية فيخربها ويطلع على اخبار سانشو ملك النصارا فان أخبره قد انقطعت عنه ، فبعث هاذة الحصّة لتغير وتطلع على احوال البلاد وتسمع الأخبار ، وبعث معه الجواسيس من الأندلس واليهود .

وفى يوم الاثنين الرابع منه ركب أمير المسلمين فى جميع جيوش المجاهدين خيلا ورجالا وسار الى حصن شلوقة فقاتله حتى دخله بالسيف وأحرق أرباضه ودياره ، وقتل رجاله وسبّا نساءه ، وغنم الأموال ، ولم يبق فى هاذا اليوم بالمحلة أحد من المجاهدين الا عرب سفيان ، فانهم أقاموا يحرسون المحلة .

وفى يوم الخميس السابع من جمادى المذكورة كمن عياد العاصمى مع جيش من اخوانه فى حفير شريش ، ثم سار فى أربعة نفر منهم ويده راية حمراء حتى وصل الى باب المدينة ، وترك باقى اخوانه فى الكمين ،

فأبصر به الروم فخرجوا اليه من شريش خيلا ورجالا شعلة واحدة ، وطمعوا في أخذه ، فجرهم حتى جاز بهم الحفير فخرج عليهم الكمين فقطعهم عن البلد فقتلوا منهم ثلاثا وسبعين علجا ، وكان عياد رحمه الله من أشد المسلمين نكاية في الروم لا يغفل عن الاغارة على بلادهم ليلا ولا نهارا ، ولم يترك الجهاد ساعة واحدة من يوم نزول المسلمين على شريش الى يوم رحيلهم عنها ، ولم يزل أمير المسلمين يعقوب رحمه الله من يوم ارتحاله عن طريف ونزوله عين الشمس وذلك يوم السبت السابع من شهر صفر من سنة أربع وثمانين وستمئة ، وبطول اقامته على حصار شريش الى أن ارتحل في الثامن والعشرين لجمادا الاول من السنة المذكورة في كل يوم يشن على بلاد العدو الغارات شرقا وغربا ويبث فيها سرايا فتكثر في انحاءها قتلا ونهبا ويعقد الرايات لبنيه وحفدته ويبيعهم في الجيوش العظيمة الى الغزوات ، فكان رحمه الله أيام حصاره لشريش المذكورة اذا صلا الصبح دعا بالمخد بنيه أو حفده أو أخاه أشيخ بنى مرين فيعقد له راية ويبعثه في مثني فارس سرية ، ويأمره بالتوجه والاغارة على الناحية التي يريد غزوها من بلاد العدو حتى انتسف جميع ما قرب منها وما بعد ، وكانت سرايا رحمه الله تقطع مسافة الايام الكثيرة وتغير على قواعد البلاد الخطيرة كلبلة واشبيلية وقرمونة واستجة وجيان وجبال الشرف وغيرها ، فلما أفنا تلك البلاد ودمرها وأكل زروعها وغنم أموالها وقطع ثمارها ولم يبق للنصارا شيئا يرتفقون به وأقبل فصل الشتاء وقل العلف في المحلة وغلت أسعارها ارتحل عنها الى بلاده ، فاتصل به وهو بالطريق ان النصارا دمرهم الله قد عمروا أفروطة ونزلوا بها الزقاق (١٨٠) ليقطعوا بها المجاز ، فأسرع السير بالرجوع الى طريف ، فنزل بها وأمر بعمارة الأقفان ، فعمرت في الحين بسببة وطنجة ورباط الفتح وبلاد الريف وبالجزيرة وطريف والمنكب ، فاجتمع منها ستة وثلاثون جفنا غزوية معدة للرماة والغزاة والعدد الكاملة ، فلما علمت أفروطة

الروم بعمارة أجفان المسلمين وقدموها الى حربها وتحققت وفودها عليها وقصدها نشرت شرايعها وفرت امامها خوفا ان تلقاها فتفني حماتها ، فأقبلت اساطيل المسلمين المظفرة حتى واقفت حضرة أمير المسلمين بالجزيرة ، فبرزت امامه بالمرسا وهو جالس بمشور قصره من البلد الجديد ، فلعبوا امامه فى البحر وتناطحوا قدامه كفعلهم فى حربهم ، فأمر رحمه الله لكافتهم بالاحسان الجزيل ، وصرفهم الى وقت الحاجة اليهم فيأمرهم بالاتيان ، فلما راا سانشو ملك النصارا ان بلاده خربت وحماته قذلت وأموال رعيته نهبت وغنمت ونساءهم سبيت وأفروطته التى كان يعثها لقطع الجواز فرت وهزمت جنح الى السلم والطاعة ، وأخذ فى التذمم والضراعة .

الخبر عن وصول الرهبان والاقسة من الروم إلى حضرة أمير المسلمين يرغبون فى الصلح

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما ارتحل أمير المسلمين عن شريش ورجع الى بلاده لأجل زمان الشتاء الذي اقبل خرج سانشو ملك النصارا من اشبيلية الى شريش فرأا من أثر عيث المجاهدين فى بلاده ومافعله المسلمون من التخريب والتحريق والقتل والسبي والتمزيق فى نجوده ووهاده ، ما أشعل النار بقواده ، وبذل نومه بسهاده ، فبعث ثفته الزند غرسية فى جماعة من الأقسى والرهبان والزعماء المجريين الى حضرة أمير المسلمين فأنقلبوا اليها صاغرين ذاخرين متذللين ضارعين فى السلم راغبين ، فلم يسمع منهم أمير المسلمين قولا ولارد عليهم صرفا ولاعدلا ، فرجعوا الى مرسلهم خائبين ، فأعادهم ثانية وقال ارجعوا اليه قعساه ان يلين ، فاتوه الثانية وقالوا له أيها الملك المنصور ، جئناك بقلوب منكسرة ، وأفسدة متقطعة ، نرجو عفوك ، ونطلب صلحك ، فالصلح خير ، فلا تخيب قصدنا ،

ولا ترد سؤلنا ، فقال لهم لا أصالح سلطانكم الا على شروط اشترطها عليه مع رسول ابعثه اليه ، فان قبلها سألته ، وان حاد عنها نابذته ، ثم دعا بالشيخ عبد الحق الترجمان وقال له تسير الى هاذي اللعين وتقول له يقول لك أمير المسلمين لأسالك ولا أترك حربك وغزو بلادك الا على شروط منها أن لا تتعرض بعد هاذي لبلد من بلاد المسلمين ، ولا لجفن من أجفانهم ولا تصلهم باذاية في بر ولا بحر ، كان ذلك من أهل طاعتي أو غيرهم ، وتكون أنت لى بمنزلة الخديم فيما أملك به وأنهاك عنه ، وان يكون المسلمون يسيرون في بلادك لتجارتهم وطلب معاشهم بالليل والنهار لا يتعرض لهم بشر ، ولا يلزمهم درهم ولا دينار ، ولا تدخل بين سلاطين المسلمين بلفظة واحدة ، ولا تعقد مع أحد منهم محاربة ، فسار اليه عبد الحق ليبلغه الرسالة ، ويشترط عليه ما ذكر أمير المسلمين من المقالة ، فوصله وهو بحضرة اشبيلية أعادها الله للإسلام ، فدخل عليه وأبلغه رسالة أمير المسلمين فاحتملها وأعلمه بالشروط التي اشترطها عليه فالتزمها ، فقال له عبد الحق ياسلطان أما الشروط فقد قبلتها ، فاسمع مني مقالة أقولها ، قال تكلم بما شئت ، قال ياسلطان قد صبح عند الملتين ، وثبت في قلوب الغريقين أن أمير المسلمين يعقوب أيده الله صاحب دين وأمانة وعهد ووفاء ، في الميثاق ، فانه اذا عاهد وفا ، واذا قدر عفا ، وأنت لانعلم لك مذهباً فانك فعلت مع والدك ما فعلت ، وخرجت عليه ظلماً ونكثت ، فسار الناس ينفضون عنك لكثرة أسألتك لهم ، فقال له سانشو لو علمت أن الملك يعقوب يرضى أن أكون من جملة خدامه لبادرت اليه ممثلاً ، فقال له عبد الحق الترجمان أما والله لو خدمت مولانا أمير المسلمين وظهر له منك النصح في الخدمة لتجدنه كما تريد ، فقال سانشو فأني أترأصنح أولاً مما يرضيه ؟ قال أول أمر تصنعه أن لا تدخل نفسك في أمور المسلمين بكلمة واحدة ، وتترك التضريب بينهم ، ولا تتعرض لبلادهم ، وان كان بينك وبين ابن الأحمر كلام او ربط فارتكه وأخرج من أموره بالكلية ، واصرف رسله اليه ، فيهاذا يرضى عنك أمير المسلمين ويصالحك ويأمن بلادك ، وكان ابن الأحمر قد بعث رسله اليه يعقدون معه

الصلح على بلادهم ، وتكون أيديهم واحدة على حرب أمير المسلمين ، وكانت عند سانشو أخفان حربية معدة للسفر بالوادي ، فلما فرغ عبد الحق من كلامه قال له سانشو غدا تسمع ما أقول ، وترا ما أفعل ، فلما كان من الغد ركب سانشو الى شاطيء الوادي فوقف عليه وأقبلت رسل ابن الأحمر فقعدهوا بين يديه ، فلما استقر بهم المجلس بعث الى عبد الحق رسول أمير المسلمين ، فأقبل اليه فأجلسه الى جانبه وأخذ معه في الحديث الى أن ظهرت الأخفان وهي مقلعة ، فقال له رسل ابن الأحمر ماهاذه الأخفان المقلعة أيها الملك ؟ فقال لهم سانشو هاذه الأخفان أعدناها لخدمة أمير المسلمين يعقوب تتصرف في حوائجه وقضاء أغراضه حيث كانت ، فلما سمعوا ذلك منه سقط في أيديهم ونظر بعضهم الى بعض ، ثم قالوا له ونحن أيضا بأي شيء ننصرف عنك أيها الملك ؟ فقال لهم أما ما جئتم اليه من الصلح مع ابن الأحمر فلا أعرف له وجهها كيف أصلحه أو عى أي شيء أعاديه ، أهو كفؤ لى أو قرينى حتى أعقد معه الصلح وماجرت عادة بهاذنا مع الصغير والكبير ، وهاذا الملك أمير المسلمين يعقوب هو ملك المسلمين بالعدوتين ، وصاحب حضرة مراكش وفاس ، ملك المسلمين بالمغرب ، وقهر جميع الملوك بصدق نيته وسعده ، وغلبهم بقوته وكثرة جنده ، وأفنا ملوك بنى عبد المومن وسلب ملكهم وقطع دولتهم ، وليس في الأرض ملك أخشاه سواه ، وقد علمتم أنه قهرنى وقهر أبى من قبلى ، واستولا على بلادنا ، وقتل رجالنا وأبطالنا ، وسبا حريمنا وغنم أموالنا ، وليس لنا طاقة بقتاله ، ولا قدرة لحربه ونزاله ، ومع هاذنا كله فقد كاتبه جميع ملوك النصرانية يرغبون في مسالته ومهادنته ، فكيف أترك صلح أمير المومنين وأتكلم مع من هو دونه في القدرة والقوة والحرب ؟ فأبلغوا ابن الأحمر كلامى وقلوا له لاكلام بينى وبينه أبدا ، فأنى رأيت ذلك مصلحة لى ولبلادي ولرعيتى ، وأعلموه انى لا أقدر على مدافعة أمير المسلمين عن نفسى فكيف عن غيرى ، والمال الذي أخذته منكم هو مصروف اليكم على رغم أنفى بسبب أمير المسلمين يعقوب فانصرفت إرسال ابن الأحمر وقد يشؤوا من نصرة سانشو إياه ، فقال له

عبد الحق هذه ارسالي ابن الأجير قد انصرفت وأنا بأي شيء انصرف
الى مولانا أمير المسلمين ؟ فقال سانشو إذا أخذ بخدمته ممثل لأمره
ونهيته ، مبادر الى مايرضيه ، فقال عبد الحق يرضيه أن تصل اليه
فتجتمع معه ، فقال سانشو نعم وكرامة ، فلما عزم سانشو على الخروج
ليجتمع مع أمير المسلمين اجتمعت عليه النصارا وغلقت ابواب اشبيلية
دونه ومنعوه من السير والخروج ، وقالوا أنا نخاف عليك من ملك
المسلمين ، فقال لهم انى أليت على نفسى أن أصل اليه وأخذ معه مشافهة
فيما يقع الصلح بينى وبينه عليه ، فدعوه يصنع بى ماشاء ، فلما راوا
عزمه خلوا سبيله ، فسار حتى بعد عن اشبيلية بمرحلة ، فأدركه الخوف
وداخله الجزع ، وقال يا عبد الحق ما أظن أصحابى فى منعهم اياي الا
على بصيرة ولكنى أريد أن تعاهدنى وتحلف لى انى آمن منى ولا أرا منى
الا مايسرنى ، فحلف له عبد الحق على ذلك فى تهليل (١٨١) كان عنده ،
فاطمأن قلبه فى الظاهر ، ثم سار حتى وصل مدينة شريش ، فارتاد جزءا
وقال لعبد الحق انى لا أقدم على أمير المسلمين يعقوب حتى اجتمع بولسى
عهده يوسف فيؤمننى ويسكن خاطري بأن أقدم معه الى والده فى ذمته
وأمانته وأسير معه .

فلما سمع ذلك عبد الحق خاف أن يكون قد دبر مكيدة على
المسلمين ، فقال له نعم تصل اليه ، ولكنه ملك كبير ، وسلطان عظيم ، إذا
وصل اليك فى جيشه وأنت فى بلد من بلادك وتطلب منه أن يشفع لك عند
أبيه وجب عليك أن تخرج عن ذلك البلد ، فإن المطلكة توجب ذلك ، ولا
يمكنك الا الخروج له عن شريش إذا دخلها ، وإن لم تفعل كنت مقصرا
فى حقه ، وخافضا من قدره ، فاعمل رأيك فى أي الأمرين أوفق ، وأما
وصوله اليك فانا الكفيل به ، فلما سمع سانشو مقالة عبد الحق قال أنا
أخرج للقاءه ، فالقاه خارج المدينة ، فسار عبد الحق الى الأمير يوسف

(181) ظرف من جلد أو ملف مطروز بالحريز فى الغالب يوضع فيه مصحف أو شبهه
مثل ذليل الخيرات - يعلق على الجنب تمودا .

فعرفه بخبر سانشو واستجارته به ، وميله الى جانبه ، وأعلمه برضاه
بعمده ، وأنه يركب في ذمته حتى يصل به لأمير المسلمين ، فأجابه الأمير
يعقوب الى ذلك وأسعفه ، فسار مع عبد الحق الى لقاء سانشو في
جيش عظيم من أنجاد بنى مرين وشجعانها ، وأهل البأس والفك منها ،
فقتلاه سانشو على مسيرة أميال من شريش ، فسلم عليه ، وأظهر له
السرور والفرح والبشاشة ، فأخرج له الضيافة ولجميع المحلة ، فأمر
الأمير يوسف بالنزول بخارج البلد ، فضربت قبابه ومضاربه ، ونزل فيها
ونزل سانشو فدخل معه في خبائه ، وقال له أيها الأمير الأسعد ، والسلطان
المبارك الأصعد ، اني اردت أن أكون دخيلك وفي وفاء ذمتك ومتقيها بظل
خدمتك حتى اجتمع مع أمير المسلمين والدك ، فأعطاه الأمير يوسف أمانه ،
والتزم له مايرضيه من والده ، وتكفل له بقضاء جميع أغراضه وشؤونه
عنده ، فقال له سانشو الآن طابت نفسي ورجعت الي ، فلما كان في
عشي النهار ركب الأمير يوسف الى خارج محله ، فوقف بها وخرج جميع
من بشريش ينظرون اليه فركبت ابطال بنى مرين تلعب بين يديه ، وركب
سانشو ووقف بازائه وبنو مرين في لعبها ، فقال سانشو وأنا ايضا لعب
سرورا بما من الله عز وجل به علي من اقبالكم الي واسعادكم لي بالصلح
والمهادنة ، فانا أولا الناس بالسرور ، ثم أخذ الرمح والترس فلعب مع
زعمائه بين يدي الأمير يوسف ، فلما غربت الشمس رجع الأمير يوسف
الى منزله ودخل سانشو الى شريش ، ومن الغد سار الأمير يوسف
وسانشو الى لقاء أمير المسلمين ، فاجتمع به في حصن عين الصخرة
على مقربة من وادي لك ، واستعد أمير المسلمين للقائه في ذلك اليوم ،
وأمر جميع جيوشه بلباس الأبيض والعدة الكاملة ، فسابيضت الأرض
ببياض المسلمين ، وأقبل سانشو في عقدة من المشركين مسودة ، فكان
ذلك عبرة للمعتبرين ، فسلم على أمير المسلمين ، وقعد بين يديه تأديبا
معه ، ثم قال يا أمير المسلمين ان الله أسعدني بلقائك وشرقني في هذا
اليوم برؤيتك ، واني لأرجو أن أنال طرفا مما اعطيت من السعادة لأقهر
بها ملوك النصرانية ، ولاتظن أنني جئتكم رضا مني ، ولاطوعا من نفسي ،

بل والله ما قدمت لحضرتك الا على رغم انفي ، لأنك خربت بلادنا وهتكت
حرمتنا وسبيت نساءنا وحريمنا وأولادنا ، وقتلت جماعتنا ، ولأطاقة لنا
بحربك ولا مقدرة على معاندتك ، فكل ما تأمرني به أمتثله ، وكل ما تشترط
علي التزمه وأحمله ، ويدك الباسطة على جميع بلادى ورعيتى تحكم فى
الكل بما شئت ، ثم قدم له هدايا نفيسة ، وتحفا عظيمة ، وكذلك لولده
الأمير يوسف استجلابا لمرضاتهما فكافاه أمير المسلمين بأضعافها ليخرج
عن أياديه ، وتم الصلح بينهما وذلك يوم الأحد الموفى عشرين لشعبان
المعظم من سنة أربع وثمانين وستمئة (٢١ أكتوبر سنة ١٢٨٥ م) .

ولما صرفه الى بلاده أمره رحمه الله ان يبعث اليه بما يجده فى
بلادته بأيدي النصارا واليهود من كتب المسلمين ومصاحفهم فبعث اليه منها
ثلاثة عشر حملا فيها جملة من الكتب ككتاب الله العزيز وتفسيره كابن
عطية والثعالبى ، ومنها كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار ،
وكتب الأصول والفروع واللغة والعربية والأدب وغيرها ، فأمر رحمه الله
بها فحملت الى قاس فحبسها على طلبة العلم بالمدرسة التي كان بناها
نفعه الله بقصده .

وبعد انصرف سافشو الى بلده رجع أمير المسلمين الى الجزيرة
الخضراء ، فدخلها فى السابع والعشرين من شعبان المذكور ، فوجد
القصر الذي بني له بالمدينة الجديدة والمشور والجامع قد تم ذلك كله
وفرغ منه ، فنزل بالقصر المذكور ، وأقام به شهر رمضان وصلا الجمعة
بجامعها المكرم ، وصلا بمشورها صلاة الاشفاع ولم يتخلف عنه ليلة
واحدة ، فكان رحمه الله لا يزال قائما من أول الصلاة الى آخرها مواظبا
على ذلك حتى تقضا شهر رمضان المعظم ، وقد قضا حقه صاياما وقياما
على قدر طاقته ، وكان الفقهاء يبيتون عنده فى كل ليلة منه فيذاكرهم فى
فنون العلم ، فإذا كان ثلث الليل الأخير قام الى ورده ومناجاة ربه يسأله
خلاص نفسه وعق رقبته رحمه الله حتى انصرف شهر رمضان ، فلما
كان يوم عيد الفطر وصلا صلاة العيد وانصرف من الصلاة الى قصره
وقعد بالمشور المبارك دخل عليه أشياخ بنى مرين والعرب ، فقعدها بين

يديه يأكلون الطعام ، فلما فرغوا من أكلهم رفع اليهم الفقيه الأديب البارح عبد العزيز المكتاسي الدار المزوزي النجار قصيدة ذكر فيها غزوات أمير المسلمين في تلك السنة وغزوات بنيته وحفدته ، وامتدح فيها قبائل بني مرين ورتبهم على منازلهم ، وذكر فضائلهم وقيامهم بالجهاد وأمر الدين ، وذكر قبائل العرب على اختلافها وبناء البلد الجديد الذي على الجزيرة والدار وحلول أمير المسلمين بها وصلاته بجامعها وذكر منبرها الشريف والتهنئة بعيد القطر والشكر له على قيامه بأمر الدين واهتباله بأمر العلم فأنشدها بين يديه بمجلسه ذلك قارئه الفقيه عبد الرحمان الفاسي الدار المعروف بالغرايلي وأمير المسلمين يصغى الى انشادها وجميع أشياخ بني مرين والعرب يستمعونها حتى أتا على آخرها وقبل يده الكريمة فأمر للقارئ بمئتي دينار ، وأمر للنظام بألف دينار وخلع له ثيابا ومركوبا وهذا مطلع القصيدة :

بحمد الله افتتح الخطاب	وأبدأ في النظام به الكتاب
لعل الله يبلغني الأمان	ويفتح بالسرور علي بابا
ويرشدني الى نقل صحيح	ويرزقني من القول الصوابا
هو الملك الذي خلق البرايا	وصورهم وقد كانوا ترابا
الاه واحد حي مريد	عليم قادر بالجود حابا
يرا اثر النملة حين تمشي	وتقطع في الدجا الصم الصلابا
ويسمعها اذا دبت عليه	وجنح الليل قد أمسا غرابا
تقدس عن صفات الخلق طرا	وان يعزا له الوصف اكتسابا
يحيط بعلم ما تحوي عليه	طباق السبع ان دعي استجابا
ويعلم في الأراضى السبع علما	يحيط بعد حصباها حسابا
ولم لا وهو أنشأنا امتنانا	ووعدنا على الحسنات متابا
وانشأ في السماء لنا بروجبا	والبسها بزيتها ثيابا
وأجرا الشمس ثم البدر فيها	وسخر بالرياح لنا سحابا
لتسقي بلدة ميتا بغيث	همول بالحياة هما وصابا
وأجرا في بساطها عيوننا	مدفقة وأودية عذابا

وأرسل في الورا منهم رسولاً
محمد النبي المجتبا من
وقد أسرا به مولاه ليلاً
دنا من حضرة العليا تدلاً
عليه صلاة رب العرش تتراً
وماسحت بماء لمزن سحبي
هو المبعوث بشرنا ببشراً
وحرضنا على قتل الأعلاذي
ونبذل في جهاد الكفر نفساً
فصدقته أبوبكر عتيق
وثالثهم أبو عمرو ، ووفى
هم الخلفاء أربعة تواصلوا
وباقى العشرة المرضي عنهم
سعيد وإبن جراح وسعد
هم قد بايعوا المختار طوعاً
وأن تفنا نفوسهم اجتماع
وهم قد جاهدوا في الله حقاً
عليهم رحمة الرحمان تملأ
فمذا بانوا وبيان من اقتفاهم
وعاد الدين بعدهم حقيراً
وصار بغربنا الأقصا غريباً
ولم يعلم جهاد للأعادي
الى أن فتح الرحمان فيه
لمولانا أمير العدل ملك
فهناك الإله السعد فيه
دعا الله دعوة مطمئن
فلما الله دعوته وسنا

شقيقاً مصطفى يتلو الكتاب
سلالة هاشم فالأصل طابا
وجبريل له أخذ الركابا
وحسان القرب منه فكان قابا
مداد الأيام تورثنا الثوابا
فحلا الزهر بالزهر الهضابا
من المولا وأنثرتنا العقابا
تضيق بهم تلالا أو شعابا
ومالا قد جمعنا اكتسابا
وثانيه أبو حفص أجابا
أبو حسن طعنا أو ضرابا
على الاسلام صونا واحتجابا
سموا وعلا ابن عوفهم الشهابا
زبير ، طلحة ، كرموا صحابا
على أن لا يضام ولا يصابا
لدين الله بعدا واقترابا
وسلوا في عداتهم الذبابا
بنور من قبورهم الرجابا
خفا نور بدا منهم وغابا
ومسحقا وممتهنا مصابا
فيالدين يقترب اغترابا
بهاذي الأرض يحتسب احتسابا
ليعقوب بن عبد الحق بابا
أرانا في العدا العجب الإعجابا
ونية صدقه برا اثابا
لمولاه دعاء مستجابا
له الحسن وجثبه الصغابا

فجاء البحر مخفها مزارا
فالبس ملكهم ذلا قصصارت
أبعد جواز أرض الجرت فخر
هو القطب الذي دارت عليه
بنوهم تجومهم والبس فيهم
أبو يعقوب مولانا المرجنا
هو الملك الذي أعطا وأعنا
وابناء الإمارة ترجبهم
أوفى حقهم قرضا ففردا
وأذكر غزو هذا العام حتى
وأشهر من فخر مريم برزدا
وأروى مدجهم في الدين شجرا
ليبقا ذكرهم في الأرض يثلا
فعرهم مكن في المعاني
ساودع غزوهم في الروم فصا
وأذكر من وقائعهم أمورا
فهل من سامع خبرا لبايا
فيصفي سمعه نهوي امتنانا
وذلك أن مولانا اتاقت
فجان البحر في حفر خميسا
وجل طريقا المولا بجمع
وفي غد يومه ضربت ليديه
زمت حسنا وجعلها سناها
ولم ير مثلها في الحسن لكن
فحل بها كان الشمس لاحت
فيالك قبة يحكي سناها
وخلف عامرا واتا قريبا

يقود إلى العدا الخيل الغرابا
بسه الأملاك ترتب ارتهايا
أزيد بسه ملا واغتيايا
تجوم السعد لأتخشا اضطرايا
ولي العهد من بالفضل حابيا
لندفع الخطب إن أرسا واجيا
وصير طعم عيش منقطايا
والفاد العلا اعتصبايا
كما جعلوا الجهاد لهم خصايا
إنكر كل شخص ما أطايا
كما اجتزوا لديهم احنايا
أهونته وأودعته الكتايا
سواء المركب زها واحتقايا
وعن سواهم أيضا سرايا
نظامنا لاأخاف منه اضطرايا
يصير بين طعم الشراك طبايا
يسرد علي بالصدق الجوابا
يقول إذا أصبت نقد اصبايا
عزاسمه بطجة المركابا
بخامس شهره ركب الغرابا
كسا شم المعقل والهايا
هنالك قبة تسبى القبايا
لها اختاروا من الحبر الثبايا
قد انتجت بسيرة افتخايا
بطلته ازدهاء واعتجايا
سنا الفلك المحيط بها انتسايا
من أركش ثم رام به احتلايا

ورام نكاية الأعداء فيه
ومنه أتى شريشا في جموع
فأوسعت الزروع بها احتصاها
أذاقت من شلوقة كل ربيع
منديتها - وقطعتها بخير
وجهنز للمعدن منصور - هيش
علسي أشبيلية أجرا خبيولا
سببا منهم وقادر الف علاج
وأب - مظفرا وأبو - علسي
وجهنز جيشه - عمرو - ووافا
ولم يترك بها أحدا سوى - ممن
أتى بغنائم - صلات - عيسا
وجيش - أبى - معروف - المفضل
لولد - سيد - النقيب - يشهد
أما - بغنيمة - فيها - عباسا
فذاك اليوم - سيار - أبو - هلمي
وغزوة مشقريط ليس تخيفا
ولا أما المبروز على - شريش
فذاك اليوم أعظم يوم - حرب
ويوم وصول مولانا - المرجا
هناك - برون - أهل - المين - ردت
ولا - أما - القناطر - حين - دارت
وأهل شريش لما أن - تر - لا
هناك - خصص - المولا - بجيش
بأربعة - من - الألف - خيلا
وأجرا - الخيل - من - كل - التولاجسي
فلم يترك - بتلك الأرض - خلقا

فأوسعه احتراقا - وانتهاها
ووافته - محطته - إيسا
وأوسعت الغروس بها احتطايها
وروض - من - قناطرها - غذايها
أشاعوا - في - نواحيها - الخرابها
ليترك - دارهم - قفرا - يابا
فأوسع - من - بساحتها - انتهابها
تحطارد - عنهم - الطريق - انتهابها
أخوه - أتى - وقد - حدودا - الإيسا
نرا - قرمونة - يحكي - العقابها
بها - ينكب - في - الأرض - انتهابها
بسيط - الأرض - بل - فطنت - إيسا
علسي - أشبيلية - خط - الإقبابها
له - فيمل - سيار - ومبا - أصابها
وأوصل - من - مراجهم - لأيسا
إلى - برج - فصيحه - خرابها
فطناؤها - لقد - حسنت - مآبها
فأهل - البرج - قد - ذاقوا - العذابها
رائنما - إذا - ذكروا - الضرابها
أبى - يعقوب - أشرق - واستطابها
محاسنه - على - السهر - المشابها
بها - الإسلام - توسعا - انتهابها
ولبي - العهد - قد - فرقوا - ارتعابها
أبا - يعقوب - مولانا - وأبها
مسمومة - مظفرا - عزابها
علسي - أشبيلية - شرفا - وغابها
أستارا - أو - سبابا - أو - سلامها

فبتلك غنيمة ما ان سمعنا
وبعد اتا ابو زيان واقفا
بهاذا اليوم جهزه بألف
وجاء بزرعها وانحاز عنها
وقتل اهلها وسبها وولا
ومولانا ابو يعقوب واقفا
الى كبتور اعمل حد عزم
احسب بربها برا وبحرا
وخلف أرضها غبرا وأضحمت
ولسا دوخ المولا النصارا
ولم يترك بأرضهم طعاما
واعوزه بها علف وطالمت
وقد ظهرت لاسطول الأعادي
يووم الى الجزيرة رام منها
الى اشبيلية ليبيد منها
وينزلها يقيم بها شتاء
فلما حل ربح طريف والا
فيامر ان يجهز للأعادي
فجهزها ووافت باحتفال
هنالك سانشو واقفا شريشا
فوجه منه ارسال النصارا
يطالبه بعقد الصلح يعطى
ولم يقبل لهم قولا والبت
ولم يرددهم المولا سوى من
قرب جيشه المنصور بحرا
فلما برز الاسطول فرت
وما ألوت على متبعيها

بهاذا العام أكثرها انجاليا
شريشا بالبروؤ وما استرايا
الى قرمونة واقفا الصوابا
الى اشبيلية ولها استنايا
حميدا فى سرور من استطابا
شلوقة ثم خربها خرابا
لو ان الهند مس به لذابا
فدمرها وصيرها بيابا
حمامة حسن معناها غرابا
وللبسهم من الذل النيابا
ولا عيشا هنيئا مستطابا
يها حركاته قصد الايابا
علامات تزيدهم ارتيابا
يجدد غزوة تدنى الثوابا
طغاة طالما عبدوا الصلابا
يهدمها ويبقيها خرابا
الى أجفانه الغر الكنايا
أساطيله فأسرعت الجوابا
وبأس منه رأس الكفر شالبا
بليل ثم عاين ما أرابا
الى المولا ليسعه الطالبابا
لنه ماذا أراد وما استجابا
له الأرسال حائرة خيابا
حديث البحر لايربو ارتيابا
الى أفروطة الكفر انسيابا
جيوش الكفر فى البحر انسرابا
ولو سئلت لمأردت جوابا

فجاز الى الجزيرة فى سرور
فوافسته بها الأرسال تبغى
فأسعفهم بها جازاه ربي
ويجعل فيه للإسلام طسرا
وذلك من أمور قد حكاهما
فيادر سانشو فى الصلح حتى
وجاء لغيله الأعلا وأعطيا
فكان هناك بينهما أمور
وأسرع سانشو للعقد حرصا
فتم الصلح بينهما لعذر
فهذاى جملة والشرح عندى
هنيئا يامرين لقد علمتكم
وفاخرتم بمولانا البرايا
أبعد الفتن ولين الفتن يبقا
فحزب مرين حزب الله يحمى
إذا سلوا السيوف ترا الأعلاى
هم أشقار عين الملك تترى
وهم مثل الأنامل حيث مدت
أنظم فيهم مدحى ففيهم
فمن أولاد عبد الحق أبدا
هم الأمراء ان ذكرت علامهم
ومنهم تجتلا شمش العالى
وهم أساد حرب ، من يوازي
وهم للجود بحرفيه تلفى
فما قدرت من كرم ففيهم
وفخر بني حماية ليس يخفا
سموا قدرا وعز بهم حماهم

يجدد غزوة تبدي العجايا
يعطفته من الصلح اقترابا
على أرائه الحسن للصوابا
مصالحها التى ترد الطلابا
لنا للمولا وأخصها حسابا
تقرب من مدينته اقترابا
هديات لمولانا رغبيا
ينسني السرور بها الخطابا
وأظهر فيه للمولا ارتعابا
مبين واضح والسر غابا
سأوضحه بياضاح كتابا
يننى الأملاك ياسا وانتجابا
فأعطوكم قيادا وأقلايا
رضاكم لا يخاف به الغيايا
حما الاسلام لا يخشع عاقبا
وقد حل الرما مدت رقابا
عن الملك القتام أو السقاربا
يد الأمر التى تعطى الرغابا
أناس طالما نظمو القبايا
بدمج عرفه يحكى الرضايا
ترا الأقمار تنتسب لنسابا
لدار الملك تحط الرقابا
مقامهم اذا ما الخطب نايا
نفيس الدر أو تجد السحابا
أصخ تسمع لى لهم جوابا
كنور الشمس يرتقب ارتقابا
فجارهم عزيز لن يضابا

فأنهم القراية حين يعزوا
وعترته السراة بنو علي
هم الفضلاء والشرفاء حقا
وهم أخوال مولانا المرجا
وسادة عسكر قوم أحاطوا
شجاعتهم وجودهم استفاض
بنو ونجاسن افتخروا افتخارا
إذا لبسوا الحديد ترا أسودا
ونجدة تربعين قد استقرت
فمنهم ابتدئ ببني وراغ
بنو سوخم أراهم خير قوم
وسائر تربعين إذا تداعوا
بنو يابان ان ذكروا تجدهم
سيوفهم تقد الهام طولا
وناس بني تالفت استمرت
إذا حضروا الحروب ترا عداهم
بنو وطاس فازوا بالمالى
بنو ورتاج اعتزوا قباها
بنو الخير اناس من تساما
بنو وارثن ارتفعوا فعالوا
وسائرهم متى ذكروا توالى
بنو فودود والحشم استمروا
وقربهم وصيرهم لديه
وانكر خدمة العرب التى قد
فحازوا عنده أعلا مكان
إذا تصح الخديم يقل مناه
فانتم ايها العرب انتصرتهم

لمولانا وقد عزوا جنابا
لأنهم أبوا نماً وعابا
فصل تجد العلاء والانتسابا
أبى يعقوب ، فخرا أن يعابا
بأوصاف العلا وسموا طلابا
تدقق كفهم يحكى العبابا
يعزم علم السيف الضرابا
تميد الأرض ان كانوا غصابا
فزادوا قى علوهم انتسابا
وبأسهم إذا سيموا الضرابا
إذا حضروا الوغا التهب التهابا
لحرب فرت الروم ارتهابا
أسودا تورث الأعدا ارتيابا
وماء سخائهم يهمل انسابا
مريرتهم قبلقنا الطلابا
بغات الطير ابصرت العقابا
فلم يخشوا لمجدهم انكابا
فخارهم عداتهم احتجابا
ورام بهم حلول الضيم خابا
بعزمهم وبأسهم الرقابا
شجاعتهم إذا البطل استرابا
على نصح لمولانا فحابا
من الرهط الذى نال اقترابا
اعزتهم لدى المولا جنابا
مكين لن يرام ولن يصابا
ويحرز من ذوى العليا احتسابا
لعزمكم قالزمكم منابا

اليس لخمير لكم انتساب
وانتم اخوة نسيا وصهرا
وجد جميعكم سبيط وقيس
ولم لا والرضا عنكم توالا
فسفيان سموا قحرا ففهم
لهم ايام صدق ليس تخفيا
بنو جرمون انهمم وفيهم
سيوف العاصم اشتهرت وصارت
سما عيادهم قدرا موافيا
لقد نصحوا ويشهد في علام
والخط السيوف سيوف حشف
هبيسة من لجههم اقتضت
مقدمهم تقدم في المعالضي
جماعة جابر قبوم كرام
فجروا منه يوم الحرب نبالا
بيوسف ابن قيطون تساموا
وقل لالنجي دامت عياله
سيوفكم تدير على الاعصابي
قلايين عجاج الارض ملحي
لئن اضرتم في الارض يشهد
فهذا سعد مولانا المرجا
فقد جل الجزيرة والاماني
اقسام بها والقا الرحل منها
مكان القرية المشهور منها
وقد ذكروا الجدار بها وفيها
فصدق قولهم عنها فليس
لها الف من الاعوام زادت
كذلك مريم ان رفعوا انتسابا
فيما حدثم عن الفقر اجتابيا
من الاعلام في العرب انتصابيا
من المولا به منلا للقبيا
سراة العز يولون المبرغابيا
لها حسن قهلا ان يعابيا
هلال بدرهم يطلو المسجابيا
بارض الروع تقفها الرقابيا
باخوتها مولانا اعتصابيا
بما فعلوا النذي كتيب الكلابيا
تصير هيام اعراسهم قرايبا
بخطيب هاج او حرب ان ابيا
يسهم ومهلل احصا الذبابيا
كسوا من صدق نصهم قلابيا
على الاعداء قسص انتصابيا
فصنوا جانبا وبشوا جنابيا
فكم ساقايتكم قيقوا اقرايبا
كؤوس بررا سقوا منها شرابيا
فجار يورث الشرك اكتسابيا
لكم في سبقكم من هل زابيا
ونيتة التي تدني الطلابيا
تساعده وقصد الشرك خابيا
لبلدته الجديدة حين ابيا
على ما اودع الله الكتابيا
مكان الصخرة انتصب انتصابيا
بها وجدت مصورة عجابيا
من المئين اربعة حسابيا

وقد دثرت رسوم الربيع مـها
وجددتها وشاد السور منها
بظالع سعده قفى خير نار
قواعدما على السعد استقرت
ومشورها اليهيج يروق حسنا
تطالعـه نجوم السعد منها
ومسجدها المبارك قد تلالا
ومنبره الرقيع يقوم فيه
ويدعو الله مبتهلا عساه
ويجعل من تـمادى الخير فيها
بنى الدار السعيدة لـلأمانى
بعزـمة مخلص بر صفى
أناس نايهم نشر المعالى
هم خدموا لولاه فوقوا
وقد ورخت دولتكم وصارت
وكل منظم شعرا سيفنا
أمير المسلمين بقيت تعلو
وأبقاكم الإله العرش عزاً
فهاذا العام عام الفتح يبدى
وهاذا العيد عيد الفطر وافى
فعمرك الإلاه سنين عدا
فانك قد رفعت العلم قدرا
وبالصلحاء قد زدت اعتناء
وزدتهم احتفالا وارتقاء
قدم فسعود ملك فى ازدياد
سلام الله مخلصا يوافى

فأحيائها وقد كانت خرابها
وانشأ فى جوانبها القبابها
مؤسسة بها تولى الرغابها
تقابل من جبال الفتح بابها
تحلا من حلا البحر الهبابا
قريبا تورث الشرك الثبابا
سنا أنواره يحكى المشهابا
أمامكم فيخطب اختطابا
يزيدكم السعادة والثوبا
يشائر والفتوحات العجابا
بنو العزفى وشادوها قببها
محب لنوعاء قد استبابا
فهاهم قد كسوا منها ثيابا
لماحكم يبعينه الثوابا
حلا يحبو بها الحادي الركابا
ويقا فيكم مدحي كتابا
سعودكم التى ترضى اصطحابا
تنال بكم أمانيتها الرغابا
بتاريخ السعود لك الحسابا
به اسراء كالنظر انسكابا
نبلغنا الامانى والطلابا
وصنت ذويه كي تحوي ثوابا
وبرا واعتلاء واقترابا
به للخلد تنقلب انقلابا
وجمع عدائك انتكبوا انتكابا
مقامكم كعرف المسك طابا

قال المؤلف عفا الله عنه :

وفى العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم من سنة أربع وثمانين وستمئة المذكورة (نونبر ١٢٨٥ م) بعث أمير المسلمين ولده الأمير أبا زيان فى جيش ليوقف على الحد بين بلاده وبلاد ابن الأحمر ، وأمره أن لا يحدث فى بلاد ابن الأحمر حدثا ولا يتوصل لها بأذية ولا مضرة ، فانصرف الى حصن ذكوان بالقرب من مالقة فسكن بخارجه .

وفى شهر رمضان المذكور توفي الوزير المرحوم أبو علي يحيى بن أبى منديل العسكري بالجزيرة الخضراء .

وفى آخر شوال من السنة المذكورة أمر أمير المسلمين عياد بن أبى عياد العاصمى أن يرتحل بجميع اخوانه الى اسطبونة فيسكن هنالك ، فارتحل اليها فنزلها فى غرة ذي قعدة من السنة المذكورة .

وفى يوم الاثنين السادس عشر لذي قعدة المذكورة جاز الأمير يوسف من الجزيرة الخضراء الى العدو يتفقد أحوالها فى غراب القائد المجاهد محمد ابن القائد أبى القاسم الرجراجى رحمه الله ، فنزل بقصر المجاز .

وفى هذه السنة بنيت زاوية تافرطست على قبر الأمير المرحوم عبد الحق وتصدق عليه أمير المسلمين ولده بمحرث أربعين زوجا .

وفى آخر شهر ذي قعدة من السنة المذكورة ابتداء أمير المسلمين مرضه الذي توفي منه ، فلم يزل ألمه يشدد وحاله يضعف الى أن توفي رحمه الله بقصره ببلدته الجديدة من جزيرة الأندلس ، وذلك فى ضحا يوم الثلاثاء الثانى والعشرين لمحرّم من سنة خمس وثمانين وستمئة (١٩ مارس ١٢٨٦ م) فحمل رحمه الله الى رباط الفتح من بلاد العدو ، فدفن بمسجد شالة منها ، فكانت أيامه فى الخلافة تسعا وعشرين سنة ، وذلك من حين بويج له بحضرة مدينة فاس بعد وفاة أخيه أبى بكر ، ومن حين ملك حضرة مراكش وقطع ملك بنى عبد المومن وخلص له أمر المغرب سبع عشرة سنة وعشرين يوما ، فانا لله وإنا اليه راجعون ، فلقد انصدع

بموته الاسلام ، ورزى بوفاته جميع الانام ، تلقاه الله عز وجل بالروح والريحان ، والمغفرة والرضوان ، وجبر الله صدع الاسلام فيه ، وأبقا خلافته وبركته مؤبدة فى حقدته وبنيه ، وصلا الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف

ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق عفا الله عنهم ورحمهم

هو عبد الله يوسف أمير المسلمين ، ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

كنيته : أبو يعقوب .

لقبه : الناصر لدين الله .

أمه حرة علوية تسمى أم العز بنت محمد بن جازم العلوي .

مولده : فى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين وستمئة .

ببيع له بالخلافة بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس يوم وفاة أبيه ، وكان غائبا ببلاد العدو فأخذ له البيعة الوزراء والأشياخ وبعثوا اليه فأتصل به الخبر وهو ببعض أحوار مدينة فاس فجد السير الى طنجة فوجد الأسطول هناك ينتظره ، فجاز الى الجزيرة وبها جميع قبائل مريين وقبائل العرب فجددت له البيعة بها واجتمع على بيعته كافة قبائل مريين وقبائل العرب وجميع من بالعدوة والأندلس من المسلمين ، وذلك فى غرة صفر من سنة خمس وثمانين وستمئة (الجمعة ٢٩ مارس ١٢٨٦ م) وسنه يوم يبيع خمس وأربعون سنة وثمانية أشهر .

ولما تم له الأمر واستقامت له الخلافة فرق الأموال على جميع قبائل مريين والعرب والأندلس والأغزاز وسائر الأجناد ، وأحسن الى الفقهاء والصالحاء ، وأخرج الصدقات الى الضعفاء ، وسرح السجون فى جميع

بلاده ، وتصديق بترك الفطرة (١٨٢) على الناس ، وقال من وجب عليه
أداؤها يتصدق بها لنفسه حيث شاء ، ورفع الأنزال عن ديار الرعية ،
وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس ، وأزال المكوس ، وأمر بهدم
المروس ، وقمع البغاة ، وأباد الطغاة ، وأمن الطرقات ، وأزال أكثر الرتب
والقبالات التي كانت بالمغرب إلا ما كان منها بالبلاد الخالية والمقازات
العالية ، فخضعت مدين تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه .

صفته : كان رحمه الله أبيض اللون حسن القد مليح الوجه أقنا
الأنف ، مهيبا لا يكاد أحد يبتدئه بالكلام من مهابته ، ذا أناة وسياسة ،
فاذا عزم بطش ، وإذا أخذ أقنا ، يستبد برأيه دون وزرائه ، قاهرا في
سلطانه ، إذا أعطا أغنا ، وإذا صال أقنا ، شقيقا بالضعفاء ، متفقد
لأحوال رعيته وبلاده ، غليظ الحجاب ، لا يكاد يوصل إليه إلا بعد الجهد .
حاجبه : عتيق مولاة ، ثم عنبر مولاة .

وزراؤه : أبو علي عمر بن السعود الحشمي ، وأبو سالم إبراهيم بن
عمران الفودودي ، وتوزر له في آخر عمره يخلف بن عمران الفودودي
كتابه : الفقيه عبد الرحمان بن الحرار ، والفقيه محمد العمراني ،
ثم الفقيه الأجل المرحوم عبد الله ابن أبي مدين ، وهو القائم بأمر المملكة
كلها وعلى يديه تتصرف أحوالها ، ومن كتبه الفقيه البار محمد المغيلي
كان يتولا العرض والانشاء ويده العلامة إلى أن مات رحمه الله فولي
العلامة بعده الفقيه محمد ابن أبي مدين ، ومن كتبه الفقيه الأجل أوحس
عصره ونخبة دهره أبو علي بن رشيد ، كان يتولا التنفيذ .

قضاته : بحضرة فاس الفقيه الصالح المبارك أبو جامد ابن البقال ،
ثم الفقيه الخطيب محمد بن أيوب (أبي الصبر) ثم الفقيه محمد المغيلي ،
وقضاته بحضرة مراکش الفقيه أبو فارس العمراني ، والفقيه محمد
السقطي ، ثم الفقيه أبو عبد الله بن عبد الملك ، وقاضيه بحضرة تلمسان

الجديدة الفقيه الأجل المحدث المشاور علي بن أبي بكر المليلى .
شعراؤه : الفقيه البارع مالك ابن المرحل (١٨٢) والفقيه الأديب
أبو فارس المكناسى ، والفقيه أبو العباس الفشتالى ، والفقيه أبو العباس
الحميشى ، هاؤلاء الشعراء الذين كانوا ملتزمين بخدمة بابه الكريم تجري
عليهم المرتبات والاحسان .

أطباؤه : الوزير الطبيب محمد ابن الغليظ الاشبيلى ، والوزير عمار
المكناسى .

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما تمت البيعة لأمير المسلمين يوسف خرج من الجزيرة الخضراء
الى مريالة ، فنزل بظاهرها وبعث رسوله الى ابن الأحمر ليجتمع به ،
فيأدر اليه فى احتفال عظيم وعسكر جسيم ، فاجتمع به هناك ، فعزاه عن
أبيه وهناه بالخلافة ، فصالحه يوسف وصرف عليه جميع ماكان بيده مما
كان أخذ له والده من بلاد الأندلس ، ولم يحبس منها حاشا الجزيرة
الخضراء ورندة وطريف ووادي أش وأحوازها ، وكان اجتماعه به
وصلحه اياه فى العشر الأول من شهر ربيع الأول من سنة خمس وثمانين
المذكورة ، ورجع الى الجزيرة الخضراء فأقام بها بقية ربيع الأول .

وفى يوم الأحد الثانى من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة قدم
عليه ارسال سانشو فجدد معه الصلح على ماكان عقد معه والده رحمه
الله ، فلما فرغ من اصلاح بلاد الأندلس وهدنها وسكن دهماءها دعا
بأخيه الأمير أبى عطية فعقد له ماكان بقي بيده من بلاد الأندلس وأوصاه
بتقوا الله تعالا وضبط ثغوره ، والحزم فى جميع أموره ، ثم دعا يالمشيخ
المجاهد المرحوم علي بن يوسف بن يرتاجن فعقد له على أعتة خيل
الأندلس وجندھا ، وقلده أمر حربها وغزوها ، وترك معه ثلاثة آلاف
قارس من بنى مرين والعرب ، وجاز الى العدو يوم الاثنين سابع ربيع

183. ينظر عن مالك ابن المرحل : الاحاطة (غير مطبوع) وجذوة الاقتباس ص 221
وسلوة الأنفاس 3 : 99 وذكريات مشاهير المغرب ج 8 .

الآخر من السنة المذكورة ، فنزل بقصر المجاز ثم سار الى مدينة فاس
فدخلها فى ثمانى عشر من جمادى الاولى من العام المذكور ، فلما استقر
بحضرته من فاس الجديدة خرج عليه ابن عمه محمد بن ادريس بن عبد
الحق فى جماعة من بنيه بجبال ورغة من أحواز فاس فسار اليهم الأمير
أبو معرف محمد ابن أمير المسلمين يعقوب فتابعهم فى خلافهم وانضموا
الى جملتهم ، فلم يزل أمير المسلمين يوسف يبعث اليهم بالجيش ويدبر
عليهم السياسة حتى نزل اليه أخوه بأمانه وأتاب الى طاعته ، وقر محمد
ابن ادريس وبنيه الى تلمسان فقبض عليهم فى الطريق فقيدوا فى الحديد
وأتي بهم الى رباط تازة فبعث أمير المسلمين أخاه الأمير أبا زيان لقتلهم
فقتلوا بخارج باب الشريعة منها وذلك فى شهر رجب من سنة خمس
وثمانين المذكورة .

وفى هاذي السنة خرج عليه الأمير عمر بن عثمان بن يوسف
الهسكوري بقلعة فندلاوة من جبال بنى يازغة ، وأمر أمير المسلمين يوسف
قبائل بنى عسكر ومن بتلك الجهات من قبائل البربر من سدراته وبني
وارثين وبني يازغة وبني سبتان وغيرهم بحصاره وقتاله ، فحاصروه مدة
من شهر ثم خرج أمير المسلمين اليه بنفسه ، فسار حتى وصل قرية
سدوره من بلاد بنى وارثين وقدم بين يديه الرماة والمجنيق والآلات الحرب،
فعلم عمر بن عثمان بقدومه وعلم أنه لا طاقة له بالحصار ولا مقدرة له
على مدافعة أمير المسلمين ، فبعث اليه الصلحاء يأخذون له الأمان منه ،
فأمنه ونزل اليه فبايعه وصرفه الى تلمسان بجميع أهله وماله .

وفى شهر رمضان من السنة المذكورة ارتحل أمير المسلمين يوسف
من مدينة فاس الى حضرة مراكش ، فدخلها فى شوال من السنة المذكورة،
فأقام بها الى يوم الخميس الثالث عشر لذي قعدة من العام المذكور ،
فهرب الحاج طلحة بن علي البطوئى الى بلاد السوس فأقام بها ودعا لنفسه،
فاتصل خبره بأمر المسلمين فدعا ابن أخيه الأمير منصور بن الأمير عبد
الواحد فعهده الى على بلاد السوس وأمر له بالأموال والجيش وأمره بقتال
طلحة بن علي الخارج بها ومن وافقه ببلاد السوس فغزا بها عرب بنى

حسن فقتل بها خلقا كثيرا ، وذلك في شهر ذي حجة من العام المذكور ،
ثم سار الى قتال طلحة وحصاره .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمئة ، ففي يوم الاثنين الثالث عشر من
جمادى الآخرة قتل طلحة ابن علي الثائر ببلاد السوس في المعترك ،
وقطع رأسه فبعث به الأمير منصور الى عمه أمير المسلمين يوسف فأمر أن
يطاف به في جميع بلاده ويعلق على باب رباط تازة ، فلم يزل عليها طول
أيام خلافته معلقا في شبكة من نحاس .

وفي شهر رمضان منها خرج أمير المسلمين يوسف لغزو العرب ببلاد
قبلة درعه الذين كانوا يقطعون في طريق سجلماسة فخرج اليهم من حضرة
مراكش في اثني عشر ألف فارس من بني مرين ، فجد السير على جبال
مستورة حتى خرج الى بلاد درعة ، ثم سار حتى أدركهم في القبلة مما
يلي الصحراء فصحبهم فقتل منهم خلقا كثيرا وسبأ أموالهم ونساءهم
وأمر بقطع رؤوسهم وحملها الى مراكش وفاس وسجلماسة وتعليقها في
الأسوار ، ثم وصل الى مراكش فدخلها في آخر شوال من سنة ست
وثمانين المذكورة ، فأقام بها بقية عامه ، وعيد بها عيد الأضحا .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمئة في نصف ربيع الآخر منها
خرج أمير المسلمين يوسف رحمه الله من حضرة مراكش الى حضرة
مدينة فاس وفيها وافته أرسل ابن الأحمر مع ابنة الأمير موسى بن رحو
فأعرس بها بحضرة فاس .

وفيها أعطا أمير المسلمين لابن الأحمر مدينة وادي أش وحصن
رانجة وحصن بليانة وحصن الدير ، والأبتير وغور ، وغورب ، وذلك
في شهر صفر من سنة سبع وثمانين المذكورة .

وفي نصف ربيع الثاني منها تحرك أمير المسلمين من مراكش الى
فاس كما قدمنا فأقام بها الى أن خرج عليه ولده الأمير أبو عامر ، فسار
الى حضرة مراكش وذلك يوم السبت الرابع والعشرين من شوال ، فثار
بها مع واليها محمد بن عطا البربري الجناتي ، وكان دخوله لمراكش

وقيامه بها في أول يوم من ذي القعدة من سنة سبع وثمانين المذكورة ، فافتتها الخبر إلى أمير المسلمين يوسف فبادر إلى مراکش ، وذلك في زمن الشتاء فوصلها ونزل بظاهرها فخرج ولده الأمير أبو عامر إلى حربه ، فرجع مهزوما فدخل المراكش وخلقها في وجه أبيه ، فأقام بقصرها إلى الليل ، وقتل مشرفها ابن أبي البركات ، وحمل ما كان في بيت مالها وخرج منها في نصف الليل فارا إلى بلاد القبلة وأسلم البلد فدخلها أمير المسلمين من الغدا ، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة من السنة المذكورة ، فعفا عن أهلها وسار الأمير أبو عامر مع ابن عطر إلى بلاد القبلة ، فأقام بها مدة من ستة أشهر ، ثم سار إلى تلمسان فوصلها لثلاثين عشر من رجب من سنة ثمان وثمانين وستمئة ، ثم رجع الأمير أبو عامر إلى والده أمير المسلمين فعفا عنه .

وفيها كتب أمير المسلمين إلى عثمان بن يغمراسن أمير تلمسان أن يسلم إليه عامله ابن عطر الذي نجا إليه ، فامتنع عثمان من ذلك وقال والله لا أسلمه أبدا ولا أبيع حرمته وأترك من استجار بي حتى أموت ، فليصنع ما بدا له وأغظ الرسول في القول ، وتكلم بالقبيح وثقفه في الجديد ، فأنف لذلك أمير المسلمين يوسف وعمل على غزوه فسار إليه .

وفي سنة تسع وثمانين وستمئة في السابع والعشرين من ربيع الثاني منها خرج أمير المسلمين يوسف من حضرة فاس إلى غزو تلمسان ومن بها من بنى عبد الوادي ، وهي أول غزواته فسار نحوها وبقي يرتحل في أحوازها ويأكل زروعها ويسبي ويغزم أموالها ويخرب قرأها ، فلم يخرج إليه أميرها ، فلما رأى عجزه عن ملاقاته قصد إلى حصاره ، فنزل عليه في أول يوم من رمضان من سنة تسع وثمانين المذكورة ، فحاصره وضيق عليه بالقتال ، ونصب عليه المنجنيق ، فأقام عليه ستة عشر يوما وأرتحل عنه راجعا إلى المغرب ، فدخل رباط تازة في ثالث ذي القعدة من العام المذكور .

ثم دخلت سنة تسعين وستمئة فيها أنفسد الصليح بين أمير المسلمين وسانشو فكتب أمير المسلمين إلى قلند أعنته ببلاد الأندلس وهو الشيخ

علي بن يوسف بن يزجائن يأمره ان ينازل مدينة شريش وان يشن الغارات على بلاد النصارا شرقا وغربا فصار علي بن يزجائن بمن معه من المجاهدين حتى نزل مدينة شريش ، وذلك في ربيع الآخر من السنة المذكورة وشرع في قتالها وشن الغارات على أحوازها .

وفي شهر ربيع الآخر المذكور خرج أمير المسلمين يوسف من حضرة فاس الى قصر المجاز يرسم الجواز الى الأندلس والجهاد وكتب الى قبائل المغرب يستنفرهم ، فوصل الى قصر المجاز في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، فشرع في تجويز المجاهدين من بنى مرين والعرب فسمع سانشو لعنه الله بقدومه فأراد قطع المجاز عليه فعمر الأجفان وبعثهم الى الزقاق فنزلوا به فتشبث أمير المسلمين عن الجواز بقصر المجاز وأمر بتعمير أجفان تقابل أجفان الروم .

وفي شعبان من هذه السنة انفسدت قطائع المسلمين في الزقاق فقتل قوادها وقطع غراتها فأقام أمير المسلمين بقصر المجاز حتى عمر الأجفان واستعد للجواز فجاز فنزل بطريف وذلك في العشر الأخير من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ثم خرج الى غزو بلاد الروم فنزل على حصن يحيا فأقام محاصرا له مدة من ثلاثة أشهر ، وجيوشه تخرج كل يوم من المحلة فتغير على شريش وأحوازها وحصن الوادي حتى هتك جميع البلاد ودخل فصل الشتاء فأقطع عنه ورجع الى الجزيرة الخضراء ، فجاز منها الى العدو في أول شهر محرم من سنة احدى وتسعين وستمئة . وقد انفسد ما بينه وبين ابن الأحمر .

وفي سنة احدى وتسعين اصطاح ابن الأحمر مع الانفونش وتواطى معه ان ينازل بلدة طريف حتى يملكها ليقطع جواز أمير المسلمين يوسف الى الأندلس وشرط له ان ينفق عليه وعلى محلته طول اقامته عليها فنازلها الانفونش في أول يوم من جمادى الآخرة من سنة احدى وتسعين المذكورة ، فأقام اللعين يقاتلها ليلا ونهارا وابن الأحمر يبعث اليه الميرة والعدد والسهم ، وكل ما يحتاج اليه حتى ملكها صلحا من أهلها فدخلها في آخر يوم من شوال من السنة المذكورة ، وكان قد اتفق مع ابن الأحمر

أنه اذا أخذها يسلمها اليه فلما ملكها تمسك بها فأعطاه ابن الأحمر بسببها حصن شكبيش وطلبيرة ونقلة وبليس وقشتل والمسجير ، وهب ذلك كله فى حق طريف ولم ينض له منها شيء ، وذلك فى سنة احدا وتسعين المذكورة .

وفى شهر شعبان من السنة المذكورة أقبل عمر بن يحيى الوزير الوطاسى الى حصن تازوطة من قلاع الريف فدخله ليلا غدرا من أهله ، وكان به الامير منصور بن عبد الواحد ، فخرج منه فارا بنفسه فى جوف الليل فلحق برباط تازة ، فأخذت أمواله وقتل رجاله ، وملكه عمر بن يحيى الوزير بجميع ماكان به من المال والسلاح والأمتعة وأعشار الروم التى كانت مخزونة به فكان كما قال المتنبي :

تملكها الآتى تملك سالب وفارقها الماضى فراق سليب

فاتصل الخبر بأمير المسلمين يوسف فبعث اليه من حينه وزيره أبا علي عمر بن السعود ، فسار فى جيش عظيم حتى نزل به فحاصره هو والامير أبو علي منصور بن عبد الواحد فأقام الأمير أبو علي أياما ، ثم مرض فمات غما رحمه الله ، ودفن بجامع تازة .

وفى شهر شوال من السنة المذكورة خرج أمير المسلمين يوسف من مدينة فاس الى حصار تازوطة ومعه عامر بن يحيى الوزير أخو عمر الشائر بها ، فضمن له اخراج أخيه عنها ، واستأذنه فى الدخول اليه ، فأذن له فدخل الحصن وتكلم مع أخيه فيما أحب ، فأخذ عمر كل ماكان فيه من المال والمتاع ، فخرج به ليلا على حين غفلة من الناس وتوجه به الى تلمسان وأسلم الحصن لأخيه عامر ، فبلغ عامر أن أمير المسلمين يوسف عزم على قتله بآبن أخيه منصور ولافلات عمر أخيه الجانى عليه ، فتمسك بالحصن وامتنع من الهبوط وأقام به الى أن قدم الرئيس أبى سعيد بن اسماعيل ابن الأحمر صاحب مألقة بهدية من الأندلس الى أمير المسلمين يوسف راعبا فى الصلح مع ابن الأحمر فنزل بأجفانه فى مرسا غساسة ، فبعث اليه عامر ابن يحيى الوزير وسأله أن يشفع له عند أمير

المسلمين يوسف فشفع له فأظهر له أمير المسلمين الاسعاف بذلك فلم يطمئن عامر بنفسه وبعث بعض خدامه الى المرسا نهارا فطلع أكثرهم في أجفان الرئيس أبي سعيد ليدخلوا فيها الى الأندلس ، وبقي عامر الى جوف الليل ، فخرج من القلعة كأنه يريد التوجه الى المرسا ففر الى تلمسان فخرجت الخيل في أثره فركض فرسه فتجا وقبض على ولده أبي الخليل فقتل بفاس وضرب وأهبط رجاله من أجفان الرئيس ، فضربت أعناقهم وظفر بمن كان في الحصن من المقاتلة فقتلوا عن آخرهم ، وحمل نساؤهم وأولادهم الى رباط تازة فتقفوا بها .

وفي هذه السنة قدم على أمير المسلمين وهو بتازوطة رومي جنوي من صاحب جزوة بهدية جليلة ، فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل التي صنعت للمتوكل العباسي .

وفي هذه السنة رفع عن أولاد الأمير أبي بكر بن عبد الحق غدر ففروا الى تلمسان وأقاموا بها الى أن أذن لهم أمير المسلمين في الرجوع فأقبلوا الى مدينة فاس فسمع بذلك الأمير أبو عامر وهو ببلاد الريف فجعل العيون عليهم فأتاه الجاسوس فأخبره بقدمهم ، فخرج الى الفتك بهم قوافهم بصيرة (١٨٤) من بلاد ملوية ، فقتلهم ورجع الى المزمة ، وهو يرا أنه وافق غرض أبيه في قتلهم ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين يوسف فأظهر البراءة من فعل ولده أبي عامر وأبعده وأقصاه ، فلم يزل طريدا في بلاد الريف وبلاد غمارة الى أن مات في بلد بني سعيد من بلاد غمارة ، وحمل الى مدينة فاس فدفن بها في الزاوية التي بداخل باب الفتوح ، وذلك في شهر ذي حجة من عام ثمانية وتسعين وستمئة وخلف ثلاثة من الولد ، وهم عامر وسليمان وداود ، كفلهم جدهم أمير المسلمين يوسف الى أن مات فولي عامر الخلافة بعد جده ، ثم ولي سليمان بعد وفاة أخيه عامر ، وسيأتي ذكر أيامهما بعد أن شاء الله تعالى .

وفى شهر ذي القعدة من سنة احدا وتسعين المذكورة اعطا ابن
الأحمر حصن الايط الى شانسو .

وفىها أمر أمير المسلمين يوسف بعمل المولد وتعظيمه والاحتفال له
فى جميع بلاده ، وذلك فى شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة
ونفذ الأمر به عنه رحمه الله وهو بصبرة من بلاد الريف فى الآخر شهر
صفر من السنة المذكورة ، فوصل برسم اقامته بحضرة فاس الفقيه
الخطيب أبو يحيى ابن أيوب (أبى الصبر) .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وستمئة فيها وقد على أمير المسلمين
رسول ولد الترك ملك برتغال ورسول ملك بيونة ورسول ملك تلمسان
ورسل ملك تونس ، وذلك فى جمادى الأولى من سنة اثنتين وتسعين
المذكورة .

وفىها فتح حصن تازوطة وذلك يوم الجمعة الحادي عشر لجمادى
الأخرا من السنة المذكورة وانصرف إرسال ابن الأحمر ، وهم الرئيس
أبو سعيد ، وأبو سلطان الراضي من حضرة أمير المسلمين يوسف بفاس
الى الأندلس فى العشر الأوسط من رجب عام اثنى وتسعين المذكورة ،
وخرج الأمير أبو عامر الى قصر المجاز برسم النظر فى أمر الأندلس
يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة ، وجاز السلطان
أبو عبد الله ابن الأحمر برسم لقاء أمير المسلمين يوسف والاعتذار اليه
عما فعل فى أمر طريف ويرغب منه فى نصره بلاد الأندلس ، فخرج
لساحل بلاد بليس من حوز مدينة سبته ، ثم ارتحل الى طنجة وقدم بين
يديه هدية عظيمة منها المصحف العزيز الذي كانت ملوك بنى أمية
يتوارثونه بقصر قرطبة ، يقال أنه بخط أمير المومنين عثمان بن عفان رضى
الله عنه ، وكان وصوله الى طنجة فى يوم السبت الثانى والعشرين لذي
القعدة من سنة اثنتين وتسعين المذكورة ، فتلقاه بها الأميران أبو عبد
الرحمان يعقوب وأبو عامر ، وخرج أمير المسلمين برسم لقائه من مدينة
فاس ، وذلك بعد صلاة العصر من يوم الابعاء الثانى والعشرين لذي
القعدة المذكورة ، وخرج معه جميع بنيه فتوفي ولده الأمير عبد المومن

فى طريقه ذالك ببلد اراجن (١٨٥) وذالك يوم الأحد الموفى ثلاثين لىذى القعدة ، وحمل الى مدينة فاس قدفن بالحصن الذى بقبلة الجامع بالمدينة الجديدة ، ووصل أمير المسلمين يوسف الى طنجة ، فاجتمع بها مع ابن الأحمر فأراه من القبول فوق ما أمله ، وبالع فى بره واکرامه ، وأسعفه بجميع مطالبه ، ولم يعدد عليه شيئاً مما سلف منه ، وبذل لسه هدية عظيمة أضعاف ماقدم به ، وانصرف ابن الأحمر الى الأندلس وذالك يوم السبت الموفى عشرين لىذى الحجة من السنة المذكورة .

وفى هاذه السنة بذل أمير المسلمين يوسف الى ابن الأحمر الجزيرة ورندة وماوالاهما من الحصون مثل حصن يامننت وابدونة ورنش والصخيرات وبيغ والقار ونشيط وقردلة ومشغور وطيط وحصن الدور والشيطيل والطشاش وابن الدليل واسطبونة ومجلوش وشمينة والنجور وتنبول ووادير وقمارش .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين فيها جاز جيش أمير المسلمين يوسف مع وزيره ابى علي عمر بن السعود الى الأندلس لحصار مدينة طريف ، فنزل عليها وحاصرها مدة .

وفىها كانت المجاعة الشديدة بالمغرب والوباء العظيم ، فكان الناس يحملون من الموتا أربعة وثلاثة واثنين على نعش ، وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ستة أواقى بدرهم .

وفىها أمر أمير المسلمين يوسف بتبديل الصنيعان وجمعها على يد النبي صلا الله عليه وسلم ، وذالك على يد الفقيه عبد العزيز المزوزي الكناسى .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين فيها صلح أمر الناس وانجبرت أحوالهم ورخصت الأسعار فى جميع الأقطار ، فبيع القمح بعشرين درهما للصحفة ،

185) لعلها أسجن التى ينطق بها أذن أيضاً قرية بطن بنى زكون من قبيلة زهونة بدائرة وزان .

والشعير بثمانية دراهم •

ثم دخلت سنة خمس وتسعين فيها خرج أمير المسلمين يوسف لغزو بلاد تلمسان ، فنزل بجانب حصن تاويرت ، وكان نصفه لعثمان بن يغمراسن ونصفه لأمير المسلمين ، لأنه كان الحد بين بلادهما ، فطرد عنه عمال عثمان بن يغمراسن المذكور ، ثم أخذ في بناء الحصن فابتدأ ببناء سورته في أول يوم من شهر رمضان من سنة خمس وتسعين المذكورة ، ففرغ من تشييده وبنائه ، وركبت أبوابه مصفحة بالحديد وذلك يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، فكان رحمه الله يصلي الصبح ثم يقف على بنائه بنفسه ، ثم رجع إلى رباط تازة ، فعيد عيد الفطر على وادي ملوية بعد أن أسكن بحصن تاويرت المذكور قبيل بني عسكر ، وقدم عليه أخاه الأمير أبا يحيى ابن أمير المسلمين يعقوب رحمه الله •

وفي سنة ست وتسعين وستمئة غزا أمير المسلمين يوسف بلاد تلمسان خرج إليها من حضرته بقاس فسار حتى نزل مدينة ندرومة فحاصرها وشد في قتالها أياما ثم ارتحل عنها فنزل على وجدة فأمر ببنائها فبنيت وحصنت أسوارها ، وبنا بها قصبة ودارا ومسجدا وحماما ، ونقل إليها قبيل بني عسكر مع أخيه الأمير أبي يحيى وأمره بالاغارة على مدينة تلمسان وأحوازها مع الساعات والأحيان ورجع إلى مدينة قاس •

ثم دخلت سنة سبع وتسعين فيها غزا أمير المسلمين يوسف أيضا مدينة تلمسان فنزل عليها وحاصرها •

وفيهما نكب أمير المسلمين جماعة من خدمه ، منهم عبد العزيز الملزوزي الشاعر ، ومحمد الكنانى ، والفقيه أبو يحيى ابن أيوب (أبى الصبر) وفيها قتل أشياخ مراکش عبد الكريم ابن عيسا وعلي بن محمد الهنتاتي قتلهم ولده الأمير علي المعروف بابن زيجة بكتاب لبس به عليه كاتب أبيه أحمد الملياني •

وفيهما مات الأمير أبو زيان •

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمئة فيها نزل أمير المسلمين يوسف مدينة تلمسان الغزول الأخير الذي لم يقلع منه الا ميتا رحمه الله .

الخبر عن حصار تلمسان

حرسها الله تعالى

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان أصل حصار تلمسان وفناء بني عبد الوادي ان ابن عطو لما فعل ما فعل وقهر الى عثمان بن يغمراسن ملكها كتب اليه أمير المسلمين يوسف ان يسلمه اليه ، فامتنع من ذلك ، فقزاه بسببه ولم تزل العداوة تتركب بينهما الى ان غزاه ثانية في شهر رجب من سنة سبع وتسعين ، فوصل الى تلمسان ، فخرج اليه عثمان ملكها فقاتله بخارجها فانهزم عثمان المذكور ودخل المدينة وسد أبوابها واعتمد فيها على الحصار ، فحاصره بها أياما ، ثم ألق عنه ورجع الى مدينة فاس وترك أخاه الأمير أبا يحيى مع قبيلة بني عسكر بمدينة وجدة ، وأمره بحرب تلمسان وأحوالها وندرومة وماوالاها ، فكان لايرفع عنها يدا بالغارات ، فضاق أهل ندرومة بذلك ذرعا ، فاقبل اشياخها الى الأمير أبي يحيى فبايعوه وطلبوا منه الأمان ، فأمنهم ومكنوه من البلد فقبضه وبعث بالفتح والأشياخ الى أخيه أمير المسلمين يوسف ، فوصلوا الى مدينة فاس فبايعوه بها وذلك يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب سنة ثمان وتسعين وستمئة وسألوه التوجه الى بلادهم ليريحهم من عدوهم ، فأتحل من فوره الى مدينة تلمسان فنزلها في شهر شعبان من السنة المذكورة ، وكان نزوله عليها في يوم الثلاثاء وقت الضحا ثاني يوم من شعبان المذكور ، فملك ندرومة وهنن ووهران وتاوانت ومزغران ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة وونشريس ومليانة والقصبات والمدينة وتازجدت ، وجميع بلاد بني عبد الوادي وبلاد تجين وبلاد مغراوة ، وببايعه صاحب الجزائر ،

ووفدت عليه رسل أمير تونس بالهدايا ، وخدمه أهل بجاية وقسنطينة وهو مع ذلك محاصر مدينة تلمسان ، وقد أهدفت بها محلاته وجيوشه ، ورتب قواده لقتالها ، فكانوا يخرجون إليها في كل يوم مناوبة إلى أن دخل فصل الشتاء ، فابتدأ أمير المسلمين ببناء قصره فبناه في موضع نزوله حيث ضرب قبابه ، ثم بنا جامعاً كبيراً ، وأقام فيه الخطبة بإزاء قصره ، وأمر الناس بالبناء فانتشر الناس في اللينيان بالمحلة يمينا وشمالا ، فأدار السور على قصره وعلى الجامع الذي بازائه .

وفي سنة اثنتين وسبعمئة أمر أمير المسلمين يوسف ببناء السور الأعظم على تلمسان الجديدة ، فابتدأ ببنائه في الخامس من شوال من سنة اثنتين وسبعمئة المذكورة ، وتوفي عثمان بن يغمراسن في الحصار قولي بعده ولده محمد المكط بلى زيان قضبط بلده وقام بأمره .

وفي سنة احدا وسبعمئة توفي ملك الأندلس أبو عبد الله الحسن الأحمر ، وولي بعده ولده محمد المخلوع ، فكتب بالبيعة إلى أمير المسلمين يوسف ، وبعث إليه بهدية عظيمة ، وتوفي الأمير أبو عبد الرحمن بتلمسان الجديدة فحمل إلى رباط تازة فدفن بصحن جامعها ، ووفد على أمير المسلمين يوسف وهو محاصر لمدينة تلمسان وقد أهل الحجاز ورسلك الملك الناصر صاحب مصر والشام بهدية عظيمة ، ووفد عليه رسل ملك أفريقية بهدايا جليلة ، وبنا تلمسان الجديدة وهدبها ، وبنا بها الحمامات العظيمة والفنادق والمستشفيات وجامعا كبيرا للخطبة أقامه على الصهرج الكبير ، وبنا به منارا عظيما وجعل على رأسه تقافيج من ذهب بسبعمئة دينار ، وأمر صلحاء المغرب بالمشي إلى الحجاز ، وبعث معهم مصحفيا مكلا بالجواهر والياقوت أهده إلى الكعبة ، وبعث أموالا كثيرة برسم التفريق على أهل مكة والمدينة ، وبعث إلى الملك الناصر بأربعمئة جواد من عتاق الخيل بجهازاتها برسم الجهاد وغير ذلك من النفائس والذخائر ، وأضعف أهل تلمسان بشدة الحصار حتى أشفروا على الهلاك ، وبلغه هناك غدر أهل الأندلس بأهل سبتة في السابيع والعشرين من شهر شوال من سنة خمس وسبعمئة ، وكان قد فسد حال أهلها عند أمير المسلمين

يوسف وقطع عنهم جميع المرافق ، وغدر بها الرئيس أبو سعيد فدخلها
وملكها وثقف بها بني العزفي وحملهم إلى الأندلس ، واحتوا على جميع
أموالهم ، فاتصل الخبر بأمر المسلمين يوسف وأن الرئيس أبا سعيد قد
تملك سبئة بدعوة المخلوع ، فعظم عليه الأمر وبعث ولده الأمير إبراهيم
في جيش عظيم إلى حصارها ، وحشد إليها جميع قبائل الريف وبلاد تازة
فلم يغن بها شيئاً ، وأقلع عنها مهزوماً ، فهجره لذلك والده أمير المسلمين
فبقي مهملاً ، وقتل أمير المسلمين يوسف غيلة بقصره من حضرة ثلمسان
الجديدة في يوم الأربعاء السابع لذي القعدة من سنة ست وسبع مئة ،
وجاء في بطنه وهو نائم خصي من فتيلانه اسمه (للسعادة) كان لأبي علي
الملياني ، فتوفي من تلك الضربة قريباً من عصر ذلك اليوم ، فحمل إلى
رباط شالة (١٨٦) من رباط الفتح ودفن به ، والبقاء لله وحده .

(١٨٦) شالة : اسم حاضرة مغربية عتيقة واقعة على نهر أبي رقراق غير بعيدة عن مصبه
في المحيط الأطلسي حيث المدينتان التاريخيتان : الرباط وسلا ، كانت في الأصل قرية بربرية
وانشأ بها القرطاجيون منجراً عرف في عهدهم باسم سلفيس ، ثم احتلها الرومان وسموها
سلا - كولونيا ، وكانت في نهاية ما امتد إليه نفوذهم وانبسط عليه حكمهم من أرض المغرب
الأفصا ، واستمرت شالة مستعمرة رومانية مدة تقرب من خمسمئة عام إلى أن ضعف أمر الرومان
فتدهورت وخربت ، يقال أن الواندال هم الذين خربوها وذلك غير صحيح لأن أقدامهم لم تطأ
المغرب الأفصا ، ولما فتح عقبة بن نافع المغرب أسلم أهلها على يديه ثم ارتدوا بعد استشهاده في
تهودة إلى أن أسلموا مرة ثانية على يد موسى بن نصير ، فتحها الإمام أدريس وتداول أبناؤه
ملكها من بعده إلى أن انتزعها منهم موسى ابن أبي العافية سنة ٣١٧ هـ وفي أواخر القرن الرابع
الهجري صارت عاصمة لليفرنيين ، وخربت بعد ذلك خلال الحروب التي جرت بين برغواطة
والمرابطين ، وفي هذا التاريخ زارها الشريف الإدريسي الجغرافي المغربي الشهير ، ووصفها
بأنها حراب وبها بقايا بنيان وهياكل سامية ، ولما أسس الموحدون الرباط أقفرت شالة لما انتقل
إليه أهلها وحرفها وصنائعها ، وحاول المرينيون بعدهم تجديد بنائها فسورها وبنوا بها مدارس
ومساجد واتخذوها مدناً للوكرهم وأعيانهم ، ولكن ذلك لم يعد إليها الحياة ، وقد بدأ العمل
في أول هذا القرن في رفع أنقاضها وترميم أثارها ثم توقف ليستأنف في السنين الأخيرة .

الخبر عن دولة أمير المسلمين عامر

ابن الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يوسف

هو أمير المسلمين عامر ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق .
كنيته أبو ثابت .

أمه حرة اسمها يزوا بنت عثمان بن محمد بن عبد الحق .
مولده في غرة رجب من سنة ثلاث وثمانين وستمئة .

أيامه بوبع بعد وفاة جده بحضرة تلمسان الجديدة باجماع من الناس واتفاق من أشياخ مرين وأشياخ العرب على بيعته ، وذلك فسي صبيحة يوم الخميس الثامن من ذي القعدة عام ستة وسبعمئة ثاني يوم وفاة جده ، وتوفي رحمه الله بقصبة طنجة في يوم الأحد الثامن من شهر صفر من سنة ثمان وسبعمئة ، فأيامه سنة واحدة وثلاثة أشهر ويوم واحد ، وسنه يوم توفي أربع وعشرون سنة وسبعة أشهر عدا أسبوع .
وزراؤه : ابراهيم بن عبد الجليل الونجاسي ، وابراهيم بن عيسا الليرناني .

كاتبه الضابط لامره والقائم بأمر ملكه الفقيه عبد الله بن أبي مدين حاجبه فرج مولاه ، ثم عبد الله الزرهوني .
قاضيه الفقيه أبو غالب المغيلي .

لما ولي رحمه الله وتمت بيعته جمع أشياخ مرين والعرب ورؤساء الناس ، فاستشارهم في أمر تلمسان هل يقيم على حصارها أم يرذل عنها الى المغرب ؟ فكلهم أشار عليه بالرحيل والانصراف ، وقالوا له أدرك بلاد المغرب وسكنه فان عثمان بن علي بن أبي العلاء بسببة وقد سمع بموت جدك وخرج قاصدا الى مدينة فاس وقد دخل قصر كتامة ومدينة أصيلة ، وان الناس قد قنطوا في هاذه البلاد ولهم بها عن أولادهم وعيالاتهم أربع

عشرة سنة ، فسر الى بلادك حتى تؤمنها وتسكن جاش أهلها ، وبعد ذلك تنظر فيما تريده ان شاء الله تعالا ، فلما رآ اجماع الناس على الرحيل بعث الى أبى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن فصالحه وصرف عليه جميع البلاد التى كان أخذها جده لهم ، حاشا تلمسان الجديدة التى اختطها أمير المسلمين يوسف فى أيام الحصار ، فانه اشترط عليه ان لايدخلها وأن يبقياها على حالها وأن يتعاهد مساجدها وقصورها بالاصلاح وما تحتاج اليه ، ومن أراد الإقامة بها من أهل المغرب فما لأحد عليه من سبيل ، فاشتراط له ذلك كله (١٨٧) وبعث الى جيوش جده وجنوده ورماته وحصصه التى كانت متفرقة فى بلاد المشرق تضبط ثغورها فأتوه واسلموا البلاد الى أهلها ، وكتب الأوامر الى قواعد المغرب يخبرهم بوقاة جده وبيعته ، وقدم الى مدينة فاس ابن عمه الأمير ابا علي ابن الأمير عامر بن غيد الله بن أمير المسلمين يعقوب رحمه الله فى جيش عظيم ، وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها ، وتفريق الأموال على الخاصة والعامة ، ففعل ذلك ، وقتل عم أبيه الأمير ابا يحيى ، ثم قتل عمه الأمير ابا سالم ابن أمير المسلمين يوسف ، وارتحل الى المغرب عن مدينة تلمسان فى أمم لاتحصى ، وذلك فى غرة ذى الحجة من سنة ست وسبعمئة ، فعيد عيد الأضحا بالطريق بين مدينة وجدة ومدينة تلمسان ، ثم ارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى المحرم من سنة سبع وسبعمئة ، فأقام بها الى السابع من رجب ، فاتصل به أن يوسف بن محمد ابن أبى عياد قائده على مدينة مراکش قد خرج عليه بها ودعا لنفسه وقتل عاملها الحاج المسعود ، فخرج الى حربه وقدم له بين يديه يوسف بن عيسا الحشمى ويعقوب ابن أزنك فى جيش من خمسة الاف فارس ، فالتقوا بعدوة وادي ام الربيع فهزموه فرجع الى مراکش مهزوما ، فقتل جمعا من الروم الذين بها وسبا ديارهم وخرج منها الى أغمات ، فلم يستقر بها ، ففر الى جبال هسكورة ،

(١٨٧) ما كاد الجيش المغربى يتسحب عن تلمسا حتى خرج الغدالوازيون منها كانوا تشربوا من القبور ، وكان أول شئ فعلوه تخريب تلمسان الجديدة فى ظرف وجيز .

فنزل على مخلوف بن هنو من أشياخ الهساكرة دخيلا عليه ، فغدر به
وثقفه بالحديد ودخل أمير المسلمين عامر حضرة مراکش فى غرة شعبان
من سنة سبع المذكورة ، فسيق له يوسف بن محمد بن أبى عياد يرسف
فى القيود ، فقتله بالسوط ثم قطع رأسه وبعث به الى مدينة فاس ،
فطيف به فيها ، وقتل ممن كان معه ووازره على فعله نيفا على ستمئة رجل
وعلق رؤوسهم من باب الرب أحد أبواب مدينة مراکش الى برج دارالحره
عزونة ، وقتل فى أغمات كذلك ، ثم خرج فى الخامس من شعبان المذكور
الى بلاد تامزورت فنزل بها ، فبعث اليه السكسيوي وقبائل زكنة بالبيعة
والهدية والضيافة ، وبعث قائده يعقوب ابن أزنك فى جيش من ثلاثة آلاف
فارس الى بلاد حاحة برسم قبائل زكنة ، ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد
القبلة ، فكر راجعا الى بلاد تامزورت فوجد أمير المسلمين عامر ينتظره
بها ، فأعلمه بهدنة البلاد وسكونها ، فارتحل أمير المسلمين الى مراکش ،
وذلك يوم السبت مهل شهر رمضان المعظم من سنة سبع المذكورة ، فدخل
لمراكش وأقام بها الى الخامس عشر من رمضان المذكور ، وخرج الى
رباط الفتح فأخذ على بلاد صنهاجة وجاز وادي أم الربيع من مجاز كتامة
فى القوارب الكثيرة ، ثم ارتحل فى بلاد تامسنا ، فتلقت بها وفود العرب
من الخلط والعاصم وبنى جابر وغيرهم من بنى جوشم برسم السلام عليه
والوداع له ، فلم يأذن لأحد منهم فى الانصراف ، وسار حتى نزل بظاهر
مدينة أنفا ، ثم دعا بأشياخ العرب ، فتوقف منهم ستين شيخا بسجن أنفا ،
وضرب أعناق عشرين رجلا من أشرارهم الذين كانوا يقطعون الطريق
بتلك الجهات وصلبهم على أسوار أنفا ، وارتحل الى رباط الفتح فدخلها
فى اليوم السابع والعشرين من رمضان المعظم المذكور ، فعيد هنالك عيد
الفطر وقتل به ثلاثين رجلا من أشرار العرب وقتلهم وصلبهم على أسوار
العدوئين ، وارتحل برسم عرب رياح الذين هم بأبى الطويل والجزائر
وفحص أزغار (١٨٨) وذلك فى الخامس عشر من شوال من سنة سبع

وسبعمئة المذكورة ، فغزاهم وقتل منهم خلقا وسبا ذراريهم وأموالهم وارتحل الى مدينة فاس فدخلها في نصف ذي القعدة من العام المذكور ، فأقام بها حتى عيد عيد الأضحا ، فخرج برسم حصار سبتة ، وذلك في رابع عشر ذي الحجة ، فسار حتى وصل قصر عبد الكريم ، فأقام عليه ثلاثة أيام حتى استوفت عليه قبائل مزين والعرب ورماة البلد ، وارتحل الى قلعة علودان ، فدخلها بالسيف ، ودخل قلعة دمنة ، فقتل الرجال وسبا النساء والذرية والأموال ، وسبب قتله ذلك بهم أنهم كانوا قد بايعوا عثمان ابن أبي العلاء ودلوه على الطريق وجوزوه على بلادهم وبالفعل في تضييفه وأكرامه ، ودخلوا قصر عبد الكريم وبلد أضيفة ونهبوا كثيرا من أموالهما ، ولما فرغ من أهل جبل علودان ارتحل فدخل مدينة طنجة في أول المحرم عام ثمانية وسبعمئة ، ثم أخذ في بعث الجيوش الى أحواز سبتة ، وشرع في بناء مدينة تطوان وبعث الفقيه أبا يحيى ابن أيوب (أبي الصبر) رسولا الى ابن الأحمر يطلب منه أن يتخلل له عن سبتة ، وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر ما يأتي به رسوله ، فعاجله الموت ، فتوفي بها في يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمئة المذكورة ، وحمل الى شالة من زباط الفتح ، فدفن بها مع سلفه رحمهم الله ورضي عنهم ، فولي بعده أخوه سليمان ابن الأمير عبد الله .

الخبر عن دولة أمير المسلمين سليمان

ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف

هو الأمير سليمان ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

كنيته : أبو الربيع .

أمه : أم ولد مولدة من تالد العرب اسمها زيانة .

كاتبه : كاتب أخيه الفقيه عبد الله ابن أبى مدين ، وهو المدبر لدولته الى أن قتله ، فاستكتب مكانه أخاه الحاج الفقيه محمد ابن أبى مدين وزراؤه : ابراهيم بن عيسا الياباني ، وعبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي .

ببيع له بقصبة طنجة بإدارة كاتب أخيه ووزرائه ، وذلك يوم الاثنين التاسع من شهر صفر سنة ثمان وسبعمئة ، وسنه يوم بيع تسع عشرة سنة وأربعة أشهر ، فثقف عمه علي المعروف بابن أبى زريشة ، فانه كان قد دعا لنفسه وبايعه كثير من الناس ، فقبض عليه وثقفه وبعث السى من فى محلة تطوان الذين كانوا بها فأقبلوا اليه ، ففرق الأموال فى قبائل بني مرين والعرب والأندلس والأغزاز والرماء ، وارتحل الى مدينة فاس ، فخرج ابن أبى العلاء من سبتة فى جمع عظيم من رجاله وبنيه وأخوانه ليضرب على محله ليلا ، فأخبر بذلك أمير المؤمنين سليمان ، فارتحل تلك الليلة فى نصف الليل فالتقاه وهو راحل ، فكانت بينهما حروب شديدة فر فيها ابن أبى العلاء وأسر ولده وجماعة من عسكره وقتل الآخرون وسار أمير المسلمين سليمان الى مدينة فاس فدخلها فى اليوم الحادي عشر من ربيع الأول من سنة ثمان المذكورة ، فأقام بها مولد النبي صلا الله عليه وسلم وفرق الأموال وتهدت البلاد واستقامت له الأحوال وخدمته الملوك ، وجدد الصلح مع أصحاب تلمسان .

وفى آخر يوم من ذي القعدة قتل أمير المؤمنين سليمان كاتبه القائم بأمره الفقيه عبد الله ابن أبى مدين فكانت أيام كتابته له وقيامه بأمره تسعة أشهر وواحدا وعشرين يوما .

وفى غرة ذي الحجة من سنة ثمان المذكورة بعث أمير المسلمين سليمان قائده تاشفين بن يعقوب الوطاسي الى حصار سبتة ، فسار اليها فى جيش عظيم من بني مرين ففتحها عنوة بأمر أشياخها وموافقة عامتها ، فانهم كرهوا إمارة أهل الأندلس عليهم ، وكان فتحها يوم الاثنين العاشر من صفر سنة تسع وسبعمئة ، وكتب تاشفين بالفتح الى أمير المسلمين

سليمان ، وبعث اليه بأشياخها وقبض على قائدها متولى حربها الشيخ
أبي علي عمر بن رحو بن عبد الحق .

وفي شهر جمادى الأولى فى أول يوم منه عزل أمير المسلمين قاضيه
أبا غالب المغيلى عن قضاء مدينة فاس ، وقدم على قضائها الفقيه المشاور
أبا الحسن علي المعروف بالصغير (١٨٩) .

وفي شهر جمادى المذكور صالح أمير المسلمين سليمان ابن الأحمر
على أن أعطاء الجزيرة الخضراء ورندة وأحوازهما ، وطلب منه العروسة
أخت ابن الأحمر فأنعم له بذلك كله ، وبعث اليه الأموال والخيول برسم
الجهاد مع ثقتة عثمان بن عيسا اليرنيانى .

ثم دخلت سنة عشر وسبعمئة فى شهر جمادى الأولى منها هرب وزيره
عبد الزحمان بن يعقوب الوطاسى وابن رحو وقائد الروم غنصالو الى
رباط تازة ، وكانوا قد اتفقوا مع جماعة من بنى مرين على خلع سليمان
وتولية عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق ، ولما استقروا برباط
تازة بعثوا الى عبد الحق فأتاهم فبايعوه وتسميا بأمير المسلمين وأخذ فى
جمع الجيوش ، وكتب الى خاصته من بنى مرين والعرب والأشياخ يدعوهم
الى بيعته ، فاتصل الخبير بأمير المسلمين سليمان فخرج نحوه الى رباط
تازة ، وقدم بين يديه يوسف بن عيسا الحشمى وعمر بن موسى الفودودى
فى جيش كثيف من بنى مرين ، وسار هو فى أثرهم ، فلما اتصل خبر
قدومه بعبد الحق القائم وابن رحو وابن يعقوب علموا أن ما لهم بحربه
من طاقة ، وكانوا يظنون أنه لا يخرج اليهم ، ففروا ليلا عن رباط تازة
وساروا الى تلمسان ، ثم جازوا منها الى الأندلس ، فدخل أمير المسلمين
سليمان رباط تازة ، فقتل فيها ناسا ممن كان بايع عبد الحق وتابعه على
أمره ، وأقام بها فاعتراه مرض ونفذ الأجل ، فتوفي بها ليلة الأربعاء بين
العشاءين منسلخ جمادى الآخرة من سنة عشر وسبعمئة المذكورة (٢٣)

(189) علي بن عبد الحق الزرويلى ، المعروف بابى الحسن الصغير ، ينظر عنه جدوة
الاعتقاس ص 299 وسلوة الانفاس 3 : 147 .

نوفمبر سنة (١٣١١ م) ، ودفن في ليلته تلك بصحن جامعها ، فكانت أيامه سنتين وخمسة أشهر ، وكانت كلها غالية ، لم يزل السعر بها مرتفعا ، الا أنها كانت ممعشة ، وغلت في أيامه الأملاك فبيعت الدار في أيامه بألف دينار ذهباً ، واتخذ الناس في أيامه الدواب والكسا والحلي ، وتأنقوا في في البنيان بالزليج والرخام والنقوش .

قال المؤلف عفا الله عنه :

بل كان هروب الوزير ابن يعقوب وابن رحو وغيرهما من حضرة فاس يوم السبت الثالث والعشرين من ربيع الثاني من سنة عشر وسبعمة المذكورة خلافا لما تلقناه عن البعض والله أعلم .

الخبر عن دولة ملك الزمان ، وسراج الأوان

الامام السعيد ، والخليفة الرشيد ، أمير المسلمين أبي سعيد عثمان

هو الخليفة في وقتنا هذا ، وهو سنة ست وعشرين وسبعمة ، أطال الله أيامه ، وخذل ملكه ونصر أعلامه ، وأمضا في الأعادي سيوفه وأقلامه ، وهو عثمان أمير المسلمين المنصور بالله ، ابن أمير المسلمين المنصور بالله القائم بالحق ، يعقوب بن عبد الحق .

كنيته : أبو سعيد .

لقبه : السعيد بفضل الله .

أمه : حرة اسمها عائشة بنت أمير عرب الخلط أبي عطية مهلهل بن يحيى الخلطي .

مولده : يوم الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وسبعمئة (٨ دجنبر سنة ١٢٧٦ م) .

صفته : أبيض اللون أزهره ، معتدل القد ، مليح الوجه ، جميل الصورة ، حسن القبول ، وطيب الأكتاف ، لم يزل متواضعا في ذات الله

تعالا ، شديدا في حدود الله تعالا ، شفيقا رفيقا جوادا كريما ، متوقفا في صفك الدماء ، ذا أناة ودهاء وسياسة وعقل ، وهو أحد السواس من الملوك ، اذا أعطا أغنا ، واذا قدر عفا ، لايقدر على عطائه أحد من الملوك وزرأؤه : في أول دولته يوسف بن عيسا الحشمي ، وأبو علي عمر ابن موسا بن عمران الفودودي ، ثم توفي فاستوزر بعدهما أبا عبد الله ابن أبي بكر بن علي ، وإبراهيم بن عيسا اليرثاني .

كتابه : الحاج الفقيه محمد بن أبي مدين ، ومنديل الكثاني ، ثم توفي فكتب له بعدهما الفقيه الأجل ، الكاتب الأبرع الأحقل ، عبد المهيم ابن الفقيه العالم الأوحده المشاور المجتهد القاضي الأعدل محمد الحضرمي ، والفقيه الكاتب صالح ابن حجاج ، والفقيه الكاتب أحمد ابن القواق .

قضاته الفقيه القاضي أبو عمران الزرهوني ، ثم الفقيه الأجل العالم الأوحده المشاور المجتهد قاضي الجماعة محمد ابن الشيخ الفقيه العالم المحدث المجتهد الصالح الورع المبارك قاضي الجماعة أبي الحسن بن أبي بكر المليلى .

أطبأؤه : أبو عبد الله ابن الغليظ الاشبيلى ، ثم ولده الوزير أبو الحسن ، والوزير أبو محمد غالب الشقوري .

بويغ له بالخلافة ليلة الأربعاء منسلخ جمادا الاخر من سنة عشر وسبعمئة بقصبة رباط تازة ، بايعه الوزراء والكتاب والأشياخ والخاصة ، وكتب الأوامر في تلك الليلة وصرف بها البريد للبلاد يخبر بوفاة سليمان وبيعته ، وبعث ولده الأمير الأجل ، المبارك الأسعد الاكمل ، أبا الحسن علي الى مدينة قاس ، فوصلها في وقت العصر من يوم الأربعاء غرة شهر رجب من سنة عشر وسبعمئة المذكورة (٢٤ نونبر سنة ١٣١١ م) ، فدخل المدينة الجديدة دار ملكهم وقرار سلطانهم ، فملكها وضبط أمرها ، وحاز القصر وبيوت الأموال والخزائن والسلاح ، وأمر بضرب الطبول وعمل المفرجات ، ولما أصبح أمير المسلمين يوم الأربعاء غرة رجب المذكور ركب من قصر رباط تازة الى خارج المدينة في زي عجيب ، واحتفال عظيم ،

فجددت له البيعة هنالك ، وبايعه جميع قبائل مدين وكافة العرب والأندلس والأغزاز وقواد الروم ، ثم بايحه الفقهاء والقضاة والخطباء والصلحاء وأشياخ المدينة ببيعة عامة من جميع الناس عن رضا من قلوبهم وطيب من نفوسهم اختيارا له على من سواه ، وذلك لما جمع الله عز وجل فيه من الخلال السنية ، والأخلاق السرية المرضية ، والشيم الحمودة ، والمناشر الجميلة المشهودة ، والحزم والدين ، والشفقة على جميع المسلمين ، والفضائل الواقية ، والسياسة الشافية التي لاتصلح الخلافة الا بها ، فكان كما قيل :

انته الخلافة منقادة	اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الا له	ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره	لزلزلت الأرض زلايها

ولما تمت له البيعة واستقام له الأمر فرق الأموال على قبائل بني مدين والعرب والأجناد ، ووصل الفقهاء والصلحاء ، وأحسن الى الخاصة والعامة ، وجلس للنظر فى أمور بلاده ورعيته ، وباشرها بنفسه فرفع المظالم عن الناس وحط المغارم ، وسرح أهل السجون الا أهل الفساد فى الأرض منهم وأصحاب الدماء ومن حبس فى حق شرعى ، وأمر بتفريق الصدقات فى الضعفاء وأهل الستر من البيوتات ، ورفع عن أهل مدينة فاس ماكان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية فى كل سنة ، فصلح حال الناس فى أيامه وكثرت الخيرات فى أيديهم ، فالأيام بدولته مشرقة ، والخيرات بها متتابعة متسقة ، والرعية بحمد الله بها فى جنات ذات منزل رحب ، ومشرب عذب ، وظل ظليل ، وحرز كفيل ، وخير كامل ، وصلاح شامل ، فلياليهم مشرقة بواسم ، وأيامهم أعياد ومواسم ، وذلك بيمين خلافة أمير المسلمين وبركة امامته التي اتخذ الحق فيها امامه ، وملك يده زمامه ، وأجرا عليه فى القوي والضعيف أعماله وأحكامه ، ورفع لدعوة المظلوم حجابيه ، وفتح على الضعفاء بالخير بابيه ، ووطأ الرعية بالحلـم أكنافه ، وأفاض عليهم عدله وبذل انصافه ، أطال الله عمره وخلد ملكه .

وفى العشر الاواخر من شهر رجب خرج أمير المسلمين أبو سعيد

عثمان من رباط تازة الى مدينة فاس ، فدخلها وقدمت عليه وفود البلاد بها وفقهاؤها وقضاتها واشياخها للسلام والتهنئة بالخلافة ، فاقام بمدينة فاس وعيد بها عيد الفطر .

وفى شهر ذي القعدة خرج أمير المسلمين عثمان من مدينة فاس الى رباط الفتح يرسم التفقد لأمور رعيته والنظر فى احوال بلاد الأندلس وإنشاء الأجفان لغزو العدو ، فوصلوها فى الآخر ذي القعدة (الثلاثاء ٢٠ ابريل سنة ١٣١٢ م) فعيد بها عيد الأضحا وأصلح أحوالها وأمر بإنشاء الأجفان فى بحرها ، ورجع الى مدينة فاس .

وفى سنة احدى عشرة وسبعمئة ولا أمير المسلمين عثمان أخاه الأمير يقيش الجزيرة ورندة وأحوازهما من بلاد الأندلس - فأنشأ الأجفان بدار صناعة مدينة سلا يرسم غزو الروم ، وكان بهنائه السنة قحط ، فاستسقا الناس له ، فخرج أمير المسلمين عثمان الى اقامة سنة للاستسقاء ، فمشا على قدميه حتى وصل المصلا والفقهاء والصلحاء والقراء بين يديه بالذكر ، كل ذلك خضوعا لله تعالى وتواضعا لجلاله واقامة لسنة نبينا محمد صلا الله عليه وسلم ، وقدم بين يدي نجواه الصدقات ، وفرق الأموال فى ذوي الحاجات ، وكان خروجه للاستسقاء المذكور فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان المكرم من سنة احدى عشرة وسبعمئة المذكورة (٥ يناير سنة ١٣١٢ م) ، ثم سار فى يوم السبت السابع والعشرين من شعبان المذكور فى جميع جيوشه حتى وصل الى جبل الكندرتين لزيارة قبر الشيخ الصالح أبى يعقوب الأشقر (١٩٠) نفع الله به ، فدعا الله تعالى هنالك ، فقبل المولا دعاءه ، ورحمه ورحم بلاده ، وأغاث عياده ، ولم يرجع من هنالك الا بالمطر العام بجميع البلاد . ولم يزل أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أطل الله أيامه من أول

(١٩٠) هو يعقوب بن الأشقر البهلولى المنسوبة اليه حبة مولاى يعقوب قرب فاس توفى سنة 68٩ هـ والمعروف أن الجبل المدفون فيه يسما جبل بنى بهلول ، وقد سماه المؤلف هنا جبل الكندر ، وسماه فى مجل آخر ياتى جبل الكندرتين ، فأتونا التسمية الثانية حتى لا يلتبس بجبل كندر الواقع جنوبى فاس حيث مصطفى موزار العللى .

خلافته الى الآن يعود المرضا ويشهد جنائز الصلحاء ويعطي الشرفساء
والفقهاء والصلحاء فى كل سنة الأموال والخلع والزرع وجميع ما يحتاجون
اليه .

وفى سنة ثلاث عشرة وسبعمئة خرج على أمير المسلمين
عدي بن هو الهسكوري ببلاد هسكورة ، فخرج اليه أمير المسلمين حتى
نزل على قلعته ، فأمكن الله تعالا منه ، فدخل بلده ونهبت أمواله وثقف فى
الحديد وقدمه بين يديه موثقا مغلولا الى مدينة فاس فثقفه بها .

وفى سنة أربع عشرة وسبعمئة خرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان
من مدينة فاس الى غزو تلمسان ، فسار حتى وصل وادي ملوية (١٩١)
فى أمم لاتحسا وجيوش عظيمة لايعلم لها عدد ، فقدم بين يديه ولديه
الأميرين أبا الحسن علي وأبا علي عمر بمحلتها وجيوشهما ، وسار هو
بمحله خلفهما فى بلاد يغمراسن يأكلون زروعها وينهبون أموالها ويقتلون
حماتها ، فسار حتى وصل مدينة وجدة فزّلها وقاتلها قتالا شديدا ، ثم
ارتحل عنها نحو تلمسان حتى نزل بالمعلب ، فبعث ولده الأجل أبا الحسن
علي حتى وقف على بابها ، فلم يخرج له أحد من بنى عبد الوادي ، ولا
ظهر له أحد فى ذلك الوادي ، واعتمد أميرها موسا بن عثمان فيها على
الحصار ، وترك بلاده ورعيته للدمار ، ولما هتك أمير المسلمين أبو سعيد
عثمان جميع أحواز تلمسان وهتك جبال بنى يزناسن وفتح معاقلها رجع
الى رباط تازة فأقام بها .

وفى سنة أربع عشرة وسبعمئة ، فى شهر ذي الحجة منها ، عقد
أمير المسلمين لولده الأمير الأجل أبى علي عمر على بلاد القبلة ومدينة
سجلماسة وبلاد درعة وما والا ذلك الى الصحراء ، وفوض له الأمر
فى خراجها وجميع أمورها .

وفى هاذة السنة ولا أمير المسلمين أبو سعيد القائد يحيى ابن الفقيه

(١٩١) فى الأصل مدينة ملوية ، ولعلها خطأ من المؤلف أو من النسخين ، إلا أن يكون
عنا بمدينة ملوية قرية كرسيف الحالية .

أبى طالب العزفى مدينة سبتة وفوض له فى جميع أمورها وعقد له على أسطولها .

وفى سنة خمس عشرة وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان ببناء الباب أمام القنطرة من مدينة الجزيرة الخضراء ، ثم بعد ذلك أدار الستارة بالمدينة المذكورة .

وفى سار أمير المسلمين الى حضرة مراکش فأقام بها مدة حتى أصلح أحوالها وعاد الى مدينة فاس .

وفى سنة ست عشرة وسبعمئة نزل القائد يحيى (ابن أبى طالب العزفى) بجبل الفتح وحاصره أياما حتى دخل ريبه .

وفى فيها أفسد يحيى المذكور أجفان الروم ببحر الزقاق وقتل قائدهما جزماق ، وكان أذية على المسلمين فروح الله منه .

وفى شوال من هاذه السنة ثار القائد يحيى العزفى بسبتة وتمنع عن الوصول الى حضرة أمير المسلمين أبى سعيد عثمان ، فبعث أمير المسلمين الى حصاره وزيره ابراهيم بن عيسا اليرنيانى ، فسار اليه فى جيش عظيم وحاصره مدة .

وفى سنة تسع عشرة وسبعمئة خرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان من مدينة فاس الى طنجة يرسم النظر فى أمر سبتة وبلاد الأندلس .

وفى فيها أمر ببناء الجيوب فى رأس قبور الأغزاز فبنيت ، وأقام أمير المسلمين بمدينة طنجة أياما ثم رجع الى مدينة فاس .

وفى شعبان من سنة عشرين وسبعمئة خرج أمير المسلمين الى مراکش فأقام بها مدة حتى سكن أحوالها وتفقدها وضبط ثغورها واستخلف عليها كندوز ابن عثمان ورجع الى مدينة فاس فدخلها فى آخر سنة عشرين .

وفى سنة احدا وعشرين وسبعمئة تحرك أمير المسلمين عثمان الى رباط تازة فأقام به مدة من ثلاثة أشهر ، وأمر ببناء حصن تاوريرت

وشحنه بالرجال والرماة والخيل ، وفي هذه السنة أمر ببناء سور مدينة كرسيف .

وفي ربيع الثاني من سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة خرج أمير المسلمين الى مراكش فوصلها وأقام بها مدة حتى سكن أحوالها وهدن انحاءها وضبط ثغورها ورجع الى مدينة فاس .

وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة كان القحط الشديد بالمغرب فاستسقا الناس وخرج أيضا أمير المسلمين الى اقامة سنة الاستسقاء ، وقدم بين يديه الصدقات .

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمئة وصدر من سنة خمس وعشرين كانت المجاعة بالمغرب ، وارتفع السعر في جميع البلاد ، وغلت الأسعار في جميع الأمصار ، فوصلت صحيفة القمح تسعين دينارا ، ومد القمح خمسة عشر درهما ، والدقيق أربع أواق بدرهم ، واللحم خمس أواق بدرهم ، والزيت أوقيتان بدرهم ، والعسل كذلك ، والسمن أوقية ونصف بدرهم ، وعمدت الخضر بأسرها ، دام ذلك من أول سنة أربع وعشرين الى شهر جمادى الاولى من سنة خمس وعشرين ، فآغاث الله عز وجل بلاده ، ورحم عباده ، وصنع أمير المسلمين في هذه الشدة والمجاعة مع رعيته من الخير ما لا يقدر واحد على وصفه ، فتح لهم أهراء (١٩٢) الزرع وأخرجه للبيع ، فبيع أربعة دراهم للمد ، والناس يبيعونه بخمسة عشر درهما ، وأمر بالصدقات ، فلم يزل يفرقها بطول أيام الشدة ، يمر بها الثقات على حارات المدينة فيعطونها أهل التستر والبيوتات وذوي الفاقات والحاجات كل على قدر حاله وضعفه ، فكانوا يأخذونها من دينار ذهباً الى ربع دينار ، ولم يزل من يوم ولايته الى الآن يأمر بالجباب والأكسية في زمن الشتاء والقر للضعفاء والمساكين ، وأمر بمن مات من الغرباء أن يجهز ويكفن في الثياب الجديدة ويقام بحق دفنهم أحسن قيام ، نفعه الله تعالى بفعله ، وأبقا على المسلمين أيامه بمنه وفضله ، انه سميع مجيب

(١٩٢) جمع هري : مخزن الزرع ونحوه ، والكلمة لاتينية معربة ، ما زالت مستعملة بهذا المعنا الى الآن في عامية المغرب .

الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب

من سنة ست وخمسين وستمئة إلى سنة ست وعشرين وسبعمئة

في سنة ست وخمسين وستمئة يبيع أمير المومنين يعقوب رحمه الله
بمدينة فاس .

وفي سنة ثمان وخمسين وستمئة غدر النصارا بمدينة سلا فدخلوها
بالسيف فكان بها الحادث العظيم وذلك ثاني يوم من شوال .
وفي سنة تسع وخمسين كانت وقعة ام الرجلين بين أمير المسلمين
يعقوب رحمه الله وجيش المرتضا .

وفي سنة احدا وستين وستمئة توفي الأمير عبد الله ابن أمير
المسلمين يعقوب على مدينة مراکش .

وفيها كان ظهور النجم أبي الذوائب ، وذلك يوم الثلاثاء الثاني
عشر من شعبان من السنة المذكورة ، وبقي يطلع كل ليلة في وقت السحر
مدة من شهرين .

وفي هاذة السنة جاز المجاهدون من بنى مزين الى الأندلس برسم
الجهاد تطوعا ، وكان رئيسهم عامر ابن إدريس والحاج التاهرتي .
وفي سنة اثنتين وستين توفي أبو العلاء ابن طلحة عامل أمير
المسلمين على بلاد المغرب .

وفي سنة ثلاث وستين وستمئة هدم الفقيه العزقي سور مدينة أصيلة
وقصبتها .

وفي سنة أربع وستين وستمئة قدم أبو دبوس على أمير المسلمين
يعقوب بحضرة فاس مستنصرا به .

وفي سنة ست وستين وستمئة سرق بيت المال من قصبة مدينة
فاس ، سرق منه اثنا عشر ألف دينار وثلاثمئة قلادة .

وفى سنة ست وستين المتقدم ذكرها كانت غزاة أمير المسلمين يعقوب
ليغمراسن بن زيان بمدينة مليانة (١٩٢) فملكها .
وفى سنة سبع وستين وستمئة توفي الشيخ الصالح أبو مروان
الونجاسي بمدينة سبتة .

وفى غزاة أمير المسلمين محمد بن يحيى الخفصى الملقب بالمستنصر
ملك أفريقية عرب رياح فقتلهم وغنم أموالهم وسبوا نساءهم ورجع إلى
تونس .

وفىها وصلت هدية المستنصر ملك أفريقية إلى أمير المسلمين يعقوب
رحمه الله مع أبي زكرياء ابن صالح .

وفى شهر صفر من سنة ثمان وستين وستمئة دخل الروم مدينة
العرائش فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأموالها وأضرموها نارا وأرسلوا
عنها في أجفانهم .

وفىها قتل طلحة بن علي يعقوب بن عبد الله .

وفى يوم عيد الأضحا منها ولد الأمير مسعود ابن أمير المسلمين
يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب وتوفي بطنجة في ذي الحجة سنة
اثنتين وتسعين .

وفى غرة محرم من سنة ثمان وستين وستمئة (السبت ٣١ غشت
سنة ١٢٦٩ م) ملك أمير المسلمين يعقوب حصن مراكش فدخلها .

وفى يوم الأربعاء بعد صلاة العصر وليلة الخميس الخامس
والعشرين لذي الحجة من سنة ثمان وستين وستمئة (١٩٤) نزل لويس

(193) كذا بالأصل ، والحقيقة أن النصر الذي حققه يعقوب بن عبد الحق المريني في
السنة المشار إليها على خصمه يغمراسن بن زيان كان بوادي تلاغ القريب من قرية كرسيف
لا بمليانة التي لم يصل إليها يعقوب المريني قط بعدها ، انظر ص 305 من هذا الكتاب .
(194) كذا بالأصل ، والذي عند العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب الصمادني في
خصلات تاريخ تونس أن نزول الفرنسيين بأطلال قرطاجنة وقع في آخر ذي القعدة عام 668 (21)
يوليوز سنة 1270 م) .

التاسع الملقب بالقدّيس ملك الافرانسييس الرومى مدينة تونس فى مراكب لاتحصى فنزلوا فى البر وملكوا حصن القلعة ، وهم فى أمم لايعلم لها عدد ومددهم فى البحر متصل ، فكانت الروم فى أربعين الف فارس ، ورماتها مئة ألف رام ، ورجالها مئة ألف راجل (١٩٥) .

وفى الخامس والعشرين من ربيع الثانى من سنة تسع وستين توفى لويس التاسع ملك الافرنسييس المحاصر لتونس فأقلعوا عنها بسبب وفاته (١٩٦) .

وفى سنة تسع وستين غزا أمير المسلمين يعقوب العرب ببلاد درعة . وفيها نافق محمد ابن ادريس وموسا ابن رحو بجبل أمركو من أحواز فاس فحاصروهم به أمير المسلمين يعقوب ثلاثة أيام فأذعنوا للطاعة فعفا عنهم .

وفى رجب من سنة سبعين وستمئة غزا أمير المسلمين يعقوب بلاد يغمراسن بن زيان فهزّمه بوادي ايسلى وقر الى تلمسان مهزوما فحاصره بها مدة .

وفى سنة اثننتين وسبعين وستمئة فتح أمير المسلمين مدينة طنجة ، وفيها نزل الأمير يوسف سبعة .

وفى سنة ثلاث وسبعين وستمئة فتح أمير المسلمين يعقوب مدينة سجلماسة .

وفى ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمئة (السبت ٢١ مارس سنة ١٢٧٦ م) أسست المدينة الجديدة على وادي فاس .

وفى ثانى شوال المذكور قتل العامة من اليهود لعنهم الله بمدينة فاس مايزيد على اثني عشر ألفا ، فكفهم أمير المسلمين عنهم .

(١95) هاذ من مبالغات ابن أبى زرع ومؤرخى العصر الوسيط على العموم ، والمحقق تاريخيا أن عدد جيش لويس التاسع النازل معه بتونس لم يتجاوز أربعين ألفا .
(١96) الذى عند الأستاذ المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب أن لويس التاسع توفى يوم عاشوراء عام 669 هـ (3١ غشت ١270 م) .

- وفيها جاز أمير المسلمين الجواز الأول الى الأندلس برسم النجهد .
- وفيها ملك من بلاد الأندلس الجزيرة الخضراء ومدينة طريف ورندة
- وفيها كانت غزاة دون نونيو دي لارا
- وفيها بنيت قصبة مكناسة .
- وفي سنة خمس وسبعين وستمئة جاز أمير المسلمين يعقوب الى
- الجهاد الجواز الثاني .
- وفيها توفي الرئيس عبد الله ابن أشقيلولة بمالقة .
- وفي ربيع الأول من سنة سبع وسبعين وستمئة نزلت أفروطة الروم
- على الجزيرة الخضراء .
- وفيها وصلت هدية يحيا الوثائق ملك أفريقية .
- وفي شعبان منها غدر عمر بن علي عامل أمير المؤمنين على مالقة
- وباعها لابن الأحمر .
- وفي شوال منها نافق مسعود ابن كانون السفيناني .
- وفيها بني الجامع بالمدينة الجديدة .
- وفي سنة ثمان وسبعين أفسد المسلمون الأفروطة المحاصرة
- للجزيرة الخضراء .
- وفي سنة تسع وسبعين وستمئة توفي أبوزيان بن عبد القوي التجيني .
- وفيها كان الجراد ببلاد المغرب ، أكل جميع زروعها فلم يترك بها
- مخضرا ، وفيها كانت المجاعة وصل القمح فيها عشرة دراهم للصاع .
- وفيها علقت الثريا في الجامع الجديد يقاس ، وذلك يوم السبت
- السابع والعشرين لربيع الأول من العام المذكور ووزنها سبعة قناطر
- وخمسة عشر رطلا ، وعدد كؤوسها مئة كأس وسبعة وثمانون كأسا .
- وفيها نزل الرئيس أبو الحسن ابن أشقيلولة وألفونسو العاشر
- مدينة غرناطة .

- وفى سنة ثمانين وستمئة غزا أمير المسلمين يعقوب يغمراسن بن زيان
فهزمه بالمعلب من أحواز تلمسان .
- وفىها توفي عبد الواحد السكسيوي الثائر بأحواز مراکش .
- وفى شهر ذي القعدة بنيت قنطرة وادي النجاة وقنطرة ماريـز .
- وفىها توفي مسعود بن كانون السفيناني .
- وفى سنة احدا وثمانين وستمئة توفي القائد الرنداحي بسبـطة .
- وفىها جاز أمير المسلمين يعقوب الى الأندلس يرسم الجهاد ، وهو
الجواز الثالث ، فاجتمع مع ألفونسو العاشر على صخرة عباد ، وأعطاه
ألفونسو تاجه رهنا فى مئة ألف دينار .
- وفىها هرب الملند الرومي من قصبة فاس .
- وفىها دخل أحمد ابن مرزوق الشهير بابن أبى عمارة مدينة تونس
وذلك فى أول شهر ذي القعدة .
- وفىها قتل الأمير أبو اسحاق بالقرب من قسنطينة .
- وفىها توفي يغمراسن بن زيان .
- وفى سنة اثنتين وثمانين وستمئة نزل أمير المسلمين يعقوب مالقة .
- وفى شهر محرم منها مات ألفونسو الأحول أخزاه الله (١٩٧) .
- وفى ربيع الثانى منها خرج أمير المسلمين من الجزيرة الخضراء
حتى جاز البرت وغزا أحواز طليطلة .
- وفىها توفي الأمير تاشفين بن عبد الواحد ببلاد الأندلس .
- وفى سنة ثلاث وثمانين وستمئة وصل ماء عين غبولة الى قصبة
رباط الفتح بأمر أمير المسلمين يعقوب على يد علي ابن الحاج المهندس .
- وفىها ملك ابن الأحمر حصن قمارش .

(١97) أى الفونسو العاشر الملقب بالعالم والحكيم ، توفي طريداً مهزوماً فى السنة التالية
للتاريخ الذى يذكره ابن زرع أى فى سنة 683 هـ (الموافقة لسنة 1284 م .

وفيها مات ابن أبي عمارة بتونس فتولا أبو حفص (عمر ابن أبي زكرياء يحيى الملقب بالمستنصر الثاني) .

وفي العشر الأول من شعبان منها توفي الأمير عيسا بن عبد الواحد على شريش بسهم مسموم .

وفي السادس من شهر رمضان منها توفيت الحرة أم العز بنت محمد ابن حازم برباط الفتح فدقنت بشالة .

وفي سنة أربع وثمانين وستمئة جاز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله إلى الجهاد وهو الجواز الرابع

وفي محرم من سنة خمس وثمانين وستمئة توفي أمير المسلمين يعقوب رحمه الله .

وفيها بنيت قصبة تطوان .

وفيها عملت الناعورة الكبرى بوادي فاس ، بنى بالعمل فيها في شهر رجب من سنة خمس وثمانين ودارت في شهر صفر من سنة ست وثمانين .

وفي سنة ست وثمانين غزا أمير المسلمين يوسف العرب بقيلة بلاد درعة .

وفي شهر رمضان منها بني سور قصر المجاز وركبت أبوابه .

وفيها غرست المصارة (١٩٨) وبنيت الدار البيضاء من البلاد الجديدة .

وفيها دخلت جزيرة ميورقة من بلاد شرق الأندلس دخلها العدو دمره الله وذالك في شهر ذي الحجة منها

وفيها قتل طلحة بن محلى الثائر بسوس .

وفي سنة سبع وثمانين فتح الملك المنصور صاحب الديار المصرية

- مدينة طرابلس الشام .
- وفيها أعطا أمير المسلمين يوسف وادي الش وجميع أحوازها إلى ابن الأحمر .
- وفيها توفي الرئيس أبو الحسن ابن اشقيلولة بقصر كتامة من بلاد العدو .
- وفيها آخر الفقيه أبو حامد البقال عن قضاء مدينة قاس وولي القضاء مكانه الخطيب محمد ابن أيوب (أبي الصبر) .
- وفيها ثار الأمير أبو عامر بحضرة مراکش .
- وفي سنة سبع وثمانين وستمئة غزا أمير المومنين يوسف مدينة تلمسان وحاصرها ونصب عليها المجانيق .
- وفي آخر سبع وثمانين المذكورة كانت الريح الشرقية المتواليمة والقحط الشديد ، وتوالا ذلك إلى آخر عام تسعين ، ولم ينزل مطر إلى شهر ابريل من سنة تسعين ، فحرث الناس عند ذلك وحصدوا ماحرثوه من زرع عن أربعين يوما .
- وفيها توفي الشيخ الفقيه أبو يعقوب الأشقر بالكندرتين من بلاد بني بهلول (١٩٩) وانفسدت قطائع المسلمين في شعبان سنة تسعين .
- ونزل علي بن يوسف بن يزكاتن مدينة شريش في عام تسعين .
- وفي رمضان منها جاز أمير المسلمين يوسف برسم الجهاد ، فنزل حصن يحيا ، وفيه بني جامع تازة ، وفيه نزل سانشو مدينة طريف فحاصرها حتى ملكها في آخر شوال منه (عام ٦٩١ - الاثنين ١٣ أكتوبر ١٢٩٢ م) .
- وفي فتح الملك الاشرف مدينة عكا .

(١٩٩) هو المعروف بملوى يعقوب المنسوبة اليه الحمة الشهيرة قرب قاس ، وكانت وفاته سنة 68٩ هـ . انظر عنه سلوة الانفاس 3 : 2١6 .

- وفيه بنيت قبة مكناسة ورباعها
- وفي شعبان منه نافقت تازوطة
- وفيه أعطا ابن الأحمر الحصن الأبيض لسانشو الجاسل
- وفيه أمر أمير المسلمين يوسف بعمل المولد وتغظيمه في جميع بلاده
- وفي سنة اثنتين وتسعين فتح حصن تازوطة
- وفي سنة ثلاث وتسعين وستمئة فرغ من بناء جامع تازة ، وعملت الثريا بالجامع وزنتها اثنان وثلاثون قنطارا من النحاس ، وعدد كؤوسها خمسمئة كأس وأربعة عشر كأسا ، وأنفق في بناء الجامع وعمل الثريا من المال ثمانية آلاف دينار ذهبيا
- وفيها جاز ابن الأحمر إلى العدو برسم لقاء أمير المسلمين يوسف والاعتذار إليه مما صنعه في أمر طريف
- وفيها كسفت الشمس فغاب ثلثا قرصها ، وذلك يوم الأحد قرب الزوال في التاسع والعشرين من رجب ، وصلا بالناس صلاة الكسوف الخطيب محمد بن أيوب (أبي الصبر) بجامع القرويين حتى انجلت ، فخرج من المحراب ولم يبق منه غير خمسة عشر رجلا من أهل العدالة وكانوا أربعة وتسعين ، وذلك يوم الاثنين الحادي عشر من شوال
- وفيها توفي الأمير عبد المؤمن ابن أمير المسلمين
- وفي سنة ثلاث وتسعين بعث أمير المسلمين يوسف وزيره ابن السعود فجاز إلى الأندلس ونزل مدينة طريف
- وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم بالمغرب وأفريقية ومصر ، هلك فيها خلق كثير وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواقى بدرهم
- ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمئة فيها صلح أمر الناس ورخصت الأسعار ، وفيها كسف بالشمس الكسوف العظيم الذي غاب القرص كله ورجع النهار ليلا كما يكون بين العشائين ، بدت نيرات النجوم وعظم

الأمر لولا ماتدارك الله سبحانه بسرعة الانجلاء ، وذلك بعد صلاة الظهر من يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة .

وفى سنة خمس وتسعين وستمئة بنا أمير المسلمين يوسف حصن تاويرت .

وفى سنة ست وتسعين وستمئة نزل مدينة ندرومة .
وفىها أمر ببناء وجدة .

وفى سنة سبع وتسعين وستمئة نزل أمير المسلمين يوسف مدينة تلمسان فأقام عليها أياما ورجع الى مدينة قاس .
وفىها قتل أشياخ مراکش عبد الكريم ابن عيسا ، وعلي ابن يحيى الهنتاسي .

وفى سنة ثمان وتسعين وستمئة ملك أمير المسلمين يوسف مدينة ندرومة .

وفىها نزل مدينة تلمسان برسم الحصار لها وأن لا يرتحل عنها حتى يفتحها أو يموت دون ذلك .
وفىها فتح هنين وتاونت (٢٠٠) .

وفى سنة تسع وتسعين وستمئة فتح مدينة وهران ومستغانم وتنس ومليانة .

وفى سنة سبعمئة أسس مدينة تلمسان الجديدة وبنا سورها وحصنها وهو محاصر للقديمة .

وفىها فتح القصبات وبرشك وونشريس ومازونيه والبطحاء وتامزجدرت وبنا المسجد الجامع .

(200) تاونت : اسم حصن بقنة الجبل المطل على مرسا الغزوات ، وهنين اسم مرسا يقع الى الشرق منه ، ولا يزال الاسمان معزوقين الى الآن .

وفى سنة احدا وسبعمئة مات محمد بن محمد بن يوسف ابن الأحمر
ملك الأندلس .

وفى شوال من سنة خمس وسبعمئة غدر الرئيس أبو سعيد مدينة
سبته فملكها .

وفىها وقد على أمير المسلمين أمراء الترك من بلاد مصر بالهدية .
وفى سنة ست وسبعمئة توفي أمير المسلمين يوسف رحمه الله وولي
بعده حفيده عامر بن عبد الله ابن أمير المسلمين .

وفى سنة سبع وسبعمئة نافق يوسف بن محمد بمراكش .

وفىها غزا أمير المسلمين أبو ثابت العرب بأبى طويل .

وفىها غزا قلعة علودان وقلعة الدمنة من أحواز طنجة .

وفى سنة ثمان وسبعمئة فى صفر منها توفي أمير المسلمين أبو
ثابت بقصبة طنجة وولي أبو الربيع سليمان .

وفى صفر من سنة تسع وسبعمئة فتحت مدينة سبته وملكها أمير
المسلمين أبو الربيع سليمان .

وفى جمادا الأول من سنة عشر قام عمر بن عثمان برباط تازة ودعا
لنفسه فلم يتم له أمر .

وفى منسلخ جمادا الآخر منها توفي أمير المسلمين سليمان برباط
تازة وولي أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبو سعيد عثمان ابن أمير
المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

وفى يوم السبت السابع من شهر رمضان من سنة ست عشرة
وسبعمئة توفي الصالح الشيخ المبارك أبو عمران التسولى فدفن فى
قبلة مسجد الصابرين من داخل عدوة الأندلس .

وفى سنة عشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد أيده الله
ببناء مدرسة بحضرته من فاس الجديد فبنيت أنقن بناء ، ورتب فيها
الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم ، وأجرأ عليهم المرتبات

والمؤونة في كل شهر ، وحبس عليها الرباع والمجاشر ، كل ذلك ابتغاء وجه الله ورجاء مغفرته .

وفي سنة احدى وعشرين وسبعمئة أمر الأمير الأجل الموفق أبو الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان ابن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق رضي الله عنه ببناء المدرسة غربي جامع الأندلس بفاس ، فبنيت على أتم بناء وأحسنه وأتقنه ، وبنوا حولها سقاية ودار وضوء وفندقا لسكناء طلبة العلم ، وجلب الماء الى ذلك كله من عين بخارج باب الحديد من أبواب مدينة فاس ، وأنفق في ذلك أموالا جليلة تزيد على مئة ألف دينار ، ورتب بها الفقهاء للتدريس ، وأسكنها بطلبة العلم وقرأ القرآن ، وأجرأ عليهم الاتفاق والكسوة وحبس عليها رباعا كثيرة نفعه الله بقصده .

وفي سادس عشر ذي القعدة من سنة اثنين وعشرين وسبعمئة هبت ريح شديدة بمدينة مكناسة وفاس ورباط تازة وأحوازها استمر هبوبها يومين بلياليتهما هدمت الديار وقلعت الأشجار ومنعت الأسفار وأقعدت من زيتون مكناسة وزيتون القرمدة شيئا كثيرا .

وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة كانت أمطار عظيمة ببلاد المغرب وتلوج كثيرة فعدم فيها البياض (٢٠١) ، والحطب فبيع البياض بمدينة فاس بدرهمين للرطل .

وفي شهر محرم منها جرت العين الموالية للمشرق من عيون صنهاجة بدم عبيط من نصف وقت العصر الى ثلث الليل وعادت الى حالها .

وفي مهل شعبان منها أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيده الله ونصره ببناء المدرسة العظيمة بازاء جامع القرويين شرفه الله تعالى يذكره ، فبنيت على يد الشيخ المبارك عبد الله بن قاسم المزوار ، ووقف أمير

(201) الفحم من باب تسمية الشيء بضده ولا يزال هذا الإطلاق شائعا على السنة العامة لاسيما بالأرياف الى الآن .

المسلمين على تأسيسها ومعه الفقهاء والصلحاء حتى أسست وشرع في بنائها نفعه الله بذلك وأجزل ثوابه عليه ، فجاءت آية في الدهر لم يبن مثلها ملك قبله ، وأجرا بها ماء العين الغزير ، ورتب فيها الفقهاء لتدريس العلم ، وأسكنها بالطلبة ، وقدم فيها اماما ومؤننين وخدمة يقومون بأمرها وأجرا على لكل منهم المرتبات والمؤون ، واشترا الأملك ووقفها عليها احتسابا لله تعالى ورجاء ثوابه .

وفي شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة احترق سوق العطارين الكبير من مدينة فاس ، فامر أمير المسلمين أيده الله بينائه وتجديده ، فبنى وجدد من باب المدرسة المذكورة الى رأس عقبة الجزارين ، وعمل عليه هناك بابا عظيما مصفحا بالحديد ، وبنا على رأسه سورا مشرقا ، فجاء كأنه باب مدينة ، وأسكن السوق المذكور بالعطارين من الباب المذكور الى المدرسة لا يشاركهم فيه غيرهم .

وفيها كان القحط واستسقا الناس وارتفع السعر وبدأت المجاعة .
وفي سنة أربع وعشرين وسبعمئة كان الغلاء العظيم والمجاعة الشديدة بالمغرب .

وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة بعد صلاة العصر منه نشأ بخارج مدينة فاس من جهة جوفها سحب وظلمة شديدة ورياح هائلة وأعصار عظيم أعقب ذلك برد عظيم كبير الجرم ، زنة الحجر منه أربع أواقى وأقل وأكثر ، ونزل منه أمثال الجبال ، وفي خلاله مطر وابل ، فجاء منه السيول الطاغية ، فحملت الناس والدواب والمواشى والبقر والغنم والخيل والابل والدواوير ، وجاء وادى سد رواغ بسيل عظيم هلك فيه بشر كثير من الناس ما يزيد على مئة وخمسين نفسا ، وأهلك جميع ما بزالغ (٢٠٢) من الكروم والزيتون والشجر .

وفي ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادى الأولى من السنة

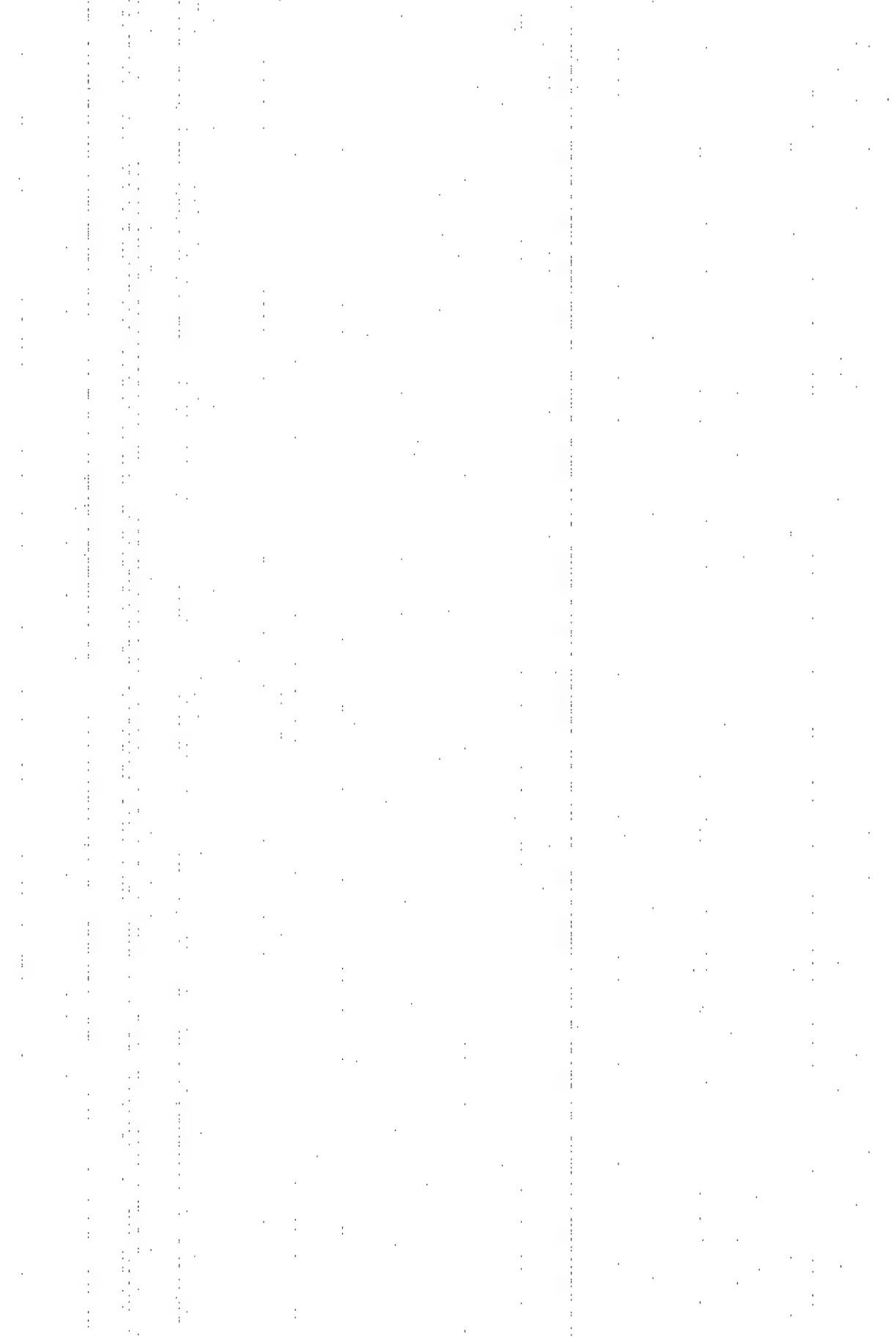
المعروفة بخمسة وعشرين وسبعمئة موافق العاشر من صايه أتا سيل بوادي مدينة قاس أول الليل منها لم يعهد قبله مثله ، فهدم السور وحمل الشباك وخرب الجنات وقلع الأشجار العظيمة وهدم القناطر والديار وخرب جزاء ابن برقوقة ودور الرصيف وبعض دور برزخ (٢٠٣) وسوق الصباغين وسوق الرصيف وهدم القنطرة الكبيرة التي عليها سوق باب السلسلة وهدم سوق الرميطة ، وكان جملة من هلك فيه من الناس المعروفين بأسمائهم دون من لم يعزف سبعمئة وثلاثين نفسا ، ومن الديار ألف دار ومئة دار ، ومن المساجد خمسة ، ومن الأرحاء ثمانية بيوت ، ومن الأفران اثنين ، ومن الحوانيت أربعة وتسعون حانوتا .

وفي شهر رجب من سنة خمس وعشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيداه الله تعالى ببناء القنطرة الكبرى التي عليها سوق باب السلسلة ، فبنيت وبنيت الحوانيت التي عليها من الجانبين ، وبني سوق الصباغين ، فعادت أحسن مما كانت ، وجاءت آية في الزمان نفعه الله بذلك وأجزل ثوابه .

وفيها أمر أمير المسلمين ببناء جامع جزاء ابن برقوقة وجامع السمارين فبنيا أتم بناء .

وفي سنة ست وعشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيداه الله تعالى ونصره ببناء القنطرة الأخر سوق الصباغين ، فشرع في بنائها يوم الأحد التاسع عشر لشعبان المكرم من السنة المذكورة ، نفعه الله تعالى بذلك وأبقا أيامه وخلد ملكه وأبداه ، وأمتع ببقائه المسلمين وأسعده ، ولازال سعده متصلا وملكه في ازدياد واعتلاء ، ماتعاقب الجديدان ، وأشرق النيران ، بمنه وطوله .

وصلا الله على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفى الكريم ، وعلى الله وصحبه أفضل الصلاة وأزكا التسليم ، والحمد لله رب العالمين .



الفهارس (1)

مكتبة جامعة القاهرة - قسم المخطوطات



- 1) فهرس موضوعات الكتاب
- 2) فهرس أسماء الرجال والنساء
- 3) فهرس أسماء الأجناس والقبائل والبطون والجماعات
- 4) فهرس أسماء الأقطار والبلاد والأمكنة
- 5) فهرس أسماء المصنفين

١) ترتيب الفهارس ترتيب الألفبائية المغربية وهي : أ - ب - ج - د - هـ - ز - ح - ط - ي - ك - ل - م - ن - س - ع - ف - ق - ش - و - ي .

فهرس موضوعات الكتاب

- هذا الكتاب ٥
- مقدمة المؤلف ١٢
- الخبر عن ملوك المغرب من الأدارسة الحسنيين وذكر قيامهم
وبنيانهم مدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم رضي الله عنهم ١٥
- الخبر عن بيعة الامام ادريس الحسني رضي الله عنه ٢٠
- الخبر عن دولة الامام ادريس بن ادريس الحسني رضي الله عنه ٢٥
- الخبر عن بناء الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنهما مدينة
فاس ، وذكر ماخصت به من الفضائل والمحاسن التي تفوق بها
جميع المغرب ٣٢
- الخبر عن دولة الأمير محمد ابن الامام ادريس بن ادريس الحسني
رضي الله عن جميعهم ٥١
- الخبر عن دولة الأمير علي بن محمد بن ادريس الحسني رحمهم
الله تعالى ورضي عنهم ٥٣
- الخبر عن دولة الأمير يحيى بن ادريس بن ادريس الحسني رحمهم
الله ٥٣
- الخبر عن جامع القرويين وصفته ، ومازيد فيه في كل زمان من
حين أسس الى وقتنا هذا وهو عام ٧٢٦ ٥٤
- الخبر عن بناء صومعة القرويين شرفها الله بذكره ٥٦
- الخبر عن خطباء القرويين في الدولة الموحدية والدولة المرينية
العبد الحقية اطلالها الله وخلصها ٧١

- ٧٦ - جامع الأندلس
- الخبر عن دولة الأمير علي بن عمر بن إدريس الحسني بمدينة
٧٨ فاس وأعمال المغرب
- الخبر عن دولة الأمير يحيى بن القاسم بن إدريس الحسني
٧٩ المعروف بالمقدم
- الخبر عن دولة الأمير يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس بن
٨٠ إدريس الحسني
- الخبر عن دولة الأمير الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس
٨٢ ابن إدريس الحسني المعروف بالحجام
- الخبر عن دولة موسى بن أبي العافية بفاس وكثير من أعمال
٨٣ المغرب
- الخبر عن دولة الأمير القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس
٨٧ ابن إدريس الحسني الملقب بكنون
- الخبر عن دولة الأمير أبي العيش أحمد بن القاسم كنون
٨٧ الحسني
- الخبر عن دولة الأمير الحسن بن كنون
٨٩
- الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب في أيامهم إلى انقضاءها
٩٦
- الخبر عن دولة زناتة المغراويين واليفرنيين بالمغرب وقيام
١٠٢ ملكهم
- الخبر عن دولة الأمير المعز بن زيري بن عطية المغراوي بفاس
١٠٨ وبلاد المغرب
- الخبر عن دولة الأمير حماسة بن المعز بن عطية الزناتى
١٠٩ المغراوي
- الخبر عن دولة الأمير تميم اليفرني بمدينة فاس وأعمالها وهي
١٠٩ الدولة الأولى لها

- الخبر عن دولة الأمير دوناس بن حمامة ١١١
- الخبر عن دولة الأخوين الأميرين الفتوح وعجيسة ابني الأمير
دوناس بن حمامة ١١١
- الخبر عن دولة الأمير معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن
زيري بن عطية المغراوي بمدينة فاس ١١٢
- الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب في أيام زناتة من مغراوة
وبنى يفرن وذلك من سنة ٣٨٠ الى سنة ٤٦٢ ١١٤
- الخبر عن ظهور الدولة المرابطية اللمتونية وقيامها بالمغرب والقبلة
وبلاد الأندلس وذكر ملوكهم ومدة أيامهم الى انقضائها وذهابها ١١٩
- الخبر عن دولة الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي وقيامه بأمر
صنهاجة ١٢٢
- الخبر عن دخول الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي صنهاجة وقيامه
بها مع لمتونة والمرابطين من قبائل صنهاجة ١٢٤
- الخبر عن دولة الأمير يحيى بن عمر بن تلاكين الصنهاجي
اللمتوني ١٢٧
- الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني المرابط ١٢٨
- الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين مجوس برغواطة وذكر مذهبيهم
السخيف وديانتهم الخسيصة ١٣٠
- الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عمر الصنهاجي اللمتوني ١٣٣
- الخبر عن دولة الأمير يوسف بن تاشفين اللمتونسي أمير المسلمين
وسيرته وغزواته ١٣٦
- الخبر عن جواز الأمير يوسف بن تاشفين الى الأندلس برسم
الجهاد وذكر غزاة الخلافة ١٤٥
- الخبر عن دولة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بالمغرب

- ١٥٧ - وبلاط الأندلس
- ١٦٥ - الخبر عن دولة أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الملقب بـ "الملك الناصر" رحمه الله
- ١٦٦ - الخبر عن سيرهم والأحداث التي كانت في أيامهم رحمهم الله تعالى بمكة وكرمه
- ١٧٢ - الخبر عن الدولة الموحدية الموحية وقيامها علي يد محمد بن تومرت المسما بالمهدي
- ١٧٨ - الخبر عن فتوحات المهدي وحروبه مع غنونة
- ١٧٩ - الخبر وفاته رحمه الله
- ١٨١ - الخبر عن صفته وسيرته وثبذ من أحواله
- ١٨٣ - الخبر عن الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي
- ٢٠٣ - الخبر عن صفته أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وسيرته وقضاه رحمه الله
- ٢٠٥ - الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي
- ٢٠٨ - الخبر عن بيعته وأيامه رحمه الله
- ٢١٦ - الخبر عن دولة أمير المؤمنين يعقوب ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي رحمه الله
- ٢٢٠ - الخبر عن غزاة الأراك وهزيمة الروم بها وهي غزاة المنصور الثانية بالأندلس
- ٢٣١ - الخبر عن دولة أمير المؤمنين محمد الناصر ابن يعقوب المنصور ابن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي رحمهم الله تعالى
- ٢٣١ - الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنصور بالله ابن محمد

الناصر بن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المؤمن ، بن علي
رحمهم الله ٢٤١

- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد المخلوع رحمه الله ٢٤٣

- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الله العادل ابن يعقوب المنصور
رحمه الله ٢٤٥

- الخبر عن دولة أمير المؤمنين يحيى بن محمد الناصر ومزاحمته
لعمه ادريس المامون ٢٤٧

- الخبر عن دولة أمير المؤمنين ادريس الملقب بالمامون ابن يعقوب
المنصور ٢٤٩

- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد الرشيد رحمه الله ٢٥٤

- الخبر عن دولة أمير المؤمنين علي السعيد رحمه الله تعالى ٢٥٦

- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عمر المرتضا ٢٥٨

- الخبر عن دولة ادريس الملقب بأبي دبوس آخر ملوك بني عبد
المؤمن رحمهم الله ٢٥٩

- الخبر عن الأحداث التي كانت في أيامهم من أولها إلى آخرها ٢٦٢

- الخبر عن الدولة السعيدة المرينية العبد الحقية اطلالها الله وخلق
ملكها ٢٧٨

- الخبر عن نسب مرين الصريح وحسبهم العالي الصحيح ٢٧٨

- الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السني المعجب ٢٨١

- الخبر عن دولة الأمير المبارك عبد الحق بن محيو بن أبي بكر
ابن حمامة ٢٨٤

- الخبر عن دولة الأمير عثمان بن عبد الحق ٢٨٧

- الخبر عن دولة الأمير أبي معرف محمد بن عبد الحق ٢٨٩

- الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عبد الحق رحمه الله ٢٩١

- الخبر عن دولة أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المريني ٢٩٧
- الخبر عن سيره الجليلة وما أثره الجفيلة ٣٠٠
- الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب إلى الأندلس يرسم الجهاد وهي أولا غزواته التي بلاد الشرك ٣١٣
- الخبر عن غزاة أمير المؤمنين يعقوب إلى درن نوئيودي لارا ٣١٦
- الخبر عن غزاة أمير المسلمين يعقوب رحمه الله في جـوازـه الأول ٣٢١
- الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله إلى الأندلس يرسم الجهاد وهو الجواز الثاني ٣٢٣
- الخبر عن غزاة أمير المؤمنين الرابعة ٣٢٥
- الخبر عن غزوة أمير المسلمين يعقوب رحمه الله وهي غزوة قرطبة ٣٢٦
- الخبر عن خروج أمير المسلمين إلى غزاة البرت ٣٣٩
- الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله إلى الأندلس وهو الجواز الرابع ٣٤١
- الخبر عن قدوم الأمير يوسف من العودة يرسم الجهاد ٣٥٠
- الخبر عن وصول الرهبان والأقسمة من الروم إلى حضرة أمير المسلمين يرغبون في الصلح ٣٥٨
- الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق عفا الله عنهم ورحمهم ٣٧٤
- الخبر عن حصار تلمسان حرسها الله تعالى ٣٨٦
- الخبر عن دولة أمير المسلمين عامر ابن الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يوسف ٣٨٩
- الخبر عن دولة أمير المسلمين سليمان ابن الأمير عبد الله ابن

٣٩٢

أمير المسلمين يوسف

- الخبر عن ملك الزمان ، وسراج الأوان ، الإمام السعيد ،

٣٩٥

والخليفة الرشيد ، أمير المسلمين أبي سعيد عثمان

- الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب من سنة ست وخمسين

٤٠٢

وستمئة إلى سنة ست وعشرين وسبعمئة

٤١٧

- فهرس

٤١٨

- فهرس موضوعات الكتاب

٤٢٥

- فهرس أسماء الرجال والنساء

فهرس أسماء الرجال والنساء

- أ -

- ابراهيم ابن الأغلب : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٧
 - ابراهيم ابن همشك : ١٩٦
 - ابراهيم بن اسحاق اللبتوني : ١٥٥
 - ابراهيم بن اسماعيل الهزرجي : ١٧٦
 - ابراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٦٥
 - ابراهيم بن عبد الجليل الونجاسي : ٣٨٩
 - ابراهيم بن عبد الله الكامل الحسنى : ١٥ - ١٦
 - ابراهيم بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣
 - ابراهيم بن عمران الفودودي (الوزير المريني) : ٣٧٥
 - ابراهيم بن عيسا الياباني : ٣٩٣
 - ابراهيم بن عيسا اليرنياني : ٣٨٩ - ٣٩٦ - ٤٠٠
 - ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم الكدالي : ١٢٢ - ١٢٤
 - ابراهيم بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨
 - ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي : ٢٠٦ - ٢١٤
 - ابن أبي البركات (مشرف مراكش) : ٣٧٩
 - ابن أبي زرع : أحمد : ٥ - ٦ - ٧٦
 - ابن أبي زرع : محمد : ٥ - ٦
 - ابن أبي زرع علي بن عبد الله (مؤلف القرطاس) : ٥ - ٦ - ٧
- ٨ - ١١

- ابن أبي طاطو ٢٩٥
- ابن أبي مدين : محمد (الكاتب) : ٣٧٥ - ٣٩٣ - ٣٩٦
- ابن أبي مدين : عبد الله (الكاتب) ٢٩٩ - ٣٧٥ - ٣٨٩ - ٣٩٣
- ابن أبي مطر ٣٧
- ابن أبي الصبر : انظر محمد ابن أيوب وابو يحيى ابن أيوب
- ابن أبي العافية : أبو الحسن : ٢٩٢
- ابن أبي عمارة (أحمد ابن أبي مرزوق) : ٤٠٦ - ٤٠٧
- ابن أبي قريش : ادريس (عامل قاس) : ٤١ - ٣٠٣
- ابن الأحمر : (محمد بن محمد بن يوسف) ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٠٩
- ٣١٣ - ٣١٥ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
- ٣٣١ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٧٣
- ٣٧٦ - ٣٧٨ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٧ - ٤٠٥
- ٤٠٦ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠
- ابن الأحمر : محمد المخلوع : ٣٨٧ - ٣٨٨
- ابن أزنك : يعقوب : ٣٩١
- ابن الأمين (عامل طنجة) : ٣١١
- ابن الأغلب : إبراهيم : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٧
- ابن الأقطس : ١٤٦ - ١٥٦
- ابن أسباط : أبو محمد (كاتب السلطان علي بن يوسف بن تاشفين) : ١٥٧
- ابن أشقيلولة : ٣١٥ - ٣١٩ - ٤٠٥
- ابن أشقيلولة : أبو اسحاق : ٣٢٣
- ابن أشقيلولة : أبو الحسن : ٤٠٥ - ٤٠٨
- ابن أشقيلولة : أبو محمد : ٣١٥ - ٣١٩ - ٣٢٣ - ٣٢٨

- ابن الأشيري : الحسن (الشاعر المؤرخ) : ١٨٥
- ابن باديس : ١٤٦
- ابن البان : ٨٧
- ابن برجان : عبد الرحمان ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٨
- ابن برجان : عبد الله بن عبد الرحمان : ٢٤٨
- ابن برون الأزدي : انظر علي بن محمد ابن برون الأزدي
- ابن بطلال : أبو الحكم : ١٩٥
- ابن البقال : أبو حامد (قاضي فاس) : ٣٧٥ - ٤٠٨
- ابن تاخميست : أبو عبد الله بن جرير : ٢٧٢
- ابن تافوت : أبوبكر بن ابراهيم : ١٦١
- ابن تسميت : أبو القاسم الأغماتي : ٢٠٥
- ابن جامع : أبو سعيد (حاجب الخليفة محمد الناصر الموحد) :
٢٣١ - ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٣٩
- ابن جامع : ادريس (وزير الخليفة عبد المؤمن الموحد) : ٢٠٥
٢٠٦
- ابن الجبر : محمد : ٢٨٣
- ابن الجد : أبوبكر : ١٩٢ - ٢٠٧
- ابن الجد : أبو عامر : ١٩٥
- ابن جدار : علي : ٣٥٠
- ابن جنون : أبو القاسم (المؤرخ) : ٥٥ - ٦٠ - ١٦٦ - ١٩٨
- ابن جشار (مشرف فاس) : ٢٩٥
- ابن الحاج : أبو عبد الله (والى قرطبة) : ١٥٧ - ١٥٩
- ابن الحاج : أبو القاسم : ١٩٢

- ابن حبوس (صاحب غرناطة) : ١٤٦ - ١٥٦
- ابن حبيش : ابوبكر الباجي : ١٩٤
- ابن الحرار : عبد الرحمان (الكاتب) : ٣٧٥
- ابن حرزهم : علي بن اسماعيل : ٢٦٥ - ٢٧٠ - ٢٧١
- ابن حزم : علي : ١١٦
- ابن حكم : يوسف (القاضي) : ٣٠٨
- ابن حمد : علي (خطيب مسجد القرويين) : ٦
- ابن حمدين : أبو القاسم : ١٦٤
- ابن حمدين : حمدين (أبو جعفر القاضي الثائر بقرطبة) : ١٧١
- ٢٦٢
- ابن حنيفة : عبد الملك العبد الوادي : ٣١٢
- ابن حوط الله : عبد الله : ٢٣٢
- ابن حيون : أبو مروان : ٧٣
- ابن الخبا : ٢٩٥
- ابن الخطيب : محمد السلماني الملقب بلسان الدين : ٥ - ٢٩٢
- ابن خلدون : عبد الرمان (المؤرخ) : ٥
- ابن الخشاب : ٢٠٨
- ابن ذي النون : ١٤٦ - ١٥٦
- ابن راشد : أحمد بن محمد : ٧٦
- ابن الربيب : أبو عبد الله (الكاتب) : ٢٩٩
- ابن رحو : ٣٩٤
- ابن ردمير : انظر القونسو الاول ملك اراكون
- ابن الرند : علي بن عبد العزيز المعروف بالطويل : ٢١٢

- ابن رشد : ١٦٤
- ابن رشد : أبو الوليد : ٢٠٧
- ابن رشيد : أبو علي الكاتب : ٣٧٥
- ابن رشيق المويسى (المؤرخ صاحب ميزان العمل) : ١٨٠ - ٢٥٨
- ابن زريق : ٢٦٢
- ابن زهر : أبوبكر : ٢٠٧
- ابن طفيل : أبو بكر : ١٩٤ - ٢٠٧
- ابن الكتانى : محمد بن علي بن عبد الكريم القندلاوى (صاحب المستفاد) : ٢٧٠
- ابن الكلبي : ١١٩
- ابن اللبانة : ١٥١
- ابن اللجى (شيخ الرماة بطليحة) : ٣١٢
- ابن الملقى : عبد الله (شيخ الطلبة) : ٢٦٨
- ابن مبارك : محمد : ٣٢٢
- ابن محفوظ : شعيب : ٢٧٦
- ابن محسود : عبد الله : ١١٦
- ابن محشرة : ٢٠٦
- ابن المرحل : مالك (الشاعر) : ٣٠٨ - ٣٧٦
- ابن مردنيس : محمد بن سعد : ١٩٣ - ١٩٦ - ٢٠٩ - ٢١١
- ٢٦٦
- ابن مرزوق : محمد بن أحمد (الخطيب) : ٥
- ابن مزين : ١١٥
- ابن مطروح (المؤرخ) : ١٧٢ - ١٨٧ - ١٩٦ - ٢٠٩ - ٢١٥

- ابن الملجوم : أبو القاسم : ٦٧
- ابن منقذ (صاحب شاطبة) : ١٥٦
- ابن منشأ : ٢٣١
- ابن مضا : أحمد القرطبي (القاضي) : ٢٠٦ - ٢١٦ - ٢٦٨
- ابن معطى : أبو عبد الله : ٢٦٩
- ابن معيشة : عبد الحق (قاضي فاس)
- ابن مسونة : محمد (أبو القاسم) : ٧٦ - ٧٧
- ابن النحوى : يوسف : ٣٣ - ٣٤
- ابن نمير : أبو محمد : ٧٤
- ابن صاحب الصلاة (المؤرخ صاحب المن بالامامة) : ١٨٠ - ١٨٤
- ١٩٦ - ٢٠٢
- ابن صمادح : معز الدولة (صاحب المرية) : ١٥٥ - ١٦٩
- ابن صناديد : أبو عبد الله : ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧
- ابن الصقر : أبو عبد الله : ٢٠٧
- ابن عائشة : داوود (القائد المرابط) : ١٤٢ - ١٤٦ - ١٤٧
- ١٤٨ - ١٥٦
- ابن عباد : اسماعيل : ١١٨
- ابن عبد الملك : محمد (القاضي) : ٣٧٥
- ابن عبد العزيز (صاحب مرسية) : ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٦
- ابن عجاج : علي : ٣٧١
- ابن العجوز : عبد الرحيم : ١١٨
- ابن عذارى : أحمد (المؤرخ) : ٧
- ابن العربى : أبو بكر : ١٩٠

- ابن عطوش (والى ازمور) : ٢٦٠ -
- ابن عطية : أحمد (الكاتب الوزير) : ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦
- ٣٠٤ - ٣٠٥
- ابن عمران : محمد (قاضي فاس) : ٢٩٨
- ابن عياش : عبد الملك : ١٩٤ - ١٩٦ - ٢٠٤ - ٢٠٦
- ابن غالب (المؤرخ) : ٤٢ - ٤٩
- ابن غالب : علي : ٢٧٠
- ابن غانية : ١٩١
- ابن غانية : علي المعروف بالميورقي : ٢٦٩
- ابن غانية : يحيى : ٢٦٣
- ابن الغليظ : محمد (الطبيب) : ٣٧٦ - ٣٩٦
- ابن الغليظ : علي بن محمد (الطبيب الوزير) : ٣٩٦
- ابن فرحون : ١٨٩
- ابن الفياض (المؤرخ) : ٩٤ - ١١٥
- ابن القزاز : علي بن أحمد (قاضي فاس) : ٢٩٨
- ابن القطان : علي : ٣٢٢
- ابن قشوش : محمد بن علي (عامل فاس) : ٩٢ - ١٠١ - ١٠٣
- ابن قشوش : علي : ١١٥
- ابن القواق : أحمد (الكاتب) : ٣٩٦
- ابن السعود : عمر (الوزير) : ٣٨١ - ٣٨٤
- ابن الشهيد : ٢٣١
- ابن هارون (الحاج الفقيه) : ٥٨
- ابن همشك : ابراهيم : ١٩٦

- ابن هود : ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٧٥ - ٢٧٦
- ابن هود : المتوكل على الله : ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦
- ابن وانودين : أبو علي : ٢٨٣
- ابن الودون : عبد الله : ٢٨٧
- ابن الودون : يوسف : ٢٨٧
- ابن يبورك : ٢٧٤
- أبو أمية الدلائى (قاضى فاس) : ٤٣ - ٢٩٨
- أبو اسحاق (الأمير) : ٤٠٦
- أبو برذاعة النصراني : انظر سانشو خيمينو
- أبوبكر ابن تافلوت : ١٢٢
- أبو بكر ابن الجد : ١٩٢ - ٢٠٧
- أبوبكر ابن حبيش الباجى : ١٩٤
- أبو بكر ابن زهر : ٢٠٧
- أبو بكر ابن طفيل : ١٩٤ - ٢٠٧
- أبوبكر ابن الطيب (القاضى) : ١٢٢
- أبوبكر ابن العربى : ١٩٠
- أبوبكر بن عبد الحق المريشى : ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٩ - ٢٧٧
- ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٩
- ٣٩٣
- أبوبكر بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٥٧ - ١٧٩
- أبو بكر بن عمر اللمتونى : ١١٨ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٢ - ١٣٣
- ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٥٦
- أبوبكر بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨ - ١٥٢

- ابوبكر بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي : ٢٠٦ - ٢١٢
- أبو بكر الصديق : ٣٦٥
- أبو البهار بن زيري بن مناد : ١٠٢ - ١٠٣
- أبو بياش (بطوت المقرائي) : ١٠٢
- أبو ثابت بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب المريني : انظر عامر ابن عبد الله المريني (السلطان)
- أبو جبل (يغلا الفاسي) : ١٧٠
- أبو جعفر المزدغى (قاضي فاس) : ٢٩٨
- أبو جعفر المنصور العباسي : ١٥ - ١٦
- أبو جهور (الشاعر) : ١٥١
- أبو الجيوش عساكر : ٢٣٦
- أبو حاتم العزفي : ٣٣١
- أبو حامد ابن البقال (قاضي فاس) : ٣٧٥ - ٤٠٨
- أبو الحجاج ابن قادس : ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩
- أبو الحكم ابن بطل : ١٩٥
- أبو الحكم هرمس : ١٩٤
- أبو الحسن ابن أبي العافية : ٢٩٢
- أبو الحسن ابن عطية : ٧١
- أبو الحسن المريني : انظر علي بن عثمان المريني
- أبو الحسن الصغير : ٣٩٤
- أبو الحسن القابسي : ١٢٢
- أبو خزر : يخلف الأوربي : ٢٩٨ - ٢٧١
- أبو الخليل بن عامر بن يحيى : ٣٨٢

- أبو ذر الخشنى : ٧٥
- أبو ديبوس الموحّد : انظر ادريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن
ابن علي الآخر خلفاء الموحدين
- أبو الربيع التلمساني : ٢٧١
- أبو زيان بن محمد بن عثمان بن يغمراسن بن زيان العبد الوادى :
٣٨٧ - ٣٩٠
- أبو زيان بن يعقوب بن عبد الحق المربني : ٣١٣ - ٣١٤ - ٣٢٨
٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٦٨ - ٣٧٣ - ٣٧٧ - ٣٨٥
- أبو زيان محمد بن عبد القوي التجيني (أمير تجين) : ٣١١-٤٠٥
- أبو زيد ابن يكيّت : ١٩٥
- أبو طالب مكي (صاحب السوق بقرطبة) : ١٦٨
- أبو الطيب سعد الكناني (الكاتب) : ٢٩٩
- أبو الليث الصفار : ٢٢٩
- أبو محمد ابن زيدان : ٦٢
- أبو محمد ابن حامد (الفقيه) : ١٣٧
- أبو محمد التادلي (قاضى فاس) : ٦٧
- أبو محمد عبد الحق : ١٩٤
- أبو محمد عبد الغفار (خطيب مسجد القرويين) : ٧٥
- أبو محمد القضاعى : ٧٤ - ٧٥
- أبو مدين (شعيب بن الحسين الانصاري) : ٢٧٠
- أبو مروان ابن حيون : ٧٣
- أبو مروان الونجاسى : ٤٠٣
- أبو مزكيدة (الثائر) : ١٩١

- أبو معرف المريني : انظر محمد بن عبد الحق المريني
- أبو موسا بن يعقوب المصور الموحد : ٢٧٥
- أبو عامر ابن الجذ : ١٩٥
- أبو عامر بن يوسف بن يعقوب المريني : انظر عبد الله بن يوسف المريني (الامير)
- أبو العباس (أمير موحد) : ٢٩٣
- أبو العباس الحميشي (الشاعر) : ٣٧٦
- أبو العباس الفشتالي : ٣٧٦
- أبو عبد الرحمان (الأمير المريني) : ٣٨٧
- أبو عبد الرحمان المغيلي (قاضي فاس) : ٢٩٤ - ٢٩٥
- أبو عبد الله ابن تاخميست : ٢٧٢
- أبو عبد الله ابن الربيب (الكاتب) : ٢٩٩
- أبو عبد الله ابن معطي : ٢٦٦
- أبو عبد الله ابن صناديد : ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧
- أبو عبد الله بن أبي بكر بن علي : ٣٩٦
- أبو عبد الله التاودي : ٢٦٦
- أبو عبد الله الدقاق : ٢٧٠
- أبو عبد الله المغيلي : ٣٤
- أبو عبد الله العمراني (الكاتب) : ٢٩٩
- أبو عبد الله الشريف (قاضي مراكش) : ٢٩٨
- أبو عبيدة : ١١٩
- أبو عثمان بن يخلف (صاحب محمد بن تومرت) : ١٧٦
- أبو عثمان الوريانلي : ٢٩٧

- أبو عطية بن يعقوب بن عبد الحق المريني : ٣٧٦
- أبو العلاء بن طلحة : ٤٠٢
- أبو علي ابن أبي الحسن (الفقيه) : ٦١
- أبو علي ابن أبي منديل العسكري (الوزير) : ٢٩٨
- أبو علي ابن وانودين : ٢٨٣
- أبو علي ابن رشيد (الكاتب) : ٣٧٥
- أبو علي بن رشيق المويسى (المؤرخ صاحب ميزان العمل) : ١٨٠
- أبو علي الملياني : ٢٧٨ - ٣٠٨
- أبو علي بن عامر بن عبد الله بن يعقوب المريني : ٢٩٠
- أبو علي بن يوسف ابن يزكاتن : ٣٤٣ - ٣٤٤
- أبو عمران (قاضي فاس) : ٦٨
- أبو عمران ابن عبد المؤمن بن علي : ٢٠٣
- أبو عمران القميمي : ٣٠٨
- أبو عمران التسولي : ٤١١
- أبو عمران الزرهوني (القاضي) : ٣٩٦
- أبو عمران القاسي : ١١٨ - ١٢٢ - ١٢٣
- أبو عيسا الترمذي : ٢٧٠
- أبو العيش ابن القاسم الادريسي : انظر أحمد بن القاسم كنون الادريسي
- أبو غالب المغيلي (القاضي) : ٦٨ - ٣٨٩ - ٣٩٤
- أبو الغمر : ١٨٨
- أبو فارس الكناسي : انظر عبد العزيز المزوزي
- أبو فارس العمراني (قاضي مراکش) : ٢٩٨ - ٣٧٥

- أبو الفتح التسولي (قائد موسى ابن أبي العافية) : ٨٤
- أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة (الكاتب) : ٢٠٦
- أبو القاسم ابن تسميت (من أهل أغمات) : ٢٠٥
- أبو القاسم ابن الحاج : ١٩٢
- أبو القاسم ابن حمدين (قاضي قرطبة) : ١٦٤
- أبو القاسم ابن الملجوم (ابن رقية) : ٦٧
- أبو القاسم (محمد) ابن مسونة : ٧٦ - ٧٧
- أبو القاسم ابن حميد : ٦٨
- أبو القاسم العزقي : ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٥
- أبو القاسم الشيعي : ٨٦
- أبو قرن (خادم علي ابن حرزهم) : ٢٦٥
- أبو سالم ابن يوسف المريني : ٢٩٠
- أبو سمير : ٣٤٤
- أبو سعيد (السلطان) : انظر عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني
- أبو سعيد ابن اسماعيل ابن الأحمر : ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٨ - ٤١٠
- أبو سعيد ابن جامع (حاجب الخليفة الموحد محمد الناصر)
٢٣١ - ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٣٩
- أبو شامة الجباس : ٧٧
- أبو شعيب (أيوب بن سعيد الصنهاجي دفين أزموور) : ٢٦٥
- أبو يحيى ابن أبي حفص : ٢٢٦ - ٢٢٧
- أبو يحيى ابن أيوب (أبي الصير) : ٣٨٣ - ٣٨٥
- أبو يحيى ابن تاشفين (صاحب قرطبة) : ١٦٣
- أبو يحيى ابن يكت (صاحب محمد بن تومرت) : ١٧٦

- أبو يحيى ابن يعقوب : ٣٨٥ - ٣٨٦
- أبو يحيى العتاد : ٦٢
- أبو يحيى القطرائى (عامل سجنماسة) : ٢٩٦ - ٢٩٧
- أبو يعزى اليزميرى (مولاي بوعزة) : ٢٦٧ - ٢٧١
- أبو يعقوب الأشقر (مولاي يعقوب) : ٣٩٨ - ٤٠٨
- أبو يوسف حجاج (القاضى) : ٢٦٧
- الأثير بن فطر بن يتلوتان اللمىونى : ١٢١
- أحمد بن أبى بكر الزناتى (عامل فاس) : ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٨٥
- ٨٦ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١
- أحمد ابن أبى زرع : ٥ - ٦ - ٧٦
- أحمد ابن الجبر : ٢٨٣
- أحمد بن محمد ابن راشد : ٧٦
- أحمد ابن مضا القرطبى (القاضى) : ٢٠٦ - ٢١٦
- أحمد ابن عطية (أبو جعفر) : ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦
- ٣٠٤ - ٣٠٥
- أحمد ابن القواق (الكاتب) : ٣٦٦
- أحمد بن أبى مرزوق المعروف بابن أبى عمارة : ٤٠٦ - ٤٠٧
- أحمد بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥١
- أحمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٨٢
- أحمد (أبو العيش) بن القاسم (كنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٨٧ - ٨٨ - ٨٩
- أحمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ٢٠٦
- أحمد الجيائى (العرىف) : ٧٧

- أحمد المقتدر (صاحب سرقسطة) : ١٦٨
- أحمد المقرئ (صاحب نفح الطيب) : ٥
- أحمد الفاضل الإدريسي الحسني : انظر أحمد (أبو العيش) بن القاسم (كتون) الإدريسي الحسني
- أحمد الملياني : ٣٨٥
- ادريس ابن أبي قريش (عامل فاس والغرب) : ٤١ - ٣٠٣
- ادريس ابن جامع (وزير عبد المؤمن) : ٢٠٥ - ٢٠٦
- ادريس بن ادريس بن عبد الله الحسني : ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨
- ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤٢
- ٤٤ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٤ - ٥٧
- ادريس بن ادريس الثاني بن ادريس بن عبد الله الكامل الحسني ٥١
- ادريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن بن علي الكومي (أبو دبوس الآخر خلفاء الموحدين) : ٤٠٢
- ادريس بن عبد الله الكامل الحسني : ١٣ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨
- ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٩٢ - ٩٤
- ادريس بن عمر بن ادريس الثاني الحسني : ٥٢ - ٨١
- ادريس (المأمون) بن يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة الموحد) : ٢١٦ - ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٦
- ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥١ - ٢٥٤ - ٢٧٤ - ٣٧٥
- ادريس بن عبد الحق المريني : ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٧٧ -
- ٢٨٦ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦
- ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦
- الأزدي : عمير بن مصعب : ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١
- أكلثوم الأحول (قائد مرابطي) : ١٧٧

- البار رودريكينز (الأقرع النصراني) : ١٩٦
- البار فانييث : ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٦٢
- الفونسو الأول ملك أراكون (ابن رذمير) : ١٤٥ - ١٤٧ - ١٦٢
- ١٦٣
- الفونسو الثامن ملك قشتالية : ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢ - ٢٢٨
- ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٥٥
- الفونسو الثاني ملك البرتغال : ٢٤٣ - ٢٧٣
- الفونسو العاشر : ٣٠٩ - ٣١٦ - ٣٢٣ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
- ٣٣٠ - ٣٣٤ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- الفونسو السابع ملك قشتالية (السلطان) : ١٩٣
- الفونسو السادس (ملك قشتالية) : ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦
- ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٥
- ١٦٠ - ١٦٨
- أمة الله بنت أبي اسحاق بن عبد المومن (أم الخليفة محمد
الناصر) ٢٣١
- أم البنين فاطمة بنت محمد الفهرى القيرواني : ٥٥
- أم العز بنت محمد بن حازم العلوى والدة السلطان يوسف بن
يعقوب المريني : ٣٤٠ - ٣٧٤ - ٤٠٧
- أم اليمن بنت علي البطيوى الزناتى أم السلطان يعقوب المريني ٢٩٧
- أفريقش الحميري : ١١٩
- الأقرع النصراني : انظر البار رودريكينز
- اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي : ١٩
- اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٨٩
- اسحاق بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي : ٢٠٦

- اسماعيل ابن عباد : ١١٨
- اسماعيل بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣
- الأوربي : اسحاق بن محمد بن عبد الحميد : ١٩
- الأوربي : داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر : ٢٦
- الأوربي : يخلق بن خزر (أبو خزر) : ٢٦٨ - ٢٧٥
- أيوب بن سعيد الصنهاجي : انظر أبو شعيب الصنهاجي دفين أزمور

- ب -

- الباجي : أبو الوليد : ١٧١
- باديس بن منصور بن بلكين : ١٠٧
- بتس دي لأكروا : ٨
- بر بن قيس عيلان : ٢٧٩ - ٢٨٠
- البرمكي : يحيى بن خالد : ٢١ - ٢٢
- البرنسي (المؤرخ) : ٢٤ - ٢٨ - ٣٨ - ٥٠ - ٦٦ - ١٨٠ - ١٨٨
- ١٩٨
- البرهانس : انظر الفار فانيث
- بنو بنت عثمان بن محمد بن عبد الحق المريني : ٣٨٩
- بطي بن اسماعيل (قائد مرابطي) : ١٥٤
- البطيوي : عبد الرزاق : ٣٥٠
- بكار ابن ابراهيم (عامل فاس) : ١٣٩
- البكري : أبو عبيد : ٢٤ - ٢٨
- بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي : ٩٦ - ٩٣ - ١٠١

- البهاء بنت دهمان : ٢٧٩
- بهلول بن عبد الواحد المدغرى : ٢٦ - ٢٧
- البياسى : انظر عبد الله بن محمد بن ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي

- ت -

- تاليت عمة حاميم المتنبي الغمارى : ٩٩
- تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب المرينى : ٣١٤ - ٤٠٦
- تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتونسى : ١٥٧ - ١٦٤
- ١٦٥ - ١٦٦ - ١٨٨
- تاشفين بن يعقوب الوطاسى : ٣٩٣
- تجاليدن الهسكورى : ٢٢٥
- التجينى : أبو زيان محمد بن عبد القوي (أمير تجين) : ٣١٠-٣١١
- تكاتيون بنت مناد أم المعز بن زيرى بن عطية المقرأوى : ١٠٨
- تماضر بنت قيس عيلان : ٢٨٠
- تميم بن الأثير اللمتونسى : ١٢١
- تميم بن بلكين (صاحب مالقة) : ١٥٤
- تميم بن زيرى بن يعلا اليفرنى الزناتى : ١٠٩ - ١١٠
- تميم بن معنصر : ١١٣ - ١١٤ - ١٤٠
- تميم بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨ - ١٤٢ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠
- ١٦٣ - ١٦٤
- تميم الصنهاجى صاحب المهدية : ١٤٩
- التميمى : أبو عمران : ٣٠٨

- ث -

- ثعلبة بن محارب بن عبد الله : ٧٩

- ج -

- جرمون بن رياح : ٢٧٥ - ٢٢٦

- الجزنائي : علي : ٥ - ٦

- جزماق (قائد الاسطول القشتيلي) : ٤٠٠

- جعفر بن ادريس بن ادريس الحسني : ٥١

- جورجي الأنطاكي : ١٩٧

- جوهر الرومي : ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ١٠٠

- ح -

- الحاج القاهرتي : ٤٠٢

- الحاج الكافر : انظر علي بن غازی بن محمد ابن عانية

- الحاج الكافي : انظر علي بن غازی بن محمد ابن عانية

- الحاج المسعود (عامل مراکش) : ٣٧٠

- حامد بن حمدان الهمداني : ٥٥ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥

- حاميم المتنبي الغماري : ٩٨

- حباب أم الخليفة الموحد عبد الواحد الرشيد : ٢٥٤

- حجاج بن يوسف القاضي : ٢٠٣ - ٢٠٥ - ٢٠٦
- الحدودى : انظر محمد الحدودى وعلي الحدودى
- الحكم بن هشام المروانى : ٤٧
- الحكم المستنصر المروانى : ٩١ - ٩٣ - ١٠١
- حماسة بن المعز بن عطية المقرائى : ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠
- حمزة بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥٥
- حميد بن يصيلتين الكفامى : ٨٤ - ٨٥
- حنة اليهودية : ٧٧
- الحسن بن أبى العيش بن عيسا بن ادريس بن سليمان بن عبد الله الكامل : ٨٤
- الحسن بن معاوية : ١٦
- الحسن بن عبد المومن بن علي الكومى : ٢٠٣ - ٢٦٧
- الحسن بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى : ١٦
- الحسن بن علي الصنهاجى : ١٩٧ - ١٩٨
- الحسن بن القاسم (كنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى : ٨٩ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥
- الحسن بن قاسم اللواتى (عامل فاس) : ٨٥ - ٨٦ - ٨٧
- الحسين بن عبد المومن بن علي : ٢٠٣
- الحسن الحجام بن محمد بن قاسم بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٨١ - ٨٢ - ٨٣
- حسن حسنى عبد الوهاب الصمادى : ٤٠٣ - ٤٠٤
- الحيونى (القاضى) : ٦٧

- خ -

- خالد بن الوليد : ١٩٠

- خوسى دى سائطو انطونيو : ٨

- د -

- داوود بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥١

- داوود ابن عائشة (القائد المرباط) : ١٤٢ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨

١٥٦

- داوود بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣

- داوود بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب الميرنى : ٣٨٢

- دراس بن اسماعيل : ٣٧ - ١٠١

- دوتاس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوى : ٤١ - ٤٣ - ١١٠

١١١ - ١١٧

- دون فونيو دى لارا : ٣١٦ - ٣١٨ - ٤٠٥

- ذ -

- ذننه : انظر دون فونيو دى لارا

- ر -

- راشد مولا ادريس بن عبد الله الكامل الحسنى : ١٧ - ١٨
- ١٩ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨
- رباب زوجة عمر بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥٢ - ٥٣
- رباح بن عثمان المرى (عامل المدينة المنورة) : ١٦
- ربيع بن سليمان : ٧٩
- رذمير : ١٦١
- الرنداحي (قائد الأسطول) : ٤٠٦
- رقية بنت اسماعيل بن عمير الأزدي : ٥٢
- رقية بنت يوسف بن تاشفين : ١٣٨
- الرشيد (الخليفة الموحد) : انظر عبد الواحد
- روجار الثاني (ملك صقلية) : ١٩٧
- ريحان المكناسي (عامل قاس) : ٨١ - ٨٢

- ز -

- زانات بن جانا : ٢٧٩
- الزبير بن بكار : ١١٩
- زكرياء بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢١٨
- الزند غرسية : ٣٥٨
- زيانة أم السلطان سليمان المرنى : ٣٩٢
- زيرى بن عطية المغراوى : ٥ - ٩٢ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣
- ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٦
- زينب بنت اسحاق الهوارى : ١٣٤ - ١٣٨

- زينب بنت القاسم الجعدى : ٥٢ -

- ط -

- طلحة بن محلي : ٤٠٧
- طلحة بن علي (الحاج) : ٣٥٦
- طلحة بن علي البطيوى (هل هو المتقدم ؟) : ٣٢١ - ٣٧٧ - ٣٧٨
- ٤٠٣
- طوال بن أبى يزيد (عامل فاس) : ٨٤
- طورنبرك : ٨

- ك -

- كانون بن جرمون السفينانى : ٢٥٤
- الكنانى : أبو الطيب سعد : ٢٩٩
- الكنانى : محمد (الكاتب) : ٢٩٩ - ٣٨٥
- كندوز بن عثمان (خليفة السلطان بمراكش) : ٤٤٠
- كنزة زوجة ادريس بن عبد الله الكامل : ٢٥ - ٥١
- كونة بنت يوسف بن تاشفين : ١٣٨
- كوندى : ٨

- ق -

- كنون : انظر القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الصفي

- ل -

- لقمان المغراوي : ١٠١

- لقوط بن يوسف بن علي المغراوي : ١٢٩

- لويس التاسع ملك فرنسا : ٤٠٣ - ٤٠٤

- ليفي بروقانصال : ٧

- م -

- مادغيس الأبتز : ٢٨٠

- مالك ابن المرحل السبتي (الشاعر) : ٣٠٨ - ٣٧٦

- مالك بن أنس (الامام) : ٢٩

- المامون ابن المعتمد ابن عباد : ١٥٤

- المامون الموحد : انظر ادريس بن يعقوب (المنصور) بن يوسف

ابن عبد المؤمن بن علي الكومي (ال خليفة الموحد)

- المتنبي : ٢٨١

- المتوكل العباسي : ٣٨٢

- محارب ابن عبيد الأزدي : ٧٩

- محمد ابن أبي زلفي : ١٥٨ - ١٧٠

- محمد ابن أبي مدين (الكاتب) : ٣٧٥

- محمد (المنصور) ابن أبي عامر : ٥٨ - ٩٤ - ١٠٢ - ١٠٣

- محمد ابن أبى عمران (قاضى فاس) : ٢٩٨
- محمد ابن أبى القاسم الرجراجى (قائد البحر) : ٣٧٣
- محمد ابن أبى شعيب (قاضى فاس) : ١١٧
- محمد بن يوسف ابن الأحمر : ٢٧٥
- محمد ابن اصبع المعروف بلين مناصف : ١٦٨
- محمد ابن تيفاوت (تارشنا) الممتونى : ١٢١ - ١٢٢
- محمد ابن الحاج : ١٦٠ - ١٦١
- محمد ابن داوود (قاضى فاس) : ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣
- ٦٧
- محمد ابن الطلاع : ١٦٩
- محمد ابن مزدلى : ١٦٢
- محمد (أبو القاسم) ابن مسونة : ٧٦ - ٧٧
- محمد ابن المولى : ٣٧
- محمد ابن عائشة (قائد مرابط) : ١٥٥ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٩
- محمد ابن عباد (القاضى المعتضد) : ١٦٧
- محمد ابن عيد الملك (قاضى مراکش) : ٣٧٥
- محمد ابن عطا الجاناتى (الوزير) : ٣٤٢ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٦
- محمد ابن عمران (الوزير) : ٣٤٢
- محمد ابن الغليظ الاشبيلى (الطبيب) : ٣٧٦
- محمد ابن فاطمة (قائد مرابط) : ١٦٢
- محمد بن ابراهيم بن القاسم بن ادريس الحسنى : ٨٤
- محمد بن ابراهيم المهدوى : ٢٧٠
- محمد بن أحمد الخولانى (العريف) : ٦٣

- محمد بن سعد ابن مردنیش : ٢١١
- محمد ابن فرج : ١٦٩
- محمد بن علي ابن قشوش (عامل فاس) : ٩٢ - ١٠١
- محمد بن ادريس بن ادريس الحسنی : ٥١ - ٥٢
- محمد بن ادريس بن عبد الحق المزينی : ٣٠٨ - ٣٧٧ - ٤٠٤
- محمد بن ابي اسحاق : ٢١٢
- محمد بن أيوب (أبي الصبیر) : ٥٧ - ٦٥ - ٦٧ - ٧١ - ٧٦
- ٣٧٥ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- محمد بن تميم الجدالی : ١٣٨
- محمد بن تومرت (مهدی الموحدين) : ١٦٧ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٧
- ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٤ - ١٨٥
- محمد بن ثعلبة بن محارب بن عبيد الازدی : ٨٤
- محمد بن حسن بن زیادة الله المزينی (خطیب مسجد القرويين) ٧٢
- محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانی : ١١٩
- محمد بن خزر بن صولات المقراوي : ٢١
- محمد بن الخير بن محمد اليفرنی (عامل فاس) : ٨٨
- محمد بن زیادة الله المزينی : ٧٦
- محمد بن الطيب العلمی : ٥
- محمد (أبو القاسم) بن محمد بن يوسف المزدغی : ٧٥ - ٧٦
- محمد بن منغفاد التماری : ٢٢٥
- محمد بن مقاتل العکي : ٢٧ - ٢٨
- محمد بن ميمون النهواری (قاضي فاس) : ٧٢
- محمد بن عامر المكناسی (عامل فاس) : ١٠١ - ١٠٢

- محمد بن عبد الرحمان بن اليحکم : ٩٧
- محمد بن عبد الرحمان الشلبى (خطيب مسجد القرويين) : ٧٥
- محمد (النفس الزكية) بن عبد الله الكامل الحسنى : ١٥
- محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى ابن أبى العافية : ٨٦
- محمد بن عبد الله بن هود (الثائر) : ١٩٠
- محمد بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ١٩٤ - ١٩٥ - ٢٠٢
- ٢٠٩ - ٢٥١
- محمد بن عبد القوي التجياني : ٣١٠ - ٣١١
- محمد بن علي بن أبى بكر الليلى : ٣٩٦
- محمد بن عمر بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥٢
- محمد (أبو الفضل) بن يحيى بن محمد المزدغى : ٧٦
- محمد بن يوسف المزدغى : ٧٥ - ٧٦
- محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى (الخليفة الموحد) : ٤٠ - ٤٢ - ٤٧ - ٤٩ - ٧٣
- ٧٤ - ٧٦ - ٧٧ - ٩١ - ٢١٦ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣
- ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٣١ - ٢٤٢
- محمد بن الفتح الخارجي : ٩٠ - ٩١
- محمد بن القاسم : ٩١
- محمد بن يحيى المستنصر الحفصى : ٢٥٦ - ٤٠٣
- محمد (أبومعرف) بن يعقوب بن عبد الحق المرينى : ٢٨٩ - ٢٩٠
- ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٥١ - ٣٧٧
- محمد بن يوسف (والى قرطبة) : ٢١٩
- محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ٢٠٦
- محمد البورى (عامل تلمسان المرباط) : ١٦٦

- محمد المقبلي (الكاتب - قاضي فاس) : ٣٧٥
- محمد العمراني (الكاتب) : ٣٧٥
- محمد السنقطي (قاضي مراكش) : ٣٧٥
- محيو ابن أبي حمامة : ٢٢٥
- مخلد بن كيداد (أبو يزيد) : ٨١ - ١٠٠
- مخلوف بن هنو الهسكوري : ٣٩١
- مدرك التللكاني : ١٣٨
- مدين بن موسي ابن أبي العافية : ٨٤ - ٨٥
- المرتضا الموحّد : انظر عمر
- مرزوغ الصنهاجي (الثائر) : ٢٠٩ - ٢٦٤
- مرقسيل (قائد الروم) : ٢٥٤
- مريم بنت محمد الفهري القروي (بانية مسجد الأندلس بفاس) ٥٥
- مرين بن ورتاجن (جد بني مرين) : ٢٧٨
- مزدي (قائد مرابطي) : ١٤٣ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٨
- المزدغي : أبو جعفر (قاضي فاس) : ٢٩٨
- المزدغي : محمد بن يحيى بن محمد : ٧٦
- المزدغي : محمد بن يوسف
- المزدغي : يحيى (أبو الحسن) بن محمد : ٧٦
- المظفر : انظر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر (الحاجب المظفر)
- المكيدى (القاضي) : ٢٥٢
- الملوّزي : انظر عبد العزيز الملوّزي (الشاعر)
- الملك الأشرف : ٤٠٨
- الملند الرومي : ٤٠٦

- الملباني : أبو علي : ٢٧٨ -
- الملباني : أحمد : ٣٨٥ -
- منادر البربري : ٨٨ -
- منديل الكتاني (الكاتب) : ٣٩٦ -
- منديل المقرأوى : ٢٢٥ -
- المنصور ابن أبي عامر : انظر محمد ابن أبي عامر (المنصور) -
- منصور ابن حنزون : ٢٥٧ -
- منصور بن بلكين : ١٠٢ - ١٠٣ -
- منصور بن عبد الواحد بن عبد الحق المزيني : ٣٤٣ - ٣٤٨ -
- ٣٤٩ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٨١ -
- منهل بن موسى ابن أبي العافية : ٨٢ - ٨٣ -
- مصالة بن خبوش : ٨٠ - ٨١ -
- المعتمد ابن عباد : ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ -
- ١٤٨ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٧ - ١٦٩ -
- معد بن اسماعيل العبيدي : ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ -
- المعز بن عطية المقرأوى : ١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٦ -
- ١١٧ - ١١٨ -
- المعز بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨ - ١٤٤ -
- معلا بن يعلا المقرأوى : ١٤٣ -
- معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن عطية المقرأوى : ١١٢ - ١١٣ -
- معنصر بن المعز بن عطية المقرأوى : ١٠٨ - ١١٧ -
- المقرأوى : محمد بن خزر بن صولات : ٢١ -
- المغيلي : أبو عبد الرحمان (قاضي فاس) : ٢٩٤ - ٢٩٥ -

- المغيلي : أبو عبد الله : ٣٤
- المغيلي : علي : ٣٠٨
- المقرئ : أحمد : ٥
- المستعين ابن هود : ١٤٤
- مسعود بن سلطان الرياحي (أبو مسعود) : ٢١٢
- مسعود ابن وانودين المقرأوي : ١٢٧ - ١٢٨
- مسعود بن كانون السفيناني : ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٤ - ٣٣٧
- ٣٧٨ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- مسعود بن يوسف بن يعقوب المريني : ٤٠٣
- المهدي بن كلانو ابن توالى : ١١٩
- مهدي بن عيسا (خطيب مسجد القرويين) : ٦٢ - ٧١
- المهدي بن يوسف الجزنائي (صاحب مكناسة) : ١٤٠
- مهلهل بن يحيى الخلطي : ٣٤٥
- موسى ابن أبي العافية : ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥
- ٨٦ - ٨٧ - ٩٨ - ١٠٠
- موسى بن تمارا (صاحب محمد بن تومرت) : ١٧٦
- موسى بن حسن ابن أبي شامة (المهندس) : ٦٤
- موسى بن رحو بن عبد الحق المريني : ٣٠٨ - ٤٠٤
- موسى بن عبد الله الكامل الحسنى : ١٥
- موسى بن عبد الله ابن سداب : ٦٩ - ٧٠
- موسى بن عيسا بن عمران (قاضي يعقوب المنصور) : ٢١٦
- موسى بن سعيد (قائد موحد) : ١٨٩
- موسى بن سهل ؟ (قاضي عبد المؤمن) : ٢٠٥

- موسى بن يحيى الصديقي : ١١٦
- موسى بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي : ٢٠٦
- موسى المعلم (خطيب مسجد القرويين) : ٧٢ - ٧٣ - ٧٥
- ميمون بن علي ابن حمدون : ١٩٣
- ميمون الهواري (كاتب عبد المومن) : ٢٠٥
- ميسور الفتا (قائد أبي القاسم الشيعي) : ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٩٩
- الميورقي : علي ابن غانية : ٢٦٩
- الميورقي : يحيى بن اسحاق بن محمد ابن غانية : ٢١٨ - ٢١٩

- ن -

- الناصر الموحد : انظر محمد الناصر ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي (ال خليفة)
- نزار بن معد القاطمي : ٩٣

- ص -

- صالح ابن حجاج (الكاتب) : ٣٩٦
- صالح بن طريف البرغواطى : ١٣٠٠
- صالح بن عبد الحليم : ٥
- صالح بن عمران (قائد مرابط) : ١٤٢ - ١٤٣
- الصحراوي (المرباط) : ١٩١
- صخر بن مسعود البناي : ٦٢ - ٦٣

- الصديقي : موسى بن يحيى : ١١٦
- صفية أم أبي بكر بن عمر الملقبوني : ١٣٣
- صفية بنت محمد بن سعد ابن مردنيش (زوجة يوسف بن عبد المومن) : ٢١٢ - ٢٤٩
- صفية بنت عبد المومن بن علي الكومي : ٢٠٣
- صولات بن وزمار العفري : ٨٨

- ض -

- ضوء الصباح أم تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٦٥

- ع -

- عائشة بنت أبي عطية مهلهل بن يحيى الخطي أم السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني : ٣٩٥
- عائشة بنت عبد المومن بن علي الكومي : ٢٠٣
- عائشة بنت القاضي موسى التميمي (زوجة عبد المومن) : ٢٠٥
- عائكة بنت علي بن عمر بن ادريس الحسني : ٧٧ - ٧٨
- العادل الموحد : انظر عبد الله بن يعقوب المنصور (السلطان)
- عامر ابن القاسم (قاضي فاس) : ١١٥
- عامر بن ادريس بن عبد الحق المريني : ٣٠٣ - ٤٠٣
- عامر بن محمد بن سعيد القيسي : ٢٧ - ٣٢
- عامر بن عبد الله بن يوسف المريني (السلطان أبو ثابت) : ٧٧

- عبد الرحمان بن قاسم الشعبي المالقي : ١٦٩
- عبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي : ٣٩٣ - ٣٩٤
- عبد الرحمان بن يوسف بن عبد المؤمن : ٢٠٦
- عبد الرحمان الغرابلي : ٣٦٤
- عبد الرحمان الناصر المرواني : ٥٥ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٨ - ١٠٠
- عبد الرحيم ابن العجوز : ١١٧ - ١١٨
- عبد الرزاق البطيوي : ٢٥٠
- عبد الرزاق الفهري الخارجي : ٧٨ - ٧٩
- عبد الكريم بن ثعلبة : ٩٢ - ١٠١
- عبد الكريم بن عيسا : ٣٨٥ - ٤١٠
- عبد الله ابن ابراهيم بن موسا ابن أبي العافية : ٨٦
- عبد الله ابن أبي حفص : ٢٠٠ - ٢٤٢
- عبد الله ابن أبي مدين العثماني (الكاتب) : ٢٩٩ - ٣٧٥
- عبد الله ابن اشقيلولة : ٤٠٥
- عبد الله ابن جبل (كاتب عبد المؤمن) : ٢٠٥
- عبد الملك ابن حنينة العبد الوادي (عامل سجلماسة) : ٣١٢
- عبد الله ابن حوط الله : ٢٣٢
- عبد الله ابن المالقي (شيخ طلبة الحضرة) : ٢٦٨
- عبد الله ابن محسود الهواري : ١١٧
- عبد الله ابن الودون : ٢٨٧
- عبد الله بن أبي عبيد محمد بن مقلد بن اليسع بن صالح بن طريف : ١٣٢
- عبد الله بن ادريس بن ادريس الحسني : ٥١

- عبد الله بن بكر (صاحب جيان) : ١٥٦
- عبد الله (عبود) بن ثعلبة بن محارب الأزدي : ٧٩ - ٨٤
- عبد الله بن حسن الجوهرى : ١٧٠
- عبد الله بن مالك المالكي الأنصارى : ٢٧ - ٣٢
- عبد الله بن محمد ابن قاطمة : ١٦٠
- عبد الله (البياسى) بن محمد بن ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن
ابن على الكومى : ٢٤٦ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥
- عبد الله بن مزدلى : ١٦٢ - ١٦٣
- عبد الله بن موسى المعلم : ٦٦ - ٧٣
- عبد الله بن ميمون القرطبي (القاضى) : ٢٠٥
- عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم : ٧
- عبد الله بن عبد الرحمان ابن بركان : ٢٤٨
- عبد الله بن عبد المؤمن : ١٩٤ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٨ - ٢٠٩
- عبد الله بن علي الفارسي (خطيب مسجد القرويين) : ٥٥
- عبد الله بن عمر بن ادريس الثانى : ٥٢ - ٥٣
- عبد الله بن قاسم ازوار : ٤١٢
- عبد الله بن سليمان : ١٩٤
- عبد الله بن ياسين الجزولسى : ١١٩ - ١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦
- ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣
- عبد الله بن يعقوب المرينى : ٣٠٣ - ٤٠٢
- عبد الله (العدل) بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن
ابن علي الكومى (الخليفة الموحد) : ٤٩ - ٢١٦ - ٢٤٢ - ٢٤٤
- ٢٤٥ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٥٠ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٨٤
- عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى (أبو عامر) :

٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٢ - ٤٠٨

- عبد الله بن يوسف بن عبد المؤمن : ٢٠٦
- عبد الله الأشتر بن محمد النفيس الزكية الحسنى : ١٦
- عبد الله البجلي الرافضى : ١٢٩
- عبد الله البشير (صاحب محمد بن تومرت) : ١٧٦ - ١٧٧
- عبد الله الزرهوني (الحاجب) : ٣٨٩
- عبد الله العباسى : ١٣٨
- عبيد الله المعتزلى : ١٣٠
- عبيد الله الشيعى : ٥٥ - ٨٠ - ٨٥ - ١٢٩
- عبد الملك ابن بيضاء القيسى (قاضى فاس) : ٦٢
- عبد الملك ابن عياش : ١٩٤ - ٢٠٤ - ٢٠٦
- عبد الملك بن محمد ابن أبى عامر (الحاجب المظفر) : ٥٨ - ٩٤
- ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٦
- عبد الملك بن قاسم القرطبي : ٢٠٧
- عبد الله الفشتالى : ٢٦٣ - ٢٩٦
- عبد الملك الوراق : ٤٢ - ٥٠
- عبد المهيمن الحضرمى : ٣٩٦
- عبد المؤمن بن علي الكومى (أول خلفاء الموحدين) : ٤٠ - ٤٢
- ٦٢ - ١٦٥ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٤
- ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩ - ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٥ - ١٩٩
- ٢٠٠ - ٢٠٤
- عبد المؤمن بن يوسف بن يعقوب المرينى : ٣٨٣ - ٤٠٩
- عبد العزيز الملووزى (الشاعر) : ١١٩ - ٢٨٠ - ٢٨٢ - ٣٠٠
- ٣٠٣ - ٣٠٨ - ٣٦٤ - ٣٧٦ - ٣٨٤ - ٣٨٥

- عبد العزيز (أخو المهدي بن تومرت) : ١٩٥ -
- عبد العزيز بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦ -
- عبد العزيز العمراني (أبو فارس - قاضي مراکش) : ٢٩٨ - ٣٧٥ -
- عبد السلام بن محمد الكومي (وزير عبد المؤمن بن علي) : ٢٩٦ - ٢٠٠ - ٢٠٥ -
- عبد الواحد بن أبي بكر ابن أبي حفص : ٢٣٣ -
- عبد الواحد (الرشد) بن إدريس (المأمون) بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة الموحد) : ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٧٦ - ٢٧٧ -
- عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق المريني : ٢٠٦ - ٢٤٣ - ٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ -
- عبد الواحد (المخلوع) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة الموحد) : ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٨ - ٢٧١ -
- عبد الواحد الحضري : ١٧٦ -
- عبد الواحد السكسيوي : ٤٠٦ -
- عتيق (حاجب يعقوب المريني) : ٢٩٩ - ٣٧٥ -
- عثمان بن عبد الحق المريني : ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ -
- عثمان بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٦ - ١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٠٩ -
- عثمان بن علي بن إدريس المريني : ٣٨٩ - ٣٩٢ - ٣٩٣ -
- عثمان بن عفان : ٢٥٠ - ٣٦٥ -
- عثمان بن عيسا اليرنياني : ٣٦٤ -
- عثمان بن يعقوب المريني (السلطان أبو سعيد) : ٣٩٩ - ٤٠٠ -
- عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (السلطان أبو سعيد)

٨ - ١٢ - ١٢٨ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٤١١ - ٤١٤

- عثمان بن يغمراسن بن زيان : ٣٧٩ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧

- عثمان السلالجي : ٢٦٦

- عجاج الاستجي : ٣٤٧

- عجيسة بن دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المقرابي : ٤٢

٤٣ - ١١١ - ١١٢

- عدى بن همو الهسكوري : ٣٩٩

- العزقي : أبو القاسم : ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣

- عطية ابن عطية : ٢٠٤

- العكي : محمد بن مقاتل : ٢٧ - ٢٨

- العلمي : محمد بن الطيب : ٥

- علون : ٣٩

- علي والد عبد المؤمن : ١٨٣

- علي ابن جدار : ٣٥٠

- علي ابن الحاج : ٧٥

- علي ابن الحاج (المهندس) : ٤٠٦

- علي ابن حرزهم : ٢٦٥ - ٢٧٠ - ٢٧١

- علي ابن حزم : ١١٦

- علي ابن حمد : ٧٦

- علي ابن عجاج : ٣٧١

- علي ابن غانية المعروف بالميورقي : ٢٦٩

- علي ابن القزاز (قاضي فاس) : ٢٩٨

- علي بن أبي بكر المليلي (قاضي تلمسان) : ٣٧٦

- علي بن أبي زريحة : ٢٨٥ - ٢٩٢
- علي بن أبي طالب : ٢١ - ٢٦
- علي بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥١
- علي (السعيد) بن ادريس بن يعقوب المنصور (الخليفة الموحد) :
٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٧٥ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٧
- علي بن حمود الحسنى : ٩٣ - ٩٤
- علي بن محمد النفس الزكية : ١٦
- علي بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى (السلطان) : ٥٣
- علي بن محمد بن يرون الأزدي : ٦٠
- علي بن محمد الأزرق العطار : ٦١
- علي بن محمد الحدودي (عامل قاس) : ٦٦ - ٧٨
- علي بن محمد الصدفي (الخطيب) : ٥٥
- علي بن محمد الفشتالي : ٢٨٥
- علي بن عبد المؤمن : ١٩٨ - ٢٠٣
- علي بن عثمان المريني (السلطان أبو الحسن) : ٣٩٩ - ٤١٢
- علي بن عمر (عامل سجلماسة) : ٢٩٧
- علي بن عمر بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥٢ - ٧٨ - ٧٩
- علي بن عمر الأوسي (مشرف قاس) : ٤٩
- علي بن عيسا بن ميمون اللمتوني : ٢٦٢
- علي بن غازي بن محمد ابن غانية (الملقب بالحاج الكافر والحاج الكافي : ٢٣٢ - ٢٣٣
- علي بن سليمان الهاشمي : ١٧ - ١٨
- علي بن يحيى الهنتاتي : ٤١٠

- علي بن يوسف بن قاشفين اللجنتوني (السلطان) : ٥٩ - ١٥٦
- ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٤ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧
- ١٧٨ - ١٧٩
- علي بن يوسف بن يزكاتن : ٣٧٦ - ٣٨٠ - ٤٠٨
- علي المقيلى : ٣٠٨
- علي السجلماسى : ٦٤
- عمار المكناسى (الطبيب) : ٣٧٦
- عمران بن يعقوب المنصور الموحد : ٢٥٣
- العمراني : أبو عبد الله : ٢٩٩
- عمر أصناك : ١٧٦
- عمر بن إدريس بن إدريس الحسنى : ٥١ - ٥٢ - ٧٨
- عمر (المرتضى) بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى (ال خليفة الموحد) : ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٩٥ - ٢٩٦
- ٢٩٧ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤
- عمر بن تفرامين (عامل مراکش) : ١٩٥
- عمر بن الخطاب : ٥٩
- عمر بن رحو بن عبد الحق المريني : ٣٩٤
- عمير بن مصعب الأزدي : ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١
- عمر بن موسى بن عمران الفودودى : ٣٩٤ - ٣٩٦
- عمر بن عبد الله ابن أبي عامر (أبو الحكم) : ٩٤ - ١٠١
- عمر بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ١٩٤ - ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢١١
- عمر بن عبد الواحد بن عبد الحق المريني : ٣٥٤ - ٣٤٦
- عمر بن عثمان بن يوسف الهسكورى : ٣٧٧
- عمر بن عثمان (أبى سعيد) المريني : ٣٩٩ - ٤١١

- عمر بن علي (والى مالقة) : ٣٢٩ - ٤٠٥
- عمر بن سليمان المسوفى : ١٤٨
- عمر بن يحيى (المستنصر الثاني الحفصي) : ٤٠٧
- عمر بن يحيى الوطاسى (الوزير) : ٣٨٠
- عمر بن السعود الحشمى (الوزير) : ٣٧٥ - ٣٨١ - ٣٨٤ - ٤٠٩
- عمر بن يحيى الهنتاتى (أبو حفص أيتى جد الحفصيين سلاطين تونس) : ١٧٦ - ١٩٠ - ١٩٣ - ١٩٨ - ٢٠١
- عمر بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ٢١٨ - ٢٠٦ - ٦١
- عنبر (حاجب يوسف المرينى) : ٣٧٥
- عقبة بن نافع : ١٢٥
- عسكلاجة (قائد زيري بن عطية المغراوي) : ١٠٢
- عسكلاجة : انظر عمر بن عبد الله ابن أبي عامر
- عياد ابن أبي عياد العاصمى : ٣٥٦ - ٣٤٢ - ٣٤٥ - ٣٧١ - ٣٧٣
- عياض (القاضى) : ١٩١
- عيسا ابن عمران (قاضى الجماعة بمراكش) : ٢٠٦ - ٢٦٨
- عيسا بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥١ - ٥٢
- عيسا بن تومرت (أخو محمد المهدي) : ١٩٥
- عيسا بن موسى بن علي العباسى : ١٦
- عيسا بن عبد الله الكامل : ١٥
- عيسا بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ٢٠٣
- عيسا بن عبد الواحد بن يعقوب المرينى : ٤٠٧
- عيسا بن سليمان : ١٤٢
- عيسا بن سعيد (عامل فاس) : ١٠٧

- غ -

- غالب (قائد الحكم المستنصر ومولاه) : ٩١ - ٩٢ - ٩٣
- غالب الشقوري (أبو محمد - الطبيب) : ٣٩٦
- الغزالي (أبو حامد) : ١٧٢ - ١٨٠ - ١٩٠

- ف -

- فارس بن يغمراسن بن زيان العبد الوادي : ٣٦٠
- فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد عليه السلام : ٢١
- فاطمة أم البنين : ٥٤ - ٥٥
- فاطمة بنت سير (أم يوسف بن تاشفين) : ١٥٧
- فتح الله السدراتي (الوزير) : ٢٩٨
- الفتوح بن دوناس المغراوي : ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ١١١ - ١١٢
- ١١٣
- فرانز فون دومبي : ٨
- فرج (الحاجب) : ٣٨٩
- الفشتالي : عبد الله : ٢٩٣ - ٢٩٦
- الفيلاي : الهاشمي : ٩

- ق -

- القادر ابن ذى النون : ١٦٨ - ١٦٩
- قاسم بن أبى القاسم العزفى : ٢٤٥
- القاسم بن ادريس بن ادريس الحسينى : ٥١ - ٥٢
- القاسم بن محمد ابن أبى العافية : ٨٦ - ١٤٠ - ١٦٧
- القاسم (كنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسينى : ٨٧
- قاسم بن عامر الأزدي : ١٠٣
- قراقوش الأرمنى : ٢١٩
- القطرانى : أبو يحيى (عامل سجلماسة) : ٢٩٦ - ٢٩٧
- قمر أم علي بن يوسف بن تاشفين : ١٥٧
- القومس (قائد الفونسو السادس) : ١٥٥
- القويقى (مشرف فاس) : ٤٩
- قيس بن عيلان : ٣٧٩

- س -

- سانشو بن الفونسو العاشر : ١٦٠ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٥٦ - ٣٥٨
- ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٦ - ٣٧٩
- ٣٨٣ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- سانشو خيمينو (أبو برذعة) : ٢١٢ - ٢٦٧
- سبع بن منقباد : ٢١٠
- سر الحسن (زوجة يعقوب المنصور) : ٢٤٥
- السكسيوى : ٣٩١
- سكوت البرغواطى : ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٦٨

- السلالجي : عثمان : ٢٦٦
- سلام (قاتل زيرى بن عطية) : ١٠٦١
- السلطان انظر : المفونسو الضايغ
- سليمان ابن الاحمر : ٣٩٤
- سليمان بن جرير : ٢٢ - ٢٣ - ٢٤
- سليمان بن مخلوف (صاحب محمد بن تومرت) : ١٧٦
- سليمان بن عبد الله الكامل : ١٥ - ١٦
- سليمان بن عبد الله بن يوسف المريني (السلطان أبو الربيع) :
٣٨٢ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٤١١
- سليمان بن عبد المؤمن : ٢٠٣ - ٢١٨
- سعادة (عبد يوسف المريني وقالته) : ٣٨٨
- السعود بن خرياش الحشمى : ٢٩٤
- سعيد بن ميمون الصنهاجى : ١٩٤
١٥٤ - ١٥٥ - ١٦١ - ١٦٢
- سعيد حجي : ٩
- سفيان الثوري : ٢٩
- سيدراي بن وزير : ٢١٦
- سير بن أبي بكر اللمتوني : ١٣٨ - ١٤٢ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٣
- سير بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٥٧
- سوط النساء : ٣٠٨

- شانجه انظر : سانشو.
- الشديد الرومي (القائد) : ٢٩٤
- شمعون بن يعقوب : ١٣٠
- شمس (أم أبي دبوس آخر خلفاء الموحدين) : ٢٥٩
- شعيب بن الحسين الأنصاري (أبو مدين دفين تلمسان) : ٢٧٠
- شعيب بن محمد ابن أبي مدين : ٤٧
- شعيب الهسكوري : ٢٥٤

- ه -

- الهادي (ال خليفة العباسي) : ١٦ - ١٧ - ١٨
- هارون الرشيد : ١٥ - ٢١ - ٢٧ - ٢٨
- الهاشمي الفيلالي : ٩
- هرقل : ٢٣٥
- هشام بن عبد الملك بن مروان : ١٣٠
- هشام المؤيد المرواني : ٥٨ - ٩٣ - ٩٤ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٥
- الهواري : محمد بن ميمون (قاضي فاس) : ٧٢

- و -

- واجاج بن زلو اللمطي : ١٢٣
- واضح مولا صالح بن المنصور : ١٧ - ١٠٥
- واضح الفتا : ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨

- واسول بن ميمون بن مدرار الصفرى : ٩٠
- الوراق : عبد الملك بن محمود : ٢٤ - ٢٧ - ٤٢ - ٥٠

- ي -

- يتلوتان بن تلاكاكين الممتونى الصنهاجى : ١٢٠
- يحيى نجل الخلفاء الموحدين : ٧٧
- يحيى بن ابراهيم الكدالى : ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٦
- يحيى بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥١
- يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الحسنى : ٨٠ - ٨١
- يحيى بن أبى بكر بن يوسف بن تاشفين (والى فاس) : ١٥٨-١٥٩
- يحيى بن أبى طالب الغزفى : ٣٩٩ - ٤٠٠
- يحيى بن أيوب (أبى الصبر) : ٣٩٢
- يحيى بن حازم العلوى (الوزير) : ٢٩٨
- يحيى بن خالد البرمكى : ٢١ - ٢٢
- يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٧٧ - ٧٨
- يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى (السلطان) : ٥٣
- ٥٤ - ٧٧
- يحيى (المعتصم) بن محمد (الناصر) بن يعقوب المنصور (ال خليفة الموحدين) : ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٧٤
- يحيى (أبو الحسن) بن محمد المزدغى : ٧٦
- يحيى بن منديل العسكرى (الوزير) : ٣٧٣
- يحيى بن عبد الله الكامل : ١٥

- يحيى بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣ - ٢٠٩ - ٢١٠
- يحيى بن العزيز ابن حماد : ١٩٣ - ١٩٤
- يحيى بن علي ابن غانية : ١٩١ - ٢٢٢ - ٢٣٣ - ٢٦٣
- سيخلف بن عمران القودودي : ٣٧٥
- يحيى بن عمر اللمتوني : ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨
- يحيى بن القاسم الادريسي : ٧٩ - ٨٠
- يحيى بن سكوت البرغواطي (الحاجب ضياء الدولة) : ١٤٣
- يحيى بن يومر : ١٩٥
- يحيى بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦
- يحيى الحفصي (الواثق بالله) : ٤٠٥
- يخلف الأوربي (أبو خزر) : ٢٢٥ - ٢٦٨ - ٢٧٥
- يخلف بن الحسن : ١٩٤
- يدو بن يعلا بن محمد اليفرنى : ٩٠ - ١٠٤ - ١١٥ - ١١٦
- يزيد بن الياس العبدري : ٢٧
- يطوت المقراوى : ١٠٢
- يلفور (أبو يعزأ) بن ميمون الهزميري : ٢٦٧ - ٢٧٥
- يصليتن (ويصلاصن أيضا) قريب المهدي بن تومرت : ١٩٤ - ١٩٥
- يعلا بن محمد اليفرنى : ٨٩ - ٩٠ - ١٠١ - ١٠٤
- يعلا بن يوسف : ١٤١
- يعقوب ابن ازناك : ٣٩٠ - ٣٩١
- يعقوب بن جابر العبد الوادى أمير سجلماصة : ٢٥٧ - ٣٠٩
- يعقوب بن عبد الحق المرينى : ١٣ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٧٦ - ٢٤٠
- ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٨٥ - ٢٨٧ - ٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٥ - ٣٠٦

٣٠٩ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣٢١ - ٣٢٥ -
٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٤٠ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٦٠ - ٣٦٥ -
٤٠٣ - ٣٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧

- يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المريني : ٢٩٦ - ٤٠٣

- يعقوب بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣

- يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي

(ال خليفة الموحد) : ٤٧ - ١٣٩ - ٢٠٦ - ٦١٥ - ٢١٦ - ٢١٨ - ٢١٩

٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٨ -

٢٣٠ - ٢٥٤ - ٢٨٨

- يعيش (عامل الخليفة محمد الناصر على بلاد الريف) : ٢٧١

- يعيش بن يعقوب المريني : ٣٩٨

- يغمراسن بن زيان (سلطان تلمسان) : ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٩٣ - ٢٩٥

٢٩٦ - ٢٩٧ - ٣٠١ - ٣٠٥ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢

٣١٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٤٠٣

- يسكر الجورائي (أبو محمد) : ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢

٧٣ - ٢٧١

- يوسف ابن حكم (القاضي) : ٣٠٨

- يوسف ابن الخجوي : ٣٣ - ٣٤

- يوسف ابن قيطون : ٣٥٤ - ٣٧١

- يوسف ابن الودون : ٢٨٧

- يوسف بن تاشفين : ٨٦ - ١١٣ - ١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦

١٣٨ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٥٠

١٥٤ - ١٥٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٧٠

- يوسف بن داود ابن عائشة : ١٥٥

- يوسف بن محمد : ٤١١
- يوسف بن محمد بن أبي عباد (قائد مراكش) : ٣٩٠ - ٣٩١
- يوسف بن محمد بن علي القسطنطي : ٧٥
- يوسف (المنتصر) بن محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) : ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٧٣ - ٢٨٣
- يوسف بن عبد الحق (قاضي فاس) : ٦١
- يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (السلطان) : ١٨١ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢٨٨
- يوسف بن عمران (قاضي فاس) : ٦٧ - ٧٥
- يوسف بن عمر (المؤرخ) : ٢٠٨
- يوسف بن عيسا الحشمي : ٣٩٠ - ٣٩٤ - ٣٩٦
- يوسف بن سليمان : ١٩٨
- يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني (السلطان) : ٥٧ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٦ - ٧٧ - ٣٠٨ - ٣٥٥ - ٣٦١ - ٣٦٣ - ٣٦٦
- ٣٧٠ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤
- ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٤٠٤ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- ٤١٠ - ٤١١
- يوسف (الشيطان) العبد الوادي (قاتل الخليفة الموحد علي السعيد) : ٢٥٧

فهرس (1)

أسماء الاجناس والقبائل والبطون والجماعات

- أ -

- أثيج : ٣٠٢ - ٣٤٣
- الادارسة : ٣٢
- الأزد : ٢٩ - ٤٦
- الافرنج : ١٤٣
- أهل القيروان : ٤٧
- أهل صفرو : ١٦٧
- أوربة : ١٩ - ٢٠ - ٢٨ - ٤٦ - ٥٢ - ٢٠٩ - ٢١٣ - ٣١٤ - ٣٢٣
- أولاد أبي يحيى : ٣١١
- أيلان : انظر هيلانة

- ب -

- بنى أمية : ٨٨ - ١٠١
- بنى الأغلب : ٩٨

(1) حذفنا من هذا الفهرس بعض الأسماء التي تتكرر كثيراً مثل العرب والبربر والروم وبنى مريسن .

- بني أيوب : ٢١٩
- بني بلكين : ٢٦٩
- بني بهلول : ٢٧٧ - ٤٠٨
- بني تغالفت : ٣٧٠
- بني جابر : ٣٠٢ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٧١ - ٣٩١
- بني جرمون : ٣٧١
- بني حمامة : ٣٦٩
- بني حسن : ٣٠٢ - ٣٧٨
- بني حفص : انظر الحفصيين
- بني الخير : ٣١ - ٣٢ - ٣٧٠
- بني دخير : ١٢٠
- بني راشد : ٣١٠
- بني رهيئة : ١٤٢
- بني زياد : ١٢٠
- بني لماس : ١٢٠
- بني مدرار : ١٠٠
- بني مراس : ١٤١
- بني مروان : انظر المروانيين
- بني مكود : ١٤٢
- بني الملجوم : ٣٠
- بني ملولة : ٣٩
- بني منير : ١٢٠
- بني موسا : ١٢٠

- بنى صبيح : ٢٦٧
- بنى العاصم : ٣٧١
- بنى العباس : ٩٨
- بنى عبد الوادى : ٢٥٧ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢
- ٣٨٦ - ٣٧٩ - ٣٣٦
- بنى عبيد : ٩٢
- بنى العزفى : ٣٧٢
- بنى علي : ٣٧٠
- بنى عسكر : ٢٨٦ - ٣٥٣ - ٣٧٠ - ٣٧٧ - ٣٨٥ - ٣٨٦
- بنى غانية : ١٨٨
- بنى غفجوم : ٣٤٣
- بنى فشتال : ١٢٠
- بنى فودود : ٣٧٠
- بنى سعيد : ٣٨٢
- بنى سيدتان : ٣٧٧
- بنى سوخم : ٣٧٠
- بنى هود : ١٦٠
- بنى وارث : ١٢٠ - ١٢١ - ٣٧٠ - ٣٧٧
- بنى وراغ : ٣٧٠
- بنى ورتاج : ٣٧٠
- بنى وطاس : ٣٧٠
- بنى يابان : ٣٧٠
- بنى يازغة : ٣٧٧

- بنى يحصب : ٢٩
- بنى يزغتن (بنى يازغة) : ٣١ - ٣٢
- بنى يفرن : ٢١ - ٣٢ - ٨٨ - ١٠٩ - ١١٣ - ١١٤ - ١٢٩ - ١٣٣
- ١٣٤ - ١٣٨
- البجلية : ١٢٩
- يرغواطة : ١١٠ - ١١٩ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٣ - ١٩٠
- ١٩١ - ٣٤٣
- بطوية : ٢٨٩
- المباشكنس : ١٤٣
- بهلولة : ١٣٩ - ٢٨٩

- ت -

- تجين : ٣٣٦ - ٣٣٧
- تربعين : ٣٧٠
- تكلانة : ١٢٠
- التسول : ٨٣ - ٢٨٦ - ٢٨٩
- تينمل (قبيلة) : ٢٠٢

- ج -

- جانانة : ٢٨٨ - ٢٨٩
- جراوة : ٤٦

- جزولة : ١٣٣ - ١٣٩
- الجلالة : ١٤٣
- الجنوبيون : ٢٧٦
- جشم : ١٩٩ (٢٦٠ - ٣٠٢ - ٣٠٩

- ح -

- حاحة : ١٢٩ - ٣٩١
- الحموديون : ٥٢
- الحفصيون : ٢٥٠ - ٢٧١

- خ -

- الخلط : ٢٤٨ - ٢٥٥ - ٢٧٤ - ٢٧٦ - ٣٠٢ - ٣٤٣ - ٣٤٥
- ٣٤٧ - ٣٥٣ - ٣٧١ - ٣٩١

- ز -

- زجاجة (زكراكة) : ١٧٨
- الروافض : ١٢٩
- رياح : ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٣٩١ - ٤٠٣

- ز -

- زكارة : ٢٨٩

- زكنة (لعلها تكنة بالناء) : ٣٩١

- زفانة : ٢٠ - ٢١ - ٢٨ - ٣١ - ٣٢ - ٤٦ - ٥٢ - ٨٨

٩١ - ١٠٢ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٤ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٧ - ٢٠٢

٢١٩ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٧٩ - ٣٠٩

- زواغة : ٢٠ - ٣١ - ١٣٩

- زواوة : ٢٠

- ز -

- زنامة : ٨٩ - ٩٠ - ١٥٩

- ز -

- كدالة : ١٢٠ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦

- كيميوة : ١٧٨ - ١٨٣ - ٢٠١

- كنفيسة : ١٧٢ - ١٧٩

- ز -

- لماية : ٢٠ - ١٣٩
- لاثونة : ٣٢ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤
- ١٢٦ - ١٤٠ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥١ - ١٥٦ - ١٥٨ - ١٦٦
- ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٢
- لمطة : ١٢٠
- لواقعة : ٤٦ - ١٣٩

- م -

- مدالج : ٢٩
- مديونة : ١٣٩ - ٢٨٩
- المروانيين (بنى مروان) : ٨٨ - ٨٩ - ٩١ - ١٠٣
- مكناسة : ٢٠ - ٢٨٦
- المنبات : ٢٩٧ - ٣١٢
- منداسة : ١٢٠
- المصامدة : ٤٢ - ١٣٣ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٧ - ١٧٧ - ١٧٨
- ٢١٣ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٣٠٩ - ٣١٤ - ٣٢٣
- مصمودة : ٤٦
- المعقل : ٢٤٩ - ٢٥٥
- مغراوة : ٢١ - ٣٢ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٣
- ١١٤ - ١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٨ - ١٤٠
- مغيلة : ٤٦ - ١٣٩
- مسراة (قبيلة) : ١٢٠

- مسوقة : ١٢٠ - ١٢٦

- ص -

- الصدف : ٢٩

- صديقة : ١٣٩

- صنهاجة : ٢٠ - ٢٨ - ٤٦ - ٥٢ - ٨٩ - ١٠٥ - ١١٩ - ١٢١

١٢٥ - ١٣٣ - ١٤٨ - ١٥٨ - ٢٠٩ - ٣٠٦ - ٣١٤ - ٣٢٣

- صنهاجة مفتاح : ٢٠٩

- الصفريّة : ٧٩

- ع -

- العاصم : ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٩١

- العبيدين (بنى عبيد) : ٨٨ - ٩١ - ١٠٣

- العلويين : ٩٢

- غ -

- الغز (الأغزان) : ١٣٩ - ٢١٣ - ٢٢٦ - ٢٤٠ - ٢٥٨ - ٣٠٢

٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣٤٣ - ٣٥٣ - ٣٧٤ - ٣٩٣ - ٣٩٦

- غمارة : ٢٠ - ٢٨ - ٥٢ - ١٠٥ - ١٤٧ - ٢٠٩ - ٢٢٦

٣١٤ - ٣٢٣

- غبائة : ٢٠ - ١٤٢

- ف -

- الفرس : ٤٥

- فنلاوة : ٣٧٧

- فشالة : ٢٨٩

- ق -

- قيس (العرب القيسية) : ٢٩ - ٤٦

- س -

- سدرافة : ٢٠ - ١٣٩ - ١٦٧ - ٢٨٩ - ٣٧٧

- سفيان : ٣٠٢ - ٣٣٠ - ٣٥٣ - ٣٥٥ - ٣٥٦

- ش -

- الشبخان (اشتيخان ؟) : ٤٦

- الشيعة : ٥٨

- ه -

- هبيرة : ٣٧١
- هرغة : ١٢ - ١٧٩
- هنتاة : ١٧٨ - ٢٢٦ - ٢٢٧
- هسكورة : ٢٤٨ - ٢٦٠ - ٢٦٧ - ٢٩٠ - ٣٠٤
- هواراة : ٢٠ - ٤٦ - ٥٤ - ١٢٠ - ٢٨٩
- هيلانة (ايلان) : ٧

- ي -

- اليحصبيون (بنى يحصب) : ٤٦

فهرس (١)

- الإبتين : ٣٧٨
- أبة : ١٥٤ - ١٩٣ - ٢٤٠ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٧٢ - ٣١٥ - ٣٣٩
- أبو الطويل (مكان قرب سلا) : ٣٩١ - ٤١١
- الأراك (مدينة) : ٢٢٣ - ٢٢٦ - ٢٢٨
- أرجونة : ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨
- أركش : ٢١٤ - ٢٤٧ - ٣٦٦
- أرنية : ١٦٢
- أريونة : ١٦١
- أزاجن (أسجن ؟) : ٣٨٤
- أزرو (جبل) : ٣٢١
- أزمور : ٣٤ - ٥١ - ٢٦٠
- أزغار (فحص) : ٢٨٩ - ٣٩١
- أطرانكش : ٢٠٠
- أكسفورد : ٦
- أكدير (تلمسان) : ١٨٨
- ألكاي : ٨١ - ٨٣

(I) حذفنا من هذا الفهرس بعض الأسماء التي تتكرر بكثرة في صفحات الكتاب ، مثل المغرب والمشرق والأندلس وعدوة القرويين ومسجدها وعدوة الأندلس ومسجدها .

- الحربة (أنظر الحربة)
- أندوجر : ٢٧٣
- أنفا : ٣٠١ - ٣٩١
- أم الربيع (وادي) : ١٩ - ٣٩ - ٢٠١ - ٢٩٣ - ٣٠٢ - ٣٠٦
- ٣٩١
- أمركو (جبل - قلعة) : ٣٠٨ - ٤٠٤
- أصيلة : ٥١ - ٥٢ - ٨١ - ٨٤ - ٨٨ - ٥٠ - ٣٠٤ - ٣٨٩
- أغلان : ٣٩ - ٤٦
- أغمات : ٥٠ - ٥١ - ١٢٩ - ١٢٣ - ١٣٤ - ١٤٢ - ١٥٥ - ١٦٩
- ١٧٧ - ١٧٨
- اقراغة : ١٣٦ - ١٥٦ - ١٦٩ - ٢٦٣
- أقليم : ١٥٩ - ١٦٠ - ١٧٠ - ٢٢٩ - ٢٦٨
- الأقواس : ٣٥٤
- استجة : ٣١٦ - ٣٤٥ - ٣٥٧
- اسطونة : ٣٧٣
- اشبيلية : ١٤٣ - ١٤٩ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٦٣ - ١٦٩ - ١٩٥
- ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢١١ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢٩ - ٢٣٤ - ٢٣٥
- ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٩ - ٣٦٦
- اشبونة (أنظر لشبونة)
- أشير : ١٠٧
- الاهواز : ١٦
- أوريوالة : ٢٧٤

- ب -

- باب أبي سفيان (فاس) : ٤٠
- باب أصليقن (فاس) : ٧٢ - ١٧٠
- باب أفريقية (فاس) : ٣٩ - ٤٠ - ٤٦
- باب البنود (مراكش) : ٢٦٠
- باب بنى مسافر (فاس) : ١١٤
- باب تخنست (سجلماسة) : ٢٩٦
- باب الجديد (فاس) : ٥ - ٤٢
- باب الجرف (فاس) : ٤٢
- باب الجيزيين (فاس) : ٢٩٦
- باب الحديد (فاس) : ٤٠ - ٤٦ - ٥٨ - ٧٧ - ٢٣٣ - ٢٧٢ - ٤١٢
- باب حصن سعدون (فاس) : ٣٩ - ٤٢ - ٤٦
- باب الخوخة : ٤ - ٤١
- باب دكالة (مراكش) : ٢١٣
- باب الرب (مراكش) : ٣٩١
- باب زيتون ابن عطية : ٤٠ - ٤٣
- باب الكنيسة (فاس) : ٤٠
- باب الكنيسة (عجيسة) : ٤١ - ٤٢ - ١١٢ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧٢
- باب المحروق (فاس) : ٢٧١
- باب المغيرة (فاس) : ٤٢
- باب الصالحة (مراكش) : ٢٦٠ - ٣٠٣
- باب الفاتحة (مراكش) : ٢٦٠

- باب فتوح (فاس) : ٥ - ٤٣ - ١١٢
- باب القرخ (فاس) : ٤٠
- باب الفرس (فاس) : ٣٩ - ٢٧١
- باب الفصيل (فاس) : ٤٠
- باب الفوارة (فاس) : ٤٠
- باب القبلة : ٤١
- باب السلسلة (فاس) : ٤٠ - ٢٧٧ - ٤١٤
- باب سليمان (فاس) : ٤٢
- باب الشريعة (تازة) : ٣٧٧
- باب الشريعة (فاس) : ٤١ - ٤٤ - ٢٧١ - ٢٩٣ - ٢٩٦
- باب الشيبوية (فاس) : ٤٠
- باجة : ٢٠٠ - ٢١٩ - ٢٦٩
- بادس : ٢٠١ - ٢٣ - ٢٧١ - ٣٣١
- برباط : ١٣٠
- البرت : ٣٦٦ - ٣٣٩ - ٤٠٦
- برنقال : ١٦١
- بجاية : ١٦٧ - ١٧٣ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ٢٠٣ - ٢١٠
- ٢٦٤ - ٢٦٩
- البحر الشامي : ٩٧
- بحيرة ؟ : ٣٤٢
- البحيرة : ٣١٤
- برج دار النخرة (مراكش) : ٣٩١
- برج الذهب (اشبيلية) : ٢٧٣

- برج الكوكب (فاس) : ٤٩
- برزخ (حومة سيدي العواد بفاس) : ٤٠ - ٤٦ - ٤١٤
- بركونة : ٢٧٦ - ٣٢٧
- برقة : ١٨ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢١٧
- برشك : ٣٨٦ - ٤١٠
- برشلونة : ١٦٠ - ١٦١
- بطليوس : ١٤٦ - ١٥١ - ١٦١ - ٢٠٠ - ٢٧٥
- بلاد أوربة : ٧٩
- بلاد تازة : ١٨٦
- بلاد التسول : ٨٠
- بلاد تيقز (تينغير ؟) : ١٨٦
- بلاد جزولة : ١٢٩
- بلاد مكالة : ٢٦١
- بلاد الديلم : ١٥
- بلاد مديونة : ٧٨
- بلاد مكلانة : ١٤٢
- بلاد مكناسة : ١٣٣
- بلاد المصامدة : ٥٠ - ٥١ - ١٢٦ - ١٢٩ - ١٤٢ - ١٩٠
- بلاد نفيس : ١٢٢
- بلاد النوبة : ١٦
- بلاد تول : ١٩ - ١٩٩
- بلاد صنهاجة : ٥١ - ٣٠٦ - ٣٩١
- بلاد غمارة : ٥٢ - ١٤٠ - ١٤١ - ٢١٠

- بلاد غيالة : ١٨٩ -
- بلاد قازان : ٥١ - ١٤٢ - ١٦٧ - ١٨٦ - ٢٨٩ - ٢٩٤ - ٣٢١
- بلاد فندلاوة : ١٤١
- بلاد قشتيلية : ٢٣٦
- بلاد السودان : ١٦ - ١٢٤ - ١٢٦
- بلاد السوس : ١٢٨ - ١٢٩
- بلاد هزرجة : ١٧٨
- بلاد هسكورة : ٣٩٩
- البلاط : ١٥٤ - ٢٢٩
- بلد العناب : ٢٦٤
- بلطة : ١٤٤
- بلنسية : ١٤٦ - ١٤٩ - ١٥٦ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣
- ١٧٧ - ١٦٩
- بليانة (حصن) : ٣٧٨
- بليش (حوز سبتة) : ٣٨٣
- بنبلونة : ١٤٦
- بنى تاودة (فاس البالى) : ٢٠٩
- البصرة (مغرب) : ٥١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٨ - ٩١ - ٩٢ - ٩٥
- بقارة : ١٢١
- بغداد : ٢٢ - ٢٤ - ١٢٢
- بهلوله (حصون) : ٢١
- بوثة (عنابة) : ١٩٣ - ٢٦٤
- بويبلان (جبل) : ٧٨

- بياسة : ٩٨ - ١٥٤ - ١٩٣ - ٢٤٦ - ٢٦٤ - ٢٧٣ - ٣١٥ - ٣٣٩ -

- ت -

- تاتكلانين : ١٢١ -

- ناجرة : ١٨٣ - ١٨٩ -

- تادرات : ١٦٧ -

- تادلة : ٢٠ - ٥١ - ١٢٩ - ١٤٢ - ١٨٦ - ٢٧١ - ٣٠٦ -

- تازة (رباط تازة) : ٥١ - ٨٠ - ٨٣ - ١٨٧ - ٢٤٩ - ٢٥٥ -

٢٦٢ - ٢٧٧ - ٢٨٦ - ٢٨٩ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٥ - ٣٠١ -

٣٠٦ - ٣١١ - ٣٣٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٨١ - ٣٨٥ - ٣٩٤ -

٣٩٩ - ٤١١ - ٤١٢ -

- تازوطة : ٢٥٧ - ٢٨٤ - ٢٩٢ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٤٠٩ -

- تاكرارت (تلمسان) : ٣٦٣ -

- تاكرارت (مكناس) : ١٩١ - ٣٦٣ -

- تامزجدرت : ٣٨٦ - ٤١٠ -

- تامزجدرت : ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٩٣ -

- تامزورت : ٣٩١ -

- تامسنا : ٢٠ - ٥١ - ٥٢ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٢ - ١٤٢ - ١٩٠ -

٣٠١ -

- تانسيفت انظر نسيقة (وادي)

- تافراطست (زواية) : ٢٨٦ - ٣٧٣ -

- تافنا (وادي) : ٣٠٩ - ٣٣٦ - ٣٩١ -

- قاهدارت (وادی) : ۵۲
- قاهرت (تیهرت) : ۸۸ - ۸۹ - ۹۸
- قاوریرت : ۳۸۵ - ۴۰۰ - ۴۱۰
- قاونت (الغزوات) : ۳۸۶ - ۴۱۰
- تبریشه : ۲۱۴
- ترچالة : ۲۲۹
- ترغة : ۵۱
- تطوان : ۵۱ - ۳۹۲ - ۳۹۳ - ۴۰۷
- تطيلة : ۲۰۵ - ۲۷۳
- تلمسان : ۱۶ - ۱۹ - ۲۱ - ۲۲ - ۵۰ - ۵۱ - ۸۴ - ۸۵ - ۹۵
- ۹۶ - ۹۷ - ۱۰۰ - ۱۰۳ - ۱۰۶ - ۱۰۹ - ۱۴۱ - ۱۴۳ - ۱۵۹
- ۱۶۵ - ۱۶۷ - ۱۹۴ - ۲۰۰ - ۲۱۹ - ۲۵۷ - ۲۹۳ - ۲۹۵
- ۳۰۵ - ۳۷۷ - ۳۷۹ - ۳۸۲ - ۳۸۵ - ۳۸۶ - ۳۹۹ - ۴۰۴
- ۴۰۸ - ۴۱۰
- تلمسان الجديدة : ۳۸۷ - ۳۸۹ - ۳۹۰ - ۴۱۰
- تنس : ۱۰۳ - ۱۱۰ - ۱۴۳ - ۱۶۸ - ۳۸۶ - ۴۱۰
- انسسول (بلاد) : ۵۱
- تونس : ۹۳ - ۱۹۸ - ۲۱۹ - ۴۰۳ - ۴۰۴
- تیکساس : ۵۱ - ۵۲
- تینصل : ۱۶۵ - ۱۶۶ - ۱۷۶ - ۱۷۸ - ۱۷۹ - ۱۸۶ - ۲۰۲
- ۲۱۵ - ۲۱۷ - ۲۴۸ - ۲۶۷

- الثغر الأعلى : ١٤٦ -

- ج -

- جامع الأشياخ (فاس) : ٣٨ - ٥٤
- جامع تازة : ٤٠٨ - ٤٠٩
- جامع حسان (الرباط) : ٢٢٩ - ٢٦٩
- جامع القصبة (فاس) : ٧٥
- جامع الزهراء (قرطبة) : ١٠٧
- جامع الكتبيين (مراكش) : ٢٢٩ - ٢٦٩
- جامع المنصور (مراكش) : ٢٥١ - ٢٥٨ - ٢٥٩
- جامع فاس الجديد : ٤٠٥
- جامع الشرفاء (فاس) : ٣٨ - ٤٧
- جبال بني يازغة : ٣٥ - ٦٩
- جبال بني يزقاسن : ٣٩٩
- جبال الرحمة : ٣٤٣
- جبال غمارة : ٩٨ - ١١٣
- جبال غياثة : ٥١ - ١٧١
- جبال الشرف : ٣٢٥ - ٣٥٧
- جبال هسكورة : ٣٧٨ - ٣٩٠
- جبال ورغة : ٢٧١ - ٢٧٧
- جبل أبريل (أفريد) : ٣٤٧ - ٣٥٢ - ٣٥٤
- جبل بني بهلول : ٣٣ - ٢٥٨ - ٢٩٦

- جبل تيزران (غمارة) : ٢١٠
- جبل الذهب : ١٣٣ - ٦٣٦ - ١٦٧
- جبل الكندرتين : ٣٩٨ - ٤٠٨
- جبل الصوف : ٢١٣
- جبل العرض (فاس) : ١١٤
- جبل المفتح : ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢١٤ - ٢٦٤ - ٢٧٥ - ٤٠٠
- جبل سليمان : ٢٢٩
- جبل سكسيوة : ٣٣٠ - ٣٣٤
- الجرف : ٤٠
- الجرف الأحمر : ٤٦
- الجريد : ٢٦٤
- جزاء برقوقة (فاس) : ٣١٤
- الجزائر (قرب سلا) : ٣٩١
- جزائر بنى مزغنة (الجزائر) : ١٣٦ - ١٤٣ - ١٦٨ - ١٩٣
- ١٩٧ - ٢٣٢ - ٢٦٤ - ٣٦٤
- الجزائر الشرقية : ١٥٧
- الجزيرة الخضراء : ٤٢ - ٨٩ - ٩١ - ٩٣ - ١٠٦ - ١٤٥ - ١٤٦
- ١٥٢ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٨ - ٢٢٠ - ٢٢٢
- ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٧٥ - ٣٣٥ - ٣٥٨ - ٣٦٣ - ٣٧٣ - ٣٧٦
- ٣٨٠ - ٣٩٤ - ٣٩٨ - ٤٠٠ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- جليانة : ٣٢٥
- جليقة : ١٤٦
- جنوة : ٢٨٢
- جيان : ١٥٤ - ٢٦٣ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٨٧ - ٣٥٧

- ح -

- حارة ابن ابي برفوقة (فاس) : ٤٦
- حارة ابن ابي عامر (فاس) : ٤٦
- حارة البادية : ٤٧
- حارة الربط : ٤٦
- حارة لواتة (فاس) : ٤٦ - ٦٧
- الحجاز : ١٥ - ١٧ - ١٥٩
- حجر النسر (قلعة) : ٥١ - ٨٤ - ٨٧ - ٩٢ - ٩٤ - ٩٥
- حجر الفرج (فاس) : ٤٠
- حمام الامين : ٤٧
- حمام بنت البان (فاس) : ٦٧
- حمام الجزيرة (فاس) : ٤٧
- حمام الرحبة (فاس) : ٢٧٧
- حمام رشاشة (فاس) : ٤٧
- حمام الرياض : ٤٧
- حمام الكذان (فاس) : ٤٧
- حمام كرواوة (فاس) : ٤٧
- حمام قرقف (فاس) : ٤٧
- حمام الشيخان (فاس) : ٤٧
- حمة ابي يعقوب : ٣٦
- حمة وشتانة : ٣٦
- الحصن الابيض : ٤٠٩

- حصن بن بشير : ٣٢٧
- حصن الديز : ٣٧٨
- حصن الزهراء : ٣٢٧
- حصن العقاب : ٢٣٨
- حصن الوادي : ٣٨٠
- حصن يحيى : ٣٨٠ - ٤٠٨
- حصون بهلوله : ٢١
- حصون مديونة : ٢١
- حصن الفرج : ٢٢٩
- حصون هندلاوة : ٢١
- حصن القناطر : ٣٥١
- حصون وطلاط : ١٤٢

- خ -

- خراسان : ١٥
- خمار الورد : ٣٢٦

- د -

- الدار البيضاء (فاس الجديد) : ٤٠٧
- دار القيطون (فاس) : ٣٨
- دانية : ١٥٦ - ١٦٩ - ٢٧٤

- درن (جبل) : ١٩ - ١٢٩ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٧٨
- درعة : ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٢ - ١٨٦ - ٢٩٦ - ٣٠٧ - ٣٧٨
- ٣٩٩ - ٤٠٤ - ٤٠٧
- دكالة (أرض) : ١٦
- دلالة : ٢٧٤

- ذ -

- ذكوان : ٣٣٨

- ر -

- رانجة (حصن) : ٣٧٨
- رأس العقبة (فاس) : ٤٢
- الرباط (رباط الفتح) : ٩ - ١٩٢ - ٢٠٢ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٦٩
- رباط تازة : انظر تازة
- ٢٨٧ - ٣٠٨ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٤٠ - ٣٥٧ - ٣٧٣ - ٣٩١
- ٣٩٢ - ٣٩٨ - ٤٠٧
- رحبة البير (فاس) : ٣٨
- الرميطة : ٤٢ - ٤٧ - ٤٩ - ٤١٤
- رندة : ٣٢٣ - ٣٧٦ - ٣٩٤ - ٣٩٨ - ٤٠٥
- الرصيف (حومة بفاس) : ٤١٤ - ٤١٤
- رهينة (حصن) : ١٦٢

- رويدانة (تارودانت) : ١٢٩
- روطه : ٣٢٦ - ٣٤٧
- الريف : ١٤١ - ١٤٣ - ٢٥٧

- ز -

- الزاب : ١٦ - ١٠٦ - ١٤٤ - ١٩٨ - ٢٧٢ - ٢٨٥ - ٣٧١
- الزلاقة : ١٤٥ - ١٥١
- زالغ (جبل) : ٢٩ - ٤١٣
- زرهون (جبل) : ١٩ - ٥٠ - ٢٩٢
- زكندر : ٢١٢
- زيتون ابن عطية (فاس) : ٤٩

- ط -

- طرابلس : ٢٣٠ - ٢٦٤
- طرابلس الشام : ٤٠٨
- طرطوشة : ١٤٦ - ٢٦٣
- طريانة (حومة بفاس) : ٤٦
- طريف : ١٤٣ - ٢١١ - ٢٣٤ - ٢٦٢ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٦٦
- ٣٦٨ - ٣٧٦ - ٣٨٠ - ٤٠٥ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- طلائوت : ٢٦١
- طليبرة : ٣٨١

- طابطة : ١٤٤ - ١٤٩ - ١٥٣ - ١٥٨ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٤ -
١٦٨ - ٢١١ - ٣٣٨ - ٤٠٦ -
- طنجة : ١٩ - ٥١ - ٥٢ - ٨٣ - ٨٨ - ٩١ - ٩٧ - ١٠٠ -
١٠٤ - ١٣٦ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٩٤ - ١٩٩ -
٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٥٠ - ٣١١ - ٣١٣ - ٣٣٠ - ٣٣٥ - ٣٥٧ -
٣٧٤ - ٣٩٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ -

- ك -

- كبالة : ٢٧٤ -
- كبتور : ٣٥٥ - ٣٦٨ -
- الكذان (فاس) : ٤٧ - ١١١ -
- كركونة : ٢١٢ -
- كريقلة : ١٣٢ -
- كنانة (حصن) : ١٦٨ -
- الكنيف (فاس) : ٤٧ -
- كهف الرماد (فاس) : ٤٣ -

- ل -

- كرسيف : ٨٦ - ١٤٣ - ٢٨٢ - ٤٠١ -
- كرواوة (فاس) : ٣٢ - ٤٠ -
- كلينز (جبل) : ١٧٨ - ٣٠٣ -

- ج -

- لاردة : ١٦٢ - ١٦٣
- لبللة : ١٩٥ - ٢٩٤ - ٢٧٦ - ٢٥٧
- لبيط : ١٥١ - ١٥٣ - ١٦١
- لكاعة (بلد) : ٢٥٣
- لشبونة : ٨ - ١٣٦ - ١٦١ - ٢١٤ - ٢١٨
- لواتة (مدينة) : ٨٢ - ١٠١ - ١٣٣
- لورقة : ١٥٣
- لوشة : ٢٧٤

- م -

- الماء المفروش : ٣١٤ - ٣٢١
- ماردة : ٢٧٥ - ٢٦٣
- مازونة : ٣٨٦ - ٤١٠
- مالقة : ١٨٩ - ٢٦٢ - ٣٢٨ - ٣٣٥ - ٣٣٨ - ٣٧٣ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- ماسة : ١٢٩
- مجاز كنامة (أم الربيع) : ٣٩١
- مجريط : ١٦١ - ٢٢٩ - ٣٣٨
- مجش الشاطبي : ٣٥
- المخفية (حومة بفاس) : ٤٠

- مدرسة جامع الاندلس : ٤٨٢
- مدرسة فاس الجديد : ٤١١
- المدور : ١٥٤ - ١٥٥
- المدينة : ١٠٣ - ١٩٣ - ٣٨٦
- مدينة ابن السليم : ٣٥٠ - ٣٤٢
- المدينة البيضاء : ٣٣٥
- مدينة الدمنة : ١٤٢
- مدينة سالم : ١١٦
- مديونة (حصون) : ٢١
- مديونة (مدينة) : ٨٢
- مراکش : ٣٢ - ٤٢ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٥٤
- ١٥٦ - ١٦٤ - ١٦٩ - ١٧٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٤ - ١٩٨
- ٢٠٠ - ٢٠٤ - ٢١٠ - ٢١٣ - ٢٣١ - ٢٥١ - ٢٦٠ - ٢٧٧
- ٢٨٧ - ٣٠٥ - ٣١١ - ٣٢ - ٣٣١ - ٣٤٠ - ٣٧٣ - ٣٧٨
- ٣٩١ - ٤٠١ - ٤٠٣ - ٤٠٨
- مربالة : ٢٧٣ - ٣٧٦
- مرج قرقة : ٤٤
- مرسية : ١٤٩ - ١٥٥ - ١٦١ - ١٦٣ - ٢٤٥ - ٢٤٦
- مرشانة : ٣٤٥ - ٣٤٦
- مروالة : ٢٧٦
- المرية : ١٥٣ - ١٥٥ - ١٦٩ - ١٩٣ - ٢٦٢ - ٣٣١
- المزمة : ٢٣٣ - ٢٧١ - ٣٨٢
- مزغران : ٣٨٦
- مكة : ١٦ - ١٧ - ٩٦

- مكناس (مكناسة) : ١٠١ - ٢١٣ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٧٧ - ٢٨٩
- ٢٩٢ - ٣١٤ - ٣٢٣ - ٤٠٩ - ٤١٢
- مكناسة (بلاد - مدائن) : ٥١ - ٨٢ - ١٠٦ - ١١٩ - ١٤٢
- مكس (وادي) : ٣٥
- مكول (قرية) : ٤٢٩
- ملالة (حوز بجاية) : ١٧٣
- الملعب (حوز تلمسان) : ٤٠٦
- ملوية (نهر - بلاد) : ١٩ - ٢٤ - ٨٤ - ٨٦ - ١٠٦ - ١٣٨
- ١٤٠ - ١٩ - ١٦٧ - ١٩٣ - ٢٩٣ - ٣٠٩ - ٣٨٥
- مليانة : ١٩١ - ٢٦٤ - ٣٨٦ - ٤١٠
- مليلية : ٨٤ - ١٤٣ - ٢٧١
- المنكب : ٣٣١
- المصاراة (جنة - فحص) : ٤١ - ٤٤
- مصر : ١٥ - ١٦ - ١٨ - ٤٠٩ - ٤١٠
- مصمودة (بلاد) : ٥١
- مصمودة (نهر وحومة بفاس) : ٤٧
- مضيق الحية : ١٠٦
- معدن عوام : ٤٢ - ١٩٤ - ١٩٥
- المعمورة : ١٥٢ - ٢٠١ - ٢٠٢
- مغيلة (مدينة) : ١٥٨
- المقرمدة : ٣٨
- مستغانم : ٣٨٦ - ٤١٠
- مسجد طريانة (فاس) : ١٧٣

- المسجد الحرام : ٥٩
- مسجد الصابرين (فاس) : ٤١١
- مسجد شالة : ٣٧٣
- مسجد الشرفاء (فاس) : ٥٥
- مسون : ٨٥
- المسيلة : ١٠٧
- مشقريط : ٣٥٩ - ٣٦٦
- المهدية (تونس) : ٨١ - ٨٣ - ٩٠ - ١٩٧ - ١٩٩ - ٢٣٢
- ٢٢٣ - ٢٦٤
- معورقة : ١٥٨ - ١٥٩ - ٢٣٢ - ٢٧٤ - ٢٢٥ - ٢٧٣ - ٤٠٧

- ن -

- نبرة : ١٥٥
- ندرومة : ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٤١٠
- نكور : ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ١٤٣
- نفيس (مدينة) : ٧ - ٥٠ - ٥١ - ١٢٣ - ٣٣٠
- نسيقة (قنطرة وادي) : ٢٦٦
- نول لمطة : ٢١٧ - ٢٣٠

- ص -

- صبرة : ٢٨٢

- الصحراء : ١٥٩
- صخرة ابي بياش : ٢٩٠
- صخرة عباد : ٣٣٨ - ٤٠٦
- الصخرتين (جبل بظاهر تلمسان) : ١٦٥
- الصخيرة : ١٥٤
- صدينة (مدينة) : ١٣٩
- صفاقس : ١٩٨ - ٢٦٤
- صفرو : ٧٩ - ٨٢ - ١٣٩
- الصفصيف (قرية قرب تلمسان) : ١٦٥

- ع -

- العرائش : ٥١ - ٤٠٣
- العراق : ٢٢ - ٢٤ - ٣٩
- عكا : ٤٠٨
- علودان (جبل) : ١٤٢ - ٤١١
- عقبة عين علون (فاس) : ٣٦
- عقبة السعتر (فاس) : ٣٦ - ٤٢ - ١١١
- عوسجة : ٩٩ - ١٤٠
- عين اصليتين : ٤٦
- عين اسحاق (التسول) : ٨٥
- عين خميس : ٢٠٢
- عين خومال (فاس) : ٧٠

- عين دردورة (فاس) : ٣٩
- عين الصخرة : ٣٦٢
- عين علون (فاس) : ٣٩
- عين عمير : ٣٠
- عين غبولة : ١٩٢ - ٢٠٢ - ٢٦٤ - ٤٠٦
- عين القديح : ١٨٧
- عين قرقف : ٦١ - ٦٥
- عيون ابن اللصاح : ٤٠ - ٦٦
- عيون الكوازين : ٦٦
- عيون صنهاجة (فاس) : ٤١٢

- غ -

- غرناطة : ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٩١ - ١٩٦ - ١٩٨
- ٢٦٤ - ٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٣٤
- غروب : ٣٧٨
- الغزوات : ٤١٠
- غليانة : ٣٢٦
- غساسنة (مرسا) : ٣٨١
- غبائة (قلع - جبال) : ٢١ - ٢٩٠
- غور : ٣٧٨

- ف -

- فارس : ١٦
- فازاز (بلاد - جبال) : ٢١ - ٤٢ - ١٣٤ - ١٤١
- فاس الجديد : ٣٢٢ - ٣٧٧ - ٤٠٤
- فج عبد الله : ٢٤٨ - ٣٣٦
- فج الفرس : ٥٢
- فحص اذاد : ٨٢
- فحص بنى مصرخ (مصور ؟) : ٩١
- فحص الصباب : ١٦٤
- فحص عطية : ١٦٤
- فسخ : ١٧
- فندلاوة (حصون) : ٢١
- فوارة (حومة بفاس) : ٤٧

- ق -

- قرطبة : ٤٧ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٩ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١٥٤
- ١٦١ ١٦٩ - ١٩٥ - ٢٠٠ - ٣٢٦ - ٣٣٨ - ٣٣٩
- قرمونة : ١٥٤ - ١٥٥ - ١٩١ - ٢٣٨ - ٢٦٣ - ٢٧٣ - ٣٤٣
- ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧
- قطنيانة : ٣٢٥
- القلعة (فاس) : ٤٠
- قلعة أيوب : ١٦٣
- قلعة جابر : ٣٤٥

- قلعة خولان : ٢١٤
- قلعة دمنة : ٣٩٢ - ٤١١
- قلعة رباح : ٥٥ - ٢٢٩ - ٢٣٧ - ٢٣٨
- قلعة مهدى : ١٤١
- قلعة علودان : ٣٩٢
- قلعة الوادي : ٣٥٣
- قلع غياثة : ٢١
- قلعة فندلاوة (بنى يازغة) : ٣٧٧
- القليعة (حصن) : ٣٢٥
- قمارش : ٤٠٦
- القناطر : ٣٢٨
- قنطرة أبى الرؤوس (حومة بفاس) : ٧٢
- قنطرة محمود : ١٦٤
- قنطرة عزيلة (فاس) : ٣٨
- القصبات : ٣٨٦ - ٤١٠
- قصبه رباط الفتح : ٤٠٦
- قصبه طنجة : ٣٨٩ - ٣٩٢ - ٣٩٣
- قصبه مراكش : ٢٣٠ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٤٨
- قصبه مكناسة : ٣٢٢ - ٤٠٥
- قصبه فاس : ٤٠٦
- قصر أبى دانس : ٢١٩ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٦٩ - ٣٧٣
- قصر البرت : ٣٥٥
- قصر الجوان (والهجان أيضا) : ٢١١ - ٢١٨ - ٢٢٢ - ٢٣٤

- سد رواغ : ٤١٣
- سندورة (مسندورة ؟) : ٣٧٧
- سرقسطة : ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١
- ١٦٣ - ١٦٢
- سسلا : ٩ - ٥١ - ١٩٢ - ١٩٥ - ٢٠٢ - ٢١٣ - ٢٢١ - ٢٠٨
- ٣٩٨ - ٤٠٢
- السند : ١٦
- سهيل : ٣٣٨
- سور الحجر : ١٣٨
- سوق الصباغين (فاس) : ٤١٤
- سوق العطارين (فاس) : ٤١٣
- السوس : ٢٢ - ٥١ - ١٤٢ - ٢٠٢ - ٢٥٨ - ٣٢٢ - ٣٩٠
- ٣٣٤ - ٣٣٧ - ٣٤٠ - ٣٧٧ - ٤٠٧
- السوس الأدنى : : ١٩
- السوس الأقصا : ١٦ - ١٩ - ٩٥ - ١٠٣ - ١٩٩ - ٢١٨
- سوسة : ١٩٨ - ٢٦٤
- سويقة ابن مكنود : ٢٠٦ - ٢١٨

— ش —

- شاطبة : ١٥٦ - ١٦٩ - ٢١٥ - ٢٥٨ - ٢٦٠ - ٢٧٤ - ٢٩٦
- ٣٠١
- شالة : ٢٠ - ٥١ - ٥٢ - ٨٤ - ١١٠ - ٣٨٨ - ٤٠٧

- الشام : ٩٧
- شانقفلا : ٢٦٨
- شذونة : ٧٩ - ١٣٠ - ١٤٣ - ٣٢٦
- الشرف : ١٤٣ - ٣٢٥
- شرشال : ١٠٣ - ٣٨٦
- شريش : ١٦١ - ١٨٨ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٨ - ٣٦١
- ٣٦٢ - ٣٦٦ - ٣٨٠ - ٤٠٧ - ٤٠٨
- شكيبس : ٣٨١
- شلب : ٢١٩ - ٢٦٩
- شليطرة : ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٧٤
- شلف : ١٠٣ - ١٤٣ - ١٦٨ - ٢٣٣
- شلوقة : ٣٥٦ - ٣٢٦ - ٣٤٢ - ٣٦٦
- شنترين : ١٣٦ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١٤ - ٢١٨
- شنيل : ٣١٦
- شقورة : ١٥٤ - ١٥٦
- الشيبوية : ٣١ - ٤٠
- شيشاوة (مدينة) : ١٢٩

- ه -

- هنين : ٩٦ - ١٨٣ - ٣٨٦ - ٤١٠
- هواره (بلاد) : ٥١

- و -

- وادی الش : ٣٧٦ - ٣٧٨ - ٤٠٨
- وادی اشبيلية : ٢١١ - ٢٢٩
- وادی ایسلی : ٢٩٥ - ٣١٠ - ٤٠٤
- وادی برتقال : ٢١٤
- وادی بهت : ٢٩٢ - ٢٥٦
- وادی تلاغ : ٢٨٢ - ٣٠٥
- وادی تهلیط : ١٨٧
- وادی الحجارة : ١٦١ - ١٦٢ - ٢٢٩
- وادی حسن (قاس) : ٥٨
- وادی ربات : ١٠٥
- الوادي الكبير (قاس) : ٤٨ - ٤٩ - ٣٥٣ - ٣٥٤
- وادی لك : ٣٤٧ - ٣٥٢ - ٣٦٢
- وادی مارین : ٤٠٦
- وادی المطاحن : ٨٢
- وادی منی (مضي) : ١٠٦ - ١٤٣
- وادی مصمودة (قاس) : ٤٨ - ٧٧
- وادی النجاة : ٤٠٦
- وادی نکور : ٢٧٢ - ٢٨٤
- وادی نفیس : ١٧٨
- وادی النساء : ٣١٣ - ٣٢٥

- وادی صیفیر ۱۵۴ (۱۵۴) -
- وادی العبید : ۲۵۳ - ۲۵۴ - ۳۰۶
- وادی غفو : ۳۰۶
- وادی فاس : ۲۲۲ - ۴۰۴ - ۴۰۷ - ۴۱۳
- وادی سبو : ۱۵۲ - ۲۸۶
- وادی شدروع (سد رواغ ؟) : ۱۵۹
- وجدة : ۱۰۵ - ۱۰۹ - ۱۱۰ - ۱۴۳ - ۱۶۸ - ۲۳۳ - ۲۷۲
- ۳۱۰ - ۳۹۹ - ۴۰۰ - ۴۱۰
- ورغة : ۵۱ - ۱۴۱
- ورزیغة : ۹۹
- وطاق (بلاد) : ۱۶۷
- ولیلی : ۱۹ - ۲۰ - ۲۱ - ۲۲ - ۲۴ - ۲۵ - ۲۹ - ۳۰ - ۵۰
- ۹۵
- ونشريس : ۱۰۳ - ۱۴۳ - ۱۶۸ - ۲۶۴ - ۳۱۱ - ۳۸۶ - ۴۱۰
- وشقة : ۷۹
- وهران : ۹۵ - ۱۰۳ - ۱۴۳ - ۱۶۶ - ۱۶۸ - ۱۹۹ - ۲۰۱
- ۳۸۶ - ۴۱۰

- ي -

- یابسة (جزيرة) : ۱۵۷ - ۲۷۶
- یابورة : ۱۶۱ - ۲۰۰ - ۲۱۹ - ۲۶۹

فهرس أسماء الكتب

- أ -

- الانيس المطرب بروض القرطاس : ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ١٠٩
- ١١٠ - ١١١ - ١١٤
- الانيس المطرب ، فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب : ٥
- الاحاطة ، في أخبار غرناطة : ٥
- ازهار البستان ، في أخبار الزمان : ١٩ - ١٣١
- الاكليل لمحمد الهمداني : ١١٩
- الاستبصار ، في عجائب الأمصار : ٤٥
- الاستنكار : ٣٦٣

- ب -

- البرهانية لعثمان السلاجي : ٢٦٦
- البيان المغرب لابن عذاري : ٧
- البيان والتحصيل لابن رشد : ١٦٤
- بيوتات فاس الكبرى : ٦ - ٧

- ت -

- تاريخ مدينة فاس لأبي القاسم ابن كنون : ٥٥

- تفسير ابن عطية : ٣٣٦ -

- التشوف : ٣٤ - ١٧٠

- التهذيب : ٣٦٣

- ج -

- جلاء الأنهمان : ٨٧

- جنا زهرة الالاس ، فى بناء مدينة فاس : ٥ - ٦

- خ -

- خلاصة تاريخ تونس : ٤٠٣

- ذ -

- الذخيرة السننية فى تاريخ الدولة المرينية : ٧

- ر -

- الرعاية للمحاسبي : ٢٧٠

- ز -

- كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر : ٥

- ل -

- لقط المفرائد من حقق الفوائد : ٥

- م -

- المن بالامامة لابن صاحب الصلاة : ١٨٠ - ١٨٤ - ٢٠٢

- مفاخر البربر : ٧

- المقياس : ٢٤

- المسند الصحيح الحسن ، في محاسن مولانا أبي الحسن : ٥

- ميزان العمل : ١٨٠ - ٢٥٨

- ن -

- نظم السلوك ، في الانبياء والخلفاء والملوك : ١١٩ - ٢٤٥ - ٢٨٠

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب : ٥

- ص -

- صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدير : ٧

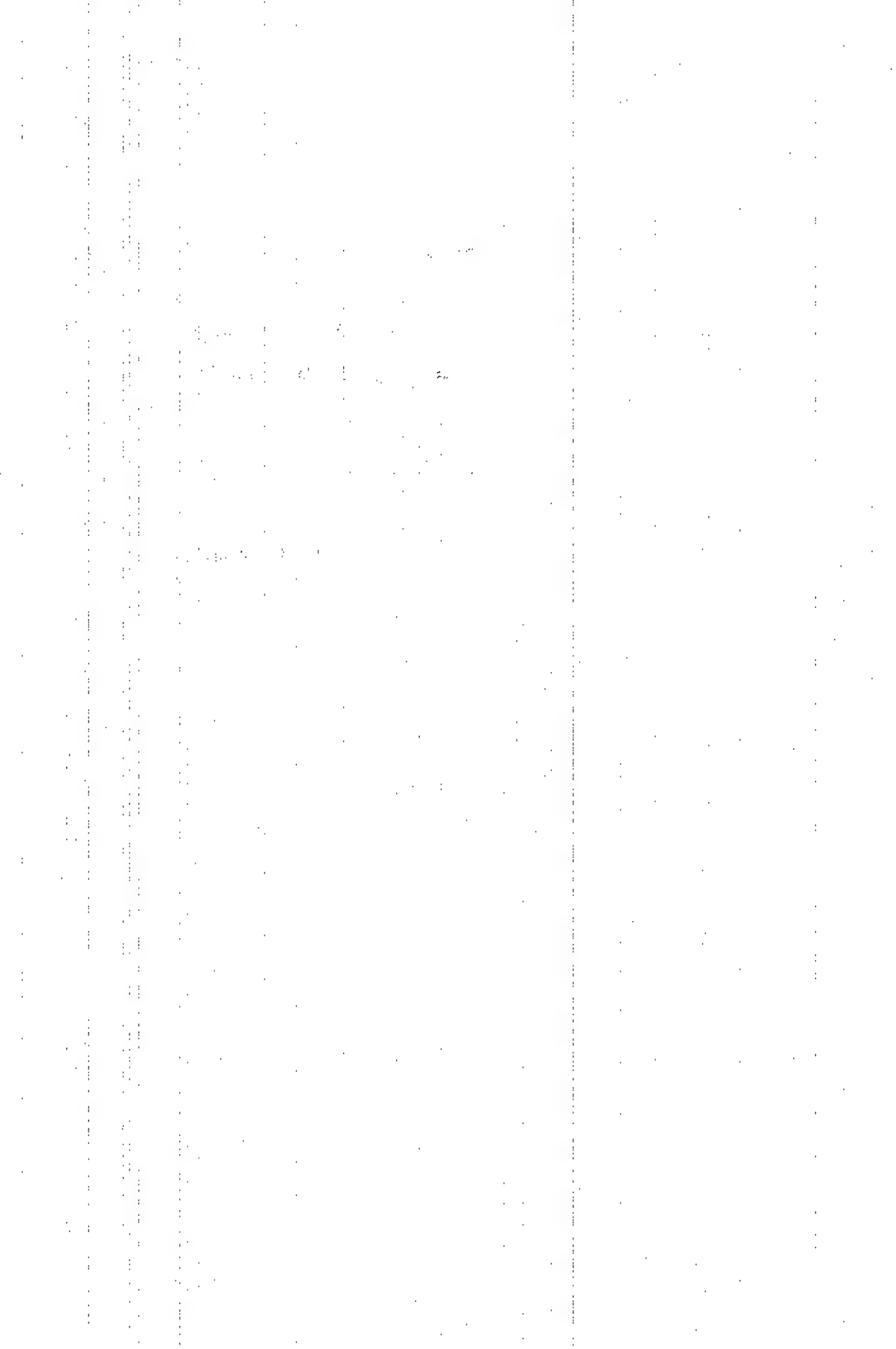
- ق -

- القبس لابن الفياض : ١١٥ -

- القرطاس انظر الانيس المطرب

- ه -

- الهداية : ٢٧٠ -



جدول الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
19	20	عبد الحميد	إسحاق بن محمد بن عبد الحميد
37	3	دارس	درّاس
42	11	الجوف	الجرف
97	17	بعد	بعده
116	12	الصديقي	الصديني
124	5	ابراهيم بن يحيى	يحيى بن إبراهيم
129	13	رودة	درعة
129	22	براغواطه	برغواطه
143	20	والجلاقة	والجلالقة
179	3	محمد البشير	عبد الله البشير
205	4	موسا بن سهل	موسا بن سليمان
241	1	بالمستنصر	بالمنتصر
296	21	محمد	أبى محمد
301	26	أنفا	وأنفا
311	6	زيان	أبازيان
326	16	مهابة	مهابة
369	20	بدمح	بمدح
372	1	مها	منها

SECRET

طبعت هاذا الكتاب ونشرته

دار المنصور

للطباعة والوراقة

حي مايبلا - مجموعة ج - نمرة 9 - 10 - 11

الرباط

تلفون : 511.04

السجل التجارى نمرة 22.098

الحساب البريدى 195.49

الصندوق الوطنى للضمان الاجتماعى نمرة 48.786

نمرة التعريف المالى 511.215

